

معرفة الوحي

دروس معرفية

تأليف

الشيخ مصطفى كريمي

تعريب

حسن علي مطر



دار الرحمن لعلوم القرآن



معرفة
الوعي

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠١٤م / ١٤٣٥هـ

ISBN: 978-614-426-292-4

هوية الكتاب

اسم الكتاب: الوحي (دراسة معرفية)
تأليف: الشيخ مصطفى كريمي
تعريب: السيد حسن علي مطر
تقويم النص: أسعد التميمي
إخراج الفني: سيد مهدي الموسوي
الناشر: منشورات المحبين
المطبعة: الكوثر

الناشر

دار الرحمن لعلوم القرآن



معرفة الوحي

دروس معرفية

تأليف

الشيخ مصطفى كرّيمي

تعريب

حسن علي مطر



دار الرحمن للعلوم القرآنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على النبي محمد، وأهل بيته الطيبين الطاهرين

الوحي القرآني هو الأساس والمرتكز الذي يقوم عليه البناء الفكري والعقائدي والأخلاقي والفقهي للعمارة الإسلامية، فالرؤية الشمولية للكون والحياة والإنسان بكل أبعادها وما يرتبط بها من التوحيد ومعرفة الأسماء والصفات الإلهية، وما يرتبط بالمعاد والجنة والنار ويوم القيامة بكل تفاصيلها، وما يحدد مكانة الإنسان والهدف من خلقته وما هو مبدأه ومنتهاه والطريق بينهما، وما يجب على الإنسان الالتزام والتمسك به من الأخلاق والفضائل ومن التجنب لجميع الرذائل، وكذلك الأمور المرتبطة بحركة الفرد والمجتمع والأسرة مما يتعلّق بالأحكام الشرعية - كل ذلك قائم على نظرة الوحي القرآني ورؤيته لهذه الأمور - .

فالحلل أو التشكيك أو الإشكال على مقولة الوحي الإلهي - القرآن الكريم - مما طرح سابقاً أو مما يطرح في عالمنا المعاصر من الإشكالات التي طرحت في الغرب على أيدي المستشرقين وتلاقفها بعض المفكرين الإسلاميين من المغرب العربي إلى الشرق الفارسي، كل ذلك يستدعي الإجابة الواضحة والقائمة على الدليل والبرهان، والتي تتسم بالشمولية للإجابة على تلك الإشكالات والشبهات: لكي يبقى البناء لتلك العمارة قوياً ومتماسكاً. فكان كتاب "الوحي دراسة معرفية" لمؤلفه حجة الإسلام

والمسلمين الشيخ مصطفى كريمي (حفظه الله تعالى) يحمل تلك الإجابات الشافية.

ومساهمةً في تقوية وتعزيز هذا البناء المتماسك والقوي، قامت "دار الرحمان لعلوم القرآن" بترجمة ونشر هذا الكتاب باللغة العربية، لكي يكون في متناول جميع الأخوة والأخوات الناطقين بلغة الضاد حتى يتسنى لهم الاطلاع على تلك الإجابات لتلك الإشكالات والشبهات.

ونسأل من الله العلي القدير التوفيق والسداد لخدمة كتابه الكريم أنه سميع مجيب الدعوات، وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

الناشر

دار الرحمان لعلوم القرآن

١٤٣٤/٣/١٧ هـ

المصادف لولادة الرسول الكريم (ﷺ)

المقدمة

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾^(١).

لما كان الإنسان عاجزاً عن بلوغ السعادة والكمال بأدواته الخاصة، كان في حاجة مستمرة إلى هداية من الله عز وجل، وقد تحققت تلك الهداية على الدوام في إطار الوحي المشتمل على التعاليم السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله؛ من هنا فقد شكّل الوحي - الذي اقترن ظهوره بظهور الإنسان - أساساً وقواماً لبعثة الأنبياء (عليهم السلام)، وكان أفضل نعمة من بها الله على عباده، حتى ارتبط بفطرتهم ومصائرهم ارتباطاً وثيقاً. فليس هناك من شيء أثر في حياة الإنسان ذلك التأثير البالغ الذي تركه الوحي على حياته.

وقد شهد تاريخ المجتمعات البشرية ظهور أشخاص عرفوا بالصدق والأمانة والصلاح، نهضوا بأعباء هداية الناس نحو السعادة والفلاح، بوصفهم أنبياء ومرسلين من قبل الله تعالى، وأنهم يُوحى إليهم بأساليب تفوق مستوى المعرفة البشرية، وطرق لا يرقى لها الفهم العادي للإنسان متمثلاً بـ (العقل والحس والتجربة)، وقد دعموا هذه الدعوى من خلال إظهار بعض الآيات واجتراح المعجزات، وقد بدأ هذا الارتباط منذ هبوط النبي آدم (عليه السلام) إلى

الأرض، وانتهى برحيل النبي الأكرم محمد بن عبد الله (ﷺ) وانقطاع الوحي القرآني الذي كان ينزل عليه.

وللدور الفدّ الذي لعبه في إسعاد الإنسان، كان الوحي على الدوام محطّ اهتمام العلماء، وخاصةً الذين ينتمون إلى الأديان الإبراهيمية، وهي: اليهودية، والنصرانية، والإسلام. وقد تجلّى هذا الاهتمام بين علماء الإسلام على نحوٍ أشدّ وأقوى؛ وذلك لأنّ محتوى القرآن الكريم وكلماته هي الوحي بعينه، وقد شكّل القرآن الكريم أسمى درجات الوحي وأكمل مراحلها، وقد بقي بمنأى عن محاولات التغيير والتحريف.

وقد شكّل القرآن الكريم مصدراً ومادة جوهرية لجميع التعاليم الدينية لدى المسلمين، ولكن على الرغم من جميع الجهود المبذولة، فقد كان الوحي - بسبب عدم حصول غير الأنبياء على نصيب منه أولاً، وبسبب عجز العقل البشري عن فهم واستيعاب حقيقته ثانياً - عرضةً لتفسيرات متوّعة ومختلفة، بل وخاطئة أحياناً. وهناك من أنكر الوحي استناداً إلى ما يعتمده من الأسس المادية التي أدّت به إلى اعتبار ظاهرة النبوءات حصيلة نبوغٍ وعبقريّة يتمتع بها النبي نفسه، أو أنّها عبارة عن اختلاجات ذهنيّة أو عاطفيّة شديدة لا سيطرة للنبيّ عليها.

وفي القرون الأخيرة عمد بعض المفكرين الغربيين - إثر توجيه بعض الانتقادات والإشكالات إلى الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد - إلى القول باعتبار الوحي (تجربة دينيّة) يخوضها النبيّ على المستوى الشخصي؛ وبالتالي لن يكون الكتاب المقدّس سوى ثمرة لتلك التجربة الشخصية.

ومن المدهش والعجيب في الأمر أن نجد بين المثقفين والمحقّقين المسلمين من يلتزم بصحة هذه الرؤية (متجاهلاً بذلك أصحاب هذا الارتباط السماوي، في حين أنّ كلا طرفي هذا الارتباط المتمثل بذات الباري تعالى والأنبياء (عليهم السلام))

- وخاصةً النبي الأكرم (ﷺ) - قد تحدّث في الكثير من الآيات والروايات عن الوحي بشكل واضح وصريح، وبيننا أنه ارتباط لغوي كلامي خاطب به الله تعالى بعض عباده وأوليائه.

وعلى الرغم من الدراسات التي أنجزت - حتى الآن - حول الوحي - وهي للإنصاف دراسات تستحق الشكر والثناء - إلا أننا لا نزال نشعر بوجود ضرورة إلى دراسته من زاوية الآيات والروايات، وتفسيره، وبيان دور الملك والنبي (ﷺ) في هذا الشأن، من خلال رؤية جديدة، وعلى نحو أكثر دقة وشمولاً.

من هنا فقد جاءت هذه الدراسة الماثلة بين يديك استجابة لهذه الضرورة، وتلبية لحاجة الباحثين في حقل علوم القرآن وتفسيره. وقد اشتمل هذا الكتاب على ستة عشر درساً. وقد جهدنا في جميع مراحل التحقيق أن نراعي ما يُشترط توفره في النصّ التعليمي، من هنا فقد عمدنا إلى بيان الغاية من كلِّ درسٍ ومقدماته، والنشاط ضمن الدرس، مع بيان خلاصة لكلِّ واحدٍ من الدروس، ووضع أسئلة نموذجية عليه، والتعريف بالمصادر التي يمكن للطالب والباحث أن يطالعها لرفع مستوى معلوماته فيما يتعلق بموضوع التحقيق.

تناول الدرس الأول من هذا الكتاب المفهوم اللغوي والاصطلاحي لكلمة الوحي، وموارد استعمالها في القرآن الكريم. وفي الدرس الثاني عمدنا إلى نقد أدلة المنكرين للوحي، وأثبتنا هناك عدم قيام أيِّ دليلٍ على عدم إمكان الوحي، بل هناك شواهد تدلّ - بالالتفات إلى قدرة الله، والخصائص الروحية للإنسان - على إمكان الوحي. وفي الدرس الثالث تعرّضنا إلى الإجابة عن الأدلة المذكورة في سياق عدم ضرورة الوحي وعدم الحاجة إليه، مع بيان أدلة وأقوال الحكماء والمتكلمين في بيان ضرورة الوحي. ويحتوي الدرس الرابع على نقد آراء الماديين ومنكري الوحي، والأقوال التي تذهب إلى اعتبار النبوات نوعاً من الجنون أو النبوغ الفكري، أو اختلاج عنيف في العواطف.

وأثبتنا هناك المنشأ الإلهي للوحي. وفي الدرس الخامس أثبتنا عدم صحّة القول باعتبار الوحي تجربة نبويّة، خاصّةً فيما يتعلق بالوحي القرآني من خلال دراسة عناصر هذا القول وآثاره ونقد أدلته. والدرس السادس يتعرّض لبيان التفسير العقلي الذي يقدّمه الحكماء للوحي، ويوضّح عدم تعارض ما قاله الحكماء في تفسير الوحي مع الأدلة والشواهد الموجودة داخل النصّ، خلافاً لتصور بعض المحقّقين.

أمّا الدرس السابع، فيتناول مسألة اعتبار الوحي كلاماً حضورياً وغير مادي لله سبحانه وتعالى، وإنّه سبحانه يتحدّث من خلاله إلى بعض المميّزين من عباده وأوليائه. والدرس الثامن يتعرّض إلى أقسام الوحي الثلاثة، وهي: الوحي المباشر، والوحي الذي يكون من وراء حجاب، والوحي الذي يكون بتوسيط الملك، في ضوء الآيات والروايات، كما سنعمد فيه إلى بيان مسار كلّ واحدٍ من هذه الأقسام الثلاثة. وفي الدرس التاسع ثبت أنّ الوحي الإلهي المنزل على الأنبياء (عليهم السلام) يمكن تصوّره على ثلاثة أنحاء، وهي: انكشاف الواقع، والبيان الكلامي، وانكشاف الواقع من خلال البيان الكلامي.

وفي الدرس العاشر ثبت بالأدلة والبراهين أنّ القرآن الكريم كان من نوع الوحي الكلامي، وأنّه بألفاظه وتراكيبه ومضامينه صادر عن الله سبحانه وتعالى. والدرس الحادي عشر يتناول الأدلة العقلية والنقلية بشأن سلامة الوحي من الدسّ والتحرّيف في جميع مراحلها حتى وصوله إلى الناس. والدرس الثاني عشر يتعرّض لأصناف ملائكة الوحي، ويبيّن أنّ الأنبياء (عليهم السلام) لا دور لهم في الحصول على الاستعداد إلى النبوة، وإن كانوا يُحسنون الاستفادة من الموهبة الإلهية التي تمنح لهم في هذا المجال، وأنّ دور الأنبياء والملائكة (عليهم السلام) لا يتعدى الوساطة في استلام الوحي وإبلاغه، وأنّ هذا الدور يختلف باختلاف أقسام الوحي وأنواعه.

وفي الدرس الثالث عشر سنعمد إلى نقد الأقوال التي تذهب إلى اعتبار الوحي - وخاصةً الوحي القرآني - انعكاساً لثقافة عصره، أو متأثراً بالتعاليم الخاطئة التي كانت سائدة في ذلك العصر؛ وبذلك نثبت استقلال الوحي وعدم تأثره بالعناصر البشرية. والدرس الرابع عشر يثبت أن الوحي الاصطلاحي قد بدأ بهبوط أبينا النبي آدم (عليه السلام) إلى الأرض، واختتم برحيل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وانقطاع نزول الوحي القرآني. إلا أن هذا لا ينفي وجود أنواع أخرى من الإلهام الذي يخص به الله تعالى الأئمة والحجج الذين لا تخلو الأرض من أحدهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها. والدرس الخامس عشر يختص ببيان الفرق بين الوحي وبين مفاهيم أخرى من قبيل: الحديث القدسي، والتجربة النبوية، والتحديث، والإلهام، والعرفان، والإيحاءات الشيطانية. وبالتالي يبحث الدرس السادس عشر عن مفهوم الوحي في العهدين القديم والجديد، وفي الديانة اليهودية والنصرانية بوصفهما من الأديان التوحيدية التي تقوم على محور الوحي الإلهي.

وفي الختام أشكر الله على توفيقه إياي في إنجاز هذا الكتاب، وأُصَلِّي وأُسَلِّم على جميع الأنبياء والمرسلين، والأئمة المعصومين، والعلماء والصالحين، والشهداء والصدّيقين. كما أتقدم بالشكر الجزيل لجميع الأساتذة والعلماء الذين قدموا لي يد العون من أجل إتمام هذا المشروع، وأخص بالذكر منهم سماحة آية الله الشيخ مصباح اليزدي (دام ظلّه)، وسماحة حجة الإسلام والمسلمين الأستاذ محمود رجبى مدير مؤسسة الإمام الخميني (قدس سرّه) التعليمية والتحقيقية، وسماحة الأستاذ الفاضل السيد حسن يوسفیان الذي منّ عليّ بأرائه وتقييمه الدقيق وملاحظاته القيّمة. كما أشكر العاملين في معاونية التحقيق، وخاصةً سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد أبو الفضل الحسيني مدير تأليف النصوص وأعوانه ومساعدته،

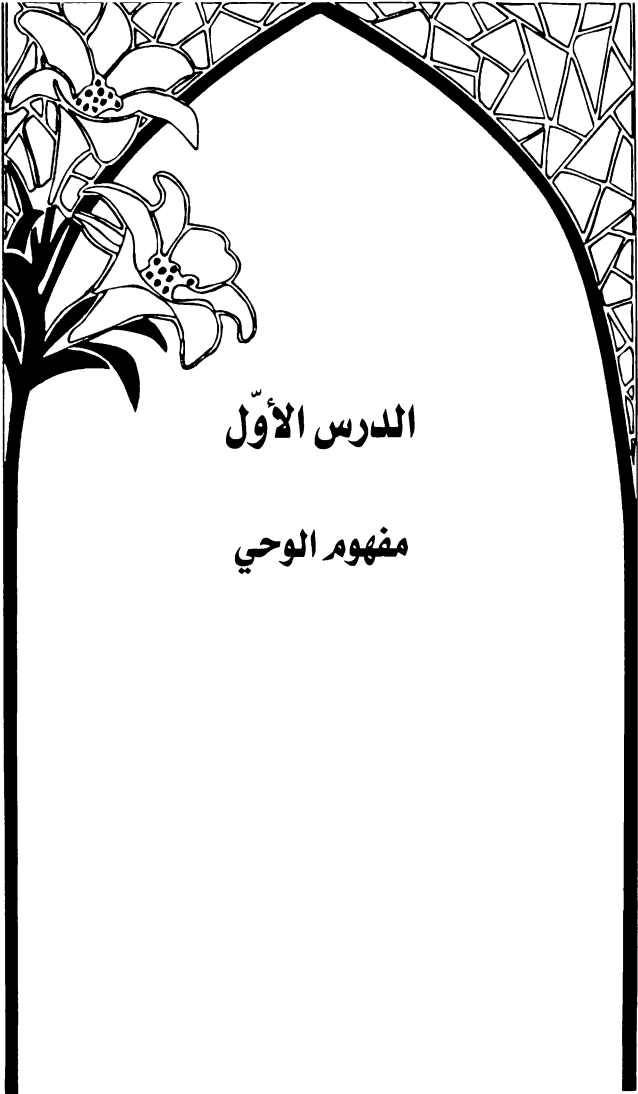
وكذلك سماحة الأخ الفاضل علي رضا تاجيك على ما قام به من تقويم دقيق،
وسماحة السيد علي الحسيني الفاطمي على مراجعته الدقيقة للنص، وأشكر
الناشر، وأسأل الله التوفيق للجميع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصطفى كريمي

قم المقدسة

بتاريخ: ١١ / ٥ / ١٣٨٥ هـ ش، الموافق لـ ٧ / رجب المرجب / ١٤٢٧ هـ ق



الدرس الأوّل

مفهوم الوحي

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

- ١- أن يتعرّف على مفاهيم واستعمالات الوحي لغةً.
- ٢- أن يتمكن من تصنيف وتبويب استعمالات كلمة الوحي ومقارنتها ببعضها.
- ٣- أن يتمكن من تعريف الوحي النبوي بجملة قصيرة.

المقدمة

إنّ من بين المسائل الضرورية والأساسية في البحث العلمي والتبادل الفكري، إيضاح المفردات والمفاهيم الرئيسية المستعملة في ذلك البحث^(١)؛ وذلك لأنّ من المفردات ما يحتوي على معاني واستعمالات لغوية أو عرفية متنوّعة، وقد يكون لبعض الألفاظ معاني خاصّة في مختلف العلوم^(٢)، أو قد تتعدّد المصاديق مع اتحاد المعنى، أو أن يكون المعنى السابق قد هجر على مرّ الأزمنة، وأخذ لفظه يستعمل في معنى جديد مغاير للمعنى القديم.

في مثل هذه الموارد تؤدي الغفلة عن المعاني والمفاهيم والاستعمالات المختلفة والمتنوّعة، وطروء التغيير على المعاني والألفاظ، وعدم تحديد المعنى والمراد، إلى الوقوع في الأخطاء والمغالطات.

فإنّ الالتفات إلى كثرة معاني (الوحي) واستعمالاته، يؤكد أهمية ضرورة بيان تلك المعاني والاستعمالات، فإنّ هذه المسألة بالإضافة إلى مساعدتنا في الوصول إلى الواقع تحول دون وقوعنا في النزاع، بل وقد تفضي إلى تغيير آراء بعض الموافقين والمخالفين أحياناً.

(١) إنّ أهمية تعريف المفردات عند العلماء والمفكرين قد بلغت حدّاً اضطرروا معه إلى تأليف وتصنيف الكتب في هذا المجال، من ذلك كتاب الحدود لابن سينا، والتعريفات لعليّ بن محمّد الجرجاني.

(٢) من قبيل مفردة (العلم) التي تستعمل في معاني اصطلاحية متنوّعة ومختلفة، بل وتؤدي إلى الوقوع في الاشتباه والخطأ أحياناً. ويمكنك في هذا الشأن مراجعة: محمّد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي (صدر المتألهين) في كتابه (مفاتيح الغيب)، ص ١٢١ - ١٢٢؛ حيث ذكر فيه ثلاثين كلمة تقارب في معانيها كلمة العلم، وقد بيّن وجه اختلافها عنها.

١- مفهوم الوحي لغةً

لقد ذكر علماء اللغة لكلمة (الوحي) الكثير من الاستعمالات. من قبيل: الكتابة، والإشارة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي^(١)، والمكتوب، والكتاب^(٢).

وقد ذهب ابن فارس إلى القول بأن أصل الوحي يدل على إلقاء العلم خفية، وإن جميع الاستعمالات الأخرى لكلمة (الوحي) تعود في أصلها إلى هذا المعنى، وذلك إذ يقول: (وَحَيَّ: الواو، والحاء، والحرف المعتل: أصلٌ يدلُّ على إلقاء علم في إخفاء أو غيره... وكلُّ ما في الباب فراجع إلى هذا الأصل الذي ذكرناه)^(٣). وقد ذهب الراغب الإصفهاني إلى القول بأن أصل الوحي هو الإشارة السريعة، ومن هنا قيل: (أمرٌ وحيٌّ) أي: سريع^(٤).

ويبدو أن كلام ابن فارس أقرب إلى الواقع، إذ سيأتي أن جميع استعمالات الوحي في القرآن الكريم تدل على الإلقاء في خفاء، دون الإشارة السريعة. ولو كان المعنى الأصلي للوحي هو الإشارة السريعة، لوجب لحاظ ذلك في جميع استعمالات كلمة الوحي. في حين أن الإشارة السريعة إنما يطلق عليها تسمية الوحي، لما فيها من الخفاء الناجم عن السرعة، فكلُّ انتقالٍ

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، ج ٢، ص ١٩٣٢.

(٢) إسماعيل بن حماد بن حماد الجوهري، الصحاح، ج ٣، ص ٢٥١٩.

(٣) أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٦، ص ٩٣، وذلك على احتمال أن يكون مردّ الضمير في كلمة (غيره) إلى (العلم)، وهناك من ذهب إلى كون كلمة (غيره) إضافة زائدة. راجع: جعفر السبحاني، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، ج ٢، ص ١٢٤، الهامش رقم: ١. لكنه احتمال مخالف للسياق، والأصل عدم الزيادة. فيكون معنى الوحي عند ابن فارس هو إلقاء العلم بخفاء أو بغير خفاء. (المعرب).

(٤) الراغب الإصفهاني، غريب ألفاظ القرآن، مادة: (وَحَيَّ).

سريع خفي، وليس بالضرورة أن يكون الانتقال الخفي سريعاً^(١)؛ وعليه فالمنظور في مفردة الوحي هو إلقاء أو نوع من الإلقاء الخفي.

٢- أنواع استعمال الوحي في القرآن الكريم

لقد استعمل القرآن الكريم مفردة الوحي بمعناها اللغوي، وبما هو أوسع من الوحي النبوي. فقد ورد استعمال لفظ (الوحي) في القرآن بجميع اشتقاقها اثنان وسبعون مرة، وكان فاعل الوحي هو الله والإنسان وحتى الشيطان أحياناً، فالجميع يتمتع بالوحي الإلهي ابتداءً من أشرف المخلوقات إلى أنواع البهائم والجمادات، وقد يكون متلقي الوحي في بعض الآيات هو رسول الله أحياناً، وقد يكون من سائر الناس، وحتى العجاوات من النحل والسماء والأرض، وفي جميع هذه الموارد نشهد إلقاءً خفياً يعود إلى الجذر الأصلي واللغوي لهذه المفردة، وفيما يلي نستعرض موارد استعمال معاني الوحي في القرآن الكريم:

أ- التقدير الإلهي في النظام الكوني

استعمل (الوحي) في بعض آيات القرآن الكريم للدلالة على مفهوم

(١) قال العلامة الطباطبائي: (المحصل من موارد استعماله أنه إلقاء المعنى بنحو يخفى على غير من قصد إفهامه، فالإفهام بإلقاء المعنى في فهم الحيوان من طريق الغريزة من الوحي، وكذا ورد المعنى في النفس من طريق الرؤيا أو من طريق الوسوسة أو بالإشارة، كل ذلك من الوحي. وقد استعمل في كلامه تعالى في كل هذه المعاني، كقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ﴾ (النحل: ٦٨) الآية. وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ (القصص: ٨). وقوله: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ (الأنعام: ١٢١). وقوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم: ١١). ومن الوحي التكليم الإلهي لأنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ (الشورى: ٥١). محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٢، ص ٢٩٢. كما يذهب العلامة الطبرسي إلى الاعتقاد بأن (الإيحاء) هو إلقاء المعنى لآخر بخفاء (مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١٢، ص ٧٤٦).

التقدير الإلهي في المنظومة الكونية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(١).

طبقاً للروايات^(٢) فإن كلمة (الوحي) في هذه الآية الشريفة تدل على التقدير الإلهي في عالم الوجود^(٣). وربما كان الوجه في استعمال الوحي في التقدير الإلهي المهيمن على الوجود، هو أن الله سبحانه وتعالى قد أقام سننه ونظامه في السماوات والأرض بشكل يخفى على غير العلماء، فلا يبدو إلا من خلال التدبير والتعمّن والتأمل فيها.

ب- الهداية الغريزية

هناك آيات في القرآن الكريم تسمي (الهداية الغريزية) المودعة في الحيوانات وحيأ، من ذلك مثلاً قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾^(٤).

(١) فصلت: ١٢.

(٢) ومنها ما روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ فهذا وحي تقدير وتدبير. راجع: علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، تفسير القمي، ج ٦، ص ٢٦٣. والعلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ٦٠. كما روي عن الإمام علي (عليه السلام) تفسير الوحي هنا بالتقدير (راجع: بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٥٤، وج ٩٢، ص ١٦، ح: ٢٨).

(٣) وهناك أقوال أخرى في تفسير الآية، منها: ١- خلق الكائنات السماوية، من قبيل: الملائكة. ٢- إنه تعالى حكم في السماوات بإرادته. ٣- الأمر بالوظائف العبادية لأهل السماء (انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٩- ١٠، ص ٩). ٤- إنه تعالى أوحى في كل سماء بما يخص ملائكة تلك السماء (راجع: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ٣٦٩).

(٤) النحل: ٦٨.

فإنّ هذا الوحي هو ذات الغريزة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في وجود النحل، حيث أفهم هذه الكائنات أين تبني بيوتها، وكيف تمتصّ رحيق الأزهار، وتعمل على تحويلها إلى عسل. والدليل على استعمال كلمة (الوحي) في هذا النوع من التفهيم يعود إلى خفائه.

ج - الإيحاء الشيطاني

من جملة موارد استعمال الوحي في القرآن هو الإيحاءات الشيطانية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٢).

من هنا تسمّى وسوسة الشيطان وإلقائه الكلام على الناس (وحيًا)، وذلك بجامع الخفاء؛ حيث يقوم الشيطان بعمل الوسوسة خفية، كما تسعى شياطين الإنس بأنشطتها الهدامة التي تهدف إلى إضلال الآخرين سرّاً لكيلا يطلع أحدٌ على أعمالها، وتسعى شياطين الجنّ من خلال توظيف الكلمات إلى القيام بأعمالها ونقل مراداتها خلسة وخفية^(٣)، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(٤).

(١) الأنعام: ١١٢.

(٢) الأنعام: ١٢١.

(٣) أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢٤٢. وأبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٥٤٥.

(٤) الأعراف: ٢٧.

د - الإشارة

من جملة موارد استعمال الوحي في القرآن الكريم هو للدلالة على (الإشارة)، من ذلك ما كان من أمر النبي زكريا (عليه السلام)، حيث بُشِّر بولده يحيى (عليه السلام)، فطلب علامة وآية، فكانت الآية أن عقد لسانه ثلاثة أيام، فلم يتمكن من الكلام إلا في تسبيح الله، فاضطر إلى التعبير عن مراده الإشارة^(١). وقد ذكر الله هذه الواقعة في كتابه الكريم، حيث قال: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٢).

وهناك آية أخرى في بيان هذا المضمون، ولكنها استعملت مفردة (الرمز) بدلاً من كلمة (الوحي)، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾^(٣).

وهذه الآية تشكل قرينة على أن المراد من الوحي في الآية المتقدمة في سورة مريم، هو البيان الرمزي والإشارة الذي يكون في الغالب من خلال التلويح باليد أو تحريك قسما من الوجه، ولما كانت الرمزية الإشارة بحيث تخفى على الآخرين صح إطلاق تسمية الوحي عليها^(٤).

(١) انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٥-٦،

ص ٧٨٠. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ج ١٤، ص ٢٥.

(٢) مريم: ١٠ - ١١.

(٣) آل عمران: ٤١.

(٤) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ١٧٨.

هـ - الإلهام

كما استعمل القرآن الكريم مفردة (الوحي) بمعنى الإلهام (إلقاء الشيء في القلب) أيضاً. كما في إلهام الله إلى أمّ النبي موسى (ﷺ)، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَاهُ فِي الْقَيْمِ﴾^(١) (٢). وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾^(٣) (٤).

فالوحي هنا بمعنى الإلهام، إذ لم يكن الحواريون من الأنبياء. وفي المأثور عن الإمام محمد الباقر (ﷺ) أنهم ألهموا ذلك، فعن محمد بن يوسف الصنعاني عن أبيه، قال سألت أبا جعفر (ﷺ): ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾، قال (ﷺ): «ألهمو»^(٥). كما ذكرت معاني أخرى لهذه الآية الشريفة^(٦)، إلا أنّ

(١) القصص: ٧.

(٢) كما استعمل الوحي للدلالة على إلهام أمّ موسى في الآية السابعة والثلاثين من سورة طه.

(٣) المائدة: ١١١.

(٤) كما ذكرت هناك احتمالات أخرى في تفسير هذه الآية، ومنها: إنّ الوحي الذي أوحى إلى أمّ موسى كان وحي نبوة (أبو محمد بن علي بن أحمد بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٣، ص١٨٧). أو أنّ نبياً آخر - النبي شعيب (ﷺ) - هو الذي أخبر أمّ موسى بمفاد هذا الوحي. أو أنها رأت ذلك في المنام (انظر: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير، ج٢٢، ص٥١ و٥٢). وهناك آيات أخرى استعمل فيها الوحي بمعنى الإلهام (من قبيل: الأعراف: ١١٧ و١٦٠. ويونس: ٢ و٨٧. ويوسف: ٣) والمعنى المذكور في المتن أقرب إلى ظاهر الآية.

(٥) انظر: أبو نصر محمد بن مسعود السمرقندي العياشي، تفسير العياشي، ج١، تفسير سورة المائدة، ص٣٧٨، ح: ٢٢٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت، ١٩٩١م.

(٦) إنّ الاحتمالات الأخرى التي ذكرها المفسرون في تفسير هذه الآية مضافاً إلى التفسير

المعنى المتقدم أنسب بالقرائن وبظاهر الآية.

و - الخطاب الإلهي إلى الملائكة

من جملة موارد (الوحي) في القرآن الكريم استعماله في الخطاب الإلهي الموجه إلى الملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١).

ز - إرسال الروح إلى النبي

عمد القرآن الكريم في بيان إنزال الروح على النبي الأكرم (ﷺ) إلى التعبير عنه بالوحي، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢).

وهنا نطرح التساؤلات الآتية: وما هو المراد من كلمة (أوحينا)؟ وما هو مصداق (الروح)^(٣)؟ هناك احتمالات، منها:

المتقدم هي كالآتي:

أولاً: إن الوحي إلى الحواريين كان بواسطة النبي عيسى (ﷺ).

ثانياً: إن الله عرض الإيمان به وبأنبيائه على الحواريين من خلال آياته (راجع: أبو جعفر محمد ابن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٥٧. وأبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢-٤، ص ٢٦٢).

وثالثاً: إن الحواريين كانوا أنبياء، وبذلك يكون الوحي الوارد في هذه الآية الشريفة داخلياً في الوحي النبوي (انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٠٤).

(١) الأنفال: ١٢.

(٢) الشورى: ٥٢.

(٣) ذهب القرطبي إلى القول بأن المراد من (الروح) هو (النبوة). انظر: الجامع لأحكام

الاحتمال الأول: إن كلمة (أوحينا) بمعنى: (أرسلنا)، وإن المراد من الروح وجود سماوي مختلف عن جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ). وقد عبرت آيات قرآنية أخرى عن هذا الوجود بـ (الروح) وأنه يرافق الملائكة، من ذلك قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾^(١).

وهناك آيات أخرى تذهب إلى القول باعتبار (الروح) من سنخ الأمر الإلهي، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢).

وبالنظر إلى الآيات التي ذكرت (الروح) مقروناً بالفعل الدال على (الإلقاء) يتبين أن المراد من إحياء الروح إرساله وإنزاله، من قبيل قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾^(٣).

وبالالتفات إلى اعتبار كلمة (روحاً) منصوبة على نزع الخافض، وعودة الضمير في كلمة (جعلناه) إلى القرآن أو الكتاب، وهو ما يظهر من سياق الآية، يكون معنى الآية كالاتي: (وكذلك أنزلنا القرآن مع الروح من عندنا .. وجعلناه نوراً)^(٤).

القرآن، ج ١٦، ص ٥٤.

(١) القدر: ٤. وهكذا الأمر بالنسبة إلى: النحل: ٢، والمعارج: ٤، والنبأ: ٢٨.

(٢) الإسراء: ٨٥. وكذلك الأمر بالنسبة إلى النحل: ٢، وغافر: ١٥.

(٣) غافر: ١٥.

(٤) وفي توجيه استعمال كلمة (أوحينا) في (إرسال الروح) يمكن القول:

أولاً: إن أمر الله هو كلمته؛ وذلك لأنه تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ

الاحتمال الثاني: إنَّ المراد من (الروح) المذكور في الآية الشريفه هو الملك (جبرئيل) (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(١)، وقد عبّر القرآن الكريم عن جبرئيل بـ (الروح) في موارد أخرى^(٢)، من قبيل قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(٣).

ولكن هذا الاحتمال غير صحيح؛ وذلك لأن الآيات والروايات تدل على أنَّ (الروح) في الآية موضوع البحث والآيات المشابهة لها وجود مغاير ومختلف عن جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وأنه كان يرافقه في نزوله على النبي. حيث قال تعالى: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٤).

وهناك روايات سند بعضها صحيح، تصرّح بأنَّ (الروح) كائن أعظم من جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وهناك منها ما يُضيف أنَّ هذا الروح كان مع النبي الأكرم

فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢).

وثانياً: يتضح من الكثير من آيات القرآن الكريم أنَّ (الروح) من أمر الله؛ وعليه فإنَّ الروح كلمة إلهية، وإنَّ إرسال هذه الكلمة يتم عبر الوحي، كما هو الحال بالنسبة إلى النبي عيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إذ قال عنه تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَنْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (النساء: ١٧١). (انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص ٧٥).

(١) نقل هذا الاحتمال في تفسير القرطبي، وروح المعاني، في تفسير الآية الثانية والخمسين من سورة الشورى عن الربيع، وذكر في تفسير شبّر في تفسير ذات الآية كواحد من احتمالين.
(٢) في سورة البقرة: ٢٥٢ و ٨٧، والمائدة: ١١٠، والنحل: ١٠٢، أطلق على ملك الوحي اسم (روح القدس).

(٣) الشعراء: ١٩٣.

(٤) النحل: ٢.

(عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وبعده رافق أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)^(١).

من باب المثال ذكر الشيخ الكليني بسند صحيح: (أتى رجل أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يسأله عن الروح: أليس هو جبرئيل؟ فقال له أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من الملائكة، والروح غير جبرئيل..» فقال له: لقد قلت عظيماً من القول، ما أحد يزعم أنّ الروح غير جبرئيل! فقال له أمير المؤمنين: «إنك ضال تروي عن أهل الضلال، يقول الله تعالى لنبيه (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ﴿يُنزَلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْزِلُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾^(٢)، والروح غير الملائكة صلوات الله عليهم»^(٣).

الاحتمال الثالث: أن يكون المراد من (الروح) في الآية الشريفة هو الوحي والقرآن الكريم^(٤)؛ وعليه يكون معنى ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾: أوحينا إليك القرآن، وإن قوله تعالى ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ يؤيد هذا المعنى؛ وذلك لأنّ الضمير في كلمة (جعلناه) يعود إلى كلمة الروح المذكورة في الآية الشريفة، ولذلك سمّي القرآن الكريم بالروح؛ لأنه وسيلة هداية للإنسان نحو حياة حقيقية وطيبة^(٥). قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

(١) انظر: محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب الروح التي يسدّد بها الله الأئمّة (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، ص ٢٧٢-٢٧٣، جاء في الحديث الأول من هذا الباب عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بشأن الروح أنه قال: «خلق أعظم من جبرئيل.. وهو من الملكوت».

(٢) النحل: ٢.

(٣) الشيخ الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، الباب (٥٦)، ص ٣٢٣ - ٣٢٤، ح: ٦.

(٤) انظر: أبو الفضل رشيد الدين الميبدي، كشف الأسرار وعدّة الأبرار، ج ٩، ص ٤٤.

(٥) وهناك احتمال آخر، وهو أن يكون هذا الإطلاق باعتبار أنّ ما شاهده النبي الأكرم

إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿١﴾. وقال أيضاً: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِثًّا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ (٢).

وعلى هذا الاحتمال يكون (الوحي) هنا قد استعمل في مورد الوحي النبوي؛ وعليه لا يمكن عدّه مورداً مستقلاً. ولكن هذا الاحتمال مرفوض؛ وذلك للدليل القائل (٣): فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِصَدَدِ تَفْهِيمِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ (ﷺ) أَنَّ الْعُلُومَ وَالْأَحْكَامَ الَّتِي يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهَا لَمْ يَحْصُلْ عَلَيْهَا بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِ؛ مِنْ هُنَا إِذَا كَانَ الْمُرَادُ مِنْ كَلِمَةِ (الوحي) فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لَوْجِبَ الْاِكْتِفَاءُ بِكَلِمَةِ (الكتاب)؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ هُوَ الْقُرْآنُ.

ح - تاييد الأئمة على المستوى العملي

من بين استعمالات القرآن الكريم للوحي هو للدلالة على معنى (العصمة والتسديد العملي لأئمة الدين) (٤). قال تعالى في محكم كتابه الكريم:

(ﷺ) هو حقيقة القرآن المجردة التي تفوق عالم الألفاظ (انظر: محمد تقي مصباح

اليزدي، معارف قرآن، ج ١، ص ٣٥٢-٣٥٣).

(١) الأنفال: ٢٤.

(٢) الأنعام: ١٢٢.

(٣) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص ٧٥. وقد أجاب العلامة عن كلا الإشكاليين، ثم استأنف وصرح بوجود إشكال في تلك الإجابات (راجع: المصدر المتقدم، ص ٧٦ - ٧٧).

(٤) هناك تفسير آخر للآية الشريفة يقول: إن المراد هو (الوحي التشريعي)، وعندها سيكون الوحي هنا من موارد الوحي الرسالي. انظر: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٢٦٥. وأبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٥٦. والمولى محسن الفيض الكاشاني، الصافي في تفسير كتاب الله، ج ٣، ص ٣٤٧.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزُّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(١).

لقد ذكر العلامة الطباطبائي في العديد من مواضع تفسير الميزان^(٢)، بما في ذلك تفسير هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ أن المراد من الوحي هو العصمة، والتأييد العملي لأئمة الدين، وتسديدهم إلى فعل الخير، وصيانتهم من الذنوب، وقد أطلق عليه تسمية (الوحي التسديدي). توضيح ذلك: إن مصدر الفعل المذكور في الآية قد أضيف إلى معموله وهو (الخيرات)، الذي يدل على وقوع الفعل سابقاً. ويستفاد هذا الأمر من عبارة ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ أيضاً؛ لدلالة كلمة (كانوا) على الماضي. وفي تأييد تفسيره لهذه الآية استند العلامة الطباطبائي إلى مسألة أدبية ذكرها الجرجاني، وذلك إن جملة (يُعجبني إحسانك وفعلك الخير) تختلف عن جملة (يعجبني أن تحسن وأن تفعل الخير)، فالأولى تدل على تقدم وقوع الفعل، خلافاً للجملة الثانية؛ ولذلك فإن الآيات المتعلقة بالتشريع والدعوة ترد مع الفعل، من قبيل قوله تعالى: ﴿أَمَرْتُ أَنْ أُعْبَدَ اللَّهُ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٤).

وعليه فإن الآية الثالثة والسبعين من سورة الأنبياء شبيهة بقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ مَتَّاسِكَنَا﴾^(٥)، تدل على بيان حقيقة أعمال الخير لأئمة الدين (عليهم السلام).

(١) الأنبياء: ٧٣.

(٢) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٧٣ - ٢٧٤،

وج ٥، ص ٨٠، وج ٦، ص ٢٦١، وج ١٠، ص ٢٢٣.

(٣) الرعد: ٣٦.

(٤) الأنعام: ٧٢.

(٥) البقرة: ١٢٨.

وتأييدهم وتعليمهم إياها؛ وبالتالي وكنتيجة لتمسكهم العلمي والعملية بهذه التعاليم، فإنهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويقومون بجميع أعمال الخير، ويُعصمون من الوقوع في الأخطاء^(١).

ط - الارتباط النبوي

إن أكثر موارد استعمال القرآن الكريم لمفردة (الوحي) هو في معنى (الارتباط النبوي)، وهو المراد من الوحي عند أصحاب الشريعة والمختصين في علم الكلام، فقد استعمل القرآن الكريم مفردة (الوحي) في هذا المعنى أكثر من ستين مرة. من ذلك الموردين الآتيين:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(٢).

﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

فإن القرآن الكريم وإن كان يرى لكل طبقة وفئة من الكائنات نصيباً من الوحي، وإن أكمل مراتب الوحي هي تلك التي يختص بها الأنبياء (عليهم السلام)، ولكن لا يمكن اعتبار مصاديق هذه الاستعمالات حقيقة واحدة^(٤)، أو أن نستتبط منها وجود أمر مشترك^(٥)، وتعميم خصائص أحدهما إلى سائر

(١) المصدر المتقدم، ج ١٤، ص ٣٠٤ - ٣٠٥. وكذلك راجع: المصدر المتقدم، ج ٥، ص ٨٠. ومحمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، ج ٥، ص ٢٨٩. وعبد الله جوادي آمل، تفسير موضوعي قرآن كريم، ج ٧، ص ١٤٩.

(٢) النساء: ١٦٣.

(٣) الشورى: ٣.

(٤) يرى السيد مهدي بازرگان أن البهائم تتمتع بمرتبة مبهمة وامتدنية من وحي الأنبياء. انظر: شناخت وحي، ص ٩١ - ٩٢ و ١٠٨.

(٥) قال الأستاذ مرتضى المطهري: (يستفاد من آيات القرآن الكريم أن الوحي الذي ينزل على

المصاديق الأخرى.

٢- الوحي اصطلاحاً

عندما ينسب الوحي في المصطلح الإسلامي إلى الله يكون المراد هو الوحي الذي ينزل على الأنبياء، وحتى ما كان يلقي على الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) - بناءً على عقائد الشيعة وتأييده الآيات والروايات - من العلوم الغيبية من قبل الله تعالى لا يدخل في مفهوم الوحي الاصطلاحي^(١). وإن كان القرآن الكريم قد أطلق - كما تقدم - على هذا النوع من الأمور تسمية (الوحي)؛ وعليه فإنّ الوحي الاصطلاحي من الناحية المصادقية أخصّ من الوحي في المفهوم اللغوي والاستعمال القرآني.

وبالالتفات إلى عدم إمكان إدراك الوحي لعامة الناس، لا يسعنا إبداء تعريف حقيقي له. قال العلامة الطباطبائي في هذا الشأن: (الوحي: هو شعور خاص وإدراك مخصوص مكمون في حقيقة لا يهتدي إليه بالفعل إلاّ آحاد من النوع أخذتهم العناية الإلهية)^(٢).

ومع ذلك قدّمت الكثير من التعريفات لبيان الوحي، ولكنّ أيّاً منها لم يفِ ببيان حقيقته، فهي غير جامعة، إذ إنّ بعضها - مثلاً - يقتصر على بيان

الأنبياء حقيقة واقعية موجودة في جميع الأشياء بشكلٍ وآخر). انظر: الأعمال الكاملة، ج٤، ص٤١٠.

(١) انظر: محمد بن محمد المفيد، تصحيح الاعتقاد، ص١٢٠ - ١٢١. قال العلامة الطباطبائي: (وقد قرّر الأدب الديني في الإسلام ألاّ يطلق الوحي على غير ما عند الأنبياء والرسل من التكليم الإلهي)، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص٢٩٢، وج٤، ص٢٨٨.

(٢) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢، تفسير الآية: ٢١٢ من سورة البقرة، كلام في النبوة، ص١٤٤، مطبوعات دار الأندلس، ط١، بيروت، ٢٠١٠م.

الوحي غير المباشر والذي يكون بتوسط الملك^(١).

وبالانتماءات إلى ما تقدم يمكن لنا القول: إن الوحي اصطلاحاً عبارة عن: تفهيم خاص لسلسلة من الحقائق والمعارف من قبل الله لأناس منتجبين (الأنبياء)، من غير طرق المعرفة الاعتيادية المتمثلة بـ (التجربة والعقل والشهود العرفانية) لإبلاغه إلى الناس وهدايتهم^(٢).

خلاصة الدرس

١- إن للوحي معاني واستعمالات لغوية متعددة، من قبيل: الكتابة، والإشارة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، والمكتوب، والكتاب. إلّا أنّ أصله: إلقاء المعنى والعلم لآخر.

٢- إن موارد استعمال القرآن الكريم للوحي عبارة عن: التقدير الإلهي في النظام الكوني، والهداية الغريزية، والإيحاءات الشيطانية، والإشارة الخفية، والإلهام، والخطاب الإلهي للملائكة، وإنزال الروح على النبي، والتأييد العملي لأئمة الدين، والارتباط الرسالي، وتكليم الله النبي مباشرة.

٣- إن الوحي في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ يعني التقدير الإلهي في النظام الكوني، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ يعني الهداية الغريزية.

(١) من قبيل التعريف القائل: (تعليم الله لأنبيائه أمور الدين بواسطة الملائكة). انظر: محمد فريد وجددي، دائرة معارف القرن الرابع عشر والعشرين، ج ١٠، ص ٧٠٧.

(٢) انظر: محمد عبده، رسالة التوحيد، ص ١٠٢. وجعفر السبحاني، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، ج ٣، ص ١٢٨. وتوماس ميشيل، كلام مسيحي، ترجمة: حسين توفيق، ص ٢٨. ومحمد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ٥١.

٤- إنَّ الوحي في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾^١ بمعنى الإشارة.

٥- إنَّ كلمة الوحي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾^٢ إنما تكون بمعنى الإلهام إذا لم يكن الحواريون أنبياء، وكان الوحي قد نزل عليهم من دون واسطة.

٦- إنَّ المراد من (الروح) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾^٣ موجود سماوي مختلف عن جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، والمراد من إيحاء الروح إرساله وإنزاله.

٧- بناءً على تأييد بعض الآيات والروايات يكون المراد من الوحي في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾^٤ هو (الوحي التسديدي)، والعصمة العملية لأئمة الدين، ونتيجته أنهم يفعلون الخير على الدوام.

٨- إنَّ أكثر موارد استعمال (الوحي) في القرآن هو معناه الاصطلاحي، وهو الارتباط الرسالي للأنبياء، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾^٥، إذ إنَّ المراد من الوحي هنا تكليم الله النبي من دون واسطة.

٩- إنَّ الوحي الاصطلاحي في علم الكلام والعلوم القرآنية يعني: (التفهم الخاص من قبل الله لعبده الصالح - النبي - من أجل هداية الناس).

أسئلة نموذجية

- ١- اذكر الاستعمالات اللغوية والمعنى الأصلي لمفردة الوحي.
- ٢- اذكر ثمانية من المعاني التي استعملها القرآن لمفردة الوحي.

٣- متى يكون الوحي في قوله تعالى: ﴿وإِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾

بمعنى الإلهام؟

٤- ما هو المراد من كلمة (روحاً)، و(أوحينا) في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾؟

٥- اشرح مفهوم الوحي في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾.

٦- ما هو المعنى الاصطلاحي للوحي؟

واحة المصادر

- ابن منظور، محمّد، لسان العرب، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٦هـ ق.

- الجرجاني، علي بن محمّد، التعريفات، تحقيق وتعليق: عبد الرحمان عميرة، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ ق.

- الطوسي، أبو جعفر محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، ج٤، ص٥٧، وج٩، ص١٧٨ - ١٩٠.

- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، ج٥، ص٦ - ١٠.

- القمي، علي بن إبراهيم بن هاشم، تفسير القمي، الطبعة الثالثة، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ج٦، ص٢٦٢.

- الفيض الكاشاني، المولى محسن، الصافي في تفسير كلام الله، دار المرتضى للنشر، مشهد، ج٣، ص٣٤٧.

- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب الإسلامية، طهران، ج١٧، ص٣٦٧ - ٣٦٨.
- رشيد رضا، سيد محمد، الوحي المحمدي، مطبعة الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٨هـ ق، ص٧ - ٨.
- معرفت، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٥هـ ق، ج١، ص٥١.
- وجدى، محمد فريد، دائرة معارف القرن الرابع عشر والعشرين، طبعة دائرة معارف القرن العشرين، ١٣٤٣هـ ق، ج١٠، ص٧٠٧.

تحقيق

ابحث في القرآن الكريم عن الكلمات الدالة على الوحي النبوي بمعناها دون لفظها.



الدرس الثاني

إمكان الوحي

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

- ١- أن يتعرّف إلى أدلة منكري إمكان الوحي.
 - ٢- أن يتمكن من نقد أدلة منكري إمكان الوحي.
 - ٣- أن يتمكن من التعرف إلى أسباب إنكار الوحي من قبل المؤمنين بالله.
 - ٤- أن يتمكن من إثبات إمكان الوحي من خلال الأدلة والشواهد.
- شهد القرن الهجري الرابع عشر وقوع حادثة عجيبة في قرية ساروق من أعمال محافظة أراك في إيران، حيث كان يعيش في تلك القرية مزارع بسيط اسمه (محمد كاظم كريمي) وقد عرف فيما بعد بـ (الكربلائي كاظم)، وهو شخص أمّي لا يعرف القراءة أو الكتابة، ولكنه كان طاهر السريرة شديد الالتزام بأحكام الدين، وذات ليلة شملته عناية الله تعالى؛ إذ استيقظ من نومه حافظاً للقرآن الكريم.. وقد وقف بعض العلماء الكبار في مختلف البلاد الإسلامية على تفاصيل، وقد أيّدوا صحتها؛ فلقتب بمعجزة القرن^(١).

كيف تفسر هذا النوع من المعرفة؟ وهل يحكي هذا النوع من المعارف عن تمكّن بعض الأفراد من الحصول على المعلومات من غير طرقها الطبيعية؟ كان هناك في المجتمعات البشريّة على الدوام أناس نهضوا بأعباء هداية

الناس، مدّعين أنّ بينهم وبين الله ارتباطاً روحياً سماوياً، وأنهم يحملون إلى البشرية رسالة إلهية، وأنهم حصلوا على نداء من غير الطرق المتعارفة، إذ لم يحصلوا على ذلك النداء الغيبي من طريق (العقل أو الحسّ أو التجربة). وبالالتفات إلى عدم تمكّن سائر الناس من تجربة هذا النوع من الارتباط السماوي، وكونه أمراً مخفياً، كانت مسألة الوحي مبهمة لغير من عاشها من الأنبياء (عليهم السلام). وكانت مسألة إمكان الوحي وهذا النوع من الارتباط الغيبي مثاراً للبحث والجدل على الدوام. وكان هناك من أنكر إمكان القيام بمثل هذا الارتباط بين الإنسان وخالقه، متذرعاً لذلك ببعض الأسباب والذرائع؛ وعليه نجد من الضروري أن نبحث في مسألة إمكان الوحي، وقدرة الإنسان على إقامة مثل هذا الارتباط السماوي.

توهم عجز الإنسان عن الارتباط السماوي

فإنّ توهم عجز الإنسان عن إقامة الارتباط السماوي يعود في سابقته إلى قدم تاريخ الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، فقد ذكر القرآن الكريم في الكثير من آياته أنّ الناس كانوا يظهرون عدم تصديقهم عند بعثة كلّ نبيٍّ، وبيدون دهشتهم من مجيء فرديٍّ منهم بوحى من السماء لهدايتهم، كما في قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾^(١). بل وكانوا يعترضون عليه.

فإنّ القرآن الكريم قد ذكر أنّ واحداً من الأسباب الرئيسية التي تدعوا الناس إلى عدم الإيمان بالأنبياء، هو اعتقادهم بعدم إمكان هذا الارتباط السماوي بين الإنسان وخالقه، وقد اعتبر القرآن الكريم أنّ هذا هو السبب في سوء عاقبتهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرًا يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^(٣).

(١) يونس: ٢.

(٢) الإسراء: ٩٤.

(٣) بالاتفاقات إلى إنكار نبوة الإنسان رغم الاعتقاد بوجود الله ندرك من خلال عقائد الوثنيين أنّ المراد من (الناس) في هذه الآية هم المشركون. راجع في هذا الشأن: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ٢١٩، وج ١٩، ص ٢٣٤.

(٤) التغابن: ٦.

(٥) إنّ قوله تعالى: ﴿كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ...﴾ تدل على استمرار بعث الأنبياء إليهم،

أدلة منكري إمكان الوحي

بالالتفات إلى أنّ الوحي ظاهرة ميتافيزيقية ترتبط بما وراء الطبيعة، فإنّ الاعتقاد بالله وما وراء الطبيعة يشكّل ركيزة أساسية للقول بإمكان الوحي. وفي المقابل فإنّ القول بإنكار الأمور غير المادية، ولا سيما الخالق الذي ينزل الوحي، يُلغى التعرّض لهذا البحث بوصفه سالبة بانتفاء الموضوع؛ وعلى هذا الأساس فإنّ أهم الأدلة التي يسوقها الملحدون على عدم إمكان الوحي، هي ذات أدلة إنكار العوالم ما وراء المادية، بما في ذلك وجود الله عزّ وجلّ. من هنا فإنّ المنهج الصحيح الذي يفرضه البحث معهم هو أن نجيب قبل كلّ شيء عن أدلتهم فيما يتعلق بإنكار وجود الله، لنستدلّ بعد ذلك على إمكان الوحي.

جدير بالذكر أنّه لما كان عدم الاعتقاد بإمكان الوحي لا يساوق إنكار وجود الله، فإنّ بعض المؤمنين بوجود الله قد استدلوا أيضاً على عدم إمكان الوحي؛ وعليه سيكون لنا دراسة ونقدٌ لأدلتهم أيضاً.

الدليل الأول: عدم مسانحة الإنسان لمصدر الوحي

إنّ الله سبحانه وجود متعالٍ، بينما الإنسان كائن مادي؛ وعليه لا توجد بينه وبين الله سنجية تجعل الترابط بينهما ممكناً، وعليه يكون الوحي مستحيلًا^(١). وقد أشار الله تعالى في الكثير من آيات القرآن الكريم إلى أنّ الأمم السابقة كانت تنكر على الأنبياء دعوتهم، إذ تقول: أنتم بشر، ولا طريق للبشر إلى الارتباط بالله. وإنّ تلك الآيات على قسمين:

وعدم تصديق الناس لهم. راجع في هذا الشأن: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٩، ص ٣٣٤.

(١) انظر: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المطالب العالية، ص ٤٧ - ٤٨.

القسم الأول: الآيات التي تذكر مواجهة أمم جميع الأنبياء من هذه الحقيقة، كما في موقفهم من مسألة دعوة الأنبياء لهم إلى الإيمان بالله، حيث كانوا يقولون كما قرره القرآن عنهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾^(١).

والقسم الثاني: الآيات التي تحدد قوم نبي بعينه كانوا يتشبثون بهذه الذريعة. قال تعالى حكاية عن قوم نوح (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾^(٢)؛ وعليه فإن هذه الآية تقرر أن قوم نوح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كانوا يقولون في احتجاجهم عليه: إنك إنسان، والإنسان لا يوحى له، وإنما أنت تحاول من خلال هذه الدعوى أن تصبح سيداً علينا، ولم نعهد من قبل شخصاً يوحى إليه^(٣).

وكان قوم صالح وشعيب (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) يقولون لهما: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(٤). وكذلك كان شعب (أنطاكية)^(٥) يقول لأنبيائه: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(٦). كان الناس يتصورون أن من يقوم بهذا الارتباط السماوي يشترط فيه

(١) إبراهيم: ١٠.

(٢) المؤمنون: ٢٤.

(٣) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٢٧.

(٤) الشعراء: ١٥٤ و ١٨٦.

(٥) تنسب الروايات هذه الحادثة في الآيات ١٣ - ١٥ من سورة يس إلى أهل هذه المدينة الموجودة حالياً في تركيا. انظر: عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٢٧٩ - ٢٨٠، الحديث: ٣٠ و ٣١.

(٦) يس: ١٥.

عدم الاتصاف بما يتصف به سائر الناس من الأوصاف البشرية، فمثلاً كانت قريش تستنكر على النبي الأكرم (ﷺ) سلوكه الإنساني، وأخذت تقول على ما يحكيه القرآن الكريم عنها: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾^(١) ؟ فكان القرآن يجيب عن هذا المنطق بقوله: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ السَّابِقِينَ كَانُوا كَذَلِكَ مِنَ الْبَشَرِ، وَإِنَّ الْخِصَائِصَ الْبَشَرِيَّةَ لَمْ تَسْلُبْ عَنْهُمْ، لِيَكُونُوا مَجْرَدَ أَجْسَادٍ تَفْتَقِرُ إِلَى الْأَرْوَاحِ، فَلَا تَأْكُلُ وَلَا تَشْرَبُ، كَمَا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بِمَنْجَى مِنَ الْمَوْتِ^(٢)، وذلك إذ يقول تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾^(٣).

وانطلاقاً من هذا النمط الفكري كانوا يعتقدون بضرورة أن يكون الأنبياء (ﷺ) من جنس الملائكة، وقد حكى الله سبحانه وتعالى عقيدتهم هذه في كتابه الكريم حيث قال: ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾^(٤). وكذلك كان قوم نوح (ﷺ) يقولون: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾^(٥).

يتضح من هذه الآيات أن الحجّة الأساسيّة التي كان يتشبّث بها من

(١) الفرقان: ٧.

(٢) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٣) الأنبياء: ٨.

(٤) فصلت: ١٤.

(٥) المؤمنون: ٢٤.

ينكر رسالة الأنبياء هي كونهم من البشر، وليس لضعف قدرة الله على ذلك، إذ كانوا يقولون: لو شاء الله لأرسل إلينا ملائكة؛ وعليه فإنّ اعتراضهم يقوم على شكّهم في قدرة الإنسان على إحداث مثل هذا الارتباط مع الله سبحانه وتعالى من طريق الوحي.

نقد الدليل الأول

إنّ إنكار قدرة الإنسان على إقامة الارتباط بالسماة يعود بجذوره إلى تصوّر المادي للإنسان، في حين أنّ ذلك ليس صحيحاً؛ إذ إنّ للإنسان خصائص روحية عالية تمكّنه من القيام بهذا الارتباط السماوي^(١)، وإنّ بعض هذه الخصائص الروحية هي كالآتي:

الأولى: تثبت الأدلة العقلية والنقلية والشواهد الحسيّة^(٢) الكثيرة أنّ للإنسان مضافاً إلى جسده المادي روحاً ملكوتية مجردة، وأنّ القرآن الكريم في معرض بيان مراحل خلق الإنسان يذكر نفخ الروح في جسم الإنسان كآخر مرحلة من مراحل الخلق، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(٣). وقال أيضاً: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ

(١) انظر: صدر الدين الشيرازي، مفاتيح الغيب، تعليق: علي النوري، ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) انظر: ابن سينا، الشفاء، الطبيعيات، الفن السادس، الفصل الأول. وصدر الدين محمد الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة، ج ٨، السفر الرابع، الباب الأول، الفصل الأول، ص ٦ - ١١. ومحمد حسين الأحمد، علم نفس از ديدگاه دانشمندان اسلامي، ص ١٨ - ٢١.

(٣) السجدة: ٧ - ٩.

الْخَالِقِينَ ﴿١﴾

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال في بيان خلق روح الإنسان: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقًا، وَخَلَقَ رُوحًا، ثُمَّ أَمَرَ مَلَكًا فَتَفَخَّ فِيهِ»^(١).

فإن حقيقة الإنسان تكمن في روحه، وهي التي جعلت منه أهلاً لسجود الملائكة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٢).

الثانية: الخصيصة الأخرى هي أن للإنسان مراتب كمالية ووجودية متعدّدة، فإن مراتبه الوجودية تتذبذب بين البقاء في حضيض الذل والهوان، والارتقاء إلى أعلى درجات العز والكبرياء، وإن بإمكان الإنسان أن يسمو حتى يبلغ مرتبة أعلى من الملائكة، ويكون أقرب منها إلى الله سبحانه وتعالى.

يذهب صدر المتألهين إلى الاعتقاد بأن للإنسان - بالنظر إلى مثلث مبادئه الإدراكية (التعقل، والتخيّل، والحس) - ثلاثة عوالم: فكمال التعقل يُعدّه إلى الارتباط بعالم الملكوت والقدس الإلهي. كما تعمل شدة قوة التخيّل على إعداده لمشاهدة الملك، والحصول على الأخبار الغيبية، وتستوجب شدة قوة الحاسة أن تخضع القوى والطبائع الجسدية له، وتأتمر بأمره؛ وعليه فإن الإنسان الكامل جامع للعوالم، وإن مثلث قواه تكون في حدّها الأعلى، ويحصل على خصلتين، وهما:

أولاً: صفاء القلب وعمرانه بالنور، فيغدو متمكناً - دون تعليم بشري - من الإحاطة بعلوم يعجز الآخرون عن تحصيلها.

(١) المؤمنون: ١٤.

(٢) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٢٨، ح: ٥.

(٣) ص: ٧١ - ٧٢.

وثانياً: إنه يستطيع مشاهدة العالم الغيبي في يقظته، فيبصر ملك الوحي، ويسمع الكلام الإلهي؛ وعليه فإن الحصول على الوحي الإلهي يغدو ممكناً، سواء بواسطة أم بدونها^(١). وإن طريق الوصول إلى هذه المرتبة يتم عبر تطهير الروح وتنزيهها من الذنوب والمعاصي والوساوس الشيطانية والتعلقات الدنيوية؛ وذلك لأن الله تعالى قد خلق الإنسان مجبولاً على الأنس بالنور الإلهي بفطرته، شريطة ألا يتلوث قلبه بظلمات الكفر، وحُجب المعاصي التي تحول دونه ودون الفهم، إذ يقول تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٢). فإن هاتين الخصوصيتين تعدان الأرضية اللازمة التي تمكن الإنسان من بلوغ مرتبة سامية من الكمال الروحي، بحيث يغدو مستعداً للإحاطة بحقائق جميع الأمور والأشياء.

وعليه ليس هناك من محذور في أن يحصل بعض الناس على خصائص روحية عالية تؤهلهم للارتباط بالله تعالى من طريق الوحي؛ إذ يسطع نور الوحي الإلهي على قلوبهم، فتتجلى لهم العلوم وأسرار الملكوت، فيحصلون على الأحكام والمعارف من الله تعالى عن غير الطرق المعروفة من (الحس والعقل والتجربة).

الدليل الثاني: عجز الجميع عن القيام بهذا الارتباط السماوي

الدليل الآخر الذي يسوقه منكرو إمكان الوحي يقول: إن الناس متساوون في الإنسانية وفي القابليات؛ وعليه إذا كان الوحي ممكناً للزم أن يكون ممكناً للجميع، لا أن يختص به بعض دون بعض؛ من هنا فإن عجزنا

(١) انظر: صدر الدين محمد الشيرازي، المبدأ والمعاد، ص ٦٠٨ - ٦١٤ وكذلك في كتابه: الشواهد الربوبية، ص ٣٤٧ - ٣٥٢، وكذلك كتابه: الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة العقلية ج ٧، ص ٢٤ والملا محسن الفيض الكاشاني، علم اليقين في أصول الدين، ص ٣٥٠.

عن القيام بمثل هذا الارتباط يشكّل دليلاً على استحالة الوحي وعدم إمكانه لغيرنا؛ وعليه فمن أكبر الأخطاء أن يتبع إنسان شبيهاً له في الإنسانية^(١).

كان الذين يحملون هذه المتبنيات الفكرية يقولون لأنبيائهم: (أنتم بشرٌ مثلنا)^(٢). فإذا كان بإمكانكم القيام بمثل هذا الارتباط السماوي، وجب أن يكون ذلك مقدوراً للآخرين أيضاً، في حين أننا لا نرى من ذلك شيئاً، فوجب أن تكونوا كاذبين في دعواكم، وهذا ما يقرّره الله تعالى حكاية عنهم إذ يقول: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَانُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذُوبُونَ﴾^(٣).

وطبقاً لما بيّنه القرآن الكريم، فإنّ بعض الأمم كانت تتسلح بهذا المنطق، فتواجه رسولها بالقول: إذا كنت محقاً في ادّعائك النبوة، وأنتك ترتبط بالله من طريق الوحي، وأنّ الملك ينزل عليك، فلماذا لا يتحقق ذلك بالنسبة لنا، كما أننا نعجز عن رؤية الله^(٤)؟ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا﴾^(٥).

(١) تُسب هذه الاستدلال إلى محمد بن زكريا الرازي. راجع في هذا الشأن: أبو حاتم الرازي،

أعلام النبوة، ص ٣. وعبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢، ص ٢٥١ - ٢٥٢.

(٢) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ٧٤.

(٣) يس: ١٥.

(٤) انظر: المصدر المتقدم، ج ٥، ص ٢١٤.

(٥) الفرقان: ٢١.

هل كان تعليم الأسماء لآدم (ﷺ) الذي أشار له الله بقوله

تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(١) من سنخ الوحي؟

نقد الدليل الثاني

إنّ الدليل الثاني غير صحيح أيضاً؛ وذلك لما يأتي:

أولاً: إنّ دعوى تساوي الناس في القابليات والقوى والمعارف وما إلى ذلك، مجرد دعوى لم يقدّم الدليل عليها، بل الواقع يشهد على خلافها، فهناك من الناس من يستطيع حلّ المسائل العلمية المعقّدة بسرعة فائقة، في حين يعجز آخرون عن استيعابها وحلها إلّا بصعوبة بالغة، وما ذلك إلّا بسبب الاختلاف في المستويات العقلية والقوى الإدراكية، وهذا بدوره يعود إمّا لأسباب طبيعية أو لأسباب عارضية، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذا الاختلاف الطبيعي^(٢) بقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾^(٣).

وروي عن الإمام الحسن العسكري (ﷺ) أنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ وَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ (ﷺ) أَفْضَلَ الْقُلُوبِ وَأَوْعَاها، فَاخْتَارَهُ لِنَبُوَّتِهِ»^(٤).

وثانياً: إنّ مقام الحصول على الوحي يتوقف على الاصطفاء الرياني والانتقاء الإلهي، فالوحي من المواهب الإلهية التي لا تباح إلّا للمنتجبين من الناس، ولا دخل

(١) البقرة: ٣١.

(٢) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ١٠٣.

(٣) نوح: ١٤.

(٤) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٠٥، ح ٢. وسوف يكون لنا في الدروس المقبلة تفصيل أكبر في باب استعداد الأنبياء للنبوّة، ولا سيّما النبي الأكرم (ﷺ).

لقدرته الإنسان في ذلك، ليتمكن الجميع من الحصول على الوحي دون اصطفاء الله لهم. وقد كان الأنبياء يجيبون الذين يعترضون عليهم بعدم الفرق بينهم وبين الأنبياء في الإنسانية على ما يقرره القرآن الكريم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رَسُولُهُمْ إِنْ نُحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(١).

وعلى هذا الأساس، لا ينال الارتباط بالله إلا بعض الأفراد الذين يتمتعون بالمواصفات التي تؤهلهم لذلك، والذين يشملهم الله بعنايته ولطفه، فيستزلون الوحي، وإن الله وحده هو الذي يعرف هؤلاء الأفراد. قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٢).

اتضح حتى الآن أنّ منكري إمكان الوحي لم يقيموا دليلاً مقنعاً على معتقدتهم هذا. فإذن لابد أن تكون هناك أسباب وراء ذهابهم إلى إنكار الوحي، يجب علينا بحثها ودراستها.. فما هو الفرق من وجهة نظركم بين أدلة عدم إمكان الوحي، وبين أسباب الاعتقاد بعدم إمكان الوحي؟

علل إنكار الوحي

اتضح ممّا سبق أنّ التشكيك في إمكانية الإنسان من إقامة الارتباط السماوي والاتصال بالله تعالى لا يستند إلى دليل، ولا يقوم على علم؛ وعليه هناك أسباب أخرى دعت البعض - رغم إيمانهم بالله - إلى القول بعدم إمكان الوحي، ويعود بعض تلك الأسباب إلى أمور معرفية، ودوافع نفسية وأسباب سلوكية:

أ - الأسباب المعرفية

المجموعة الأخرى تتألف من الذين أنكروا الوحي لأسباب معرفية، من

(١) إبراهيم: ١١.

(٢) الأنعام: ١٢٤.

قبيل عدم الوعي الكافي والمعرفة اللازمة بالله والإنسان وشروط الارتباط السماوي. فإنّ الذين يعرفون الله كما هو، وما عليه ذاته من الكمال المطلق والقدرة التي لا يحدّها شيء، يدركون أنّه لا يعجز عن خلق حالة التواصل بينه وبين الناس، وبذلك لا يكون الوحي ظاهرة مستحيلة. وفيما يأتي نستعرض بعض العلل والأسباب التي ذكرها القرآن في هذا الخصوص:

الأول: عدم المعرفة الكافية بصفات الله

أشار القرآن الكريم إلى عدم المعرفة الكافية بصفات الله كواحد من الأسباب والعلل المؤدية إلى إنكار نزول الوحي على الإنسان. قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾^(١).

أي أنّهم لو كانوا يعرفون الله بصفاته الإلهية والربوبية، لأدركوا أنّ حكمة الله تقتضي ضرورة هداية الناس إلى السعادة من طريق إنزال الوحي على المنتجبين منهم^(٢).

الثاني: الرؤية السطحية

هناك من الناس من يمتلك رؤية سطحية لا تتجاوز الماديات، فيرى جميع

(١) الأنعام: ٩١.

(٢) قال العلامة الطباطبائي في هذا الشأن: قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ تدلّ بما لها من الضمائم على أنّ من لوازم الألوهية أن تهدي الإنسان إلى مستقيم الصراط ومنزل السعادة، بإنزال الكتاب والوحي على بعض أفرادها، وتستدل على ذلك بوجود بعض الكتب المنزلة من الله في طريق الهداية أولاً، وبوجود ما يدل على تعاليم إلهية بينهم لا ينالها الإنسان بما عنده من العقل الاجتماعي ثانياً. (الميزان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٢٦٨ - ٢٧٠. وكذلك انظر: محمد بن الحسن بن علي الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ١٩٨).

الأشياء والأمور من خلال هذه الزاوية الضيقة، ويعمل على تفسيرها وتحليلها على هذا الأساس؛ ويسبب هذه الرؤية الظاهرية الضيقة تجدهم يغفلون عن الآخرة، وفي ذلك قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(١). وعلى الرغم من هذه الرؤية الخاطئة، تراهم مغرورين بما عندهم من العلم المحدود والثروة والأولاد، وعندما يواجهون الأنبياء (عليهم السلام)، يتناولون عليهم متباهين ببضاعاتهم العلمية التافهة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٢).

كما كان هؤلاء يرون التمتع بالإمكانات الدنيوية دليلاً على الكرامة والرفعة الحقيقية عند الله تعالى، ويعتقدون جداراً أنّ الوحي إذا كان ممكناً، كان الذين يمتلكون الدنيا أحقّ من غيرهم في نزول الوحي عليهم. وقد أشار الله تعالى إلى هذا المستوى المتدني من العلم حيث قال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٣) * أهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾^(٤).

(١) الروم: ٧.

(٢) غافر: ٨٢.

(٣) إن المراد من القرئتين في هذه الآية هما: مكة والطائف. ولكن هناك اختلافاً بين المفسرين في المراد من الرجلين العظيمين، والمشهور على أنهما: الوليد بن المغيرة المخزومي من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف. (راجع في هذا الشأن: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص ١٠٢. وأبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٣٩١، وج ٥، ص ٤٦).

(٤) الزخرف: ٣١ - ٣٢.

ب - الدوافع النفسية

يُستفاد من القرآن الكريم أن بعض الناس إنما أنكروا قدرة الإنسان على الارتباط السماوي بالله لا لدليل إلا أتباع الهوى، والانصياع إلى الرغبات النفسية: كي يبرروا بذلك عدم إيمانهم بالأنبياء، ويحرروا أنفسهم من التقيد بعبادة الله، ويتحرروا من الالتزام بالتكاليف الشرعية. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَ فَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(١).

كما أنهم أنكروا حتى القيامة، لتكون لهم فسحة أوسع من الحرية، وفي ذلك يقول تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٢).

ولا ينفع مع هؤلاء الإتيان بالأدلة والشواهد؛ إذ إنهم لم يأتوا على إنكارهم بدليل، ويصمّون آذانهم عن الاستماع لأدلة خصومهم؛ من هنا فإننا نكتفي بذكر أدلتهم ودوافعهم الواهية والاعتباطية على النحو الآتي:

١- الاستكبار^(٣)

طبقاً لما يذكره القرآن الكريم، فإن الذين رفعوا لواء المعارضة بوجه الأنبياء هم فئة المستكبرين^(٤). فقد أصاب هؤلاء التكبر والغرور بسبب ما

(١) البقرة: ٨٧.

(٢) القيامة: ٥ - ٦.

(٣) الاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً. انظر: ابن منظور الأفرقي، لسان

العرب، ج ٥، مادة: (كبر)، ص ٣٦٥، دار صادر، ط ١، بيروت، ١٩٩٧م.

(٤) انظر: الأعراف: ٦٠ و ٦٦ و ٩٠ و ١٠٩ و ١٢٧ و هود: ٢٧.

يتحلون به من المناصب الاجتماعية الممتازة والثراء الفاحش. وقد أدى بهم هذا الشعور والحالة النفسية إلى عدم الإيمان بنبوّة الأنبياء؛ لكيلا يضر ذلك بمواقفهم الاجتماعية، ولا تتزعزع مكانتهم بين الناس، بل إنهم كانوا يمنعون حتى الآخرين من الإيمان^(١)، تحت ذريعة أنّ الأنبياء بشر مثلنا، وأنّ الإنسان لا يستطيع الارتباط باللّٰه من طريق الوحي. قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رِبًّا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾^(٢).

وقد ذكر القرآن الكريم الموقف الاستكباري لقادة الأمم في مواجهة الأنبياء في آيات متعدّدة، ومن بينها ما كان من قوم نوح (عَلَيْهِ السَّلَام) حيث قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾^(٣).

كما تعرّض القرآن الكريم إلى بيان مواقف الأقوام التالية لقوم نوح (عَلَيْهِ السَّلَام) في مواجهة أنبيائهم، إذ يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾^(٤).

كما قال تعالى في بيان موقف زعماء قوم صالح (عَلَيْهِ السَّلَام) من دعوته: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ

(١) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٩، ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

ومحمد تقي مصباح اليزدي، معارف قرآن، وراه وراهنا شناسي، ص ٦٣ - ٦٥.

(٢) الفرقان: ٢١.

(٣) المؤمنون: ٢٤.

(٤) المؤمنون: ٣٣.

صَالِحًا مُرْسَلًا مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١﴾

وقال تعالى في محكم كتابه الكريم في بيان السلوك الاستكباري لفرعون وزبانيته في مواجهة النبي موسى وهارون (عليه السلام): ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ * فَقَالُوا أَلْؤُمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٢﴾

٢- الغرور العلمي

إن من بين أسباب إنكار النبوة، هو ما كان عليه المنكرون من الغرور العلمي (٣)، وفي ذلك قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤﴾

ج - الأسباب السلوكية

١- الجور

لقد ذكر القرآن الكريم الجائرين في عداد من خالف الأنبياء تحت ذريعة كونهم من البشر، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَعْبُؤْنَ * لَأَهِيَّةَ قُلُوبِهِمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ

(١) الأعراف: ٧٥ - ٧٦.

(٢) المؤمنون: ٤٥ - ٤٧.

(٣) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٤) غافر: ٨٣.

هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿١١﴾ .

وقال الله تعالى بشأن سلوك فرعون وقومه في ظلم النبي موسى (ﷺ):
﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُفْسِدِينَ﴾^(١).

فقد بيّنت هذه الآيات صفة من صفات الذين برزوا للأنبياء بالمخالفة،
وتلك الصفة هي الظلم.

٢- الإجمام

طبقاً لبيان القرآن الكريم فإن النبي شعيب (ﷺ) نهى قومه عن
التطيف والفساد في الأرض، قال تعالى على لسان النبي شعيب: ﴿وَلَا
تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٢)، إلا أنهم كانوا
يختلقون الحجج للتهرب من التكاليف الإلهية وعدم الانصياع لأوامر النبي
لهم بعدم الفساد والتطيف في البيع، قائلين له: إنما أنت إنسان مثلاً، بل
ويتهمونه بالكذب في ادعاء النبوة. قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ
نُظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^(٣).

لقد عدّ القرآن الكريم صفة الإجمام من بين صفات المنكرين لتعاليم
الأنبياء؛ ومن هنا ندرك أنّ الإجمام يشكل واحداً من عناصر إنكار نبوة
الأنبياء، قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ

(١) الأنبياء: ٢ - ٣.

(٢) النمل: ١٤.

(٣) هود: ٨٥.

(٤) الشعراء: ١٨٦.

تَكُنْ آيَاتِي تُثَلَّى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١١﴾

الشواهد والأدلة على إمكان الوحي

بالاتفات إلى نقد الشواهد والأدلة فيما يتعلق بعدم إمكان الوحي، وبالاتفات كذلك إلى الربوبية المطلقة لله عز وجل، وخصائص الإنسان، لا يبقى هناك من شك في إمكان الوحي^(١). ومع ذلك فإننا فيما يأتي سنذكر أدلة وشواهد على إثبات إمكان الوحي، كي نرفع الاستبعاد عن قدرة الإنسان فيما يتعلق باستلام الوحي والمعارف والأحكام من قبل الله تعالى، وهي كالآتي:

الدليل الأول: وقوع الوحي

إن أدل دليل على إمكان شيء هو وقوعه وتحققه، وهذا يصدق بالنسبة إلى إمكان الوحي أيضاً، فإن ما تحقق في الواقع الخارجي من الوحي خير شاهد على إمكانه. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في معرض الإجابة عن شبهة المشركين وإشكالهم على بشرية النبي الأكرم (ﷺ) بأنه قد سبق أن بعثنا رجالاً بالوحي لهداية الناس. وكان أولئك الأنبياء يثبتون حقيقة نزول الوحي عليهم باجتراح المعاجز، فيؤمن بهم الناس بعد حصول اليقين بصدقهم، وقد أكد القرآن الكريم للمشركين أن بإمكانهم استجلاء الحقائق من خلال سؤال العالمين بها، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

فإن هذه الآية الشريفة إما هي جواب عن السؤال الوارد في الآية الثالثة

(١) الجاثية: ٣١.

(٢) انظر: محمد عبده، رسالة التوحيد، ص ١٠٢.

(٣) الأنبياء: ٧.

من السورة والتي تقول: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾. وإن قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يؤكد أن إذا كنتم في شك من ذلك فاسألوا أهل الكتب السماوية^(١)، وعندها سيكون جوابهم: قد سبق وبعث الله رجالاً من البشر بوصفهم سفراء من قبل الله لهداية الناس^(٢).

كما أمر الله تعالى نبيه أن يقول للناس: إن رسالته وبعثته لم تكن مسألة غير مسبوقة فتكون بعيدة على التصديق، وذلك إذ يقول: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٣).

(١) إن ما ورد في الروايات من أن المراد من (أهل الذكر) هم: الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) (محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب إن أهل الذكر ... هم الأئمة عليهم السلام) إنما هو بيان للمصداق الأكمل، لا أن هذا الوصف منحصر بهم. فقد كان علماء اليهود في عصرهم من أهل الذكر، ومن غير الوارد أن يتم إرجاع المشركين إلى أهل بيت النبي الأكرم (ﷺ) وفقاً لقواعد المرافعات وحسم الخلافات؛ لأنهم أعداء للمشركين (انظر: محمد باقر المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ٢، ص ٢٤٦ - ٢٤٨. والعلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٢٥٧).

(٢) يعود السبب في إرجاع المشركين إلى أهل الكتاب أنهم كانوا في خندق واحد فيما يتعلق بعداوة النبي الأكرم (ﷺ)، فلم يكن من الوارد أن ينازوا إلى النبي في ذلك، هذا أولاً. وثانياً: إن المشركين كانوا يرون في أهل الكتاب رجالاً من أهل العلم والفهم، ويعتمدون عليهم ويستشيرونهم. وثالثاً: إن أهل الكتاب كانوا يرون المشركين أهدى من المسلمين، وفي ذلك يقول تعالى في الآية الحادية والخمسين من سورة النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾. انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٢٥٧.

القرآن الكريم شاهد على إمكان الوحي

إنّ القرآن الكريم الذي بقي محفوظاً من التحريف خلافاً لما تقدّمه من الكتب السماوية شاهد حيّ على إمكان الوحي، إذ يتحدى الجميع وكلّ من يشك في كونه وحيّاً أن يتظاهروا ويتعاونوا للإتيان بمثله^(١)، أو بمثل عشر سور منه^(٢)، بل وحتى بسورة واحدة منه^(٣). وبالتالي فإنّه تعالى يخبر عن استمرار عجز الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن؛ لأنّه وحي الله. وذلك حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٤).

تدلّ هذه الآيات على عدّة أمور:

الأول: إنّ القرآن وحي إلهي، وبذلك ينفي عن نفسه تهمة أن يكون بشرياً؛ وذلك لأنّ تحدي القرآن للبشر بأن يأتوا بمثله يشمل النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) نفسه أيضاً.

والثاني: إنّ باب الاختبار من أجل تصديق سماوية القرآن يبقى مفتوحاً أمام الجميع، ليتمكن الناس في كلّ عصرٍ من الوصول إلى كون القرآن وحيّاً من طريق قبول هذا التحدي.

يضاف إلى ذلك أنّ هناك الكثير من الآيات القرآنيّة التي تدلّ على عدم كون القرآن نتاجاً بشريّاً أو أنّه ناتج عن تفاعلات في أفكار

(١) انظر: الطور: ٢٣ - ٢٤.

(٢) انظر: هود: ١٣.

(٣) انظر: البقرة: ٢٣، ويونس: ٣٨.

(٤) الإسراء: ٨٨.

النبي محمد (ﷺ)؛ إذ نجد في بعض الآيات تهديداً عنيفاً للنبي الأكرم^(١)، وفي بعضها بيان لما كان يدور في خلد النبي الأكرم (ﷺ)، ولا يمكن أن يدور في خلد له لو كان القرآن من عنده، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٢). وسوف تكون لنا هناك عودة إلى هذه الأدلة والشواهد في الدرس الرابع إن شاء الله تعالى.

الدليل الثاني: مؤشرات على معارف غير عادية

هناك من المعارف التي تحدث لبعض الناس وحتى الحيوانات من خارج دائرة الحسّ والعقل، وهي وإن لم تكن من سنخ الوحي، ولكنها يمكن أن تكون شاهداً على إمكان الوحي. وفيما يأتي نشير إلى بعضها:

أ - الإلهام إلى البهائم: لقد أودعت يد القدرة الإلهية في بعض الحيوانات نوعاً من الإدراك والهداية الغيبية شديدة التعقيد والقوة، تعمل على هدايتها في مسيرة حياتها. وتظهر نماذج لهذا النوع من الإدراكات في سلوك جماعات النحل والنمل بشكل واضح جداً^(٣).

ب - الرؤى الصادقة: يشاهد الإنسان أحياناً بعض المنامات التي لا يمكن أن تدخل في دائرة الأوهام والتخيلات، ولا يمكن عدها من أضغاث الأحلام التي يكون للأحداث اليومية الرتيبة دور في ظهورها، ولا هي انعكاس عن تفاعلات الضمير الباطن، بل هي عبارة عن واقع

(١) من قبيل: الحاقة: ٤٤ و٤٧؛ والإسراء: ٧٤ - ٧٥.

(٢) القيامة: ١٦ - ١٩. وكذلك انظر: يونس: ١٥، وطه: ١١٤.

(٣) انظر: فيتوس دروشر، حواس اسرار آميز حيوانات، ترجمة: اسحاق لاله زاري.

موجود خارج الذهن والفكر^(١)، يحكي عن المغيبات والوقائع التي ستحدث في المستقبل^(٢). فإنّ هذا النوع من الأحلام التي تسمّى بـ (الرؤى الصادقة) من الكثرة في حدوثها بحيث لا يمكن لنا أن ندرجها في دائرة الصدفة، ومن المستحيل تكذيب جميع من عاش تجربتها عملياً^(٣). وقد أشار القرآن الكريم إلى نماذج من هذه الرؤى الصادقة، من قبيل: رؤيا النبي إبراهيم (عليه السلام)، إذ يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤). ورؤيا النبي يوسف (عليه السلام)، إذ يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٥). ورؤيا النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) فيما يتعلق بفتح مكة المكرمة إذ يقول تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ

(١) قيل: إن السبب في إراءة الرؤيا الصادقة للواقع يعود إلى اتصال نفس الإنسان بالواقعة المنكشفة من طريق سببها. انظر: السيد عبد الله شبر، مصابيح الأنوار، ص ٣ - ٤.

والعلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١١، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(٢) انظر: صدر الدين محمد الشيرازي، المبدأ والمعاد، ص ٦٠٨. وكذلك كتابه: أسرار الآيات، ص ٣٠٢.

(٣) انظر: ابن سينا، الإشارات والتبهيّات، ج ٣، ص ٢٦٢ - ٢٦٤، النمط التاسع، مقامات العارفين. ووليام جيمز، دين وروان، ترجمة: مهدي قائني، ص ٢٧ - ٤٢.

(٤) الصافات: ١٠٢ - ١٠٥.

(٥) يوسف: ٤.

لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١١﴾ .

فإنّ الرؤى الصادقة وإن كانت لا ترقى إلى مرتبة النبوة والارتباط السماوي، إلاّ أنّها تشهد بأنّ للإنسان مضافاً إلى الحسّ والعقل طريقاً آخر لإدراك بعض الأمور، هذا أولاً. وثانياً: تثبت إمكان الوحي، كما ورد في الحديث القائل: «الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة»^(٢).

يذهب أبو علي بن سينا إلى القول بأنّ التجربة قد أثبتت أنّ بإمكان الإنسان أن يتوصّل أثناء نومه إلى حقائق غيبية لا يمكن بلوغها في الحالات الاعتيادية؛ وعليه ليس هناك مانع من إمكان الحصول على هذه الحقائق الغيبية في اليقظة أيضاً. وقد حدث هذا النوع من الرؤى لكلّ شخص، إلاّ إذا كان يعاني مزاجاً مريضاً^(٣). وهناك من يذهب إلى القول بأنّ الحكمة من وراء الرؤى الصادقة تكمن في تقريب إمكان الوحي إلى أذهان الناس، بعد أن كان من الصعب عليهم إدراك كنهه وحقيقته؛ وذلك لأنّ الرؤيا الصادقة نموذج مصغر عن الوحي^(٤).

ج - الإلهام: إنّ للإنسان نوعاً من الشعور الباطني، يظهر أحياناً لدى بعض الأشخاص، فيفتح أمامه باباً إلى عالم الغيب، فيكتشف علوماً ومعارفاً

(١) الفتح: ٢٧.

(٢) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٥٨٤، الرواية: ٣١٩١، الباب الثاني. ولمعرفة شرح هذا الحديث، راجع: السيد عبد الله شبر، مصابيح الأنوار، ص ١٥ - ١٦.

(٣) ابن سينا، الإشارات والتبهيّات، شرح الخواجة نصير الدين الطوسي، ج ٣، ص ٣٩٩.

(٤) أبو حامد الغزالي، شك وشناخت (المنقذ من الضلال)، ترجمة: صادق آئينه نند، ص ٥٢ -

ليست من سنخ العلوم والأفكار العقلية^(١).

تثبت الشواهد والتجارب إمكان مراتب ضعيفة من الهداية غير العادية للإنسان، وعليه لا ينبغي إنكار حصول مراتب أقوى منها لبعض المنتجين من الناس.

خلاصة الدرس

١- بالالتفات إلى خفاء مسألة الارتباط السماوي والوحي، وعدم تمكن كل شخص من خوضها، فقد كانت مسألة الوحي موضع تشكيك لغير الأنبياء، حتى عمد البعض إلى إنكارها.

٢- إن شواهد وأدلة إنكار الوحي عبارة عن: عدم وجود مسانحة بين الإنسان ومبدأ الوحي، وعجز سائر الناس عن القيام بمثل هذا الارتباط السماوي، رغم تساوي الجميع في القدرات والكفاءات.

٣- بالالتفات إلى قدرة الله المطلقة، والخصائص الروحية التي يتمتع بها الإنسان، واختلاف الناس في الاستعداد والقابليات، وكون الوحي هبة إلهية، لا يبقى أدنى شك في إمكان الوحي.

٤- هناك من المؤمنين بوجود الله من ينكر الوحي من أجل التوصل عن الأحكام والتكاليف الشرعية. وهناك من ينكر الوحي لأسباب معرفية، من قبيل: عدم معرفة الله، وعدم معرفة حقيقة الإنسان، وعدم معرفة ظروف الارتباط السماوي، والنزوع إلى الرؤية الظاهرية للأمور.

٥- بالالتفات إلى عدم وجود دليل على عدم إمكان الوحي، يعتبر وقوع الوحي

(١) انظر: ابن سينا، الإشارات والتبهيئات، ج ٣، ص ٣٦٣ - ٣٦٤، النمط التاسع، مقامات

العارفين. ووليام جيمز، دين وروان، ترجمة: مهدي قائني، ص ٣٧ - ٤٢.

في الخارج - بما في ذلك القرآن الكريم نفسه (بوصفه وحياً إلهياً خالداً يتحدى جميع الناس عبر العصور أن يأتوا بمثله) - شاهداً صارخاً على إمكان الوحي.

٦- إن المعارف الخارجة عن نطاق الحسّ والعقل، من قبيل الإلهام (الشعور النفسي الباطني)، والرؤى الصادقة (التي تحكي عن أحداث المستقبل) رغم عدم مسانحتها للوحي، تعتبر شاهداً على إمكان الوحي.

أسئلة نموذجية

١- لماذا كان الوحي على الدوام مثاراً للتساؤل عند أولئك الذين لم يجربوه على المستوى الشخصي؟

٢- اذكر دليلاً من أدلة إنكار الوحي، مع نقده.

٣- اذكر أسباب إنكار الوحي من قبل المؤمنين بالله.

٤- اشرح كيف يمكن للقرآن الكريم أن يكون شاهداً على إمكان الوحي؟

٥- أيّ المعارف غير الاعتيادية يمكنها أن تكون شاهداً على إمكان

الوحي؟ وكيف يكون ذلك؟

واحة المصادر

- الملا محسن الفيض الكاشاني، علم اليقين في أصول الدين، ص ٣٥٠.

- محمد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٢ - ٥٤.

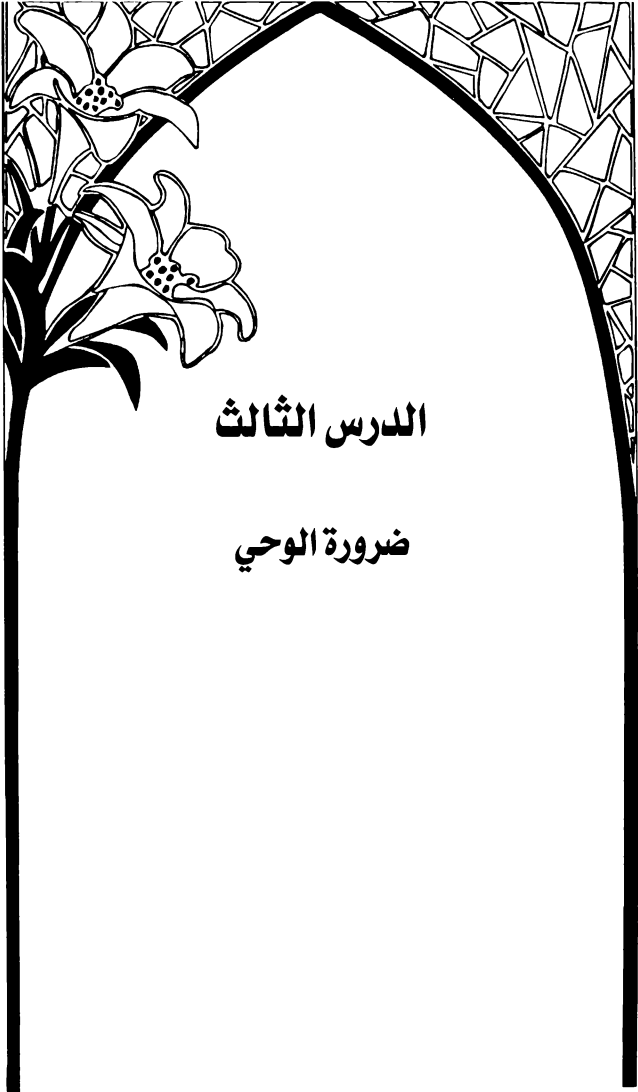
- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج ١٠، ص ٧١٩ - ٧٢٠.

- جعفر السبحاني، (امكان ارتباط با جهان غيب) مجلة: كلام اسلامي،

العدد: ٢٥، ص ٤ - ١١.

تحقيق

ابحث في الأدلة والشواهد الدالة على وجود الروح المجرّدة والمستقلة عن جسد الإنسان.



الدرس الثالث

ضرورة الوحي

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

- ١- أن يتعرف على مختلف الآراء بشأن الحاجة إلى الوحي.
- ٢- أن يتمكن من بيان الأدلة المقامة على عدم ضرورة الوحي.
- ٣- أن ينتقد الموقف الدنيوي من ضرورة الوحي.
- ٤- أن يتمكن من نقد ومناقشة استدلال المتكلمين على ضرورة الوحي.
- ٥- أن يتمكن من الاستدلال على ضرورة الوحي.

قال الإمام الرضا (عليه السلام): «لأنه لما لم يكن في خلقهم وقواهم ما يثبتون به لمباشرة الصانع تعالى، وكان الصانع متعالياً عن أن يُرى، وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً، لم يكن بدّ من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدي إليهم أمره ونهيه وأدبه، ويوقفهم على ما يكون به إحراز منافعهم، ودفع مضارهم»^(١).

إنّ من بين المسائل المهمّة في باب الوحي، هو البحث في ضرورته، فإنّ هذه المسألة وإن كانت تطرح بين أولئك الذين يؤمنون بالله وما وراء الطبيعة بنحو من الأنحاء، إذ بعد إنكار ما وراء المادة، لن يبقى هناك من مجال للبحث فيما يتفرع عنها، وسيكون البحث في مسألة إمكان الوحي بعد إنكار مصدره سائلة

(١) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١١، ص ٤٠، ح: ٤٠.

بانتفاء الموضوع كما تقدّم أن ذكرنا، إلا أنّ هذه المسألة تبقى من الأمور التي ينبغي الاستدلال عليها من خارج النصوص الدينيّة. فحتى لو كان الضرد مؤمناً بوجود الله والدين والوحي الإلهي، إلا أنّ هذا لا يعني الالتزام بضرورة الوحي، فالأشاعرة مثلاً رغم إيمانهم بنبوّة النبي الأكرم (ﷺ) واعتقادهم بالقرآن الكريم بوصفه وحياً إلهياً، لا يرون الوحي ضرورياً من الناحية العقلية؛ وذلك لأنهم يذهبون إلى إنكار الحسن والقبح العقلي من الأساس، ويذهبون إلى القول بأنّ الحكم باعتبار الوحي ضرورة عقلية، يعني إيجاب حكم على الله، وهو باطل وغير صحيح عندهم^(١)، وطبعاً إنّ الأشاعرة يشتركون مع الشيعة في القول بأنّه لا أحد يستغني عن الوحي، من هنا لا نجد ضرورة إلى نقد أدلتهم في هذا الشأن.

توهّم عدم الحاجة إلى الوحي

هناك من المذاهب الفكرية والعلماء من يذهب إلى عدم الحاجة إلى الوحي، رغم اعتقادهم بالله سبحانه وما وراء الطبيعة؛ وذلك لأنهم يذهبون إلى القول بأنّ العقل يمكننا من رفع جميع ما نحتاج إليه؛ وعليه لا تكون هناك حاجة إلى الوحي^(١)، ومن بين تلك المذاهب والأفراد يمكن لنا أن نذكر:

١- براهمة الهند^(٢): فقد حُكي عن هذه الفرقة أنّها تذهب إلى استغناء الإنسان عن الوحي، وقد استدلت لذلك على النحو الآتي: إنّ تعاليم الوحي لا تخلو: إمّا أن توافق العقل، أو تخالفه، وفي الحالة الأولى يكون العقل لوحده كافياً، وفي الحالة الثانية لا يمكن القبول بتعاليم الوحي؛ لكونها مخالفة للعقل؛ لأنّ الله الحكيم لا يأمر بما ينكره العقل^(٣).

٢- أحمد بن إسحاق الراوندي: هناك غموض يكتنف تاريخ ولادته وكذلك وفاته، فهي غير معلومة لنا بشكلٍ مضبوط، ولكن هناك احتمالاً قوياً في أن تكون وفاته في نهاية القرن الهجري الثالث، كان من أسرة يهودية، ثمّ مال إلى الاعتزال، ولكنه سرعان ما ثار على المعتزلة والتحق بأعداء الإسلام، فكان يأخذ منهم أجوراً بإزاء ما يبثه من سموم وشبهات

(١) ربّما لاح من بعض أشعار أبي العلاء المعري (٣٦٣ - ٤٤٩م ق) أنّه يرى الإنسان العاقل غنياً عن الوحي، من ذلك ما جاء مثلاً في كتابه (لزوم ما لا يلزم)، ج ٣، ص ١٢٦٩، حيث قال:
اثان أهل الأرض: ذو عقل بلا دين، ودين لا عقل له.

(٢) لمزيد من الاطلاع حول هذه الجماعة راجع: عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢- ص ٢٥٠.

(٣) انظر: المصدر المتقدم، ج ٢، ص ٢٥٠ - ٢٥٢، وقد نسبوا بعض عقائد البراهمة إلى (الصابئة) أيضاً، ويمكنك في هذا الشأن الرجوع إلى: الحسن بن يوسف الحلبي، مناهج اليقين في أصول الدين، تحقيق: محمّد رضا الأنصاري، ص ٢٦٤.

ضدّ الدين الإسلامي وتعاليمه، فألّف كتاب (الدامغ) في معارضة القرآن الكريم، وكتاب (الفرند) في الطعن بالنبيّ الأكرم (ﷺ)، وكتاب (الزمرّدة) في إنكار الأنبياء وإبطال رسالاتهم، وكان يقول: (لقد زوّد الله الإنسان بالعقل كيما يفرّق به بين الخير والشرّ، ويميّز الحقّ من الباطل؛ وعليه فبعد وجود الهداية العقلية لا تكون هناك من حاجة إلى الوحي).

كما ذهب ابن إسحاق الراوندي إلى إنكار بعض التعاليم السماوية، من قبيل: الصلاة، والاعتسال، والطواف حول الكعبة؛ لأنها مخالفة للعقل بزعمه^(١).

٣- محمّد بن زكريا الرازي^(٢) (٢٥١ - ٣١٣ ق): كان الرازي من كبار الأطباء المسلمين في القرون الوسطى، وكان له باع في الفلسفة أيضاً، فألّف الكثير من الكتب في الطب والفلسفة والكلام - وخاصةً في باب النبوة - ولكنها مفقودة. نقل عنه أنّه لا ينكر حاجة الإنسان إلى الوحي فحسب، بل يرى أنّ نزول الوحي على الأنبياء يؤدي إلى التفاضل بين الناس، ومع وجود المساواة بين جميع أفراد البشريّة من حيث الكفاءات، فإنّ ذلك سيكون سبباً في اشتعال فتيل الحروب والنزاعات^(٣). وقد عمد أبو حاتم الرازي

(١) انظر: إبراهيم البيومي مدكور، در باره فلسفه اسلامي وروش و تطبيق آن، ترجمة: عبد المحمّد آيتي، ص ٦٥ - ٦٨.

(٢) لمزيد من الاطلاع بشأنه راجع: مير محمّد شريف، تاريخ فلسفه اسلام، الترجمة تحت إشراف: نصر الله بور جوادي، ج ١، ص ٦٢٧-٦٢٩. ومهدي محقق، فيلسوف ري: محمّد زكرياي رازي.

(٣) مير محمّد شريف، تاريخ فلسفه اسلام، ج ١، ص ٦٢٨ - ٦٢٩. وقال ناصر خسرو في كتابه جامع الحكمتين، ص ١٣٧: (إنّه كان يقول: إنّ ما اعتاد الأنبياء رؤيته على أنّه من الملائكة، لم يكن سوى شياطين يمكنها أن تتلبس بما تشاء من الأشكال والأجسام).

(٣٢٢هـ ق) إلى تقرير آرائه في إنكار النبوة دون تسميته، مكتفياً بالإشارة إليه بعبارة (قال ملحد)^(١). وهناك من المفكرين والعلماء من أنكر نسبة هذا الكلام إلى الرازي^(٢).

٤- الربوبيون^(٣): ظهر في العالم الغربي من يقول بعدم حاجة الإنسان إلى الوحي، متمسكين لذلك بقدرة العقل على الحلول محل الوحي، وقد كان الربوبيون من أبرز من أدعى الاستغناء عن الوحي في الغرب، وكانوا عبارة عن جماعات عديدة تشترك في أمرين، هما:

(١) أبو حاتم الرازي، أعلام النبوة، ص ٤ - ٥.

(٢) هناك من نسب إلى محمد بن زكريا الرازي تأليف كتاب يحمل عنوان: (في وجوب دعوة النبي على من تقر بالنبوات) في الدفاع عن النبوة. انظر: مهدي محقق، فيلسوف ري: محمد زكرياي رازي. كما ذهب الشهيد المطهري إلى الاعتقاد بعدم إنكار محمد بن زكريا الرازي للوحي والنبوة، والدليل على ذلك أن له كتابين تحت عنوان: (في الإمام والمؤتم)، (الإمامة)، الأمر الذي يثبت أنه كان شيعياً إثناً عشرياً، وأن أبا حاتم الرازي الذي ينتمي إلى الفرقة الإسماعيلية قد تحامل عليه وافترى عليه في نسبة إنكار الوحي والنبوة إليه. (انظر: مرتضى المطهري، الأعمال الكاملة، ج ١٤، وكذلك: خدمات متقابل اسلام وايران، ص ٤٦٧ - ٤٧٠)، وهذا إنما يستقيم إذا كانت هذه النسبة قد صدرت من أبي حاتم الرازي فقط، ولم يؤيده عليها غيره، هذا أولاً، وثانياً: أن تحمل عناوين بعض كتبه على نحو يصحح عقيدته من قبيل كتابه المسمى: (في النبوات) الذي يسمي (نقض الإيمان) أيضاً. وكتابه: (في حيل المتبئين) ويدعى (مخاريق الأنبياء) أيضاً. فلا يستقيم مذهب الرازي إلا على العنوانين الأولين دون الأخيرين لوضوحهما في الكفر.

(٣) الربوبي (deist) من الربوبية (deism): الاعتقاد بدين طبيعي مبني على العقل، دون الحاجة إلى الاعتقاد بديانات منزلة. وكان أول ظهور لهذا المصطلح في القرن السادس عشر للميلاد، حيث استعمل للدلالة على بعض المؤلفين والمفكرين الذين كانوا يذهبون إلى القول ببطلان تصوّر الوحي والإلهام. (انظر: فردريك كابلسيون، تاريخ الفلسفة، ج ٥، الفلاسفة الإنجليز من هابز إلى هيوم)، ترجمة: أمير جلال الدين أعلم، ص ١٧٩).

الأول: الاعتقاد بوجود الله، الأمر الذي يميّزهم من الملاحدة، وإن كان بعضهم ينكر دور الله في إدارة نواميس الكون، أو يعتبره والطبيعة شيئاً واحداً.

الثاني: الاعتقاد ببطلان الوحي والإلهام، وعدم حاجة الإنسان إليهما^(١).

بين كيف يمكن الجمع بين اعتقاد الأشاعرة بعدم ضرورة الوحي، وبين إيمانهم بالقرآن الكريم بوصفه وحياً إلهياً؟

نقد ومناقشة

هناك في كلمات منكري ضرورة الوحي بعض الأمور التي ذكرت كدليل وشاهد على عدم حاجة الإنسان إلى الوحي، وهي كالآتي:

- ١- قدرة العقل على تلبية جميع ما يحتاج إليه الإنسان.
- ٢- تساوي جميع أفراد الإنسانية في الكفاءات والقدرة على رفع حاجاتهم.
- ٣- اشتعال فتيل الحروب والفتن، كنتيجة لاحتكار الوحي من قبل فئة من الناس.

ويمكن لنا في نقد هذه الأدلة والشواهد أن نسوق بعض المسائل على النحو الآتي:

- ١- ليس هناك في الوحي ما يعارض العقل أو يخالف العلم^(٢). فإنّ تعاليم

(١) انظر: المصدر المتقدم، ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) إذا كان هناك في الكتاب المقدس للنصارى ما يتعارض مع المعطيات العلمية، فمردّد ذلك إلى كونها ليست من الوحي في شيء، وأمّا في القرآن الكريم الذي هو وحي إلهي، فليس هناك نصّ يخالف الثوابت العلمية القطعية، أو يستحيل حلّ التعارض بينهما (انظر: موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة ذبيح الله دبير، ص ٣٩ و ١١٧ و ١٥٢ و ١٥٣

الوحي تنقسم بلحاظ ارتباطها بالعقل إلى قسمين، هما:

الأول: ما ينسجم معها العقل (بأن تكون مفهومة للعقل).

الثاني: ما ينفر منها العقل (بأن لا تكون مفهومة للعقل).

وعلى الرغم من أن العقل يُعدّ أحد الحجّتين اللتين أقامهما الله على عباده^(١)، وكونه نعمة لا بديل للإنسان عنها^(٢)، إلاّ أنّه يعجز عن فهم بعض تعاليم الوحي^(٣)؛ وعليه ليس هناك من شك في أنّه بحاجة إلى تعاليم الوحي من هذه الناحية، بل إنّ العقل بحاجة إلى الوحي حتى في الأحكام والمعارف التي يمكن له أن يستقل في الوصول إليها؛ وذلك لأنّ الأمور التي يمكن للعقل أن يتوصّل إليها لا تخرج عن واحدة من الأقسام الأربعة الآتية^(٤):

ما توصل فيه كافة الناس إلى نتيجة، ولم يختلفوا فيه.

ما توصل فيه خصوص العلماء والمفكرين إلى نتيجة، ولم يختلفوا فيه.

ما توصل فيه خصوص العلماء والمفكرين إلى بعض النتائج، ولكنهم

اختلفوا فيه.

ما توصل فيه كافة الناس إلى بعض النتائج، ولكنهم اختلفوا فيه.

١٨٢ و ٢٦٦: وآرثر جان آربييري، العقل والوحي في الإسلام.

(١) جاء في الحديث: «إنّ لله على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة، وحجّة باطنة. فأما الظاهرة

فالرسول والأنبياء والأئمّة، وأما الباطنة فالمعقول». العلامة محمد باقر المجلسي، بحار

الأنوار، ج ١، ص ١٣٧، ح: ٣٠.

(٢) قال الإمام عليّ (عليه السلام): «لَا غَنَى كَالْعَقْلِ، وَلَا فَقْرُ كَالْجَهْلِ»، نهج البلاغة، الحكمة رقم: ٥٤.

(٣) أبو حامد الفزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق: أحمد شوكان، ص ٩٧.

(٤) راجع في هذا الشأن: حسين علي، علي أكبريان، در آمدي بر قلمرو دين، ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

وهنا يجب علينا أن نرى تحت أيِّ واحدٍ من الأقسام الأربعة المتقدّمة تندرج الأمور الداخلة في دائرة العقل وتداولها الوحي، ولا يوجد هناك إحساس بالحاجة إلى الوحي فيها.

في القسم الأول الذي يصل فيه جميع الناس إلى نتيجة واحدة ولا يختلفون، لا توجد حاجة أو ضرورة إلى الوحي. وفي القسم الثاني قد لا تكون هناك حاجة وضرورة للوحي أيضاً، بالنظر إلى اعتماد سائر الناس على ما توصل إليه جميع العلماء ولم يختلفوا فيه. وأمّا في القسم الثالث الذي يختلف فيه العلماء فيما توصلوا إليه من النتائج، يجب أن يكون بعضهم قد وقع في الخطأ ضرورة، وفي هذه الصورة لن يكون للناس ثقة بما توصلوا إليه، ولا يمكن القول برجوع كلِّ فردٍ إلى من شاء من العلماء؛ إذ مع احتمال ارتكاب الخطأ يمنع العقل من الاتّباع، إلاّ إذا لم يكن هناك طريق - مثل الوحي - للوصول إلى اليقين، هذا وإنّ إباحة رجوع الناس في المسائل الاجتماعية إلى كلِّ عالمٍ يؤدّي إلى الاضطراب والهرج والمرج، ففي هذه الحالة نجد هناك ضرورة للوحي، وهكذا الأمر بالنسبة إلى القسم الرابع الذي يختلف فيه جميع الناس، فتكون هناك حاجة للوحي من باب أولى.

ويبدو أنّ أكثر ما توصل إليه العقل البشري من النتائج يندرج تحت القسمين الأخيرين، اللذين لا يكون الوحي والبيان الديني فيهما لغواً، بل الوحي فيهما ضروري أيضاً. والشاهد الأقوى على هذى المدعى هو الاختلاف الشديد بين مختلف علماء المذاهب الفكرية والاعتقادية، حيث يرمي كلُّ واحدٍ منهم غيره بارتكاب الاشتباه والخطأ، حتى لم يعد بالإمكان الوثوق والاعتماد بأحدهم. وهذا الأمر ناتج عن محدودية العلوم الإنسانية، وعدم قطعيتها أغلبها.

وأما في مورد القسمين الأولين، فإنّ الوحي وإن لم يكن ضرورياً، ولكنه ليس لغواً؛ إذ يمكن لبيان الوحي أن يكون إرشاداً ودليلاً على حكم

العقل ومؤيداً له^(١)، وهذا داخل في جملة أهداف الوحي. كما أنه بالالتفات إلى التغير وعدم الثبات الذي يصيب المعطيات البشرية، وعدم الاطمئنان والوثوق الكامل بها، خلافاً لمعطيات الوحي، نجد أننا نتأثر بالوحي بشكل أكبر؛ وعليه فحتى في الموارد التي يحكم بها العقل يمكن للشاعر أن يتدخل في إصدار الأوامر، كي يدعو الجميع إلى تحصيل تلك المصلحة أولاً، ولكي يقوي ويعزز حكم العقل ثانياً^(٢).

٢- مهما بلغ العقل من القوة والسعة، إلا أنه يفقد شطراً من فاعليته تحت تأثير مختلف الأسباب، بل قد تعم هذه الظاهرة مجتمعاً بأكمله، وهنا لا بد من الوحي ليعمل على جلاء الغبار عن العقول، ويظهر من القرآن الكريم أن ذلك من جملة فوائد الوحي، فقد استعمل القرآن مفردة (الذكر) ومشتقاتها - من قبيل: (ذكرى)، و(تذكرة)، و(مذكّر)، و(مدّكر) بمعنى: (التذكير بأمر قد تمّ تجاهله - مراراً وتكراراً بشأن الكتب السماوية وأنبياء الله سبحانه وتعالى^(٣))، قال تعالى مخاطباً رسول الله (ﷺ): ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾^(٤). وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(٥).

وقد ذكر الإمام عليّ (عليه السلام) أن هذا الأمر يُعدّ واحداً من العناصر الضرورية في الوحي، وذلك حيث يقول: «فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ

(١) فيما يتعلق بباب الحكم الإرشادي، راجع: محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ج ١ - ٢، ص ٢٢٧، و ج ٢ - ٤، ص ١٣٤.

(٢) انظر: محمد باقر الصدر، بحوث في علم الأصول، ج ٤، ص ٢١ - ٢٢.

(٣) انظر: محمد تقي مصباح اليزدي، قرآن شناسي، ص ٤٧ - ٥٠.

(٤) الغاشية: ٢١.

(٥) القمر: ١٧.

أَنْبِيَاءَهُ، لَيْسَتْ أَدْوَهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيَذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ^(١).

٣- تقدم في بحث مسألة إمكان الوحي أن الناس مختلفون في قدراتهم؛ وعليه فإن الاعتقاد بتساوي جميع أفراد الإنسانية في القدرات والاستعدادات العقلية في تلبية حاجاتهم - الذي شكّل واحداً من أدلة منكري ضرورة الوحي - غير صحيح.

٤- لقد أثبت التاريخ أن حملة الوحي لم يكونوا دعاة صلح وسلام مقرون بالقسط والعدل فحسب، بل وقد شكّل تمهيد الأرضية لإقامة القسط والعدالة الاجتماعية أحد أهم أهدافهم. قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٢).

وبذلك فإن اختصاص الوحي ببعض الأفراد لا يكون مدعاة لاشتعال نار الحروب والفتن، وإنّ الذي أوجب على بعض الأنبياء خوض غمار الحروب أحياناً، يعود إلى سلوك أولئك الذين وجدوا تعاليم الوحي تتعارض ومصالحهم، فرفعوا راية الحرب بوجه حملة الوحي والرسالة؛ وعليه فإن حروب الأنبياء قد تلخصت في الدفاع عن المظلومين والمستضعفين، وإنقاذهم من جور الطغاة والمتجبرين.

الحاجة إلى الوحي

لقد استدل كل واحد من الحكماء والمتكلمين وسائر المفكرين والعلماء من المسلمين على حاجة الإنسان إلى التعاليم السماوية وضرورة الوحي

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

(٢) الحديد: ٢٥.

بطرق مختلفة ومتنوعة.

إن الوجه المشترك في جميع الاستدلالات على ضرورة الوحي، يكمن في أن الإنسان لا يستطيع التغلب على جميع مشاكله، ولا يستطيع تلبية كل حاجاته من دون الاستعانة بالوحي. وطبعاً فقد استند كل واحد إلى جانب من جوانب افتقار الإنسان وحاجته في معرض الاستدلال على ضرورة الوحي.

١- القانون وتطبيقه الصحيح والحاجة إلى الوحي

ذهب جمع من المفكرين المسلمين في إثبات ضرورة الوحي إلى التمسك باعتبار الإنسان كائن اجتماعي، وعدم تمكن البشر من وضع القوانين وتطبيقها^(١). ويمكن القول: إن مبدع هذا النهج هو الفارابي (٢٥٧ - ٣٣٩ هـ ق). فهو يرى أن الإنسان ولد مفتقراً إلى الحياة الاجتماعية، ولكنه عاجز عن صياغة وتدوين القوانين التي تضمن عدم انهيار المجتمع^(٢). هناك طرق متنوعة لإقرار النظم وإرساء القوانين في المجتمع، إلا أن إقامة المدينة الفاضلة رهن بإدارة فرد مدعوم بالوحي، ليكون قادراً على بيان حدود الأشياء والأعمال، ويهدي الناس

(١) إننا نلاحظ ما يشبه هذا الاستدلال على ضرورة الوحي في كلام جان جاك روسو، وذلك إذ يقول: (إننا إذا أردنا أن نكتشف أفضل القوانين، التي تصلح لجميع الأمم، فإننا سنكون بحاجة ماسة إلى الاستعانة بعقل مطلق وشامل، يحيط بجميع شهوات الإنسان ورغباته، ولا يكون متأثراً بشيء إطلاقاً، ولا يكون له أدنى تعلق بعالم الطبيعة، ولكنه يعرفه تمام المعرفة. وإن سعادته غير مرتبطة بنا، ولكنه على استعداد كامل ليضمن لنا سعادتنا.. وهذا ما لا يمكن فعله إلا للآلهة). العقد الاجتماعي، ترجمة: غلام حسين، زيرك زاده، ص ٨١.

(٢) أبو نصر محمد الفارابي، انديشه هاي أهل مدينة فاضلة، ترجمة: جعفر سجادي،

إلى الهدف الذي يضمن لهم السعادة^(١). ثم جاء بعده أبو علي بن سينا (٣٧٠ - ٤٣٨ هـ ق) ليصوغ هذا الرأي للمرة الأولى في إطار استدلال منظم في كتاب (النجاة)^(٢)، وفي النمط التاسع من كتاب (الإشارات والتبهيّات)، وعلى نحو أكمل في باب (الإلهيات) من كتاب (الشفاء) حيث عرضه ضمن عدة مقدمات ونتيجة^(٣). مع فاروق وحيد هو أن ابن سينا يرى أنّ الإنسان يرضخ للحياة الاجتماعية من أجل تلبية احتياجاته، لا أنّه يولد مجبولاً على الحياة الاجتماعية.

وهذا ما التزم به بعض الحكماء الآخرين، من أمثال شيخ الإشراق شهاب الدين السهروردي^(٤)، وصدر المتألهين الشيرازي^(٥)، والفيض الكاشاني^(٦)، وعمدوا إلى إكماله، فاشتهرت تحت عنوان (استدلال الحكماء). وقد عمد العلّامة الطباطبائي إلى إضفاء تماسك أكبر لاستدلال الحكماء، حيث صاغه بشكل لا يرد عليه ما ورد على الحكماء المتقدمين من الإشكالات. ويمكن بيان استدلال العلّامة الطباطبائي ضمن المقدمات الآتية:

المقدمة الأولى: إنّ المنظومة الكونية مخلوقة بحيث تتجه فيها جميع

(١) أبو نصر محمد الفارابي، سياست مدنية، ترجمة وتهميش: جعفر سجادي، ص ١٥٦.

(٢) ابن سينا، النجاة، ص ٤٩٨ - ٥٠٢.

(٣) ابن سينا، الشفاء، الإلهيات، ص ٤٤١ - ٤٤٢.

(٤) شهاب الدين يحيى السهروردي، مجموعة مصنّفات شيخ اشراق، تصحيح وتقديم: هنري كوربان، ج ١، ص ٩٥ - ٩٦. وكذلك في اللمحات، وهو موجود ضمن سلسلة تحمل عنوان (سه رساله شيخ اشراق)، ص ١٧٢، تصحيح: نجف قلي حبيبي، طهران، انجمن فلسفه ايران، ١٣٩٧ هـ ق).

(٥) صدر المتألهين، الشواهد الربوبية، تصحيح: السيد جلال الدين الأشتياني، ص ٣٥٩ - ٣٦٠. وكذلك ترجمة وشرح: الشواهد الربوبية، جواد مصلح، ص ٤٩١.

(٦) المولى محسن الفيض الكاشاني، علم اليقين في أصول الدين، ج ١، ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

الكائنات ومنها الإنسان بالضرورة نحو كمالها النوعي والوجودي.

المقدمة الثانية: إنَّ الإنسان كائن أناني ومحبّ لذاته بطبعه، وهو لذلك يستخدم كلَّ شيءٍ من أجل مصلحته الشخصية، ويمتد ذلك حتى إلى أبناء جلده.

المقدمة الثالثة: إنَّ استخدام الإنسان الآخرين لمصلحته تضطره إلى أن يكون اجتماعياً، وأن يعيش ضمن المجتمع.

المقدمة الرابعة: إنَّ حبَّ الإنسان لذاته، واستعلاءه، واستخدامه إخوانه في الإنسانية، يؤدي لا محالة إلى ظهور الاختلاف والنزاع في المجتمع.

المقدمة الخامسة: إنَّ النظام الكوني يقتضي حسم هذا الاختلاف ورفع النزاع بما يضمن وصول الإنسان إلى الكمال.

المقدمة السادسة: إنَّ مدركات الإنسان وقواه العقلية أعجز من أن تكتشف لوحدها القوانين أو أن تضعها بما يعمل على رفع الاختلافات.

المقدمة السابعة: يجب أن يكون لدى الإنسان مصدر علم أو طريق اكتشاف آخر غير العقل، كي يتسنى له اكتشاف القوانين أو وضعها في سياق رفع الاختلاف (نتيجة المقدمتين الخامسة والسادسة).

المقدمة الثامنة: إنَّ النوع الآخر للإدراك والمعرفة منحصر بالوحي، وهو مختصّ بالأنبياء والمرسلين (عليهم السلام).

النتيجة: من أجل رفع الاختلافات عن المجتمعات البشرية، وإعداد الأرضية لكمال الإنسان، يكون إنزال الوحي من قبل الله ضرورياً ولامماً^(١).

هل بيان العلامة الطبائبي في اعتبار الإنسان كائناً

(١) انظر: العلامة محمّد حسين الطبائبي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص ١٣ وكذلك كتابه: شيعه در اسلام، ص ٨٠ - ٨٢. وكذلك كتابه: مباحثي در وحي وقرآن، ص ٥١ - ٥٥.

اجتماعياً أقرب إلى رأي الفارابي أو إلى ابن سينا؟

تقدّم مناقشة

يرد على استدلال الحكماء ثلاثة إشكالات رئيسة، وهي كالآتي:

الإشكال الأول: بناءً على هذا الاستدلال يكون الإنسان الأول غنياً عن الوحي والدين، لعدم وجود المجتمع؛ وعليه لا تكون هناك حاجة إلى القوانين، ومن يعمل على تطبيقها، وبالتالي لا تمس الحاجة إلى الوحي.

الإشكال الثاني: يمكن لنا أن نعثر على نماذج من الحياة الاجتماعية التي تمتعت بحياة منتظمة، رغم افتقارها إلى الحكومة الدينية المنبثقة عن الوحي. قال الخواجة نصير الدين في شرح كلام أبي علي بن سينا: (اعلم أنّ جميع ما ذكر من أمور الشريعة والنبوة [والوحي] ليست ممّا لا يمكن أن يعيش الإنسان إلّا به، وإثما هي أمور لا يكمل النظام المؤدي إلى صلاح حال العموم في المعاش والمعاد إلّا بها. والإنسان يكفيه أن يعيش في نوع من السياسة تحفظ اجتماعهم الضروري، وإن كان ذلك النوع منوطاً بتغلب أو ما يجري مجراه. والدليل على ذلك حال سكان أطراف العمارة بالسياسات الضرورية)^(١).

الإشكال الثالث: إنّ هذا الاستدلال يقدم تفسيراً دنيوياً للدين والوحي. وقد ذهب أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ق) إلى القول بأنّ هذا الاستدلال يؤدّي إلى إضعاف عقيدة الناس، ويزعزع إيمانهم^(٢).

(١) أبو علي بن سينا، الإشارات والتبهيّات، شرح وتعليقة: الخواجة نصير الدين الطوسي، والعلامة قطب الدين الرازي، ج ٣، ص ٣٧٤، دفتر نشر الكتاب، ط ٢، ١٤٠٣ هـ ق.

(٢) أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ص ٤٧ - ٤٨، تحقيق وتقديم: جميل إبراهيم

فإنّ ظاهر استدلال الحكماء - وخاصةً ما كان في كلام أبي علي بن سينا في كتاب (الإشارات) - يحيل سبب الحاجة إلى الوحي إلى عجز الإنسان عن إقامة العدل في حياته الاجتماعية. وهذا من دون شك تفسير دنيوي للدين، ولا يمكن أن يكون صائباً. إلاّ أنّه - كما أشار الشهيد مرتضى المطهري^(١) - يمكن القول: إنّ نظرية أبي علي بن سينا في باب الوحي إذا أخذت في إطارها العام، لا تكون دنيوية؛ وذلك لأنه عمد في باب البهجة والسعادة العقلية إلى عقد فصل كامل (وهو الفصل السابق للبحث عن ضرورة النبوة)، وكذلك في كتابيه (الإلهيات) من الشفاء، و(النجاة) حيث عمد هناك إلى تعداد فوائد أخرى للوحي والنبوة، ومنها: معرفة الله، وهداية الناس^(٢).

كما يعتبر العلامة الطباطبائي بريئاً من هذه النسبة أيضاً، وذلك لتأكيدِه على شمولية الوحي في العديد من كتبه، ومنها قوله: (إنّ الدين لم يعتبر في تشريعه مجرد الكمال المادي الطبيعي للإنسان، بل اعتبر حقيقة الوجود الإنساني، وبنى أساسه على الكمال الروحي والجسمي معاً، وابتغى السعادة المادية والمعنوية جميعاً)^(٣).

وعلى هذا الأساس يتبيّن من مجموع كلمات الحكماء في باب النبوة أنّهم في معرض استدلالهم على ضرورة الوحي، يؤكدون على ضمان الحياة الحقيقية للمجتمع الإنساني بحيث تسودها الأخلاق والمعنويات، وليس مجرد

حبيب، الناشر: دار القادسية للطباعة، بغداد، ١٣٨٧هـ.ق.

(١) مرتضى المطهري، الأعمال الكاملة، ج٧، (شرح الإشارات)، ص١٢٢.

(٢) ابن سينا، الشفاء: الإلهيات، ص٤٤٣.

(٣) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢، تفسير الآية: ٢١٣ من سورة البقرة، ص١٢٥، مطبوعات دار الأندلس، ط١، بيروت، ٢٠١٠م.

الحياة الاجتماعية أياً كان شكلها ونوعها^(١).

٢- السير إلى الله والحاجة إلى الوحي

ينظر العرفاء في إثبات ضرورة الوحي إلى معرفة الله والسير إليه؛ إذ يعتقدون أن الغاية من وجود الإنسان تكمن في معرفة البارئ تعالى والسير والسلوك إليه، وإن لهذا السير والسلوك أربع مراتب، نذكرها على النحو الآتي:

الأولى: (السفر من الخلق إلى الحق): تطوى هذه المرحلة من خلال إزاحة الحُجُب الظلمانية والنورانية بين الله والحقيقة التي كانت وستبقى معه. وفي هذه المرحلة يتوصل السالك إلى الحق من خلال تجاوز عالم الطبيعة، ومساحات من عوالم ما وراء الطبيعة.

الثانية: (السفر من الحق إلى الحق بالحق): وفي هذه المرحلة يتمكن السالك من مشاهدة جميع الكمالات بعد أن يتعرّف على الله ويحيط علماً بجميع أسمائه باستثناء تلك التي يختص الله بعلمها، فنتمّ ولايته.

الثالثة: (السفر من الحق إلى الخلق بالحق): وفي هذه المرحلة يحصل السالك - بعد مشاهدة عالم الجبروت (عالم العقل)، وعالم الملكوت (عالم الباطن)، وعالم الناسوت (عالم الطبيعة) - على نصيب من النبوة، إلا أنها ليست نبوة تشريعية، ويتعين عليه أن يأخذ أحكامه من النبي المطلق، فلا يمكنه الإخبار إلا بأسماء الله وصفاته. وفي هذه المرحلة يعود للعيش بين الناس.

الرابعة: (السفر بالحق في الخلق): وفي هذه المرحلة يُشاهد السالك الخلائق وآثارها ولوازمها، ويدرك منافعها وأضرارها في الدنيا والآخرة، ويصل إلى مقام استلام الوحي والنبوة، ويمارس مهمته في إرشاد وهداية الناس، والأخذ

(١) انظر: عبد الله جوادي آملی، ده مقاله بیرامون مبدأ ومعاد، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

بأيديهم إلى الحق^(١).

فإنّ هذه الأسفار الأربعة مترتبة على بعضها، ويجب أن يكون هناك شخصٌ من بين ركب القافلة الإنسانية من يصل إلى المرحلة الرابعة ليتولى قيادة تلك القافلة في مسارها وسلوكها. وذلك الشخص هو النبيّ أو الرسول المؤيّد بالوحي، وعليه لكيلا يبقى الناس في سيرهم وسلوكهم إلى الله دون إمام يعمل على هدايتهم وتوجيههم، ولكيلا يبقون على جهلهم بالمعارف الإلهية، ومعرفة المصالح والمفاسد، كان الوحي ضرورياً^(٢). ذهب السيد حيدر الأملي - وهو من مشاهير عرفاء القرن الهجري الثامن - إلى القول بأنّ ضرورة الوحي تكمن في الإخبار عن الحقائق الإلهية، وذلك حيث يقول: (إعلم أنّ النبوة عند هذه الطائفة هي: الإخبار عن الحقائق الإلهية. أي: معرفة ذات الحقّ تعالى وصفاته وأحكامه)^(٣).

وقد ورد هذا التفسير لضرورة الوحي والنبوة في كلمات عرفاء آخرين، فمثلاً قال الإمام الخميني (قده) في هذا الشأن: (إنّ جميع أهداف الأنبياء (عليهم السلام) تعود إلى معرفة الله، فكلّ ما يقع في الدنيا وما كان الأنبياء يصدّد البحث عنه وكشفه هو حقيقة الباري تعالى)^(٤).

(١) انظر: صدر الدين محمد الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، مع حاشية السبزواري، ج ١، ص ١٣، التعليقة رقم: ١. وكذلك مرتضى المطهري، الأعمال الكاملة، نظري إجمالي به سير فلسفة در اسلام، ج ٥، ص ١٥٣.

(٢) عبد الرزاق فياض اللاهيجي، كوه مراد، ص ٣٦٢ - ٣٦٣، وكذلك كتابه: نصّ النصوص في شرح فصوص الحكم لمحيي الدين بن عربي، ص ١٤٨.

(٣) السيد حيدر الأملي، جامع الأسرار ومنيع الأنوار، ص ٣٧٩.

(٤) الإمام الخميني، صحيفة النور، ج ٧، ص ٢٥٠.

تقد ومناقشة

إنّ التفسير المتقدم لم يكن يرمي إلى بيان جميع عناصر الحاجة إلى الوحي، وانحصاره في التعريف بأسماء الله وصفاته، وهداية الناس إلى التقرب من الله. وإنما عدّ ذلك عنصراً رئيساً من عناصر الحاجة إلى الوحي^(١). والشاهد على ذلك جهود أشخاص مثل الإمام الخميني (قده)، فإنه رغم كلامة الذي ذكرناه آنفاً والذي يحصر فيه جميع مقاصد الوحي والأنبياء بمعرفة الله، يعتمد إلى قيادة أكبر ثورة في القرن العشرين وقيم الحكومة الإسلامية من خلال توظيف تعاليم الوحي والسماء. وطبعاً فإنّ هذا الاستدلال لا يحدد مقدار حاجة الإنسان إلى الوحي.

٣- التكليف الإلهي والحاجة إلى الوحي

استدل متكلمو الشيعة والمعتزلة على ضرورة الوحي على أساس من حسن التكليف من عدة طرق عقلية. ومن بينها الاستدلال عليه طبقاً لقاعدة الحسن والقبح العقلي، والذي تمت صياغته منذ عصر الشيخ الطوسي إلى هذا اليوم بأشكال مختلفة. ويمكن بيانه على النحو الآتي:

المقدمة الأولى: إنّ تكليف الله للعباد حسن من الناحية العقلية؛ لأنه الطريق الوحيد إلى تكامل الإنسان (حسن التكليف).

المقدمة الثانية: إنّ قاعدة اللطف^(٢) توجب على الله سبحانه أن

(١) انظر: مرتضى المطهري، الأعمال الكاملة، ج ٧، ص ١٢٢.

(٢) فيما يتعلق بقاعدة اللطف، انظر: محمد بن محمد بن نعمان الكعبري (الشيخ المفيد)، النكت الاعتقادية، ص ٣٥. والحسن بن يوسف الحلبي، كشف المراد في تجريد الاعتقاد، ص ٢٢٤. ومحسن الخرازي، قاعده لطف از نظر متكلمان وفلاسفة، مذكرة الحكيم اللاهيجي، سلسلة من الكلمات والمقالات، ص ٣٦٠ - ٣٨٣.

يوفر للإنسان جميع العناصر المؤثرة في تكامله^(١) (وجوب اللطف على الله).

نتيجة المقدمة الأولى والثانية: يجب على الله تكليف العباد بالقيام بصالح الأعمال، واجتتاب الأعمال القبيحة.

المقدمة الثالثة: إن تكليف العباد يقتضي نزول الوحي؛ وذلك لأن الإنسان عاجز عن بلوغ تلك الأحكام بعقله المحدود.

النتيجة: يجب على الله إرسال الوحي، فيكون الوحي ضرورياً^(٢).

فإن جزءاً من هذا الاستدلال يمكن أن نجده في كلام الإمام علي^(عليه السلام)، وذلك حيث يقول: «أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى لما خلق خلقه، أراد أن يكونوا على آداب رفيعة، وأخلاق شريفة، فعلم أنهم لم يكونوا كذلك إلا بأن يعرفهم ما لهم وما عليهم، والتعريف لا يكون إلا بالأمر والنهي»^(٣).

نقد ومناقشة

إن استدلال المتكلمين على ضرورة الوحي تام إلى حد ما، ولكنه لا يستطيع تحديد حاجة الإنسان إلى الوحي بشكل دقيق؛ وذلك لأنه يقصر

(١) انظر: الحسن بن يوسف الحلبي، كشف المراد في تجريد الاعتقاد، ص ٣١٩.

(٢) انظر: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الاقتصاد: الهادي إلى طريق الرشاد، ص ١٥٢ - ١٥٣. وكذلك: مرتضى علم الهدى، الذخيرة، ص ٢٢٢. والحسن بن يوسف الحلبي، كشف المراد في تجريد الاعتقاد، ص ٣٤٨.

(٣) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥، كتاب العدل والمعاد، الباب: ١٥، الحديث: ١٣، ص ٣١٦.

الحاجة إلى الوحي ببيان الأحكام فقط، هذا في حين أنّ حاجة الإنسان إلى الوحي لا تنحصر في الأحكام فقط^(١).

وهناك بالإضافة إلى ما تقدم استدلالات أخرى مذكورة في الكتب الكلامية، لا نرى ضرورة إلى ذكرها بالتفصيل، من قبيل: الاستدلال من طريق حاجة الإنسان إلى مطلق المعرفة، وهو الاستدلال المنسوب إلى الإسماعيلية، أو الاستدلال من طريق ضرورة هداية الفطريات وتعديل الفرائز^(٢). ولا شيء من هذه الاستدلالات التي صدع بها المتكلمون مستوعبة لجميع أبعاد حاجات الإنسان إلى الوحي.

٤- كمال الإنسان والحاجة إلى الوحي

في تفسير حاجة الإنسان إلى الوحي، من الضروري أن يتمّ الالتفات إلى كمال الإنسان^(٣) بوصفه هدفاً من الخلق، وعدم تمكنه من بلوغ ذلك الهدف، والحكمة الإلهية في إعداد الأرضية والعناصر التي يحتاجها الإنسان في هذا السياق؛ وعلى هذا الأساس فإنّ حاجة الإنسان إلى الوحي وضرورته تثبت من خلال المقدمات الآتية^(٤):

(١) هناك من المفكرين من أشكل على هذا الاستدلال بسبب طوله وكثرة تشعباته، وأثار حوله التساؤلات الآتية: هل أصل الحسن والقبح العقلي مسألة اعتبارية أم حقيقية؟ وما هي جذور حكم العقل بالحسن والقبح؟ وما هو مدى قدرة العقل على إدراك الحسن والقبح؟ وما هو منشأ قاعدة اللطف؟ (انظر: محمد تقي مصباح اليزدي، راهنما شناسي، ص ٢٥٢).

(٢) جعفر السبحاني، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، ص ٣٩ - ٤٧.

(٣) لقد اهتمّ الخواجة نصير الدين الطوسي في ضرورة الوحي بمسألة كمال الإنسان أيضاً. (انظر: الخواجة نصير الدين الطوسي، اخلاق ناصري (الأخلاق الناصرية)، ص ٢٥٢).

(٤) فيما يتعلق بهذا البرهان، انظر: ظهير الدين الراوندي، عجالة المعرفة في أصول الدين،

المقدمة الأولى: الهدفية من خلق الإنسان

إنَّ لله سبحانه وتعالى - بناءً على حكمته - هدفاً من وراء خلق عالم الوجود ومنه خلق الإنسان أيضاً، وليس ذلك الهدف بطبيعة الحال جبر نقص أو رفع حاجة؛ لأنَّ الله غني عن غيره مطلقاً^(١)، وإنما الهدف من خلق الإنسان هو إيصاله إلى ما يُناسبه من الكمال، ويتمثل ذلك الكمال بالقرب الإلهي والاتصاف بصفاته.

المقدمة الثانية: اختيارية الكمال الإنساني

على الرغم من أنَّ الإنسان بالقياس إلى سائر المخلوقات الأخرى يتمتع بقوى ومواهب أكثر، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾^(٢) إلا أنَّ كماله الحقيقي رهن بأعماله وسلوكيته الاختيارية.

المقدمة الثالثة: حاجة الإنسان إلى معرفة مسار الكمال

إنَّ انتخاب مسير الكمال بالإضافة إلى القدرة واتخاذ القرار بحاجة إلى شرط مهم آخر أيضاً، وهو المعرفة والإدراك الكافي؛ وذلك لأنَّ الاختيار الحر

تحقيق: محمد رضا الحسيني الجلالى، ص ٣٥. ومحمد تقي مصباح اليزدي، راهنما شناسي، ص ٢٧ - ٣٦. وكتابه: معارف قرآن ٤ (راه شناسي)، ص ١٠ - ١٩. وجعفر السبحاني، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، ص ٤٧ - ٤٩. وأحمد أمين، التكامل في الإسلام، ج ١، ص ١٦٦.

(١) بل إنَّ هدف الخلق بمعنى أنَّ الله لما كان مبتهجاً بذاته، فهو بطبيعة الحال محبٌ لأثاره الوجودية، وقد أضحى هذا الحب سبباً في ظهور الخلق، وهو في ذلك يحبُّ لجميع مخلوقاته ومنها الإنسان أن تبلغ الكمال الممكن.

(٢) الإسراء: ٧٠.

إنّما يتحقق في صورة معرفة الإنسان بمختلف الطرق والمفاضلة بينها.

المقدمة الرابعة: عجز الأدوات المعرفية العامة عن تحديد طرق الكمال

إنّ لدى الإنسان أدوات معرفية مختلفة، فالمعرفة الحسيّة والمعرفة العقلية من الأدوات المعرفية الاعتيادية والعامة لدى الإنسان، وإنّ تقييم هاتين الأداتين المعرفيتين، وكيفية وظيفتهما تثبت أنّ المعارف الحاصلة منهما لم تكن كافية في التعرف على الطرق المؤدية إلى الكمال الإنساني، وهي عاجزة عن بيان ما يحتاجه الإنسان من المعارف، وخاصة ما كان يتعلق منها بمعرفة ارتباط السلوك الإنساني بنتائجه الأخروية، وتحديد علاقة الإنسان بنفسه وخالقه، وعلاقته بأبناء جلدته، والطبيعة التي يعيش فيها بما يتناسب وكماله؛ لأنّ الإدراك الحسي محدود - إثر ارتباط الحواس الظاهرية بالعالم المادي - بالأمر المادية، فهو يعمل على جلاء طبيعة العلاقة القائمة بيننا وبين الحياة المادية إلى حدّ ما. في حين أنّ حياة الإنسان لا تقتصر على الأمور المادية فقط، كما إنّ أقصى ما يمكن للعقل أن يقوم به هو بيان العلاقة العامة والمعارف الإجمالية التي لا تجدي شيئاً على المستوى العملي.

وأما الإدراكات التجريبية التي نحصل عليها من خلال التعاون بين الحسّ والعقل، فلا تجدي إلّا على نحو محدود جداً؛ وعلى هذا الأساس فإنّ الأدوات المعرفية العامة وإن كانت ضرورية في حياة الإنسان، إلّا أنّها غير كافية في التعرف على مسار الكمال في جميع الأبعاد والشؤون، وفي كافة الأزمنة والأمكنة، فلا تستطيع على الدوام تحديد ما هو الطريق الذي يؤدي إلى السعادة، وما هو السبيل الذي يفضي إلى الشقاء. فقد أثبتت التجربة التاريخية أنّ الإنسان - طوال آلاف السنين من حياته على الأرض، ورغم الإنجازات التي حققها في كشف المجهولات الطبيعية - لا يزال عاجزاً عن حلّ المعضلات الأخلاقية المرتبطة ببُعد حياته المعنوية، فما ظنك بما يرتبط بالعلاقة بين

الدنيا والآخرة التي هي خارج دائرة المعرفة البشرية.

النتيجة

ندرك من خلال هذه المقدمات أنّ الحكمة الإلهية تقتضي أن يكون هناك طريق معرفي آخر غير العقل والحسّ، ليستطيع الإنسان من خلاله الوصول إلى الكمال المطلوب، وذلك الطريق المعرفي منحصر بـ (الوحي). ولولا هذا الطريق لن يحصل الإنسان على المعرفة الضرورية، وبالتالي لا تصدر أعماله عن اختيار واعٍ، ولن يصل إلى التكامل المطلوب، ولن تتحقق غاية الله سبحانه وتعالى وإرادته من الخلق.

مسألتان

إنّ للبرهان الذي نتبناه - بالقياس إلى البراهين الأخرى - ميزتين رئيسيتين، وهما:
 ١- إنّ هذا البرهان يمكن أن يُستبطن من بعض آيات القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مَّبَشُرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(١).

إذ يُستفاد من هذه الآية أنّ معرفة الإنسان العادية لا تكفي في هدايته إلى الكمال، إذ تقرر أنّ بإمكان الإنسان في حال عدم بعث الأنبياء أن يحتج على الله تعالى بأنك خلقتنا للوصول إلى الكمال، ولكنك لم توفر لنا أداة معرفية قادرة أو كافية في إظهار الطريق المؤدية إلى بلوغ الكمال، وعليه فنحن معذورون في الانحراف عن جادة الصواب. وقد صرّح الله تعالى بهذه الحقيقة إذ قال في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بَعْدَ مَا مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنُحْزَى﴾^(٢).

(١) النساء: ١٦٥.

(٢) طه: ١٣٤.

في حين لو كانت الأدوات المعرفية البشرية الاعتيادية كافية في بلوغ الإنسان إلى الكمال والسعادة لما صحَّ هذا الاحتجاج، ولما كان مقبولاً منهم.

وقال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١)، بمعنى: لو أنهم كانوا يعرفون الشأن الربوبي لله عزَّ وجلَّ، لأدركوا أنَّ حكمة الله تعالى تقتضي أن يُنزل على إنسان منهم وحيًا، ليعمل على هدايتهم نحو الطريق المؤدية إلى كمالهم.

٢- مضافاً إلى عدم تعرُّض هذا البرهان لما تعرَّضت له البراهين السابقة من الإشكالات، فإنَّه أولاً: يثبت شمولية ودوام الحاجة إلى الوحي، إذ استند فيه إلى تكامل الناس، وقصور المعرفة البشرية، وهما مسألتان عامتان ودائمتان. وثانياً: يدل على اشتغال وحي السماء على جميع الأمور التي يحتاجها الإنسان في نيل السعادة والكمال.

خلاصة الدرس

١- إنَّ ضرورة الوحي مسألة تبحث خارج الأطر والنصوص الدينية، ويتم تداولها من قبل المؤمنين والمعتقدين بالله وبالأمور المعنوية والروحية.

٢- هناك من المدارس والمذاهب الفكرية، من قبيل: البراهمة، والربوبيين، وأشخاص من أمثال مجمّد بن زكريا الرازي من استند - في إنكار الحاجة إلى الوحي - إلى إمكانية الفكر البشري على تلبية جميع الاحتياجات الإنسانية.

٣- لقد توهم البراهمة أنَّ الوحي إذا وافق العقل لما كانت هناك حاجة إليه، وإذا خالف العقل فهو مرفوض، في حين أنَّ معارف الوحي يمكنها أن تكون في بعض الأحيان مؤيدة لما يتوصل إليه الإنسان بعقله، وعلاوةً على ذلك

فإنّ العقل ليس له طريق إلى بلوغ بعض معارف الوحي.

٤- خلافاً لرأي محمّد بن زكريا الرازي فإنّ الناس غير متساوين في المواهب والقدرات، هذا أولاً. وثانياً: كان الأنبياء على الدوام دعاة صلح وسلام، وإذا حدث أن احتدمت حرب فإنما كانت للدفاع، أو تحرير الناس من سطوة الجائرين والجبابة.

٥- استدل العلماء والمفكرون على ضرورة الوحي بعدة أدلة، إلا أنّ نقطة الاشتراك بينها تكمن في القول بأنّ الإنسان لا يستطيع حلّ جميع مشاكله أو تلبية جميع احتياجاته إلاّ من خلال الاستعانة بالوحي. وطبعاً فقد استند كل واحد منهم في استدلاله إلى جانب من احتياجات الإنسان.

٦- يؤكّد الحكماء في إثبات ضرورة الوحي على اجتماعية الإنسان، وعجزه عن وضع القوانين وتطبيقها. ويرد عليه أنّه تفسير دنيوي للوحي والنبوة، مضافاً إلى أنّه يثبت عدم حاجة الإنسان الأول إلى الوحي والدين.

٧- ينطلق العرفاء في إثبات ضرورة الوحي من معرفة الله والسير إليه، ولهذا السير والسلوك أربع مراحل. ويجب أن يكون هناك من يصل إلى المرحلة الرابعة؛ ليتولى قيادة القافلة الإنسانية في مسارها وسلوكها مستعيناً بالوحي الإلهي.

٨- إنّ مقدّمات استدلال المتكلمين على ضرورة الوحي كالآتي:

أ - حسن التكليف.

ب - ضرورة لطف الله بالعباد.

ج - وجوب تكليف الله للعباد.

د - حاجة التكليف إلى الوحي.

٩- من خلال هذه المقدّمات التي تثبت حاجة الإنسان إلى الوحي، يتضح ما يلي:

- أ - هناك هدف من وراء خلق الإنسان.
- ب - اختيار الإنسان وحرية في عملية التكامل.
- ج - حاجة الإنسان إلى الوعي والإدراك الكافي.
- د - قصور الأدوات المعرفية العامة لدى الإنسان عن الوصول إلى الطريق المؤدية إلى الكمال.

أسئلة نموذجية

- ١- بيّن استدلال البراهمة على عدم الحاجة إلى الوحي مع نقده.
- ٢- اذكر تبرير محمد بن زكريا الرازي لاستغناء الإنسان عن الوحي، وجوابه.
- ٣- اذكر استدلال الحكماء على ضرورة الوحي، وبيّن ما فيه من النقص.
- ٤- اشرح دليل المتكلمين على حاجة الإنسان إلى الوحي.
- ٥- استدل على حاجة الإنسان إلى الوحي.

واحة المصادر

- ١- أبو نصر محمد الفارابي، السياسة المدنية، ترجمة وتهميش: السيد جعفر السجادي، ص ١٥٦.
- ٢- أبو نصر الفارابي، أفكار أهل المدينة الفاضلة، ترجمة: السيد جعفر السجادي، ص ٣٥١ - ٣٥٣.
- ٣- أبو علي بن سينا، النجاة، ص ٤٩٨ - ٥٠٢.
- ٤- ابن سينا، الشفاء: الإلهيات، ص ٤٤١ - ٤٤٣.
- ٥- نصير الدين محمد الطوسي، تلخيص المحصل، ص ٤٥٧.
- ٦- عبد الكريم الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام، ص ٤١٧ - ٤١٨.

٧- السيد الشهيد محمد باقر الصدر، الموجز في أصول الدين، تحقيق عبد الجبار الرفاعي، ص ٢٢٣ - ٢٣١.

٨- الشهيد مرتضى المطهري، الأعمال الكاملة، ج٤ (النبوة)، ص ٣٧٢ - ٤٠٠.

تحقيق

اشرح دليل الفارابي وأبي علي بن سينا على ضرورة الوحي، مقارناً بينهما.



الدرس الرابع

المنشأ الإلهي للوحي

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

- ١- أن ينتقد الرواية التي تذهب إلى اعتبار الوحي نتيجة للصرع أو الجنون.
- ٢- إنَّ الفارق بين الوحي، وإبداعات النوايغ.
- ٣- أن يتمكن من إثبات أنَّ الوحي ليس تجلياً لنفس النبي.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾^(١) ، ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾^(٢) ، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(٣) .

أثبتنا في الدرسين السابقين أنَّ الارتباط بين الإنسان والخالق تعالى ممكن، بل ضروري وواجب، وقد شهد التاريخ ظهور أشخاص ادَّعوا نزول الوحي عليهم، وجاؤوا بأحكام وعلوم لا يمكن الحصول عليها من القنوات العلمية العادية. وقد شفعوا ادَّعاءهم هذا باجتراح المعاجز والأعمال الخارقة، ودعوا الآخرين إلى التعاون معهم في إرساء دين الله وشريعته؛ ومع ذلك كان هناك - كما تشير الآيات المتقدمة - على الدوام من تنكَّر للوحي، وسعى إلى وصم الأنبياء (عليهم السلام)

(١) الذاريات: ٥٢.

(٢) ص: ٤.

(٣) الفرقان: ٨.

بالجنون، ورماهم بالأمراض النفسية، وحبّ الجاه، واختلاق الكذب.

وهناك في المقابل من جنح إلى تفسير الوحي باعتباره أمراً عادياً ومادياً، وأنه ليس من الله سبحانه وتعالى. والملفت للانتباه أنّ ما يحاول منكرو الوحي قوله حالياً ويعتبرونه علمياً بزعمهم، يشبه ما كان يقوله أعداء الأنبياء (عليهم السلام) في الأزمنة الغابرة إلى حدّ كبير.

وقد تعرّض القرآن الكريم في بعض آياته إلى نماذج من هذه الموارد مع الإجابة عنها. وفي هذا الدرس سوف نناقش تلك التحليلات والتفسيرات الخاطئة التي تعود في حقيقتها إلى إنكار الوحي.

١- الوحي من آثار الصرع والجنون

بعد مضي قرون من اعتقاد الغرب المسيحي بالوحي، ظهرت العلوم الجديدة في القرن السادس عشر للميلاد لتبحث في كل ظاهرة عن عللها وأسبابها المادية، فذهب بعض العلماء المسيحيين إلى إنكار الروح الإنسانية، وأنكر تبعاً لذلك كل ما له علاقة بارتباط الإنسان بالغيب، واعتبار الوحي خرافة من مخلفات العصور الغابرة، والقول بأن الأنبياء (عليهم السلام) كانوا يعانون اختلالات واضطرابات نفسية. وانطلاقاً من هذه الرؤية ذهب بعض المستشرقين - متذرعاً بالحالة التي كانت تعترى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) عند نزول الوحي السماوي عليه - إلى القول بأن هذه الظاهرة ناجمة عن نوع من الأمراض النفسية أو داء الصرع^(١).

لقد صرح القرآن الكريم بأن الأمم - التي بعث الله الأنبياء لدعوتها وهدايتها إلى اتباع أحكام الوحي ومعارفه - كانت تتهم الأنبياء بالسحر والجنون، وهناك من الآيات الشريفة ما يصرح بأن هذه التهمة قد ألصقت بجميع الأنبياء (عليهم السلام)، وكأنها وصفة جاهزة بأيديهم. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾^(٢).

نقد ومناقشة

إن هذا التحليل والتفسير للوحي النبوي لا يمكن أن يكون صحيحاً بحالٍ من الأحوال؛ إذ ليس هناك أي دليل أو شاهد على أن النبي الأكرم

(١) انظر: مونتيفرمي واط، محمد: بيامبر سياستمدار، ص ٢٢. وجان ديون يورت، عذر تقصير به بيشكاه محمد وقرآن، ترجمة: السيد غلام رضا سعدي، ص ١٥. ومحمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج ١٠، ص ٧١٢ - ٧١٣.

(٢) الذاريات: ٥٢.

(ﷺ) كان يعاني من داء الصرع أو أي مرضٍ نفسي آخر؛ من هنا فقد برز هناك من أشكال على من يلصق هذه التهمة برسول الله (ﷺ) حتى من بين العلماء المسيحيين أنفسهم، فقالوا: ليس هناك ما يثبت أنّ النبي محمداً (ﷺ) كان يعاني من الجنون أو الصرع^(١).

كما أننا سنتحدث في معرض الحديث عن حالات النبي الأكرم (ﷺ) أثناء نزول الوحي عليه بالتفصيل، ولكن على أساس بعض الروايات كان النبي عند نزول الوحي يحمّر وجهه، ويتفصد العرق من جبينه، إلا أنّ هذه الحالة؛ أولاً؛ إنّما كانت تحدث أثناء نزول الوحي، وليست في سائر الحالات.

وثانياً؛ طبقاً للمروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) فإنّ تلك الحالة إنّما كانت تعترى النبي أثناء نزول الوحي المباشر عليه، ونصّ الرواية كالآتي: (عن عبيد ابن زرارة عن أبيه، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): جعلت فداك، الغشية التي كانت تصيب رسول الله (ﷺ) إذا نزل عليه الوحي؟ قال: فقال: «ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلى الله له»^(٢)).

وثالثاً؛ إنّ هذه الحالة لا تنطبق عليها أيّ من أعراض وآثار الصرع أبداً. فالمصاب بداء الصرع تظهر عليه انفعالات غير طبيعية، وحركات غير متوازنة

(١) انظر: مونتيغمري واط، محمّد: بيامبر سياستمدار، ص ٢٢. وقال جان ديون يورت: (إنّ ما يتكرر اجتراره من أنّ محمداً كان يعاني من تأثيرات مرض الصرع، إنّما هو من الكلمات الناشئة التي كان يرددها اليونانيون بهدف اتهام النبي وتشويه سمعته لتنفير الناس والعالم المسيحي منه؛ لكيلا يستمعوا إلى أقواله)، (عذر تقصير به بيشكاه محمّد وقرآن، ترجمة: السيد غلام رضا سعیدی، ص ١٥ - ١٦).

(٢) العلامة محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٥٦، ح ٦. وسيكون لنا كلام حول هذا الموضوع في الدرس الثامن إن شاء الله تعالى.

تمسّ بكرامته، وبعد استعادة رشده لا يستذكر ما صدر عنه من هذيان. وهذا ما لم يثبت له لنا تاريخ سيرة النبي الأكرم (ﷺ)، بل على العكس من ذلك فإن رسول الله (ﷺ) كان بعد انقسام الوحي عنه يحفظ جميع ما قاله الوحي، فيبادر إلى نقله إلى الناس وإلى كتاب الوحي دون زيادة أو نقصان، ثم يقوم على تفسيره وشرحه بكلّ هدوءٍ وطمأنينة، ويدعو الناس إلى التزام الصدق وامتنال أوامر الوحي الإلهي.

ورابعاً: إنّ الذي يعاني من داء الصرع لا يستطيع قيادة الألوف المؤلفة من الرجال والنساء، واستتقاذهم من مستقع البؤس والجهالة، وهدايتهم إلى السعادة، ويجعل من جحافل العلماء وجهابذة المفكرين أتباعاً له يفخرون بانتمائهم لتعاليمه، وأن يأتي بكتابٍ فريد من جميع الجهات، فلا يستطيع جميع الناس أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيراً.

قال المستشرق المنصف مونتغمري واط: (جاء محمد بأفكار شديدة الصلة بحاجة الإنسان الأساسية، ولم يقتصر دينه على عصره، بل تعدّى حدود الزمان، وظل محطّ أنظار الأجيال المتلاحقة عبر القرون .. وقد تمكن بتوفيق الله من اجتذاب ملايين الناس إلى دين أفضل من أديانهم السابقة، ونطقوا بأجمعهم بشهادة أن "لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله" ^(١)).

٢- الوحي نتاج النبوغ الإنساني

كما تقدم أن ذكرنا، فإنّ ظهور العلوم الجديدة أدّى إلى إنكار كافة أنواع ارتباط الإنسان بالغيب؛ وعلى هذا الأساس عمد بعض علماء الغرب إلى القول بأن الأنبياء - وعلى رأسهم النبي الأكرم (ﷺ) - كانوا عباقرة في

(١) وليم مونتغمري واط، محمد: بيامبر سياستمدار، ص ٣٠٠.

السياسة، وأنهم ادّعوا النبوة والارتباط بالوحي كذباً من أجل الوصول إلى أهدافهم في اجتذاب الناس والتأمر عليهم^(١). فإن ما كانوا يسمّونه وحياً إلهياً لم يكن سوى نتاج عبقرية ونبوغ بشري كانوا يتمتعون به، وليس له من مصدر سوى العقل الإنساني.

وقد عمد بعض المسلمين إلى تلقف هذه التهمة بعد تخفيف حدتها من خلال إضافة بعض توابل الاحترام عليها، فقالوا: إن الأنبياء كانوا يتمتعون بعلو الهمة، فاستعانوا بعبقريتهم الفذة ونبوغهم الفريد للوصول إلى معارف وأحكام قالوا إنها وحياً إلهياً، ووظفوا ذلك من أجل إنقاذ مجتمعاتهم الإنسانية من الانحدار في هاوية الانحطاط والسقوط الأخلاقي، وهدايتهم إلى السعادة والصلاح. قال مؤلف كتاب ثلاثة وعشرون سنة^(٢): (علينا أن ننظر إلى مسألة رسالة الأنبياء من زاوية أخرى، واعتبارها نوع خصوصية روحية وذهنية غير عادية، فمثلاً قد ظهر بين المحاربين عبر التاريخ شخصيات فذة من أمثال كوروش وقيصر وغيرهما، فقاموا ببطولات دون أن يتلقوا تعليمات عسكرية خاصة، وفي عالم العلم والفن برز أشخاص من أمثال ألبرت أنشتاين وأورسطو وأديسون وغيرهم. ومئات العلماء والفلاسفة والفنانين والمخترعين والمكتشفين أناروا العالم وتاريخ الحضارات ونبوغهم وعبقرياتهم. فلماذا لا يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى الأنبياء، فتكون مسألة الوحي عبقرية خاصة يتحلّى بها بعض أفراد البشرية)^(٣).

(١) المصدر المتقدم، ص ٢٩٠ وكذلك:

.W. Montgomery Watt, Bell's Introduction to The Quran, p. ١٧

(٢) عنوانه بالفارسية: بيست و سه سال.

(٣) بيست و سه سال، ص ٢٧، نقلاً عن: مصطفى الحسيني الطباطبائي، خيانت در كزارش

وطبقاً لآيات القرآن الكريم فقد كانت الأمم الغابرة تتهم الأنبياء (ﷺ) بالسعي إلى الاستعلاء، وإنهم إنما يدعون الارتباط بالوحي الإلهي كذباً. قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾^(١). وكذلك كان كبار حاشية فرعون يقولون طبقاً لتقرير القرآن الكريم عنهم، إذ يقول تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٢). وكان هناك أيضاً أشخاص آخرون اتهموا نبيهم بالكذب، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾^(٣).

نقد ومناقشة

إننا لو راجعنا تاريخ الأنبياء، ودرسنا سلوكهم وقرأنا كلماتهم، لوجدنا هناك اختلافاً كبيراً بينهم وبين العباقره والنوابغ والساسة؛ وعلى هذا الأساس لن يغدو بإمكاننا اعتبارهم مجرد نوابغ أو رجال سياسة ودهاء. وفيما يأتي عرضٌ ببعض هذه الاختلافات:

١- إن أفكار وآراء السياسيين والعباقره لا تخلو من الخطأ، فهي على الدوام عرضة للتغيير والتحول، بل والتعارض والتناقض أحياناً، في حين لا نجد من ذلك شيئاً في كلام الأنبياء (ﷺ)؛ إذ لا نجد هناك أخطاءً أو تعارضاً أبداً. فلا هناك اختلاف بين الأنبياء في العقائد، ولا

تاريخ، وهو في نقد كتاب: بيست وسه سال، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(١) المؤمنون: ٢٤.

(٢) يونس: ٧٨.

(٣) ص: ٤.

اختلاف الشرائع يستلزم الخطأ أو عدم الانسجام^(١)، ولا نرى اختلافاً بين تعاليم النبي الواحد، قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢).

٢- خلافاً للعباقرة والنوابغ فإن الأنبياء (عليهم السلام) يحصلون على المعارف والعلوم السامية واليقينية - فيما يتعلق بالمبدأ والمعاد، ومصير الإنسان - فجأة ودفعة واحدة، ودون مقدمات تعليمية أو طبيّ مراحل دراسية. فقد عرّف القرآن الكريم نبينا الأكرم محمداً (ﷺ) بأنه لم يدرس شيئاً من الكتب والعلوم السابقة^(٣)، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾^(٤).

٣- إنّ دراسة محتوى رسالات الأنبياء وكتبهم تثبت أنّ المعارف والعلوم التي جاؤوا بها تشتمل على مختلف أبعاد الوجود والإنسان، في حين لا يستطيع العبقرى أن يحيط بجميع تلك الأبعاد، ويتحدّث عنها بكلام منسجم وخالٍ من التهاافت.

(١) وإذا شوهد اختلاف بين الشرائع السماوية، فإنه يعود في جزء منه إلى تمرّد العلماء على تعاليم الكتب السماوية وتحريفها، أو إنّ جانباً من هذه الاختلافات يعود إلى الأحكام الجزئية التي تخضع في ضرورة تغييرها إلى الظروف الزمانية، فتختلف باختلافها. وفي هذا الشأن انظر: محمد تقي مصباح اليزدي، معارف قرآن ٤ (راه شناسي)، ص ٢٢٥ - ٢٣٥.

(٢) النساء: ٨٢.

(٣) انظر: الأعراف: ١٥٧ و ١٥٨.

(٤) الشورى: ٥٢.

٤- إن الأنبياء (عليهم السلام) لم يلجأوا في إثبات نبوتهم إلى عبقريتهم الذاتية، بل أثبتوا ذلك من خلال اجتراح المعجزات، في حين أن العباقرة والسياسيين إما أنهم لم يدعوا النبوة، أو أنهم إذا ادعوا لم يثبتوها بالمعجز.

٥- طبقاً لبيان القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة - على ما هو مبحوث في دراسة سيرة الأنبياء بالتفصيل - نجد الأنبياء على خلاف العباقرة، يعمدون على الدوام إلى تأييد وتصديق بعضهم بعضاً، ف فيما يتعلق بالقرآن الكريم مثلاً نجد الله تعالى يقول: ﴿نُزِّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(١).

وفيما يتعلق بالنبي عيسى (عليه السلام) نجده مضافاً إلى تأييد التوراة، يبشّر كذلك بمجيء النبي محمد (ﷺ)، وذلك حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^{(٢) (٣)}.

(١) آل عمران: ٣.

(٢) الصف: ٦. كانت تسمية النبي الأكرم بأحمد مشهورة في عصره، من باب المثال جاء في شعر قاله أبو طالب (عليه السلام) في مدح النبي الأكرم:

لقد أكرم الله النبي محمداً
فأكرم خلق الله في الناس أحمداً.

انظر: أبو طالب، ديوان أبي طالب، جمعه وعلق عليه: عبد العاني، ص ٢١٨، القصيدة: ٣، البيت الأول.

(٣) وجاء في الإنجيل: (إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي. وأنا أطلب من الأب، فيعطيكم معزياً أفارقليطاً) آخر، ليمكث معكم إلى الأبد). إنجيل يوحنا: ١٤ / ١٥ - ١٧. وكذلك انظر: يوحنا: ٦ / ١٤ - ١٥ و ١٤ / ٢٥ - ٢٩ و ١٥ / ٢٢ - ٢٦. وهناك من علماء المسلمين من

وفيما يتعلق بالبشارة بمجيء النبي الأكرم (ﷺ) جاء في التوراة نقلاً عن الله: (أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به)^(١).

٦- لا يسع الساسة والعباقرة أن يخبروا عن الغيب باطمئنان كامل وضررٍ قاطع، ولم تتحقق جميع مدعياتهم، في حين أن الأنبياء قد أخبروا عن الحوادث التي ستقع في المستقبل، وقد صدقت جميع نبوءاتهم. ويدهي أن هذا

ذهب إلى الاعتقاد بأن النبي عيسى (ﷺ) قد بشر بمجيء (بارقليطاً) - وهي كلمة سريانية تمّ تعريبها بـ (الفرقليط) - وقد ترجمت في إنجيل يوحنا إلى بريكليطوس (Pericytos) وهي كلمة يونانية تعني: كثير الحمد، وهي تطابق كلمة (أحمد) أو (محمّد) بالعربية، التي هي على وزن (أفعل ومفعّل) صيغة مبالغة من الحمد، ومصداقها من دون شك هو النبي محمّد (ﷺ).

ولكن في الأناجيل التي كتبت بعد الإسلام أخذت هذه المفردة من باراكليطوس (Paracytos) بمعنى (المعزّي) وذهب التصوّر إلى أنها تعني (روح القدس) الذي جاء بعد مدة قصيرة من رحيل النبي عيسى (ﷺ) لتعزية الحواريين. ومن هنا ترجمت إلى الإنجليزية بـ (Advocate) وفي الترجمات العربية بالمعزّي. (انظر: محمّد صادق فخر الإسلام، البيان في نصرّة الإسلام، ج ١، هامش الصفحات: ٩ - ١٥، وج ٥، ص ١٢٩ - ١٨٢. وعبد الأحد داود، محمّد در تورات وانجيل، ترجمة: فضل الله نيك آيين، ص ٢٣٤ - ٢٤٨. وقد تمّ ذلك بداعي تناهي العبارة الأصلية مع تعاليم الكنيسة المسيحية الفتية، التي كانت ترغب في تعريف المسيح عيسى (ﷺ) بوصفه آخر الأنبياء. (انظر: موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص ١٤٨).

(١) العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح: ١٨، الفقرة: ١٨. وكذلك انظر: الإصحاح نفسه، الفقرة: ١٥. تجد الخصائص المذكورة في هذه العبارة (للنبي الموعود) لا تتطبق إلا على النبي محمّد (ﷺ). (انظر: رحمة الله خليل الرحمان الهندي، إظهار الحق، ص ١٦٠ - ١٩٩. وعبد الأحد داود، محمّد در تورات وانجيل، ترجمة: فضل الله نيك آيين. ومحمّد صادق فخر الإسلام، البيان في نصرّة الإسلام، ج ٥، ص ٤٩ - ٦٥ و ١٨٢ - ١٨٦).

لا يمكن أن يحصل إلا من خلال الارتباط بمصدر غير عادي من قبيل الوحي^(١). وفيما يلي نشير إلى نموذجين من هذه الموارد المذكورة في القرآن الكريم، وهما كآلآتي:

الأول: إخبار النبي صالح (عليه السلام) قومه بنزول العذاب بعد عقربهم الناقية، إذ قال الله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَنَّوْا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾^(٢).

وروى ثقة الإسلام الشيخ الكليني في كتابه الكافي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «يا قوم، إنكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرةً، واليوم الثاني وجوهكم محمرةً، واليوم الثالث وجوهكم مسودةً. فلما كان أول يوم أصبحوا ووجوههم مصفرةً .. فلما كان اليوم الثاني أصبحت وجوههم محمرةً .. فلما كان اليوم الثالث أصبحوا ووجوههم مسودةً .. فماتوا أجمعين في طرفة عين .. ثم أرسل الله عليهم مع الصيحة النار من السماء؛ فأحرقتهم أجمعين»^(٣).

الثاني: إخبار النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) باندحار الروم على يد الجيوش الفارسية، ومن ثم اندحار الجيوش الفارسية على يد الروم في أقل من سنة، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿الْم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بضع سنينَ لَهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

(١) السيد أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص ٨١.

(٢) هود: ٦٥.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي، ج ٨ (الروضة)، حديث قوم صالح، ص ١٢٣ - ١٢٤، ح: ٢١٤.

(٤) الروم: ١ - ٤.

روى أبو عبيدة عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال في جوابه عن سؤال بشأن هذه الآيات: «يا أبا عبيدة، إن لهذا تأويلاً لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم من الأئمة: إن رسول الله (ﷺ) لما هاجر إلى المدينة - وقد ظهر الإسلام - كتب إلى ملك الروم كتاباً، وبعث إليه رسولاً يدعو إلى الإسلام، وكتب إلى ملك فارس كتاباً، وبعث إليه رسولاً يدعو إلى الإسلام، فأما ملك الروم فإنه عظم كتاب رسول الله (ﷺ) وأكرم رسوله، وأما ملك فارس فإنه مزق كتابه واستخف برسول الله (ﷺ)، وكان ملك فارس يومئذ يقاتل ملك الروم، وكان المسلمون يهونون أن يغلب ملك الروم ملك فارس .. فلما غلب ملك فارس ملك الروم بكى لذلك المسلمون واغتموا، فأنزل الله .. الآيات المتقدمة»^(١).

٢- الوحي: تجليات نفس الإنسان!

بعد مدة من إنكار الوحي من قبل بعض المفكرين والعلماء في الغرب، عمد بعض العلماء في حقل العلوم الاجتماعية وعلم النفس إلى إعادة النظر في الآراء السابقة في إنكار الوحي، إثر التقدم الحاصل في التحقيقات الجديدة بشأن حقيقة الإنسان وإثبات الروح^(٢). وطبعاً حيث كانت الاكتشافات الإنسانية هي صاحبة اليد الطولى في المجال المعرفي، أضحت التجربة هي المعيار في تفسير كل الأمور، لم ينبج الوحي من الخضوع للتجربة. فعمد بعض العلماء - رغم إيمانهم بصدق الأنبياء - إلى وضع الرسالة الإلهية تحت مجهر

(١) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٤، ص١٠٠، ح١١. وكذلك انظر: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ج٢، ص٦٤٢ - ٦٥٤.

(٢) خاض في هذا الموضوع الكثير من المحققين والعلماء، وآفوا في ذلك الكثير من الكتب، انظر: محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج١٠، ص٧١٣ - ٧١٥.

التحليل التجريبي.

وطبقاً لهذا التحليل الجديد الذي قام على أساس اكتشاف الضمير اللاواعي والشعور الباطني ثبت للعلماء أن الوحي ما هو إلا تبلور لذلك الشعور والشخصية الباطنية والضمير اللاواعي في الإنسان، وليس لها أي منشأ وراء المادة والإنسان، وإن الأنبياء (عليهم السلام) كانوا مصلحين صادقين، قاموا من أجل إنقاذ المجتمع البشري وانتشاله من مستنقع السقوط الأخلاقي، وهداية الناس إلى الطهر والسعادة. وإن هؤلاء الأنبياء كانوا يتمتعون بأرواح شفافة ونقية وهمّة عالية، وإن شدة اهتمامهم بما كانت تعاني منه مجتمعاتهم من الحيف والظلم، إلى اختيار العزلة والتفكير بسبل إنقاذ الناس والمجتمع من البؤس والشقاء. ونتيجة لهذه النزعة التأملية يظهر نور هائل في روح وذهن هؤلاء الأنبياء، وتتبثق سلسلة من الأفكار في ضميرهم اللاواعي، وتخرج إلى وعيهم فتعترهم حالات روحية خاصة، فيتصوّرون ما يعتلج في ضمائرهم من الإلهامات والنداءات الباطنية وحيأ أنزله الله عليهم من خارج كياناتهم، وبالتحديد من العالم الأعلى إلى حيث هم يمكثون في العالم الأسفل. وكانوا يتصوّرون أحياناً أنهم يرون ملكاً، أو يسمعون هاتفاً غيبياً يناجيهم، دون أن يكون هنالك ملك أو هاتف في حقيقة الأمر. وإن كل إنسان إذا فكر بشكل عميق، فإنه سيتوهم مخلوقاته الذهنية وجودات خارجية^(١).

هذا ما ذكره (ادوارد مونته) عن الوحي في مقدمته التي كتبها على ترجمة القرآن الكريم باللغة الفرنسية، المطبوعة عام (١٩٢٩م)، حيث قال:

(١) انظر: جان ديون يورت، عذر تقصيره به ببشكاه محمد وقرآن، ترجمة: السيد غلام رضا

(إنَّ مُحَمَّدًا كَانَ سَلِيمَ الْفِطْرَةِ، كَامِلَ الْعَقْلِ .. صَادِقًا فِيمَا أَدْعَاهُ بَعْدَ اسْتِكْمَالِ الْأَرْبَعِينَ مِنْ سَنَتِهِ، مِنْ رُؤْيَا مَلِكِ الْوَحْيِ.. وَإِنْبَائِهِ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ لِهَدَايَةِ قَوْمِهِ، فَسَائِرِ النَّاسِ)^(١).

كما ذهب (مونتيغمري واط) إلى تفسير الوحي تفسيراً نفسياً، فتوهم الوحي ثمرة تخيل خلاق، فقال: (يتمتع بعض الأشخاص بقوة تدعى (التخيل الخلاق) .. وإن هؤلاء الأشخاص يتمكنون من بيان ما يعجز الآخرون عن بيانه، ويظهرونه بشكل محسوس وملمس. وباعتقادي فإن الأنبياء وأئمة الدين كانوا يتمتعون بهذه القوة وهذا التخيل الخلاق)^(٢).

ولو قلنا بأن الأفكار القرآنية هي أفكار النبي محمد لا نكون قد جانبنا الصواب، رغم تصور النبي محمد - صادقاً فيما بينه وبين نفسه - أنها تأتيه من طريق الوحي)^(٣).

لقد ذكر أصحاب هذا الرأي أدلة وشواهد، سنعمد فيما يلي إلى بيانها وتقددها:

أ - أدلة هذا الرأي

لقد ساق أصحاب هذا الرأي للاستدلال على صحة نظريتهم المقدمات الآتية:

١- إنَّ الله سبحانه وتعالى منزّه عن أن يشغل حيزاً مكانياً؛ وعليه لا يمكن للإنسان المادي والمفتقر إلى المكان أن يتمكن من الارتباط والتواصل

(١) ادوارد مونتيه، نقلاً عن محمد عبده، تفسير المنار، ج ١١، ص ١٥١، دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت، ٢٠٠٥م.

(٢) وليم مونتيغمري واط، محمد: پیامبر سیاستمدار، ص ٢٢.

(٣) المصدر المتقدم، ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

مع ذاته المقدسة.

٢- إنَّ الله سبحانه وتعالى منزَّه عن الخطأ؛ وعليه إذا كان كلام الأنبياء (عليهم السلام) وحياً إلهياً لما أمكن تبرير الخطأ الموجود في كلامهم.

٣- طبقاً لهاتين المقدمتين فإنَّ مدَّعي النبوة الكلامية لم يتلقوا كلاماً من الله سبحانه وتعالى.

٤- إنَّ روح الإنسان وعاء للعلوم والمعارف التي تظهر في ظروف خاصة.

النتيجة: إنَّ ما كان يتصوره الأنبياء (عليهم السلام)، لم يكن سوى علوم يحصلون عليها من خلال التأمل من أجل إنقاذ المساكين من الناس، فتظهر على أسنتهم كصدى لما يختلج في اللاشعور عندهم^(١).

نقد ومناقشة

١- إنَّ تزويه الله سبحانه وتعالى عن التحيز في مكان، لا ينهض دليلاً على التحليل النفسي لكلام الأنبياء؛ وذلك أولاً: كما تقدم في الدرس الثاني، فإنَّ الارتباط السماوي ليس مكانياً ولا مادياً، بل هو روحاني. فعند الوحي إنما تتصل روح النبي بالله وملك الوحي.

٢- ليس هناك أي خطأ في الوحي الإلهي وكلام الأنبياء أبداً^(٢).

٣- لم يقدّم دليل على أنَّ المعرفة الممكنة للإنسان منحصرة بالإدراكات الحسية والعقلية والإلهامات الباطنية.

(١) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج ١٠، ص ٧١٩ - ٧٢٠.

(٢) سيكون لنا في الدروس المقبلة كلام تفصيلي بشأن إثبات عصمة الوحي إن شاء الله تعالى.

ب - شواهد هذا الرأي بشأن الوحي القرآني

لقد عمد المستشرق (اميل درمنفهام) إلى الادعاء: بأن النبي محمداً (ﷺ) قد اعترته في العام (٦١٠م) حالة روحية خاصة، نتيجة لتأثره بالنصارى أيقن إثرها ببطلان العقائد السائدة بين قومه، وحيث كان يعلم أن نبياً سيُبعث لإنقاذ الناس من الضلال، وكان لهذه الظاهرة مصاديق في المناطق الأرضية الأخرى، فكّر في نفسه أن الفرصة مؤاتية لكي يبعث الله وحيه ويمنّ على الناس به وينقذهم من واقعهم البائس. فاعتزل الناس والتجأ إلى غار حراء. فكان يتأمل هناك لساعات وساعات، وكان يسمع أحياناً بعض الأصوات التي تبشره بالرسالة، حتى بلغ به التصور يوماً أنه رأى ملكاً يقول له: (اقرأ)، فقال له: (ما أنا بقارئ) وكان ذلك إيذاناً ببداية نزول الوحي^(١). وإن بعض الشواهد التي يسوقها (درمنفهام) لإثبات تأثر النبي محمداً (ﷺ) بالمسيحية، هي كالآتي:

- ١- لقاء النبي الأكرم في صغره بالراهب المسيحي (بحيرا).
 - ٢- ارتباطه ب (ورقة بن نوفل) وهو من علماء النصارى.
 - ٣- علمه بالبشارة بمجيء نبي من العرب إثر الارتباط التجاري لقريش مع الشام واليمن.
 - ٤- إيمان سلمان الفارسي الذي كان قبل إسلامه مسيحياً.
 - ٥- انتشار المسيحية في شبه الجزيرة العربية^(٢).
- يذهب القرآن الكريم إلى تخطيء معتقد السلف القائم على اعتبار

(١) اميل درمنفهام، حياة محمد، ج ١١، ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) المصدر المتقدم، ص ١٦٩ - ١٧٢. ومحمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص ٦٥ - ٦٦.

النبي الأكرم مسحوراً، وإنه لذلك يتوهم ملكاً يأتيه بالوحي^(١)، وينسب القائلين بذلك إلى الظلم. فمثلاً قال تعالى بشأن موقف المشركين من النبي الأكرم (ﷺ): ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢). وقال أيضاً: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(٣). وفيما يتعلق بموقف فرعون من النبي موسى (ﷺ) قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾^(٤).

كما يعترض القرآن الكريم على التصور الخاطئ الذي يذهب إلى اعتبار النبي محمد (ﷺ) شاعراً يحكي عن أمور لا حقيقة لها بكلمات موزونة، مدعياً أنها وحياً، وذلك حيث يقول تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرِيبُ بِهِ رِيبَ الْمُتُونِ﴾^(٥).

تقدمناقشة

إنّ الشواهد التي أقيمت على إثبات كون الوحي القرآني إرهابات نفسية، لا تُثبت مدعاه^(٦)؛ إذ لا يعدو بعضها أن يكون مجرد توهم، من قبيل:

(١) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ١٨٤.

(٢) الفرقان: ٥ - ٦.

(٣) الفرقان: ٨.

(٤) الإسراء: ١٠١.

(٥) الطور: ٣٠.

(٦) فيما يتعلق بنقد هذه الشواهد، انظر: محمد عبده، تفسير المنار، ج ١١، ص ١٧٢ - ١٧٤.

ومحمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص ٦٩ - ٧٣. ومناع قطان، مباحث في علوم القرآن،

ارتباط النبي محمد ﷺ ب (ورقلة بن نوفل)، وتأثره بتعاليم الدين اليهودي والمسيحي، بسبب انتشار هاتين الديانتين في شبه الجزيرة العربية، وتواجد اليهود والنصارى في مكة، وتحثته^(١) الذي كان شائعاً بين قريش.

وأما سائر الشواهد الأخرى - على افتراض صحتها - فلا يمكنها أن تنهض شاهداً على الإدعاء المذكور^(٢). من قبيل القول بأن النبي الأكرم قد التقى في صغره بالراهب (بحيرا) إذ لا يمكن للقاء قصير من هذا النوع أن يُسفر عن تأثير للنبي بالأفكار المسيحية التي يحملها ذلك الراهب. وإذا كان النبي قد استلهم تعاليم القرآن من الآخرين، لكان خصومه والمتربصين به قد أشاروا إلى ذلك في اعتراضاتهم الكثيرة عليه، كما حصل بالنسبة إلى اللقاء المقتضب الذي حصل بين النبي وذلك الحداد الرومي الذي أشار له المشركون واتهموا النبي بسببه أنه كان يتعلم القرآن منه، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم وفنده بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(٣).

اشرح كيف لا يمكن اعتبار اعتناق سلمان الفارسي للمسيحية قبل إسلامه شاهداً على صحة التحليل والتفسير النفسي للوحي القرآني.

(١) تحث: تعبد واعتزل الأصنام، مثل تحنّف. قال ابن سيدة: (وهذا عندي على السلب، كأنه ينفي بذلك الحث الذي هو الإثم)، قال تعالى: (وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْعُنْثِ الْعَظِيمِ)، والعرب تقول بذلك على وزان: تأثم، أي: استقبح الإثم. انظر: ابن منظور الأفريقي، لسان العرب، ج ٢، مادة: (حَثَّ)، ص ١٦٨، دار صادر، ط ١، بيروت، ١٩٩٧م.

(٢) محمد عبده، تفسير المنار، ج ١١، ص ١٦٩ - ١٧٢. ومحمد رشيد رضا، الوحي المحمدي،

ص ٦٥ - ٦٦.

(٣) النحل: ١٠٣.

والأهم من كل ذلك أنه إذا كان مجرد العزلة والتأمل في الأوضاع المساوية التي تعيشها المجتمعات، يكفي في أن تتفتق قريحة الإنسان عن كلمات مثل تلك التي صدع بها الأنبياء، لماذا لم نشهد بعد النبي الأكرم (ﷺ) - الذي وصف نفسه بأنه خاتم الأنبياء، وكتابه آخر الكتب السماوية - من استطاع أن يأتي بمثل معارف الكتب السماوية وخاصة القرآن الكريم. في حين كان هناك على الدوام مصلحون حملوا هموم مجتمعاتهم، وساءهم ما يرونه من البؤس المعنوي والأخلاقي الذي يسود حياة الناس، وأفنوا عمرهم في البحث عن السبل المناسبة لتغيير ذلك الواقع الاجتماعي المحزن.

القرآن شاهد حي على بطلان التفسير النفسي للوحي

إن القرآن الكريم في حد ذاته شاهد حي وخالد على عدم بشرية الوحي النبوي وبطلان نظرية التحليل والتفسير النفسي للوحي؛ إذ هناك شواهد وأدلة كثيرة على عدم كون القرآن انبعاثات باطنية تفتقت عنها قريحة النبي محمد (ﷺ). وفيما يأتي نستعرض جانباً من تلك الأدلة:

١- إن القرآن الكريم معجزة إلهية^(١)؛ لأنه تحدّى جميع الناس على أن يأتوا بمثله، دون أن ينجح واحد منهم في هذا التحدي رغم الكثير من الجهود والمحاولات الحثيثة في هذا السياق. لقد أمر الله تعالى المشركين قائلاً: إن كنتم تشكون في كون القرآن وحياً، فتعاونوا فيما بينكم وأتوا بمثله^(٢)، أو بعشر سور من مثله^(٣)، أو حتى سورة واحدة من مثله^(٤). فلم يتمكنوا من ذلك

(١) راجع في هذا الشأن: عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص ٢٠ - ٣٢.

(٢) انظر: الطور: ٣٣ - ٣٤.

(٣) انظر: هود: ١٣.

أبدأ. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(١).

إن هذه الآيات تدل على الأمور الآتية:

الأول: إن القرآن وحي إلهي، وهو ينفي كونه بشرياً نفيًا قاطعاً؛ لأن تحدي القرآن الكريم هذا يشمل النبي الأكرم (ﷺ) أيضاً.

الثاني: إن هذا التحدي الإلهي باقٍ على حاله إلى الأبد، وهناك فرصة ودعوة مفتوحة للناس كي يجربوا حظهم في هذا المجال.

٢- مضافاً إلى الآيات التي تتحدث عن نزول القرآن الكريم من عند الله بتعبير من قبيل: النزول، والإلقاء، والقول^(٢)، هناك آيات كثيرة أخرى تدل على أن القرآن ليس نتاجاً بشرياً أو ثمرة لأفكار النبي محمد (ﷺ)^(٣)؛ إذ إننا نجد النبي الأكرم يتعرض لتهديد في بعض هذه الآيات، كما أن بعضها ينسب إلى النبي سلوكاً لا يمكن له أن يسلكه لو كان القرآن من عنده. وإليك بيان تلك الآيات ضمن المجموعات الآتية:

المجموعة الأولى: الآيات التي تقيّد نزول القرآن بإذن الله تعالى، من قبيل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٤).

(١) انظر: البقرة: ٢٣.

(٢) الإسراء: ٨٨.

(٣) سوف نشير إلى هذه الآيات في الدروس القادمة إن شاء الله تعالى.

(٤) انظر: محمد تقي مصباح اليزدي، قرآن شناسي، تحقيق وتدوين: محمود رجبى، الفصل الثالث.

(٥) يونس: ١٦.

أي لو أنكم تتدبرون في الأيام السابقة التي لبثت فيها معكم قبل نزول القرآن، ستدركون أنني لا أستطيع أن آتي بالقرآن من تلقاء نفسي؛ وعليه فإن القرآن معجزة إلهية.

المجموعة الثانية: الآيات التي تشهد أن النبي قبل أن يبعث بالنبوة لم يكن لديه أدنى تصور بنزول الوحي عليه، وحتى بعد نزول الوحي عليه لم يكن ليرى ضماناً لحفظ الوحي واستمرار نزوله عليه، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَاهِرًا لِلْكَافِرِينَ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا * إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾^(٢).

تدل هاتان الآيتان على أن القرآن الكريم لم يكن ثمرة أفكار اعتملت في الضمير اللاواعي للنبي محمد (ﷺ)؛ وذلك لأنه أولاً: لا يرشح من اللاوعي إلا ما كان الإنسان مسبقاً بعلمه، أو أن يعيش مدة طويلة على أمل حصوله وتحققه. وثانياً: ليس لعدم ضمان حفظ الكلام أي موقع للإعراب فيما يتعلق بحفظ الإنسان لأفكاره الشخصية الخاصة.

المجموعة الثالثة: الآيات التي تدل على عدم السماح للنبي بإحداث أي تغيير في القرآن الكريم، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتَرِبُوا بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلُوهُ فُلَّ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ

(١) القصص: ٨٦.

(٢) الإسراء: ٨٦ - ٨٧.

يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١﴾ .

المجموعة الرابعة: الآيات التي تدلّ على قلق النبي الأكرم فيما يتعلق بحفظ عبارات القرآن الكريم، والتي يعده الله فيها بتكفل حفظه، وذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُفَعَّلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(١).

المجموعة الخامسة: الآيات التي تدلّ على مسألة الفترة في الوحي، وانقطاع الوحي مدة من الزمن، وعدم نزول الوحي وفقاً لرغبة النبي الأكرم (ﷺ)، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَاطٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

عن ابن عباس أنّ النبي الأكرم (ﷺ) استبطأ جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر ممّا تزورنا»^(٣)؟ فأنزل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(٤).

المجموعة السادسة: الآيات التي تعمد إلى نوع من التهديد الموجّه للنبي الأكرم (ﷺ)، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبْشِتَنَا لَقَدْ كُذِّبَتْ

(١) يونس: ١٥.

(٢) القيامة: ١٦ - ١٩.

(٣) الأعراف: ٢ - ٣.

(٤) أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ١١٦، دار الأميرة

للطباعة والنشر، ط ١، بيروت، ٢٠١٠م.

(٥) مريم: ٦٤.

تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا لَأَذْفَنَّاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿١﴾.

وهذه الآية رغم ما يستشتم منها من لغة التهديد، تثبت عصمة النبي الأكرم (ﷺ) من خلال تأكيد تثبيته من قبل الله عز وجل^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾^(٣).

فهنا يهدد الله تعالى نبيه الأكرم (ﷺ) بعبارة شديدة جداً^(٤)، وليس وارداً أن يهدد الإنسان نفسه ويحذرهما من مغبة تغيير كلامه.

وفي الدروس المقبلة سنبحث في حقيقة الوحي وعناصره المؤثرة، وخاصة دور الأنبياء (عليهم السلام) فيه، وهناك سيتضح بطلان النظريات السابقة فيما يتعلق بالوحي على نحو أكثر.

خلاصة الدرس

١- كان المشركون يتهمون النبي الأكرم (ﷺ) بالجنون، وكان بعض المستشرقين يتهمونه بالصرع. في حين لم يكن هناك ما يبرر هاتين التهمتين، إذ لم يظهر على النبي الأكرم أي من أعراض الجنون أو الصرع.

٢- إن الحالة غير الاعتيادية التي كانت تعترى النبي عند نزول الوحي

(١) الإسراء: ٧٤ - ٧٥.

(٢) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ١٨٤.

(٣) الحاقة: ٤٤ - ٤٧.

(٤) انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٩-١٠، ص ٥٢٦.

عليه والتي تدعى (برحاء الوحي)، إنما كانت تعتربه عند نزول الوحي المباشر عليه، والتي لم يكن فيها بين النبي وبين الوحي أحد.

٣- كانت الأمم السابقة تتهم الأنبياء بطلب الاستعلاء والرئاسة. وهناك حالياً من علماء الغرب من يصف الأنبياء بالنبوغ ويرميهم بالدهاء السياسي، في حين أنّ الأنبياء يختلفون عن الساسة والعباقرة في الصفات الآتية: اليقين بالهدف، سعة مساحة الرسالة، العصمة وعدم ارتكاب الأخطاء، وعدم التناقض في المواقف، امتلاكهم لعلم غير مكتسب، تأييد الأنبياء بعضهم بعضاً، اجتراف المعاجز والإخبار عن المستقبل، وكشف المغيّبات.

٤- هناك من يذهب إلى القول بأنّ كلمات الأنبياء - رغم إيمانه بصدقهم - هي ثمرة لتبلور شخصياتهم الباطنة، وضميرهم اللاواعي، وأنها كانت تلهم إليهم من داخلهم إثر تأملهم الطويل في مشاكل الناس، فيتصوّرونها وحيّاً إلهياً. وكانوا يتوهمون أحياناً أنّ ملكاً يأتيهم، أو أنّ هاتفاً يناجيهم.

٥- ليس هناك أيّ شاهدٍ أو دليل على صحّة التحليل والتفسير النفسي للوحي، وإنّ القرآن شاهدٌ حيّ على بطلان هذا التحليل؛ لأنّ القرآن معجزة إلهية، وإنّ منشأه هو الله سبحانه وتعالى، وليس كلاماً بشرياً.

٦- ذكر القرآن الكريم مسائل بشأن النبي الأكرم (ﷺ) تثبت أنّه كان مجرد مستقبل للوحي، فلم يكن قادراً على استنزاله أو حفظه أو تغييره دون إذن الله، وهذا ما يثبت قلق النبي تجاه حفظ عباراته، وتهديده من قبل الله سبحانه وتعالى.

أسئلة نموذجية

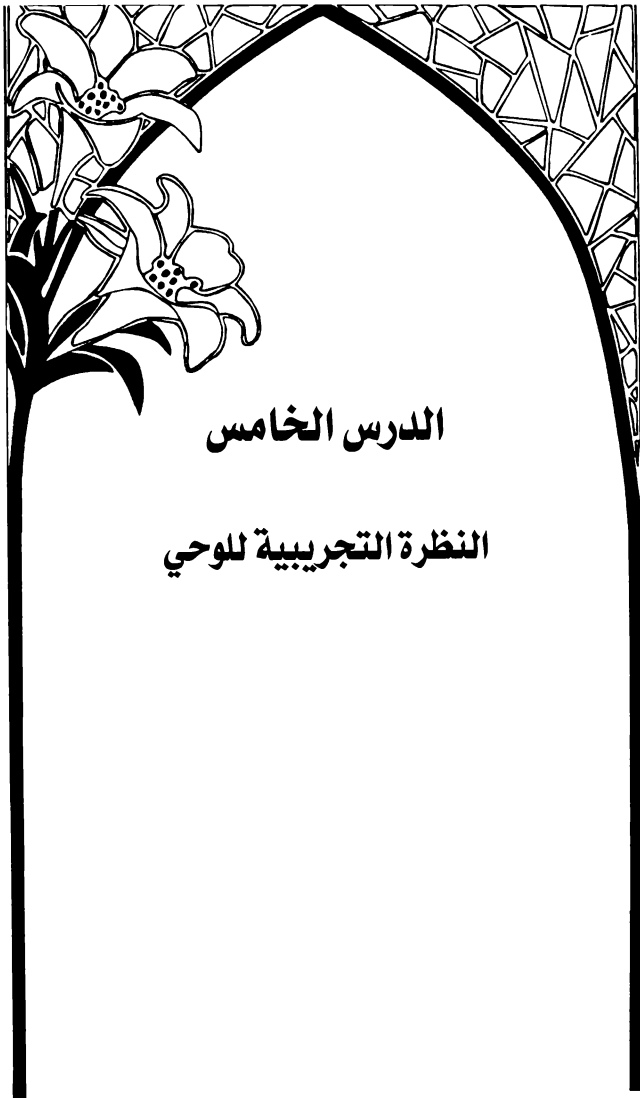
- ١- انتقد الرؤية القائلة بأن الوحي ما هو إلا نتيجة للصرع أو الجنون.
- ٢- لماذا لا يمكن اعتبار الوحي ثمرة لشخصية عبقرية أو سياسية؟
- ٣- اشرح التفسير والتحليل النفسي للوحي.
- ٤- اذكر أدلة القائلين بالتفسير النفسي للوحي مع نقدها.
- ٥- اذكر شواهد التحليل النفسي للوحي مع نقدها.
- ٦- كيف يكون القرآن الكريم شاهداً حياً على بطلان نظرية التحليل النفسي للوحي؟

واحة المصادر

- ١- عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص ٢٠ - ٣٢.
- ٢- الشيخ جعفر السبحاني، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، ج٣، ص ١٣١ - ١٤٠.
- ٣- محمد باقر سعیدی روشن، تحليل وحي، ص ٤٢ - ٥١.
- ٤- الشيخ محمد عبده، تفسير المنار، ج ١١، ص ١٨٤ - ١٩٤.
- ٥- العلامة محمد حسين الطباطبائي، قرآن در اسلام، ص ٧٣ - ٧٤.
- ٦- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٣٨ - ٤٥.

تحقيق

استخرج الآيات التي تدحض التهمة القائلة بأن النبي الأكرم (ﷺ) كان مسحوراً أو شاعراً.



الدرس الخامس

النظرة التجريبية للوحي

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

- ١- أن يتعرف على التجربة الدينية وعناصرها وأسبابها.
 - ٢- أن يبيّن ماهية الوحي بناءً على النزعة التجريبية في جملة واحدة.
 - ٣- أن يطلع على أسباب ظهور النظرة التجريبية للوحي.
 - ٤- أن يتمكن من نقد النظرة التجريبية للوحي.
 - ٥- أن يذكر التبعات المترتبة على التحليل التجريبي للوحي.
- ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾^(١). ﴿نُزِّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٢).

إنّ من بين التفسيرات المطروحة بالنسبة إلى الوحي اعتباره (تجربة دينية)^(٣)، بمعنى أنّ النبيّ في هذه التجربة يواجه الله سبحانه وتعالى، ثمّ يعمد بعد ذلك إلى بيان تلك التجربة، ونقلها إلى الآخرين من خلال صياغته اللفظية الخاصة. وهذا التفسير قائم على نظرية (التجربة الدينية)، وإنّ أول ظهور لهذه النظرية كان على يد بعض المفكرين المسيحيين بغية حلّ بعض المشاكل

(١) طه: ١٣.

(٢) الشعراء:

(٣) Religious Experience.

المسيحية، وفي إطار الدفاع عن المعتقدات المذهبية. ثمّ عمد بعد ذلك بعض المتكلمين من أنصار (الإلهيات الليبرالية)^(١) إثر ظهور بعض الإشكالات في الكتاب المقدّس (الإنجيل)، إلى تعميم هذه النظرية وتسريتها إلى الوحي أيضاً، وقال بأنّ الوحي عبارة عن تجربة دينيّة، وإنّ الإنجيل نتيجة وثمره لتلك التجربة.

ولما في هذه النظرية من التبعات المرفوضة، وتبني بعض المثقفين المسلمين لهذه النظرية^(٢)، عقدنا هذا الدرس من أجل نقد ومناقشة هذه النظرية. من هنا سنعمد أولاً إلى بيان التجربة الدينيّة، لننتقل بعد ذلك إلى إثبات بطلانها خاصّةً فيما يتعلق بالوحي القرآني، وما يترتب على ذلك من اللوازم الباطلة.

(١) لمزيد من الاطلاع بشأن الإلهيات الليبرالية، انظر: وليم هوردرن، راهنماي الهيات بروتستان، ترجمة: طاطه وس ميكائيليان، ص ٦٣ - ٩٢.

(٢) كان (إقبال اللاهوري) هو الأول من بين المسلمين من اعتبر الوحي تجربة باطنية للنبي، وأدرجها ضمن تجربتين أخريين، هما: التجربة الخارجية، والتجربة التاريخية. انظر: محمّد إقبال اللاهوري، احياء فكر ديني در اسلام، ترجمة: أحمد آرام، ص ١٤٧.

التجربة الدينية

إن أول من قال بالتجربة الدينية هو (شلاير ماخر)^(١) في القرن التاسع عشر للميلاد^(٢)، ثم شاعت في الأندية العلمية الغربية، ليتلقفها بعد ذلك بعض المحققين والمتقنين من المسلمين.

مفهوم وخصائص التجربة الدينية

إن مفردة (التجربة)^(٣) في عبارة (التجربة الدينية) قد انتقلت من معناها القديم الدال على الفعلية، إلى معنى جديد يفيد الانفعال بإزاء عمل ما؛ وعليه فإن التجربة بهذا المفهوم تعني حصولنا على نوع (حالة باطنية)، أو (مواجهة)، أو (إدراك من دون واسطة)^(٤). وإن شطراً من خصائص التجربة بهذا المعنى، عبارة عن الأمور الآتية^(٥):

١- الحصول على ظاهرة بشكلٍ واعٍ، وقد تنسى هذه التجربة بمرور الوقت.

٢- الحصول على تلك الظاهرة بشكلٍ مباشر ومن دون واسطة.

(١) Schelermacher (١٧٦٨ - ١٨٣٤).

(٢) فين براودفوت، تجريبه ديني، ترجمة وتوضيح: عباس يزداني، ص ٢٤٩.

(٣) Experience.

(٤) See: Davis, C. F., The Evidential Force of Religious Experience, (٤) ١٩٣٠ - ٢٢.

نقلاً عن: محمد تقي فعال، تجريبه ديني ومكاشفه عرفاني. ومحمد لكنهاوزن، (اقتراح در باره تجربة ديني)، مجلة: نقد ونظر، العدد: ٢٣ و٢٤، ص ٧.

(٥) انظر: محمد إقبال اللاهوري، احياء فكر ديني در اسلام (إحياء الفكر الديني في الإسلام)، ص ٢٣ و٢٦. وعلي رضا قائمي نيا، تجريبه ديني وكوهر دين، ص ٢١ - ٢٧.

٣- على الرغم من احتمال اشتراك أكثر من شخص في الحصول على تلك التجربة إلا أنها تبقى تجربة فردية وخاصة، بمعنى: إنَّ كلَّ واحدٍ منهم يعيش تجربته على انفراد.

٤- الاستقلال عن المفاهيم والاستدلالات العقلية؛ وذلك لأنَّ التجربة عبارة عن إدراك حيّ، والإدراك الحي لا يحصل من خلال المفاهيم والاستدلالات العقلية.

٥- عدم القابلية على النقل؛ وذلك لأنَّ النقل إنَّما يتمَّ عبر المفاهيم، وحيث إننا ذكرنا في العبارة السابقة أنَّ هذه التجربة مستقلة عن المفاهيم، لن يكون من الممكن نقلها إلى الآخرين، وكلُّ ما يحصل عليه الآخرون إنَّما هو تفسير وبيان صاحب تلك التجربة لا غير.

بالالتفات إلى مفهوم التجربة وخصائصها يمكن تعريف (التجربة الدينية) - رغم صعوبة تعريفها بشكلٍ دقيق^(١) - على النحو الآتي:

(التجربة الدينية): حالة باطنية ناجمة عن الشعور الذي يعتري المؤمنين في بعض الأديان بحضور (أمر متعالٍ) من قبيل: الله أو التجليات الإلهية، أو أمر متعلق بالله، ويراها من يعيشها دينية^(٢).

(١) فين براود فوت، التجربة الدينية، ص ٢٤٤.

(٢) انظر: المصدر المتقدم، ص ٢٤٨. هناك فيما يتعلق بماهية التجربة الدينية ثلاث نظريات رئيسة، وهي:

الأولى: نوع حالة من الاتكال المطلق على مبدأ أو قدرة مغايرة للكون.

والثانية: نوع إدراك ومعرفة مشابهة للإدراك الحسي.

والثالثة: شرح وبيان مسألة ميتافيزيقية وغير طبيعية. انظر: مايكل بيترسون، عقل واعتقاد

أسباب ظهور التجربة الدينية في العالم الغربي

تقدم أن ذكرنا أنّ التجربة الدينية بهذا المعنى كانت حصيلة عهد جديد أراد التوصل إلى منفذ للخروج من بعض الإشكالات، وتجاوز بعض العقبات القائمة في الديانة المسيحية. ويمكن تلخيص تلك الإشكالات والعقبات على النحو الآتي:

١- فشل الإلهيات العقلية في الغرب وانحصار الدين بالمستوى الأخلاقي

إنّ (الإلهيات العقلية)^(١) التي كانت تتكفل بالبيان العقلي والفلسفي للدين، وإثبات الصانع على وجه الخصوص، تعرّضت لهجوم كاسح من قبل أشخاص من أمثال: ديفد هيوم^(٢)، ومن بعده عمانوئيل كانت^(٣)، إذ أوردوا عليها إشكالات عجز النظام الفلسفي الغربي عن الإجابة عنها، وأخفق في الدفاع عن المعتقدات الدينية، وبالتالي مال العلماء إلى القول بنظرية التجربة الدينية للدفاع عن الإيمان المذهبي^(٤).

وقد عمد عمانوئيل كانت وأتباعه إلى إخراج التعاليم الدينية من دائرة العقل، وحصرها في دائرة الأخلاق فقط، وهي الدائرة التي يكون للتجربة دور أساسي ومحوري فيها. ثمّ عمد شلاير ماخر إلى انتقاد رؤية كانت وأحلّ

ديني، ترجمة: أحمد النراقي، ص ٣٦ - ٥٢.

(١) تقع الإلهيات العقلية في قبال الإلهيات النقلية التي يأتي بها وحي السماء، فإنّ للإلهيات النقلية في المسيحية معنى خاص. وفي الإلهيات العقلية يسعى الإنسان إلى إثبات الصانع، في حين أنّ الله والصانع في الإلهيات النقلية هو الذي يبحث عن الإنسان. انظر: وليم هوردرن، راهنماي الهيات بروتستان، ص ٩٤. واين باربر، علم ودين، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، ص ٢٢.

(٢) David Hume

(٣) Immanuel Kant

(٤) فين براود فوت، التجربة الدينية، ص ١٠.

الشعور والإحساس محلّ المعتقد والأخلاق، وذهب إلى القول بأنّ حقيقة الدين عبارة عن نوع من الشعور والإحساس الذي تنبثق عنه المعتقدات والأخلاق^(١). وبذلك فقد صار شلاير ماخر إلى إحلال الشعور محلّ العقل، وظهرت بذلك النزعة الهرمنيوطيقية^(٢).

ثمّ جاء دور المستشرق الألماني رودولف أوتو^(٣) ليواصل المسيرة الفكرية لشلاير ماخر، حيث أكدّ على النزعة العرفانية في الدين من خلال كتابه (مفهوم الأمر المقدّس)، قائلاً: إنّ جوهر الدين يكمن في الشعور والإحساس والناحية غير العقلية منه^(٤). وقد عمد مترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية إلى اختيار عنوان فرعي لهذا الكتاب بما يتناسب ومضمونه ومحتواه، فسماه: (بحث في العنصر غير العقلي لمفهوم الألوهية ونسبته إلى العنصر العقلي) الأمر الذي حضي بتأييد وترحيب من قبل مؤلّف الكتاب رودولف أوتو نفسه^(٥).

٢- تعارض العلم التجريبي مع بعض تعاليم المسيحية

إنّ التطوّر الحاصل في العلوم التجريبية أحدث تحولاً في قراءة النصوص المقدّسة، فبعد إثبات حقيقة دوران الأرض حول الشمس، تعرّضت نظرية

(١) ايان باربر، علم ودين، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، ص ١٣١.

(٢) الهرمنيوطيقية (romanticism): حركة فلسفية وأدبية وفنية نشأت في القرن الثامن عشر، كردّ فعل ضدّ (الكلاسيكية المحدثّة)، وقد تميّزت بالتأكيد على الخيال والعاطفة، وبالنزعة إلى تصوير الخبرات الذاتية. انظر: منير البعلبكي، المورد قاموس عربي انكليزي، ص ٧٩٥. (المعرب).

(٣) Rudolf Otto

(٤) Otto, Rudolf, The idea of The Holy, trans. By John Harway, (٤) New York

(٥) انظر: رودولف أوتو، مفهوم أمر قدسي، ترجمة: همايون همّتي، ص ١١.

مركزية الأرض بوصفها واحدة من الثوابت الرئيسية في الدين المسيحي إلى تشكيكٍ حادٍ، وبعد سريان هذا الشك إلى سائر الثوابت الكنسية الأخرى، تجلّى التعارض بين العلوم البشريّة الحديثة وبين تعاليم الكتاب المقدّس عند المسيحيين (تعارض العلم والمسيحية) على نحوٍ أكبر^(١)؛ وبالتالي تبلورت هذه النظرية القائلة بعدم وجود قيمة معرفية في المعتقدات الدينيّة، وعليه لا يمكن الوثوق بها أو الاعتماد عليها^(٢). وفي محاولة للوقاية من تعرّض إيمان الناس إلى آفات هذه الشكوك، تمّ الذهاب إلى اعتبار الدين تجربة يحصل عليها المتديّنون.

٢- توجيه النقد للكتاب المقدّس عند المسيحيين

بعد انتقاد (الكتاب المقدّس) في القرن التاسع عشر للميلاد، أخذت بعض الثوابت القطعية في الدين المسيحي تتعرض للتشكيك، ومن بين تلك الأمور يمكن لنا أن نشير إلى ما يأتي:

أولاً: التشكيك في صحّة انتساب عدد من الكتب الأولى من الكتاب المقدّس إلى النبيّ موسى (عليه السلام).

وثانياً: التشكيك في إمكان انطباق الشخصية الحقيقية للنبيّ عيسى (عليه السلام) على الشخصية المنتحلة في الإنجيل.

(١) إنّ البحث في العلاقة بين العلم والدين من أعمق وأشهر البحوث في تاريخ التفكير البشري، ويرقى في عمره إلى ما قبل ألفي سنة. (انظر: آ.ج. آربري، عقل ووحى از نظر متفكران اسلامي، ترجمة: حسن جوادى، ص٢). كما تعود هذه المسألة في العالم الغربي إلى تاريخ أقدم) إلى ما قبل الميلاد. فمثلاً عمد فيلون الإسكندري اليهودي (٣٠ ق.م - ٥٠ م) إلى إقامة تناغم بين الفلسفة واليهوديّة. (أبو الفضل عزّتي، رابطة دين وفلسفه، ص٢٦).

(٢) فين براود فوت، التجربة الدينيّة، ص٣٠٨ - ٣١٢.

وثالثاً: التناغم بين مضامينه مع وجود الكثير من التناقضات الداخلية^(١).

وبذلك فقد تعرضت بعض ثوابت الكتاب المقدس إلى التشكيك على نحوٍ جاد. وللتخلص من هذه التشكيكات وتفادي هذه الانتقادات اعتبر الدين مسألة قلبية، يحصل عليها الإنسان من خلال التجربة، وليس من طريق الوحي أو الكتاب المقدس^(٢).

النزعة التجريبية إلى الوحي

بناءً على النزعة التي تذهب إلى القول باعتبار الوحي تجربة دينية، يكون الوحي نوعاً من المواجهة والإحساس الذي يحصل للنبي حيث يستشعر حضور الله ووقفه إلى جنبه.

عناصر ظهور الرؤية التجريبية إلى الوحي

إنّ ظهور النزعة التجريبية تجاه الوحي تعود بجذورها إلى عناصر وتعقيدات وجد العلماء والمؤمنون - وخاصةً في العالم المسيحي - أنفسهم في مواجهتها. وإنّ الاطلاع على تلك التعقيدات ومعرفة تلك العناصر، يساعدنا على فهمها ونقدتها ومناقشتها إلى حدٍ كبير، وفيما يأتي عرض بتلك العناصر^(٣):

(١) من باب المثال: أشكل بأن الكتب والأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم (التوراة) ليست من النبي موسى (عليه السلام)، بل هي من تأليف أربعة أشخاص، وهذا هو الذي يفسر وجود روايتين عن خلق الكون في سفر التكوين. انظر: طاطه وس ميكائيليان، راهنماي الهيات بروتستان، ص ٣٨.

(٢) المصدر المتقدم، ص ٤١.

(٣) في هذا الشأن راجع: علي رضا قائمي نيا، تجربه ديني وكوهر دين، ص ١١٤ - ١٠٢.

١- تقدّم العلوم التجريبية

إنّ التطوّر المتسارع والمذهل للعلوم التجريبية، أدّى إلى ظهور نتيجتين مهمّتين، كان لهما أبلغ الأثر في التعاطي مع ظاهرة الوحي، وهما:

الأولى: حصول العلوم التجريبية على درجة عالية من الاعتبار عند العلماء والمفكرين، بحيث أخذ العلماء يقيسون قيمة العلوم الأخرى من خلال ما تقوله العلوم التجريبية بشأنها. الأمر الذي أدّى إلى ظهور الفلسفة الوضعية^(١) التي قضت بعدم اعتبار الأمور الميتافيزيقية^(٢)؛ إذ إنّ من جملة الأمور التي ترتبت على علو شأن العلوم التجريبية، اعتبار التجربة معياراً لإثبات قيمة الموضوعات، ولمّا كانت الموضوعات الدينية والميتافيزيقية تتحدّث عمّا وراء الطبيعة فإنّها لا تخضع للتجربة؛ وبالتالي اعتبرت فاقدة للقيمة^(٣). وهناك من أضاف التجارب الباطنية إلى التجارب الخارجية، لكي تكتسب الموضوعات الدينية قيمتها ومعناها من خلال الخضوع لملاك التجربة. وكان من بين هؤلاء المفكر المسلم (إقبال اللاهوري: ١٨٧٦ - ١٩٣٨م)^(٤).

الثانية: إثبات عدم صحّة بعض موضوعات الكتاب المقدّس بعهديه، في حين كانت تعتبر قبل ذلك أموراً بديهية وقطعية لا يمكن التشكيك فيها،

-
- (١) (positivism): الفلسفة الوضعية: فلسفة أوغوست كونت التي تعنى بالظواهر والوقائع اليقينية فحسب، مهمة كلّ تفكير تجريدي في الأسباب المطلقة.
- (٢) راجع في هذا الشأن: بهاء الدين خرمشاهي، نظري اجمالي بر بوزيتويسم منطقي، ص ٢ - ١١٠. وإيان باربر، علم ودين، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، ص ١٥١ - ١٥٥.
- (٣) راجع في هذا الشأن: أبو الفضل الساجدي، زيان ودين وقرآن، ص ٧٣ - ٩٥.
- (٤) انظر: محمّد إقبال اللاهوري، احيائي فكر ديني در اسلام، ترجمة: أحمد آرام، ص ١٤٧.

فكان التوجّه التجريبي إلى الوحي^(١) محاولة يمكنها تبرير وتوجيه وجود بعض الموضوعات الجانبية للصواب في الكتاب المقدّس؛ إذ إنّ التجربة بحاجة إلى بيان وتعبير، والعبارة مرهونة ومحدودة بحدود ثقافية وتاريخية لغوية واجتماعية، وبذلك لا يمكنها أن تنجو من الخطأ.

٢- تغيير الحاجة البشرية رغم ثبات المضمون الديني

إنّ من بين الأمور المهمة التي شغلت اهتمام المفكرين الملتزمين بالدين، هي كيفية التوفيق بين الثابت في محتوى الدين وبين المتغير في الحاجات الإنسانية. وهناك من المستنيرين من ذهب به التصوّر إلى عدم تمكن التفسيرات السابقة من التوفيق بين ثبات الدين ومتغيّرات الحياة؛ وعليه فقد وجد أنّ الحلّ الوحيد في هذا التوفيق يكمن في القول باعتبار الوحي تجربة نبويّة، وعلى أساس من هذا القول يكون تفسير كلّ نبيّ لتجربته - رغم تساوي تجربة جميع الأنبياء - منسجماً مع متطلبات عصره. كما سيكون للمتديّنين في كلّ عصرٍ تفسير قراءة جديدة للتجربة النبويّة تتناسب وعصرهم، وستكون الإلهيات عبارة عن تفسير مستمر للتجربة النبويّة، وعليه سيكون بطبيعة الحال متغيّراً وخاضعاً للظروف

(١) ومن جملة الطرق الأخرى في بيان حلّ التعارض القائم بين العلم والدين، التشكيك في فرضيات التعارض، وذلك من خلال التفريق بين رقعة العلم ورقعة الدين، وهذا ما قال به بعض المفكرين المسيحيين بعد القرن الثالث عشر للميلاد. (انظر: اتين جيلسون، عقل ووحى در قرون وسطا، ترجمة: شهرام بازوكي، ص ٦١ - ٦٢). من باب المثال: إن غاليلو (١٥٦٤ - ١٩٤٢م) رغم كونه مسيحياً كاثوليكياً كان يُصرّح قائلاً: (باعقادي يجب علينا في البحث عن المسائل الفيزيائية أن نقيم أعمالنا على أسس التجارب الحسيّة والبراهين الضرورية، لا على اعتبار النصوص الدينيّة المقدّسة). ايان باربر، علم ودين، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، ص ١٢٢.

والعوامل التاريخية^(١).

لقد أدت هذه العناصر بالمتكلمين البروتستانت في العالم المسيحي إلى القول بهذه النظرية واعتبار الوحي تجربة نبوية؛ وبذلك عمدوا إلى حلّ التعارض القائم بين العلم والوحي، وهو في الحقيقة حلّ للتعارض بين العلوم البشرية وتفسير الوحي، وليس الوحي نفسه.

وبعد سنوات طويلة من ظهور هذه النظرية في العالم المسيحي عمد بعض المفكرين المسلمين إلى استعارتها وتوظيفها في خصوص الوحي القرآني، فعدّوا الوحي القرآني تجربة نبوية، بل وذهب بعضهم إلى إمكان بسطها وتوسيع رقعتها^(٢)، حيث قال هذا البعض: (إنّ قوام شخصيّة الأنبياء ونبوتهم، وعماد ما عندهم هو الوحي، أو ما يُصطلح عليه حالياً بـ (التجربة الدينية)^(٣). فالنبيّ إنسان، وعليه تكون تجربته تجربة إنسانية)^(٤).

بطلان النزعة التجريبية فيما يتعلق بالدين والوحي

إنّ ما ذكر من العناصر والإشكالات لا يبرر النزعة التجريبية إلى الدين والوحي؛ وذلك للأمر الآتية:

الأوّل: إنّ الكثير من هذه الإشكالات لم تكن وليدة الدين أو الوحي الإلهي، بل هي أمور عرضية، وقد طرحت في خصوص المسيحية والكتاب

(١) محمّد مجتهد شبستري، مدرنيسم ووحي، مجلة كيان، العدد: ٢٩، ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) وسيكون لنا كلام في استحالة بسط الوحي وتوسيع دائرته في بحث خاتمية الوحي إن شاء الله تعالى.

(٣) عبد الكريم سروش، بسط تجربه نبوي، ص ٢.

(٤) المصدر المتقدّم، ص ٢١.

المقدّس؛ إذ لا يمكن العثور في الوحي الإلهي على ما يخالف الواقع أو يتعارض مع البديهيات العقلية والعلوم اليقينية؛ وعليه لا يمكن القبول بهذه النزعة وهذا التوجّه فيما يتعلق بالدين والوحي الإلهي، ولا سيّما الإسلام والوحي القرآني.

والثاني: إنّ بعض هذه الإشكالات - لو سلّمنا جدلاً بثبوتها وصحتها - يمكن حلّها بطرق أفضل وأكثر منطقية من التوجّه إلى الرؤية التجريبية إلى الوحي. ويمكن إثبات هاتين الدعويين من خلال الأمور الآتية:

١- صيانة الوحي الإلهي عن الخطأ

إنّما ذكر التحليل التجريبي للوحي من أجل تبرير وجود الخطأ في الوحي، في حين أنّه طبقاً للرؤية الصحيحة يعتبر الله تعالى - وهو العالم والحكيم - أحد طرفي الوحي، وهو لا يصدر عنه الخطأ، أو ما يخالف الواقع. وعلاوةً على ذلك فقد تقدّم في معرض البحث عن سلامة الوحي أن أثبتنا بالتفصيل أنّ الأدلة العقلية والنقلية تثبت أنّ الوحي محفوظ بجميع مراحلها من حين صدوره وحتى وصوله إلى العباد، كما أنّ الملائكة والأنبياء معصومون من جميع أنواع الخطأ والانحراف سواءً أكان عن عمدٍ أم سهو^(١)؛ وعليه فإنّ جميع القرآن الكريم بألفاظه وتراكيبه هو من الله سبحانه وتعالى، وإذا شاهدنا بعض الأخطاء في النصوص المقدّسة عند النصراني، فمردّد ذلك إلى أنّها - باستثناء النزر القليل منها - من تأليف أشخاص مختلفين عمدوا إلى تقرير سيرة بعض الأنبياء وأمّمهم، وأحداث رسالاتهم^(٢).

٢- انسجام معطيات الوحي مع اكتشافات العلوم البشريّة القطعية

إنّ كلاً من الوحي والعقل البشري حجّتان ونعمتان إلهيتان لهداية الإنسان، فقد روي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) أنّه قال في هذا الشأن: «إنّ لله

(١) انظر: الدرس الحادي عشر.

(٢) سنأتي على ذكر هذه الأمور في الدرس السادس عشر بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

على الناس حجّتين: حجّة ظاهرة، وحجّة باطنة. فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول»^(١).

وعلى هذا الأساس - وخلافاً لما هو الحال في الديانة المسيحية التي تعتبر العقل مناقضاً للإيمان - يضع الإسلام والقرآنُ العقلَ في مكانة مرموقة وممتازة. فإنّ آيات القرآن الكريم^(٢) والروايات الإسلامية الشريفة^(٣) تعتبر العقل أشرف شيء في وجود الإنسان؛ إذ يلعب دوراً كبيراً في وصول الإنسان إلى السعادة. علاوةً على ذلك هناك تناغم بين الأحكام والتعاليم الإسلامية وبين العقل السليم، إذ أقام الإسلام أسسه ودعائمه على المعطيات العقلية؛ وبالتالي فإنّ ما يعرضه القرآن الكريم بشأن أصول الدين والمسائل الأخرى مقبول من الناحية العقلية، أو مقنع من وجهة نظر العقل في الحد الأدنى.

فإنّ الإسلام إلى جانب اهتمامه بالعقل، فإنّه لا يكتفي بمجرد دعوة الإنسان إلى طلب العلم وحفظه فقط^(٤)، وإنما يوجب عليه ذلك، ويعتبره فرضاً عليه، فقد ورد في الكثير في الروايات مضمون يقول: «طلب العلم فريضة»^(٥).

(١) محمد بن يعقوب الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، باب العقل والجهل، ص ١٩، ح: ١١.
(٢) من خلال التسبّع والتدبّر في آيات القرآن الكريم يتضح أنّ هناك ما يربو على الثلاثمئة آية في دعوة الإنسان إلى التفكير والتذكّر والتعقل، وإقامة الحجّة أو ما يحكي عن إقامة الحجّة من قبل الأنبياء (عليهم السلام). انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٧٤.

(٣) انظر: محمد بن يعقوب الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، كتاب العقل والجهل.

(٤) انظر: المصدر المتقدّم، كتاب العلم.

(٥) المصدر المتقدّم، الرواية رقم: ١ و ٢ و ٥.

وعلى هذا الأساس، وكما أقرّ بعض المنصفين من العلماء الغربيين في معرض المقارنة بين الإسلام والمسيحية في هذا الاتجاه^(١)، لا يوجد أيُّ نصٍّ في القرآن الكريم يتعارض مع الاكتشافات العلمية القطعية تعارضاً مستقراً.

٢- عدم معيارية التجربة فيما يتعلق بالمعرفة

إنّ موضوعات العلوم التجريبية في تعارضها مع بعض مسائل الوحي لا تسقط تلك المسائل عن الاعتبار، بل إنّ ذلك ينعكس عليها فتكون هي التي تفقد اعتبارها؛ وذلك لعدم قطعية و يقينية الموضوعات التجريبية من الناحية النظرية. فهذا كارل ريموند بوبر وهو من أعمدة علماء الغرب لا يرى المشاهدة مصدراً من مصادر المعرفة^(٢)، وهناك من أبناء الوطن من يتبنى الدفاع عن النهج التجريبي فيما يتعلق بتحليل الوحي، ولكنه مع ذلك يعترف ويقول: (حتى الآن لم تخرج التجربة بقانون علمي خالص ودقيق مئة بالمئة، وإنما كلّ ما خرجت به العلوم التجريبية منحصر بالأمور التقريبية)^(٣).

٤- إمكانية الدفاع العقلي عن المعارف الدينية

بالنظر إلى قدرة الإنسان على اكتساب المعرفة اليقينية، فإنّ أصول الدين، ومنها وجود الله والنبوة والمعاد قابل للإثبات والدفاع من الناحية

(١) انظر: موريس بوكاي، تورات وانجيل وقرآن وعلم، ترجمة: ذبيح الله دببر، ص ٣٩ و ١١٧ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٨٢ و ٢٦٦.

(٢) انظر: كارل ريموند بوبر، حدسها وإبطالها، ترجمة: أحمد آرام، ص ٣٠ و ٣٥.

(٣) عبد الكريم سروش، صراطهاي مستقيم، ص ٢٧، وكذلك انظر كتابه الآخر: قبض وبسط توريك شريعت، ص ٥٩٦.

العقلية^(١). وقد استدلنا في الدروس المتقدمة من هذا الكتاب على ضرورة الوحي والنبوة، وهناك في العالم الغربي المسيحي المعاصر توجه إلى إعادة صياغة البراهين التقليدية فيما يتعلق بالإلهيات العقلية، ورفع نقاط ضعفها، وترميم الأدلة التي تثبت وجود الله سبحانه وتعالى بما ينسجم والتقدم الحاصل في حقل العلوم البشرية، وفي إطار اكتشافاته، وهذا ما نلاحظه بوضوح في جهود وليم كيرج حيق قدم قراءة جديدة في هذا السياق، معتمداً برهان النظم من خلال التقدم الحاصل في علم الفيزياء والفلك والكون^(٢). هذا في حين هناك شكوك حادة فيما يتعلق بقدرة التجربة الدينية على تبرير المعتقدات الدينية^(٣).

٥- ثبات بعض الاحتياجات البشرية، واشتمال الدين على أسس عامة لمواكبة التغيرات

تقدم أن ذكرنا أن من جملة عناصر وأسباب ظهور النزعة التجريبية إلى الوحي، هو تغير الاحتياجات البشرية رغم ثبات المضامين الدينية. في حين أن هذا يرد عليه:

أولاً: ليست جميع الاحتياجات الإنسانية في حالة تغير؛ إذ إن الكثير من تلك الاحتياجات منبثقة عن الفطرة، والفطرة الإنسانية ثابتة لا تتغير^(٤).

وثانياً: إن الله سبحانه وتعالى عالم بالاحتياجات الإنسانية المتغيرة في

(١) في هذا الشأن يمكن الرجوع إلى: عبد الله جوادي آملي، فلسفة دين. براهين اثبات وجود خدا. وكذلك عسكري سليمانى امير، نقد برهان بذيري وجود خدا.

(٢) نرجس نظر نجاد، آيا إيمان به خدا عقلاني است؟ ص ٤٠.

(٣) ايان باربر، علم ودين، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، ص ٥٩ - ٦٩.

(٤) انظر: مرتضى المطهري، الأعمال الكاملة، ج ٢١، ص ٤٨٥.

المجتمعات المتنوعة، فقد نزل القرآن الكريم بوصفه خاتمة الوحي، وكونه وحيًا خالدًا بحيث يحتفظ بحيويته وانسجامه مع المتغيرات الإنسانية من خلال خصائصه الذاتية وتفسيره من قبل النبي الأكرم (ﷺ) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام). وفي هذا السياق روي عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنه قال: «إِنَّ الْقُرْآنَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَالآيَةُ حَيَّةٌ لَا تَمُوتُ. فَلَوْ كَانَتِ الْآيَةُ إِذَا نَزَلَتْ فِي الْأَقْوَامِ مَاتُوا، فَمَاتَ الْقُرْآنُ. وَلَكِنْ هِيَ جَارِيَةٌ فِي الْبَاقِينَ كَمَا جَرَتْ فِي الْمَاضِينَ»^(١).

ويمكن بيان بعضاً من تلك الخصائص القرآنية على النحو الآتي:

أ - بيان الأسس والقواعد العامة وتشريع الاجتهاد: ونتيجة لهذا الأصل يستطيع علماء الدين إذا توفرت فيهم شرائط الاجتهاد أن يستنبطوا حكم المسائل الفرعية في كلِّ عصرٍ وزمان من خلال الأسس والضوابط العامة المذكورة والموجودة في القرآن الكريم والسنة المطهرة. وإن سبب نزول آيات القرآن الكريم لا يوجب رفع اليد عن عمومها، فالعبرة في عموم اللفظ، وقد اشتهرت في هذا الشأن عبارة: (العبرة في عموم الوارد، لا في خصوص المورد)^(٢).

(١) محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠٢، تفسير الآية السابعة من سورة الرعد.

(٢) انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٦١٢. والعلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٤٢، وج ٤، ص ٢١٧، وج ٩، ص ٥٧ و ٥٨، وج ١٣، ص ٤٢. وفخر الدين محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير، ج ٣٠، ص ٢٤٢. وأحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، تأملات في كتاب العزيز، ص ٤٤٤. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٣٢٠. ومحمد بن عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ١١٠.

ب - تشريع الأحكام الثانوية ومنح الحاكم الإسلامي مساحة كافية لوضع القوانين الجديدة: هناك في الإسلام مضافاً إلى الأحكام الأولية الناظرة إلى الظروف والحالات الاعتيادية، أحكاماً ثانوية أيضاً تخصّ الموارد الاستثنائية والحالات الاضطرارية. وفي هذه الموارد أذن للحاكم الشرعي أن يضع القوانين بما يتناسب وتلك الظروف والحالات الاستثنائية. وبطبيعة الحال يُشترط في تلك القوانين ألا تخالف القرآن الكريم وسُنّة النبي الأكرم (ﷺ).

إشكالات تفسير الوحي بالتجربة الدينية

مضافاً إلى عدم واقعية الأسباب والعناصر المذكورة في تبرير وتوجيه النزعة التجريبية إلى الوحي، فإنّ هذه النزعة - خاصةً من وجهة نظر المسلم - تحتوي على إشكال، ويتلخص هذا الإشكال في عدم تناغمه مع كلام الله سبحانه وتعالى، وتناقضه مع تفسير النبي الأكرم (ﷺ)، ويترتب على ذلك توابع سيئة كالآتي:

أ - عدم انسجام هذا الاتجاه مع كلام الله ورسوله

لا شك في أنّ الوحي ظاهرة غير متعارفة، وأنّه ارتباط بين الله والنبي. ولأجل فهم هذا الارتباط بشكل صحيح علينا أن نتجاوز الظنون والفهم الشخصي، والرجوع إلى طرقي هذا الارتباط، وهما: الله سبحانه وتعالى والنبي الأكرم (ﷺ) واستطاقهما فيما يتعلق بكيفية هذا الارتباط والحوار^(١). وهذا ما صرح به الله تعالى في القرآن الكريم بوضوح. كما رويت عن النبي الأكرم (ﷺ) روايات صريحة في هذا الباب، فإذا كان الشخص مؤمناً بصدق الله عزّ وجلّ ورسوله الكريم، فعليه ألاّ يُدخل هذا الارتباط في قالب التفكير الحسيّ أو التجريبيّ أو العرفيّ أو الافتراضي انطلاقاً من مزاجه وذوقه الخاص، فإنّ صريح

(١) عبد العلي بازرگان، وحي محركي ما وراثي يا فرايند تاريخي وتجريبي؟، مجلة كيان، ص ١٧.

القرآن والروايات يقوم على أن الوحي ليس تجربة، بل هو ارتباط خارق للعادة، ونجد هناك تفسيراً مخالفاً لما يقوله أنصار النزعة التجريبية في نظرتهم إلى الوحي، فالقرآن الكريم يؤكد بشكل صريح على ما يأتي:

أولاً: إن النبي كان مجرد مستلم ومستمع إلى الوحي، إذ يقول تعالى مخاطباً النبي الأكرم (ﷺ): ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾^(١). ويأمر النبي موسى (ﷺ) بالاستماع إلى الوحي، حيث يقول: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾^(٢)؛ وعليه لا يجوز لنا أن نذهب إلى خلاف صريح القرآن هذا، واعتبار النبي هو فاعل الوحي، والقول بأن النبي (ﷺ) كان موجداً وقابلاً وفاعلاً للتجارب الدينية والوحي^(٣).

وثانياً: إن الوحي منزل من قبل الله سبحانه^(٤)، قال تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾^(٥). وواضح جداً أن نزول الوحي غير التجربة الدينية.

وثالثاً: إن الملاك هو الذي ينزل على النبي ويأتيه بالوحي^(٦)، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٧)، وبناءً

(١) النمل: ٦.

(٢) طه: ١٣.

(٣) عبد الكريم سروش، بسط تجربه نبوي، ص ١٣ - ١٤.

(٤) وكذلك راجع في هذا الشأن: البقرة: ١٧٦، ويوسف: ٣، والحجر: ٨٧، والإسراء: ١٠٥،

والزمر: ٢٣، والفرقان: ١، والنحل: ١٠٢، والكهف: ١، والقدر: ١.

(٥) الأنبياء: ٢٣.

(٦) انظر: الدرس الثامن.

(٧) الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤، وكذلك: البقرة: ٩٧، والنجم: ٣ - ٥، والتكوير: ١٩ - ٢٦.

على المروي عن النبي الأكرم (ﷺ) كان جبرئيل (عليه السلام) يتمثل له أحياناً على هيئة رجل، فقد روي عنه (ﷺ) أنه قال: «وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني»^(١): وعليه مع وجود مثل هذه التصريحات القرآنية، لا يصح القول: (إنّ الوحي وفقاً للمصطلح المعاصر "تجربة دينية". وفي هذه التجربة يرى النبي كأن شخصاً يأتيه ويقرأ في أذنه أو يلقي في قلبه بعض الأحكام والأوامر)^(٢).

ورابعاً: كان نزول الملك يتم خارج إرادة الأنبياء (عليهم السلام)، قال تعالى: ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(٣).

روي عن ابن عباس أنّ النبي الأكرم (ﷺ) استبطأ جبرئيل (عليه السلام) فقال: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر ممّا تزورنا»^(٤)؟ فنزلت الآية المذكورة آنفاً؛ وعليه فلو لم تكن إلا هذه الآية، لكان فيها رادعاً كافياً يحول بيننا وبين القول: (إنّه النبي) كان يستنزل ملك الوحي)^(٥).

وخامساً: لم يكن الأنبياء (عليهم السلام) مستقلون فيما يتعلق بمسألة الوحي^(٦)،

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٤١. والعلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٦٠، ح: ١٢.

(٢) عبد الكريم سروش، بسط تجربه نبوي، ص ٢.

(٣) مريم: ٦٤.

(٤) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري)، ج ١٦، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت. وكذلك: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ١١٦، دار الأميرة للطباعة والنشر، ط ١، بيروت، ٢٠١٠م.

(٥) عبد الكريم سروش، بسط تجربه نبوي، ص ١٢ - ١٤.

(٦) راجع في هذا الشأن: الدرس المتعلق بدور النبي والملك في أمر الوحي.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا تَثَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا اثْبُتْ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾^(١).

فإذا أخذنا مضمون هذه الآيات بنظر الاعتبار، لا يسعنا بعدها الذهاب إلى الاعتقاد بأن: (القول بأن كلام الباري هو عين كلام النبي أفضل وسيلة لحلّ المعضلات الكلامية فيما يتعلق بتكلم الباري تعالى)^(٢)؛ إذ يمكن لكل شخص أن يبدل فحوى كلامه، في حين أمر النبي الأكرم (ﷺ) بعدم تبديل فحوى القرآن الكريم، وأنه لا يجوز له ذلك.

وسادساً: كان الأنبياء (عليهم السلام) يترقبون الوحي، وقد أمر الله تعالى في القرآن الكريم النبي الأكرم (ﷺ) أن يترقب الوحي، وأن يعلن للناس بأنه ينتظر نزول القرآن، قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٣). وقال أيضاً: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾^(٤)؛ وعليه لا يصح أن نقول: (كان الوحي تابعا له للنبي)، ولم يكن النبي تابعا للوحي)^(٥).

وسابعاً: إن ما كان ينزل على النبي كان معلوماً مسبقاً. فطبقاً لما قاله الله تعالى كان القرآن الكريم موجوداً ومحفوظاً قبل نزوله على رسول الله

(١) يونس: ١٥، وكذلك: يونس: ٢٠.

(٢) عبد الكريم سروش، بسط تجربه نبوي، ص ١٥.

(٣) يونس: ١٠٩. وكذلك انظر: الأحزاب: ٢، والإسراء: ٨٦.

(٤) الأعراف: ٢٠٣. وكذلك: الأنعام: ٥٠، ويونس: ١٥، والأحقاف: ٩.

(٥) عبد الكريم سروش، بسط تجربه نبوي، ص ١٣ - ١٤، وكذلك انظر: مقدمة الكتاب.

(ﷺ)، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾^(١)؛ وعليه من غير الصحيح أن نعتبر الوحي ثمرة لتعاطي النبي مع بيئته، وتأثره بما يحيط به^(٢).

إذن، بالالتفات إلى خصائص الوحي هذه التي اقتبسناها من الآيات والروايات، وخاصةً نزول ملك الوحي على النبي الذي يقرّ به أنصار هذا التحليل^(٣)، لا يمكن اعتبار الوحي تجربة دينية.

ب - الآثار السيئة المترتبة على النزعة التجريبية في الوحي

بالإضافة إلى ما تقدّم من الإشكالات المترتبة على النزعة التجريبية في التعاطي مع الوحي، هناك تبعات أخرى لا يمكن الالتزام بها فيما يتعلق بالوحي الإلهي عامّة، وفيما يتعلق بالوحي القرآني على وجه الخصوص، من قبيل:

١- عدم عصمة الوحي من الخطأ

إنّ الوحي يحقق هدفه إذا وصل إلى الناس دون أن يمسه تحريف أو يرتكب الأخطاء، وهكذا هو حال الوحي الإلهي. في حين أنّ تفسير الوحي بالتجربة النبوية، بمعنى مواجهة النبي لله عزّ وجلّ ووقوع العبارة في أسر القيود البشرية، لا يبقى هناك من أمل في الاعتماد بعصمة الأنبياء في إبلاغ الوحي؛ ومن هنا فقد ذهب النصارى إلى عدم عصمة الوحي عن الخطأ بعد ذهابهم إلى اعتباره تجربة دينية. وفي ذلك يقول ايان باربر: (لم يكن اهتمام الله منصباً على إملاء كتاب معصوم عن الخطأ، أو إلقاء تعاليم لا تقبل

(١) البروج: ٢١ - ٢٢. وكذلك انظر: الزخرف: ٢ - ٤.

(٢) عبد الكريم سرروش، بسط تجرّبه نبوي، ص ٢٠ - ٢٨.

(٣) من ذلك ما قاله بعض من هؤلاء: (لا شبهة عندي ولا شك في اصطفاء النبي ونزول الملك عليه وما إلى ذلك من الأمور. ولكن إذا كان هناك من بحث فهو في الفهم والتفسير الموجود لدى العامّة عن هذه المفاهيم). انظر: عبد الكريم سرروش، مجلة: كيان، العدد: ٤٧، ص ٨.

التخطئة، أو لا يمكن تجاوزها.. فقد كان الوحي الإلهي وردّ الفعل الإنساني متشابكاً، حيث خضعت هذه المواجهة والتجربة إلى مشيئة ومبادرة إلهية، وتمّ التعبير عنها وتوصيفها من قبل إنسان يجوز عليه الخطأ^(١).

وفي الآونة الأخيرة عمد أحد أنصار هذه النظرية في بلادنا إلى التصريح بعدم عصمة القرآن من الخطأ^(٢). وفي جوابه عن إشكال أحد العلماء في الحوزة العلمية بقم المقدّسة قال: إنّ مراده من عدم عصمة القرآن أنّه لم يشتمل على جميع الأمور. هذا في حين أنّ هناك بوناً شاسعاً بين هاتين المسألتين؛ فإنّ عدم ورود جميع الأمور في القرآن شيء، وعدم عصمته من الخطأ شيء آخر.

وقال في موضع آخر: إنّ مراده من عدم عصمة القرآن عدم تناغمه مع العلوم المعاصرة، واستشهد لذلك ببعض تأويلات المفسّرين بشأن بعض الآيات^(٣). هذا في حين أنّ التجربة ليست هي المعيار الوحيد في صحّة الأشياء وكونها حقاً، حتى يكون عدم تأييد العلوم التجريبية دليلاً على الخطأ، وحتى إذا لم يتوصل العلم التجريبي إلى وجود سبع سماوات كان دليلاً على وقوع القرآن في الخطأ؛ لكونه يتحدّث عن السماوات السبع، هذا أولاً. وثانياً: إنّ تأويل ظاهر بعض الآيات من قبل المفسّرين لا يعني وجود خطأ في القرآن، بل يعني أنّ ظاهر هذه الآيات ليس مراداً لله تعالى. وقد تقدم أن ذكرنا أنّ الآيات والروايات تنفي وقوع أيّ نوع من أنواع الخطأ عن القرآن الكريم.

(١) ايان باربر، علم ودين، ص ٢٦٨.

(٢) عبد الكريم سروش، في حوار له مع ميشال هوبينك بشأن القرآن. ترجمة: آصف نيكنام، عن رجا نيوز.

(٣) انظر: جواب الدكتور عبد الكريم سروش عن إشكال ونقد آية الله الشيخ جعفر السبحاني المنشور على الموقع الشخصي للدكتور سروش، بتاريخ: ١٩ / اسفند / ١٣٨٦ هـ ش.

إنَّ من بين تبعات القول باعتبار الوحي تجربة نبويّة، انحصار الوحي في قسم واحد. لماذا؟ ابحث في هذه المسألة.

٢- أنسنة الوحي

بناءً على هذا التحليل، لن يكون الوحي عبارة عن حقائق إلهيّة، أو كلاماً من الله سبحانه وتعالى، بل سيكون - خلافاً لصريح كلام الله ورسوله - مسألة بشرية، ومتأثراً بالأسباب والعوامل الخارجية المحيطة بالنبّي نفسه^(١)، وعلى هذا الأساس قال كارل بارت في هذا الشأن (١٨٨٦ - ١٩٦٨م): (في هذا الاتجاه قد حلت الجهود البشريّة في الكشف عن الله محلّ الوحي الإلهي، من طريق التجربة الدينيّة).

وقد ذهب أحد أنصار هذه الرؤية إلى القول بأنّ الوحي تابع للنبّي، واعتبرّ النبيّ هو المقتنّ في هذا الصعيد، وذلك حيث قال: (يقع الكلام في بسط التجربة النبويّة عن بشرية وتاريخية ذات الدين والتجربة الدينيّة)^(٢). (لقد كان النبيّ إنساناً، وهكذا كانت تجربته تجربة إنسانية)^(٣).

(لقد كان للنبيّ الأكرم (ﷺ) تجربتان، فكان الإسلام ثمرة لتينك التجريبتين، وهما: التجربة الخارجية، والتجربة الداخلية. وقد غدا النبيّ الأكرم (ﷺ) بمرور الأيام أكثر خبرة في كلتا التجريبتين، فأصبح دينه أكثر تماسكاً واكتمالاً)^(٤).

(١) ايان باربر، علم ودين، ص ١٤٥.

(٢) عبد الكريم سروش، بسط تجربه نبوي، المقدّمة، ص ٧ - ٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٤.

والعجيب أن يصدر هذا الكلام عن شخص بادر هو نفسه إلى الاستشكال على المتكلمين بسبب برهنتهم على الدين، فقال: إنهم بذلك عمدوا إلى أنسنة الدين، وسلبوا عنه مفهومه وجرّدوه من روحه المتسامية^(١). ولا ندري ما إذا كان الذهاب إلى اعتبار الوحي تجربة دينية يرفع من مفهوم الوحي وروحه المتعالية والمتسامية^(٢)!

ورغم محاولات أنصار هذه الرؤية في الحفاظ على صبغة القداسة لظاهرة الوحي^(٣)، ولكننا مهما بالغنا في إضفاء القداسة الظاهرية، إلا أنّ واقع القول ببشرية الوحي وتبعيته للنبي يُخرجه عن الإلهية المحضة. وعلاوةً على ذلك فإننا إذا قلنا بأنّ النبي أمر وناهٍ ومشرّع، وقلنا باستقلاله عن الوحي، لن نستطيع بعدها أنّ نفهم ما إذا كان الله تعالى قد أمضى تلك الأوامر والنواهي والتشريعات الصادرة عن النبي الأكرم؛ لأنّ النبي وفقاً لهذه الرؤية إنّما يستجيب لشعوره الباطني فقط.

٣- قصور يد الإنسان عن بلوغ حقائق الوحي

إنّ الطريق الوحيد لوصول الإنسان إلى تجارب الأنبياء - على هذه الرؤية -

(١) من باب المثال قوله: (لقد عمد المتكلمون إلى أنسنة الدين، وقطعوا ارتباطه بشخص المتكلم والمستلم للوحي .. إذ جعلوا له دعامة عقلية، فكان لذلك تبعات غير مطلوبة، من ذلك انتقاص مفهوم الكلام وروحه المتسامية، وتهميش شخصية النبي، وإنزال الكلام إلى مرتبة العقول البشرية، وجعله حبيس الكيفيات والأسباب). المصدر المتقدّم، ص ١٣٧.

(٢) سنبحث في استقلالية الوحي عن النبي في درس (دور النبي والمَلَك في الوحي)، وفي استقلالية الوحي عن الأسباب والعوامل الخارجية في درس (الوحي والعوامل الخارجية) إن شاء الله تعالى.

(٣) انظر: عبد الكريم سروش، بسط تجربه نبوي، ص ١٩.

يكن في تقرير الأنبياء أنفسهم، وروايتهم لتجربتهم؛ إذ كما تقدم أن ذكرنا فإن جميع التجارب على هذا المعنى إنما هي تجارب شخصية وفردية، ولا يحق أن يروىها ويصفها للآخرين إلا من مارسها وعاشها؛ وعليه فإن ما يبلغه النبي إلى الناس هو تعبيره عن التجربة، وليس هو الوحي أو التجربة نفسها. والتعبير والتقرير طبقاً لهذا التحليل والتفسير منفصل عن التجربة النبوية، ويجوز عليه الخطأ؛ وبناءً على ذلك فإن يد الإنسان ستقتصر عن بلوغ حقائق الوحي والساحة الإلهية، هذا في حين يذهب نفس أصحاب هذه الرؤية إلى اعتبار النبي مفعماً للمعاني والمفاهيم التي أوجب الله عليه إيصالها إلى البشرية^(١).

وبناءً على ما ذكره القرآن الكريم فإن مهمة الأنبياء تتلخص في إيصال الرسالة الإلهية إلى الناس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢)؛ وعليه لا يمكن القبول بهذه الرؤية، والقول بأن النبي الأكرم (ﷺ) قد عرض تجربته إلى الناس من دون بيان أو تفسير؛ إذ كما تقدم أن ذكرنا ليست هناك تجربة من دون تفسير أو بيان^(٣).

٤- عدم سماوية الألفاظ القرآنية

إن أدنى ما يترتب على هذه الرؤية هو القول بعدم إلهية ألفاظ وتراكيب الوحي، كما صرح بذلك بعض أنصار هذه الرؤية، حيث قالوا: إن ألفاظ القرآن وتعبيراته صادرة عن شخص رسول الله (ﷺ)، وليست نازلة من الله

(١) انظر: محمد إقبال اللاهوري، احياء فكر ديني در اسلام، ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) انظر: ايان باربر، علم ودين، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، ص ٢٤٦.

سبحانه وتعالى^(١). وهذا مخالف لصريح الكثير من الآيات والروايات التي تؤكد على سماوية الألفاظ القرآنية^(٢).

خلاصة الدرس

١- إنَّ القول باعتبار الوحي (تجربة دينية) إنما كان استجابة لبعض الإشكالات الواردة على المسيحية والكتاب المقدس، وتلقاها بعض الباحثين المسلمين بالقبول.

٢- إنَّ (التجربة الدينية) حالة باطنية تحصل للفرد المؤمن إذ يشعر حضور (أمر متعالي) من قبيل: الله، أو تجليات الله، أو موضوع مرتبط بالله، فيعتبره صاحب التجربة مسألة دينية.

٣- إنَّ أسباب القول بالتجربة الدينية في العالم الغربي كانت عبارة عن: عجز الإلهيات العقلية، وتعارض العلوم التجريبية مع بعض التعاليم المسيحية، وقابلية الكتاب المقدس لدى النصارى إلى النقد.

٤- يعتبر الوحي في النزعة التجريبية نوعاً من المواجهة والشعور الذي يحصل عليه النبي بحضور الله.

٥- إنَّ أسباب ظهور الرؤية التجريبية إلى الوحي عبارة عن: تقدّم العلوم التجريبية، والشك في صدق موضوعات الكتاب المقدس، وتغيّر الاحتياجات الإنسانية رغم ثبات مضامين الوحي.

٦- بناءً على بيان القرآن الكريم والسنة الشريفة، تتحصر مهمة الأنبياء

(١) فصلية: بجوهش قرآني فرا راه، السنة الأولى، العدد: ١، شتاء ١٣٧٧، حوار مع عبد

الكريم سروش، ص ٢٠؛ وكذلك نصر حامد أبو زيد، معنای متن (مفهوم النص)،

ترجمة: مرتضى كريمي نيا، ص ٥١٧.

(٢) سوف نتحدث عن (سماوية الألفاظ القرآن) بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

باستلام معارف محددة ينزلها الله عليهم إمّا مباشرة أو بتوسط الملك.

٧- إن النزعة التجريبية إلى الوحي لا تتسجم مع النصوص الواردة عن الله تعالى والنبى الأكرم (ﷺ).

٨- إن لتفسير الوحي بالتجربة الدينية تبعات باطلة، ومنها: أنسنة الوحي والدين، وجواز الخطأ على الوحي، وقصور يد الإنسان عن بلوغ الحقائق الإلهية.

أسئلة نموذجية

- ١- اذكر أسباب الذهاب إلى القول بالتجربة الدينية في العالم المسيحي.
- ٢- ما هو الوحي في الاتجاه التجريبي.
- ٣- اذكر أسباب ظهور النزعة التجريبية إلى الوحي.
- ٤- ما هي الأمور التي يختلف فيها القرآن والسنة عن النزعة والتوجه التجريبي إلى الوحي؟
- ٥- اذكر الإشكالات التي يمكن توجيهها إلى النزعة التجريبية إلى الوحي.
- ٦- اذكر التبعات الباطلة المترتبة على تفسير الوحي بالتجربة الدينية.

واحة المصادر

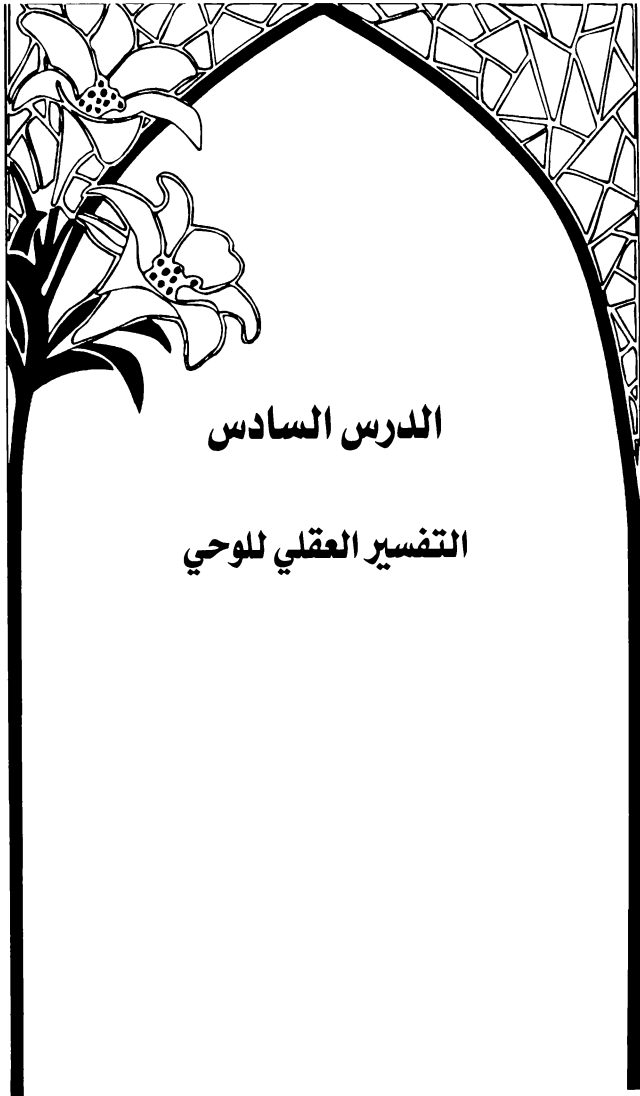
- ١- عبد الله جوادي آملی، تفسير موضوعي، ج٣، (الوحي والنبوة)، ص٨٢-١١٨.
- ٢- مايكل بيترسون، عقل واعتقاد ديني، ترجمة: أحمد النراقي، ص٣٥-٥٩.
- ٣- أبو الفضل الساجدي، (زيان دين) وقرآن، ص٢٦١-٢٨٢.
- ٥- السيد محمود نويان، (حقيقت وحي وتجربة ديني)، مجلة: رواق

انديشه، العدد: ١، ص ١ - ٢١.

تحقيق

هل يتفق تنزّل التدين إلى الشعور الباطني الذي هو من آثار التحليل التجريبي للوحي^(١) مع الآيات والروايات؟ حقّق في هذا الموضوع.

(١) فين براوفوت، تجريه ديني، ترجمة وتوضيح: عباس يزداني، ص ٢٩.



الدرس السادس

التفسير العقلي للوحي

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

- ١- أن يتعرّف على أسباب عجز الإنسان عن فهم حقيقة الوحي.
- ٢- أن يشرح الأسس المشتركة في تحليل الفلاسفة للوحي.
- ٣- أن يتعرّف على تفسير بعض الفلاسفة للوحي.
- ٤- أن يبيّن الإشكالات الواردة على تفسير الفلاسفة.
- ٥- أن يثبت أنّ اللازم من تفسير الفلاسفة أن يكون الوحي أمراً حصولياً واكتسابياً.

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال:

«دعامة الإنسان العقل، ومن العقل: الفطنة، والفهم، والحفظ، والعلم. فإذا كان تأييد عقله من النور، كان عالماً حافظاً ذكياً فطناً فهماً. وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره»^(١).

(١) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١، ص ٩٠، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

مقدمة

يُعدّ الوحي علماً ممتازاً واستثنائياً يأتي من خارج دائرة الحسّ أو العقل وسائر المصادر المتعارفة الأخرى، فالوحي ارتباط خفي يحصل عليه بعض عباد الله المخلصين من خلال ارتباطهم بالعالم الأعلى، أمّا سائر الناس فلا نصيب لهم من هذا الارتباط، ولا يمكنهم إدراك حقيقته بشكلٍ دقيق؛ لأنه مفاير لسنخ معارفهم؛ وعليه حتى إذا بادر النبيّ ومن يشاهد الوحي إلى وصفه وشرحه لنا، لن نستطيع أن ندركه على حقيقته، ولن نحصل من ذلك الارتباط، وذلك العالم المكتشف بالأسرار، إلا على صورة شبحية؛ إذ لا يمكن وصفه من خلال الألفاظ البشريّة، وإننا لم نجرّبه أبداً. كما هو الحال إذا أردنا أن نصف لمن هو كفيف البصر منذ الولادة جمال لون الأزهار، ونضرة الحدائق، وألوان ريش الطاووس، وأطياف قوس قزح، فإنّه لن يدرك من جميع ذلك سوى تصوّرات مبهمّة.

ولكن على الرغم من استحالة معرفة الوحي من خلال الأدوات الحسيّة المتعارفة، وعجزنا عن إدراك حقيقته، يمكن لنا إلى حدّ ما التعرف عليه من خلال آثاره ونتائجه؛ وعلى هذا الأساس يسعى بعض العلماء - من خلال سبر أغوار الوحي والتوصّل إلى أسرارهِ - إلى الكشف عن بعض زواياه، وقد عمد الفلاسفة إلى تفسير الوحي على أساسٍ من المباني العقلية. وهذا ما نسعى إلى نقده ومناقشته في هذا الدرس، على النحو الآتي:

أ - بعض أسس التفسير العقلي للوحي

هناك من الفلاسفة المسلمين من ذهب - على أساس بعض المباني الفلسفية، مع اختلاف يسير في البيان - إلى اعتبار الوحي حصيلة ارتباط بين النبيّ والعقل الفعّال. وإنّ تلك المباني عبارة عن:

١- إن آخر عقلٍ من العقول^(١)، وهو المسمّى بـ (العقل الفعّال) يُعتبر هو العلة لظواهر العالم المادي وهو القائم على تديريها. كما يعمل هذا العقل إلى إخراج النفوس الإنسانية من القوة إلى الفعلية، ويُفيض الحقائق والمعارف على المؤهلين من الناس.

٢- إن لروح الإنسان ثلاث قوى، وهي: (قوة الحسن) التي تدرك صور المحسوسات. و(قوة الخيال) التي تدرك الصور الذهنيّة الجزئية. و(قوة العقل) التي تدرك الصور الكلية والعامّة.

٣- كلما كانت (قوة الخيال) و(قوة العقل) أقوى، فإنها تكون أكثر استعداداً إلى الاتصال بالعقل الفعّال، والحصول على علومه ومعارفه.

ب - تفسير بعض الفلاسفة للوحي

بعد أن تعرّفنا باختصار على المباني المشتركة للتفسير العقلي للوحي،

(١) إن سلسلة العقول في الفلسفة المشائية تتكون من عشرة عقول، ويذهب أتباع هذه المدرسة إلى القول بأنّ الله واحدٌ وبسيط من جميع الجهات. وبناءً على السنخية بين العلة والمعلول، وقاعدة (الواحد لا يصدر عنه إلا واحد)، يستحيل أن يصدر عن الله أكثر من معلول. وعلى هذا الأساس فإنّ الله تعالى إنّما خلق العقل الأول. وإنّ هذا العقل الأول رغم وحدته الشخصية إلا أنّه يحتوي على جهتين:

الأولى: إدراك الواجب تعالى الذي هو علة صدور العقل الثاني.

والثانية: إدراكه لوجوده وماهيته، الذي هو علة إيجاد وجود وماهية الفلك الأول. وإنّ كلّ واحد من العقول التالية أوجد بنفسه عقلاً وفلكاً آخر، حتى اكتملت العقول عشرة. انظر: ابن سينا، الشفاء: الإلهيات، المقالة التاسعة، الفصل الرابع والفصل الخامس، ص ٤١٠ - ٤٣٧؛ والعلامة محمّد حسين الطباطبائي، نهاية الحكمة، ص ٢١٥ - ٢٢١. ويذهب شيخ الإشراق السهروردي إلى عدم انحصار هذه السلسلة بعشرة عقول. انظر: شهاب الدين السهروردي، سلسلة مصنّفات شيخ الإشراق، تصحيح وتقديم: هنري كوربان، ج ٢، ص ١٢٥ - ١٢٦، و ١٣٦.

ندخل في بحث رؤية بعض فلاسفة المسلمين في هذا الشأن^(١):

١- الفارابي وتفسير الوحي

كان الفارابي (٢٥٧ - ٣٢٩ هـ ق) هو أول من عمد إلى تفسير الوحي تفسيراً عقلياً من بين علماء المسلمين، وقد بادر إلى ذلك بغية التوفيق بين المعارف الدينية وبين المعطيات الفلسفية، والدفاع العقلي عن الوحي^(٢). وقد قُبِل هذا التفسير الذي قدّمه الفارابي للوحي - مع اختلاف يسير في الآراء - من قبل علماء آخرين حتى من غير المسلمين، ومن بينهم الحكيم اليهودي: موسى بن ميمون، والحكيم الإلهي: ألبرت الكبير (حوالي: ١٢٠٠ - ١٢٨٠ م).

لقد تأثر الفارابي في تفسيره وتحليله للوحي بمذهب أرسطو في علم النفس، رغم عدم إنكار دور إيمانه الديني في هذا التفسير^(٣). يقوم تفسير الفارابي للوحي على أساس من تعاليم منظومته المعرفية والوجودية فيما يتعلق بالعقول، وسلسلة مراتبها، والعقل البشري. وقد ذهب الفارابي إلى القول بأنَّ

(١) للاطلاع على معرفة آراء العلماء الآخرين، من قبيل: الغزالي، وابن رشد في باب الوحي، انظر:

موسى ملايري، تبين فلسفي وحي از فارابي تا ملا صدرا، ص ٩٠ - ٩٩، وص ١١٢ - ١٢٦.

(٢) هناك من قال بأنَّ الأسباب التي دعت الفارابي إلى تفسير الوحي فلسفياً تعود إلى الظروف الاجتماعية الخاصة التي عاصرها والبيئة التي عاشها. فقد عاش الفارابي في عصر كثر فيه النقاش حول الوحي من قبل منكره، من أمثال: أحمد بن إسحاق الراوندي. وقيل: إنَّ الفارابي ألّف كتابين في نقض آرائه. (انظر: إبراهيم بيومي مذكور، در باره فلسفه اسلامي، روش وتطبيق آن، ترجمة: عبد المحمّد آيتي، ص ٧٢. وعبد المحسن زرين كوب، در قلمرو وجدان، ص ٢٥٩. ورضا داوري اردكاني، فارابي، ص ٢٥٦ - ٢٥٧).

(٣) انظر: رضا داوري اردكاني، فارابي، ص ١١٢. وإبراهيم مذكور بيومي، در باره فلسفه اسلامي، روش وتطبيق آن، ص ٧٩. لقد صنّف أرسطو رسالتين تحت عنوان: (الأحلام)، و(النبوة من طريق الرؤى) وكان لهما تأثير ملحوظ في الفلسفة الإسلامية. المصدر المتقدّم، ص ٧٤.

للعقل الإنساني ثلاث مراتب، وهي: العقل بالقوة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد. فإنَّ عقل الإنسان عند ولادته يكون عقلاً بالقوة وبشكل هيوولي. وإنَّ النبيَّ من خلال رقيّه في القوة التخيلية، يرتبط بالعقل الفعّال، ومن ثمَّ يخرج ذلك العقل الأول - بإفاضة المعقولات عليه من العقل الفعّال - من مرحلة القوة، ويتحوّل إلى الفعلية. وعند حصول الإنسان على جميع المعقولات، يكون قد بلغ مرحلة العقل المستفاد، ويتساوى مع العقل الفعّال في الرتبة^(١). فإنَّ العقل الفعّال هو الوجود الأخير في سلسلة المجرّدات، وهو يحتوي على صور جميع الكائنات^(٢). وقد عبّرت النصوص الشرعية عن العقل الفعّال بـ (الروح الأمين)، أو (روح القدس)^(٣).

فإنَّ طريق الوصول إلى مرحلة العقل المستفاد بالنسبة إلى النبيّ يختلف عن الطريق الذي يسلكه الحكيم والفيلسوف، فإنَّ الحكيم والفيلسوف إنما يصل إلى العقل المستفاد من خلال القراءة والدراسة النظرية المتواصلة، فيشاهد الحقائق المذهلة. وطبعاً فإنَّ الفارابي يرى للأنبياء (عليهم السلام) مقام الحكمة أيضاً، وذلك حيث قال: (فيكون بما يفيض منه [أي: من العقل الفعّال] إلى المنفعل حكيماً فيلسوفاً ومتعلّماً على التمام، وبما يفيض منه إلى قوته المتخيّلة نبياً منذراً بما سيكون، ومخبراً بما هو الآن من الجزئيات)^(٤).

(١) محمّد بن محمّد الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ١٢٤.

(٢) محمّد بن محمّد الفارابي، السياسة المدنية، ص ٢.

(٣) انظر: محمّد بن محمّد الفارابي، (معاني العقل) في مجموعة رسائل الفارابي، ص ٤٩ - ٥٢. وفيما يتعلق بالعقل عند الفارابي، انظر: علي مراد داودي، عقل در حكمت مشاء از ارسطو تا ابن سينا، ص ٢٣٨ - ٢٥٦. وصدر المتألّهين محمّد الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج ٣، ص ٤٦.

(٤) محمّد بن محمّد الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ١٢٥.

وعلى هذا الأساس يكون النبيّ - من وجهة نظر الفارابي - شخصاً يتمتع بقوة تخيلية عالية، تمكّنه من الاتصال بالعقل الفعّال، ويحصل من خلاله على العلوم السماوية والأمور الغيبية.

٢- ابن سينا وتفسير الوحي

كان ابن سينا من جملة المفكرين والعلماء المسلمين الذين تبنا هذا التفسير من الفارابي، ولكنه أجرى عليه بعض التغيير، فذهب في تعريف الوحي مذهب الفارابي فقال: (الوحي: لوحٌ من مراد الملك للروح الإنساني بلا واسطة)^(١).

وعلى الرغم من ذهاب ابن سينا إلى اعتبار العقل^(٢) مشتملاً على أربع مراتب^(٣)، خلافاً للفارابي، ولكنه يذهب مذهبه في اعتبار المرتبة الأخيرة من مراتب العقل، هي مرتبة العقل المستفاد، التي يبلغ المرء فيها أعلى درجات الكمال، ويتوصل إلى العلل الأولى لوجود التشابه، وذلك حيث يقول: (عند العقل المستفاد يتمّ الجنس الحيواني والنوع الإنساني منه، هناك تكون القوّة الإنسانية تشبّهت بالمبادئ الأولى للوجود كله)^(٤).

وقد ذهب ابن سينا إلى القول بأنّ الوحي يحصل بشكل مفاجئ، ودون

(١) محمد بن محمد الفارابي، فصوص الحكم، الفص: ٥٦، ص ٨٧. والحسين بن عبد الله بن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعة، ص ٦٦.

(٢) فيما يتعلق بالعقل من وجهة نظر ابن سينا، انظر: علي مراد داودي، عقل در حكمت مشاء از ارسطو تا ابن سينا، ص ٣١٨ - ٣٢٩.

(٣) حيث أضاف (العقل بالملكة) إلى سائر مراتب العقل الأخرى، والذي يصل إليه الفرد من خلال الوعي بالقضايا البديهية من طريق مرتبة العقل الهولاني. (انظر: الحسين بن عبد الله بن سينا، الإشارات والتنبهات، ج ٣، ص ٣٥٣ - ٣٥٤).

(٤) أبو علي بن سينا، النجاة، ص ١٦٦.

طَيَّ هذه المراحل العقلية. ومن هنا فقد طرح مسألة (قوة الحدس)^(١) وسرعة حصوله. إذ يرى اختلاف الناس في (قوة الحدس). فإن هذه القوة تكون من الضعف عند بعض الأفراد بحيث لا يحصل لديهم أي نوع من أنواع الحدس، في حين تبلغ عند آخرين من القوة والشدة حتى تصل إلى كمالها التام الذي يسمّى بـ (العقل القدسي)، وفي هذه المرحلة يتمكن أصحاب هذه المرتبة من حدس المجهولات في مدة زمنية قصيرة جداً، وكأنه يقرأ كل شيء مكتوباً في صفحة أمامه، قال ابن سينا: (وهذا الاستعداد - قوة الحدس - يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعال إلى كثير شيء .. كأنه يعرف كل شيء من نفسه، وهذه الدرجة أعلى درجات هذا الاستعداد. يجب أن تُسمّى هذه الحالة من العقل الهولاني، عقلاً قدسياً)^(٢).

إن ما يحصل عليه العقل القدسي، يفيضه على (القوة التخيلية)، فتعمد القوة التخيلية بدورها إلى إلباسها حلة لفظية وصوتاً مادياً، فتحكي عنها بالصوت والصورة.

ويرى ابن سينا أن مرتبة العقل المستفاد أرقى من مرتبة العقل القدسي، فهو نوع من النبوة، بل هو أعلى درجات النبوة، وذلك حيث يقول: (وهذا ضرب من النبوة، بل أعلى قوى النبوة)^(٣).

ويذهب ابن سينا إلى اعتبار الوحي تأثير المجرد والنفسي في المجرد، فهو

(١) يبدو من كلام ابن سينا أن الحدس في مصطلح الفلاسفة يعني: سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطلوب. (انظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج ١، ص ٤٥١ - ٤٥٤).

(٢) ابن سينا، النجاة، ص ١٦٦ - ١٦٨. وكذلك انظر: الإشارات والتبهيّات، ج ٣، ص ٣٥٩ - ٣٦٢.

(٣) المصدر المتقدّم، ص ١٦٨.

غير مادي. توضيح ذلك: إن هناك في إنجاز كل عمل تأثيراً لشيء على شيء آخر. وقد يكون كلا هذين الشيئين أمراً نفسانياً مجرداً، وقد يكونان جسميين. أو أن يكون أحدهما مجرداً والآخر جسمانياً. وأما في مسألة الوحي فيكون كلا الشيئين من المؤثر والمتأثر مجرداً ونفسانياً؛ إذ المؤثر هو العقل الفعّال، والمتأثر هو النفس الإنسانية، قال ابن سينا: (أما الوحي والكرامات فإنها داخله في تأثير النفساني في النفساني؛ إذ حقيقة الوحي هو الإلقاء الخفي من الأمر العقلي بإذن الله تعالى في النفوس البشرية المستعدة لقبول مثل هذا الإلقاء .. في حالة اليقظة)^(١).

كما تشير هذه العبارة إلى عدد من خصائص الوحي، من قبيل: (بإذن الله)، و(الإلقاء الخفي).

قارن بين رأيي الفارابي وابن سينا في مسألة الوحي؟

٢- شيخ الإشراق السهروردي وتفسير الوحي

على الرغم من اختلاف المذاق الفلسفي لشيخ الإشراق شهاب الدين السهروردي عن الفلسفة المشائية، إلا أنه يوافق أتباعها في تفسير الوحي إلى حد كبير، وطبعاً فإنه يستشهد لتفسيره بالآيات والروايات أيضاً.

يقوم اعتقاد السهروردي على أن المخلوق الأول لله جوهر مجرد وهو العقل، وروي عن النبي الأكرم (ﷺ) أنه قال: «أول ما خلق الله العقل»^(٢).

فإن العقل الأول من حيث نسبته إلى علته - التي هي أشرف منه - يعمل على إيجاد العقل الأول، ومن حيث الإمكان يخلق الفلك الأول، ليعمل العقل الثاني على خلق العقل الثالث والفلك الثاني على ذات النسق. وعلى

(١) الحسين بن عبد الله بن سينا، الرسائل، ص ٢٢٣.

(٢) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١، ص ٩٧.

ذات الوتيرة تُخلق العقول والأفلاك المتعددة الأخرى بشكلٍ طولي^(١). وإنَّ (روح القدس) هو آخر العقول في هذه السلسلة.

فإنَّ شيخ الاستشراق شأنه شأن المشائين في الاعتقاد بالعقول، والنفوس الفلكية والإنسانية، وعالم المادة، وبذلك آمن بوجود عوالم ثلاثة، وقال: (فالعوالم ثلاثة: عالم العقل، وهو الجبروت. وعالم النفس والكلمة، وهو الملكوت. وعالم الجرم، وهو الملك)^(٢).

(فالفيض متصل من الواجب وجوده إلى العقل، ومنه إلى النفس، ومنه إلى الجرم)^(٣).

وفيما يتعلق بكيفية نزول الوحي على الأنبياء، يذهب السهروردي إلى أنَّ الأفلاك مدركة وواعية بالماضي والمستقبل، وأنَّ لا حجاب بين الروح الإنسانية والنفوس الفلكية سوى القيود الجسدية. فلو نجح الإنسان في تحرير نفسه من قيود الجسد، والسيطرة على شهواته، سيتمكَّن عندها من الاتصال بالسماء، وتكشف له حجب الغيب.

وبالنسبة إلى قدرة الإنسان على الارتباط بالعقل الفعَّال، يذهب شيخ الإشراق مذهب ابن سينا، حيث يتعرض إلى اختلاف الناس في (قوة الحدس). فهناك من الناس من يتمتع بقوة عالية من الحدس، بحيث يتمكن من إدراك المعقولات في مدة قصيرة جداً، كما قال الله تعالى:

(١) انظر: شهاب الدين بن يحيى السهروردي، مجموعة مصنَّفات شيخ اشراق، تصحيح وتقديم: هنري كوربان، ج ٢، ص ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٦. وكذلك: سه رساله از شيخ اشراق شهاب الدين يحيى سهروردي، تصحيح وتقديم: نجف قلي حبيبي، ص ٢٧- ٢٨، و ١٠١ - ١٠٤، و ١٥٦.

(٢) انظر: شهاب الدين بن يحيى السهروردي، مجموعة مصنَّفات شيخ اشراق، ج ١، ص ٤٥٠ - ٤٥١.

(٣) المصدر المتقدِّم، ص ١٦٦.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾^(١). فالنفس الإنسانية تدرك الأمور من خلال العقل الذي هو وجود قدسي، ثم تسري تلك الأمور إلى القوة التخيلية، وأحياناً تسري منها إلى الحسن المشترك، وفي تلك الحالة يشاهد الفرد صوراً جميلة، ويسمع كلاماً حسناً^(٢).

٤- صدر المتألهين وتفسير الوحي

بالالتفات إلى النهج الفلسفي عند صدر المتألهين الذي يسعى فيه إلى العثور على قاسم مشترك بين الفلسفة المشائية والفلسفة الإشراقية من جهة، وبين العقل والنقل من جهة أخرى، نجد أن تفسيره للوحي أقرب إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة. حيث يذهب إلى تقسيم العلوم إلى اكتسابية وغير اكتسابية (موهبة)، واعتبر الوحي من سنخ العلوم غير الاكتسابية، وأنه عبارة عن كلام إلهي يخص به النبي، يعرضه العقل الفعّال على الروح القدسية للنبي.

توضيح ذلك: إنّ للإنسان ثلاثة عوالم، بما يتناسب ومبادئه الإدراكية الثلاثة، وهي: التعقل، والتخيّل، والإحساس. وإنّ تكامل قوّة التعقل يمكن الإنسان من الارتباط بالعالم القدسي والعقل الفعّال ويجعله متحداً معه؛ لأنّ تكامل القوّة النظرية، يجلو النفس الإنسانية ويضيء عليها بريقاً ونوراً ويجعلها على شاكلة العقل الفعّال. وإنّ كمال قوّة التخيّل تمكّنه من رؤية الغيب، ومشاهدة الصور الجميلة، وسماع الأصوات البديعة والمنظومة في عالم اليقظة^(٣). فإنّ العقل الفعّال إذا أفيض على القوّة الناطقة لدى الإنسان، فإنه

(١) النجم: ٥ - ٦.

(٢) المصدر المتقدم، ص ١٠٨ - ١٠٩، و ١٧٤ - ١٧٥.

(٣) انظر: صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، المبدأ والمعاد، تقديم وتصحيح: السيد

سيغدو حكيماً وفيلسوفاً، وأما إذا أفيض على القوة التخيلية فسيغدو نبياً^(١).
 وحيث يتمتع النبي بروح قوية وقدسية، فإنه إثر شدة الارتباط بعالم الغيب يقف على حدود عالم الملك والملكوت، وإن إقباله على أحدهما لا يؤدي به إلى الغفلة عن الآخر. فإن ما يحصل عليه النبي من طريق الروح القدسي ويفيضة على قلبه، ينتقل من القلب إلى قوة الخيال، ومن قوة الخيال إلى الحس المشترك^(٢)، ومنه يظهر على قوة السمع والبصر. وفي هذه الحالة يشاهد الملك الموكل بالوحي في أبهى صورته، ويسمع كلامه وما يحمله عن الله تعالى بوضوح كامل، وكأنه فلق الصبح.

وفي إشارة منه إلى مذهب بعض الفلاسفة المشائين، قال صدر المتألهين: (وهذا الأمر المتمثل بما معه أو فيه، ليس مجرد صورة خيالية لا وجود لها في خارج الذهن والتخيّل، كما يقوله من لا حظ له من علم الباطن، ولا قدم له في أسرار الوحي والكتاب، كبعض أتباع المشائين)^(٣).

وقد صرّح بأنّ تمثّل الملك وسماع صوته حقيقة واقعية. وطبعاً فإنّ الوحي

جلال الدين الأشتياني، ص ٤٨٠ - ٤٨٢.

(١) المصدر المتقدّم، ص ٤٩٣.

(٢) قال الملا هادي السبزواري في شرح هذه المسألة في حاشيته على الأسفار: (لأنّ الحسّ المشترك كمرآة ذات وجهين: أحدهما إلى الخارج، ينطبع فيه صور المحسوسات التي تأدّت إليه من المشاعر الظاهرة. والآخر: إلى الداخل، يتلقّى به ما يؤدي إليه من الألواح العالية...). (صدر الدين محمد الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج ٧، ملحق تعليقات الملا هادي السبزواري، التعليقة رقم: ٣١، ص ٤٣٠، انتشارات بنياد حكمت اسلامي صدر، ط ١، شتاء عام: ١٣٨٠ هـ ش).

(٣) انظر: صدر المتألهين الشيرازي، ج ٧، ص ٢٦، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت. وكذلك كتابه: تفسير القرآن الكريم، ج ٧، ص ١١٤ - ١١٦.

في كلّ مرحلة يُمثل حقيقة متناسبة وتلك المرحلة: ففي عالم العقل يتمثل على هيئة الوجود العقلي، وفي عالم المثال على صورة الألفاظ والأصوات المثالية، وفي عالم المحسوسات على شكل ألفاظ وأصوات مرئية ومسموعة. فإنّ حقيقة ملك الوحي تتمثل للنبيّ على غير صورته في عالم الأمر والتجرّد؛ وذلك لأنه يتنزل عن عالم الأمر والتجرّد، ويظهر على صورة مخلوق مقدر. وعلى الرغم من أنّ الوحي بعد إلقائه على قلب النبي، وأنّه يبرز من باطنه إلى ظاهره، يختصّ هو بسماعه دون غيره؛ لأنّه في جميع هذه المراحل يدرك الوحي بعينه وسمعه العقلي والباطني^(١)؛ وعليه فإنّ تكلم الله مع النبيّ عند صدر المتألّهين عبارة عن: إفاضة الحقائق وإلقاء المعارف على قلبه الشريف، واستماع الوحي، وسماع الكلام العقلي بواسطة سمعه القلبي^(٢).

هل تفسير صدر المتألّهين للوحي أشبه بتفسير الفارابي أو ابن

سينا؟ ومن أيّ ناحية؟

ج - نقد ومناقشة التفسير العقلي للوحي

كما تقدم أن ذكرنا فإنّ التفسيرات العقلية للوحي على الرغم ممّا بينها من الاختلافات الطفيفة، إلّا أنّ لها مباني وأسس مشتركة؛ لذلك فإننا لا نجد حاجة إلى مناقشة كلّ واحدٍ منها بشكلٍ مستقل، وسوف نكتفي بنقد المباني فقط.

فإنّ للعلماء فيما يتعلق بالتفسير العقلي للوحي آراء مختلفة. فهناك من يرى أنّ له أنواعاً متعدّدة، وهناك من ارتضاه، وهناك من المنظرين من اعتبره على ما هو عليه من أفضل أنواع التفسير. وسنعمد بدورنا إلى بيان

(١) انظر: المصدر المتقدّم، ج٧، ص٢٨.

(٢) انظر: صدر المتألّهين الشيرازي، مفاتيح الغيب، ص١٩.

كلمات هؤلاء العلماء تحت عنوانين، هما: (مخالفة التفسير العقلي للوحي)، و(موافقة التفسير العقلي للوحي)، لنقوم بعد ذلك بنقدها ومناقشتها.

١- مخالفة التفسير العقلي للوحي

إنّ التفسير العقلي للوحي لم يلق موافقة من قبل بعض المحدثين والمتكلمين والمفسرين، بل قال بعضهم بأنه يتعارض ومعتقدات الفلاسفة الآخرين^(١). وقال الغزالي في معرض اعتراضه على الفلاسفة بأنّ معرفة ماهية الوحي مسألة مرتبطة بالنصوص الدينيّة، وهي خارجة عن نطاق قدرة العقل^(٢). كما يرى العلامة المجلسي قيام التحليل الفلسفي للوحي على أمور مخالفة لضروريات الدين^(٣).

فإنّ بعض الإشكالات التي وجّهت إلى التفسير الفلسفي - ومنها ما هو غير وارد - على النحو الآتي:

١- إنّ تفسير الفلاسفة للوحي يقوم بنحوٍ من الأنحاء على وجهة نظرهم في مسألة العقول وترتيبها، في حين أنّ هذه المسألة في حدّ نفسها غير يقينية^(٤)،

(١) انظر: عبد الحسين زرين كوب، در قلمرو وجدان، ص ٢٥٩.

(٢) انظر: أبو حامد محمد الغزالي، تهافت الفلاسفة، ص ١٦١.

(٣) انظر: العلامة محمد باقر المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، ص ١٦٦ - ١٦٧ وكذلك كتابه: بحار الأنوار، ج ١، ص ١٠١ و ١٤٧.

(٤) قال الخواجة نصير الدين الطوسي في شرح كلام أبي علي بن سينا في باب العقول العشرة والأفلاك: (واعلم أنّ الشيخ لم يجزم بكون العقل الأول علّة للفلك الأول، ولا بانقطاع العقول عند الفلك الأخير، ولا بوجوب تواليها في عليّة الأفلاك المتواليّة). (شرح الإشارات والتببيّهات، ج ٢، ص ٢٤٢).

ولم يقدم أي دليل مقنع على إثباتها^(١). يضاف إلى ذلك أن هناك عدّة تساؤلات توجه إليها، وهي كالآتي:

أ - كيف يكون العقل الأول مشتقاً على علوم ثلاثة يمكنها أن تكون علة للعقل الثاني والنفس، وجرماً للفلك الأول؟

ب - كيف تقوم العلاقة والارتباط بين هذه العلوم الثلاثة؟

ج - مع اشتغال العقل الثاني على حيثيات وجهات أكثر بالمقارنة إلى العقل الأول، فلماذا لم تصدر عنه أكثر من ثلاثة أمور؟^(٢)

٢- لم يُقم دليل على انطباق العقل الفعّال على الوحي.

٣- إنّ التفسير القائل بأنّ الوحي ثمرة للارتباط بالعقل الفعّال، مخالف للآيات والروايات التي ترى الوحي اختصاص إلهي يُنزل على قلب النبيّ بتوسط من الملك^(٣).

٤- وفقاً لهذا التفسير ينبغي لكلّ شخصٍ من خلال تعزيز قواه النفسية أن يتمكن من الارتباط بالعقل الفعّال، وأن يستنزل الوحي، في حين أنّ هذا باطل بالبداهة.

(١) انظر: ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، الفصل الحادي والثلاثون: في إبطال الفلسفة وفساد منتحلها، ص ٥٨٩ - ٥٩٤، شركة دار الأرقم، بيروت.

(٢) انظر: إبراهيم بيومي مذكور، در باره فلسفه اسلامي، روش وتطبيق آن، ص ٥٩. ومحمّد تقي مصباح اليزدي، تعليقة على نهاية الحكمة، ص ٢٨٠. وكذلك انظر: أبو حامد محمد الغزالي، تهافت الفلاسفة، ص ١٥٨ - ١٦٣. والدكتور ماني نعمان فرحات، نصير الدين وآراؤه الفلسفية والكلامية، ص ١٧٩ - ١٨٢.

(٣) انظر: جعفر السبحاني، منشور جاويد، ج ١٠، ص ٢٣٨.

٥- بناءً على هذا التفسير يجب أن يكون مقام النبي موازياً لمقام الحكيم، بل ودونه في المستوى؛ إذ يرى هذا التفسير أن ارتباط النبي بالعقل الفعال يتم من طريق القوة التخيلية، في حين أن اتصال الحكيم بالعقل الفعال يتم عبر التأملات الفكرية، ولا شك في أن المعلومات العقلية أشرف من المعلومات التخيلية^(١).

٢- موافقة التفسير العقلي للوحي

هناك من العلماء والمفكرين من ارتضى التفسير الفلسفي للوحي^(٢)؛ إذ يرى الأستاذ الشهيد مرتضى المطهري أن تفسير الفلاسفة للوحي كان من أفضل الفرضيات، وقد تمّ فيه الالتفات إلى ناحيتين مختلفتين من الروح الإنسانية، وهما:

الأولى: الناحية الطبيعية المسانخة للأموال الطبيعية.

والأخرى: الناحية الميتافيزيقية والخاصة بما وراء الطبيعة. وكلما تمكّن الفرد من الارتقاء في الناحية الميتافيزيقية للروح، يمكنه الارتباط بالعالم غير المادي بشكل أفضل. وعلى الرغم من أن عالم الطبيعة يختلف عن ذلك العالم، إلا أن هذين العالمين متطابقان. فعالم المادة معلول لعالم غير المادة. فالروح الإنسانية لتحصيل الوحي تبادر إلى الصعود، لتتزل بعد ذلك، وإن مرحلة صعود النبي مجهولة بالنسبة لنا، فلا نعرف منها إلا نزول الوحي حيث يرتبط بنا، وقد حاول الفلاسفة تفسير الناحية الباطنية، والناحية الخارجية،

(١) انظر: محمد باقر سعدي روشن، تحليل وحي از ديدگاه اسلام ومسيحيّت، ص ٤٣ - ٤٤.

(٢) ذهب آية الله محمد هادي معرفت إلى الاعتقاد بأن بين ما يفهمه الفلاسفة من ظاهرة الوحي، وبين ما جاء في الآيات والروايات نسبة التساوي. انظر: محمد هادي معرفت، اقتراح بيرامون وحي، مجلة: معرفت، العدد: ١٠، ص ٩.

والناحية الإلهية والسماوية من الوحي^(١)، قال الشهيد الأستاذ مرتضى المطهري: (إنَّ أول ما يحصل هو صعود روح النبي، حيث اللقاء بينه وبين الحقائق القائمة في العالم الآخر - ونحن نجهل طبيعة هذا اللقاء ولا نستطيع توضيحه أو شرحه - إذ تُحصَل روح النبي من خلال استعداده الخاص على حقائق كلية في عالم المعقولات .. وإنَّ الحقائق التي حصل عليها في ذلك العلم بشكلٍ معقول ومجرّد، تنزل في مراتب وجود النبي حتى تغدو أمراً حسيّاً (مسموعاً أو مرئياً) بالنسبة إلى النبي .. ثم يرى جبرئيل على حقيقته عندما يتنزّل عليه)^(٢).

وطبعاً فإنَّ الشهيد المطهري وإن عبّر عن تفسير الفلاسفة للوحي بالفرضية، إلاّ أنّه يعترف بأننا لا ينبغي أن نعدّها صائبة مئة في المئة؛ إذ لا تزال هناك بشأنها الكثير من الأسئلة^(٣).

د - نقد رأي

لا شكّ في أنّ هناك استفهامات وتساؤلات بشأن بعض مباني التفسير العقلي للوحي، وأنّ هناك - على ما يبدو - تعارضاً بين بعض عبارات الفلاسفة، ولكن يبدو أنّ مجموع هذه التحليلات والتفسيرات فيما يتعلق بمسائل الوحي الرئيسية، صحيح. وهذا الأمر يتضح من خلال بيان بعض الأسئلة والعتور على أجوبتها من كلمات الفلاسفة أنفسهم، وذلك على النحو الآتي:

١- إنّ الفلاسفة على الرغم من ذهابهم إلى القول بأنّ طريق الوصول إلى الأمور الغيبية يتمّ عبر الارتباط بالعقل الفعال، إلاّ أنّهم بيّنوا مصداق

(١) انظر: مرتضى المطهري، الأعمال الكاملة، ج٤، ص٤١٥ - ٤١٩.

(٢) المصدر المتقدم، ص٤١٦.

(٣) المصدر المتقدم، ص٤١٩.

هذا العقل الفعّال وصرّحوا في الكثير من الموارد بأنّ العقل الفعّال هو (روح القدس) أو (الروح الأمين) المذكور في القرآن الكريم والشرع المقدّس. فقد صرّح الفارابي أنّ الملك ينزل إلى النبيّ بالعلوم من اللوح المحفوظ، أو من الله مباشرة. وقال ابن سينا في بيان معنى الوحي^(١): (الوحي لوحٌ من مراد الملك^(٢) .. أنزله روح القدس)^(٣).

وعلى هذا الأساس، فإنّ هؤلاء الفلاسفة يؤمنون بنحوٍ من الأنحاء بارتباط النبيّ بـ (روح القدس) أو (الروح الأمين)، رغم عدم استدلالهم على انطباق العقل الفعّال على ملك الوحي وروح القدس. يضاف إلى ذلك أننا حتى لو التزمنا بأنّ العقل الفعّال هو الملك، إلّا أنّ الترتيب المذكور للعقول، لا يمكن أن يكون صحيحاً بالنسبة إلى روح القدس، وكذلك ما يقال من أنّ شيخ الاستشراق قد استند إلى رواية «أول ما خلق الله العقل»، فإنّ المراد من العقل في هذه الرواية هو عقل نور النبيّ محمد (ﷺ)؛ إذ يروى عنه أنّه قال: «أول ما خلق الله نوري»^(٤).

وفي رواية أخرى عن الإمام عليّ (عليه السلام) في جواب السؤال عن أول ما خلق الله، قال: «النور»^(٥).

وعلى كلّ حال، فإنّ الفلاسفة يذعنون بأنّ النبيّ يتصل بعالم الملكوت من أجل الحصول على الوحي، وإنّ ما يراه النبيّ على هيئة الملك ليس مجرد

(١) انظر: الفارابي، فصوص الحكم، ص ٣٢ - ٧٢.

(٢) الحسين بن عبد الله بن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعة، ص ٦٦.

(٣) الحسين بن عبد الله بن سينا، الشفاء من الإلهيات، ص ٤٤٢.

(٤) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧، ص ٩٧، الحديث: ٧.

(٥) المصدر المتقدّم، ج ١، ص ٩٦، الحديث: ٢.

تخيّل. قال الفارابي: (فيتمثّل له من الملك صورة بحسبما يحتملها، فيرى ملكاً على غير صورته)^(١).

وعلى هذا الأساس، يذهب الفلاسفة إلى أنّ الأمور التي يدركها الإنسان في المراتب الثلاث: الحواس، والخيال، والعقل، لكلّ واحد منها وجود متناسب وتلك المرتبة، وإنّ هناك ترتباً طويلاً بين هذه العوالم الثلاثة، وإنّ حقائق عالم العقل تتحقّق في مرتبة أدنى ضمن عالم الخيال والحس^(٢).

وقد صرّح صدر المتألّهين بأنّ صنفاً من الملائكة تلتقي في حالة اليقظة بروح الإنسان القدسي، وفي هذه الصورة يستمع الأنبياء إلى الكلام الإلهي، ويحصل هذا الإعلام على الحقائق من خلال حوار حقيقي بين الملك والنبوي، وإنّ الوحي كلام حقيقي إلهي^(٣).

٢- بناءً على تحليل الفلاسفة، هل تعدّ قدرة النبيّ على الاتصال بالعالم الأعلى وبلوغ الوحي، اكتسابية أم فطرية وهبة إلهية؟

على الرغم من ذهاب الفارابي و صدر المتألّهين إلى تكامل قوّة الخيال، وابن سينا وشيخ الاشراق إلى تكامل قوّة الحدس، واعتبار الطريق إلى بلوغهما يكمن في تطهير الروح من الأدران والتعلقات الدنيوية. إلّا أنّهم يصرّحون بأنّ مقام النبوة وبلوغ الوحي موهبة إلهية. فمثلاً يقول صدر المتألّهين: (إنّ النبوة موهبة لا كسبية)^(٤).

(١) أبو نصر الفارابي، فصوص الحكم، ص ٥٦ - ٨٧.

(٢) انظر: مرتضى المطهري، الأعمال الكاملة، ج ٤، ص ٤١٦.

(٣) انظر: صدر الدين محمّد الشيرازي، تفسير القرآن الكريم، ج ٧، ص ١١٥.

(٤) صدر المتألّهين، المبدأ والمعاد، ص ٦١٢ وكذلك انظر: المصدر المتقدّم، ص ١٢٠.

وهكذا يذهب شيخ الإشراق إلى الاعتقاد بأن الإنسان عندما يعمد إلى تطهير روحه، فإنَّ الله تعالى يهديه من الظلمات إلى النور، وهو صريح قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(١). فعلى النبي أن يتحلى بجملة من الشروط ومنها اختياره من قبل الملأ الأعلى بتذكير الناس وإصلاحهم^(٢).

وعلى هذا الأساس، فإنَّ وجهة نظر الفلاسفة متطابقة مع ما يفهم من الآيات والروايات في أنَّ مقام النبوة وبلوغ الوحي موهبة إلهية غير اكتسابية، وإن كانت بعض المقدمات الموصلة إلى ذلك اكتسابية. من قبيل الرواية القائلة: «إنَّ الله وجد قلب محمد أفضل القلوب وأوعاها؛ فاختره لنبوته»^(٣). وكذلك روي عن النبي الأكرم (ﷺ) أنه قال: «ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً، حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته»^(٤).

٣- هل التفسير العقلي للوحي يستلزم أفضلية مقام الفيلسوف على النبي؟

فإنَّ الفلاسفة على الرغم من إشارتهم إلى تكامل قوة الخيال أو قوّة الحدس عند النبي، وقوّة العقل لدى الفيلسوف، إلا أنهم يصرّحون بأنَّ النبي يتمتع ب (روح قدسية). فهذا الفارابي يقول: (إنما يُلاقيها من القوّة البشريّة، روح الإنسان القدسية)^(٥).

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) انظر: سه رساله از شيخ اشراق، ص ٦٨.

(٣) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٠٥، ح: ٣٦.

(٤) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، كتاب العقل والجهل، ح: ١١. وستكون لنا عودة إلى هذا البحث في معرض الحديث عن دور النبي في الوحي إن شاء الله تعالى.

(٥) محمد بن محمد الفارابي، فصوص الحكم، ص ٥٨ و ٨٧.

وكما سبق أن ذكرنا فإن الفارابي يعدّ النبيّ فيلسوفاً، ولكنه لا يرى كلّ فيلسوفٍ نبياً.

وقد أفاد ابن سينا في النمط الثالث من الإشارات أن بإمكان الإنسان الحصول على الروح القدس، وذلك إثر تكامل قوّة الحدس عنده: (إنّ للحدس وجوداً، وإنّ للإنسان فيه مراتب .. يمكن انتهاؤه إلى غنى في أكثر أحواله عن التعلّم والفكرة)^(١).

ويرى صدر المتألهين أنّ الوحي مفاير للحدس والإلهام، ويعتقد بأنّ (صاحب الروح القدس) هو وحده القادر على تحصيل الوحي، إذ يقول: (فيذا توجّهت هذه الروح القدس .. تلقت المعارف الإلهية بلا تعلم بشري)^(٢).

إنّ هذه التصريحات تثبت أنّ أصحاب التفسير العقلي للوحي، لا يذهبون إلى عدم أفضلية الفيلسوف على النبيّ فحسب، بل إنّه لا يستطيع بلوغ مقام النبوة.

وهناك روايات كثيرة تذهب إلى أنّ النبيّ يتمتع بـ (الروح القدس). فقد ذكر الشيخ الكليني في كتاب الحجّة من أصول الكافي، باب (في ذكر الأرواح التي في الأئمة (عليهم السلام)) جانباً من هذه الروايات. من ذلك ما يرويه عن جابر الجعفي بسند صحيح عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٣) قال: «السابقون هم رسل الله (عليهم السلام) وخاصة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح أيدهم بروح القدس، فبه

(١) حسين بن عبد الله بن سينا، الإشارات والتنبيهات، النمط الثالث، ص ٢٥٩.

(٢) صدر الدين محمّد الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج ٧، ص ٢٥ - ٢٦.

(٣) الواقعة: ١٠ - ١١.

عرفوا الأشياء. وأيدهم بروح الإيمان، فبه خافوا الله. وأيدهم بروح القوة، فبه قدروا على طاعة الله..»^(١).

وفي الرواية الأخيرة من هذا الباب بعد الإشارة إلى خمسة أرواح موجودة في الأنبياء (عليهم السلام) جاء ما يلي: «روح القدس، فبه حمل النبوة، فإذا قبض النبي (ﷺ)، انتقل روح القدس فصار إلى الإمام»^(٢).

وقد وضع العلامة المجلسي - في معرض شرحه هذا الحديث - كلام الحكماء بشأن مراتب العقل الأربعة (الهيولاني، بالملكة، بالفعل، والمستفاد) وتحليل الوحي في باب التشبيه، وقال فيما يتعلق ببيان الروح القدس المشار إليه في هذه الروايات: (ويُحتمل أن يكون ارتباط روح القدس متفرعة على حصول تلك الحالة القدسية للنفس، فتطلق روح القدس على النفس في تلك الحالة)^(٣).

٤- هل يلزم من التفسير العقلي للوحي أن يكون حصولاً بالضرورة؟

لقد صرح الفلاسفة في كلماتهم بأن هناك ارتباط بين روح وباطن النبي وبين روح القدس^(٤). فمثلاً قال ابن سينا: (فيكون الموحى إليه يتصل بالملك بباطنه، ويتلقى وحيه بباطنه)^(٥).

(١) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٢٧١، كتاب الحجّة، باب في ذكر الأرواح التي في الأئمة، ح: ١.

(٢) المصدر المتقدم، ح: ٣.

(٣) انظر: العلامة محمد باقر المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، ج ٢، ص ١٦٦.

(٤) محمد بن محمد الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص ١١٠. وكتابه: فصوص الحكم، ص ٨٧ - ٨٩.

(٥) الحسين بن عبد الله بن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعة، ص ٦٦.

النتيجة

إنّ الأنبياء - من وجهة نظر الفلاسفة - يحصلون على الوحي بشكلٍ حضوري من خلال ارتباطهم بالملك، وإنّ بلوغ هذا المقام ليس اكتسابياً بالكامل.

خلاصة الدرس

- ١- إنّ الوحي النبوي موهبة فذة وغير عادية، ومن غير الممكن لغير صاحب الوحي أن يعرف أو يدرك حقيقته، إذ لا يمكن لغير الأنبياء تجربته.
- ٢- على الرغم من استحالة التعرف على حقيقة الوحي لعامة الناس، إلاّ أنّه يمكن إدراكه إلى حدّ ما من خلال مشاهدة آثاره ومعطياته. وانطلاقاً من ذلك عمد بعض العلماء إلى تفسير الوحي.
- ٣- إنّ الأسس الفلسفية المشتركة في التحليل العقلي للوحي، عبارة عن:
 - أ - إفاضة الحقائق والمعارف على المستعدين من الناس بواسطة العقل الفعّال.
 - ب - إنّ الإنسان يتمتع بثلاث قوى، وهي: قوّة الحس، وقوّة الخيال، وقوّة العقل.
 - ج - إنّ كمال قوّة الخيال والعقل يُعدّ الإنسان للاتصال بالعقل الفعّال، والتعرف على الأمور الغيبية.
 - ٤- يذهب الفارابي إلى الاعتقاد بأنّ للعقل الإنساني ثلاث مراتب، هي: العقل بالقوّة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد، وإنّ العقل المستفاد يرتبط بالعقل الفعّال المعبر عنه في لسان الشرع بـ (روح القدس). وإنّ النبيّ من خلال تكامل قوّة الخيال يتمكن من الارتباط بوحي السماء.
 - ٥- إنّ النبيّ من وجهة نظر ابن سينا يتمتع بقوّة حدس قوية وسريعة الانتقال، وبذلك يمكنه الارتباط بالعقل الفعّال، ويتعرف على الأمور الغيبية والمعارف الإلهية.

٦- على الرغم من اختلاف النهج الفلسفي لشيخ الإشراق عن نهج الفلاسفة المشائين، إلا أنه يذهب مذهبهم في تفسير الوحي، إذ يرى أنّ الطريق إلى العلم بالغيب يمرّ عبر الاتصال بالنفوس الفلكية، ومن الممكن تحصيل هذا الاتصال من خلال تكامل قوّة الحدس.

٧- إنّ للفلاسفة أحكاماً مختلفة بشأن التفسير العقلي الذي أفاده الفلاسفة عن الوحي. فهناك من رأى أنه أفضل فرضية، أو أنها موافقة للكتاب والسنة. وهناك من ذهب إلى اعتباره مخالفاً حتى لأسس الفلاسفة أنفسهم، وأنه متعارض مع القرآن والروايات.

٨- على الرغم من عدم خلو بعض أسس التفسير العقلي للوحي - من قبيل: عدد العقول والأفلاك ونحو ترتيبها - عن الإشكال، وعلى الرغم مما يبدو من ظاهر بعض عبارات الفلاسفة من التعارض مع الآيات والروايات، إلا أنهم يعتقدون أيضاً بأنّ النبي يرتبط بملك الوحي، وإنّ مقام النبوة ليس اكتسابياً، بل هو هبة من الله. وإنّ للنبي روحاً قدسية، وإنّ علوم الوحي ليست حصولية بل حضورية.

أسئلة نموذجية

- ١- لماذا لا يمكن التعرف على حقيقة الوحي النبوي بشكلٍ دقيق؟
- ٢- أذكر الأسس المشتركة في التحليل العقلي للوحي.
- ٣- اشرح تفسير الفارابي للوحي.
- ٤- بيّن تفسير ابن سينا للوحي.
- ٥- اذكر نقاط الاشتراك والافتراق بين تفسير شيخ الإشراق للوحي وبين تفسير الفلاسفة المشائين.

- ٦- اذكر أربعاً من الإشكالات التي اعتبرت واردة على التفسير العقلي للوحي.
- ٧- هل يلزم من التحليل العقلي الذي قدّمه الفلاسفة للوحي أن يكون اكتسابياً؟ ولماذا؟
- ٨- أثبت بالشواهد أنّ الفلاسفة يذهبون أيضاً إلى اعتبار الوحي علماً حضورياً.

واحة المصادر

- ١- إبراهيم بيومي مدكور، در باره فلسفه اسلامي وروش تطبيق آن، ترجمة: عبد المحمّد آيتي، ص ٧٣ - ٧٦.
- ٢- جعفر السبحاني، تبين وحي، مجلة كلام التخصصية، العدد: ٢٦، ص ٨ - ١٢.
- ٣- موسى الملايري، تبين فلسفي وحي از فارابي تا ملا صدرا، ص ٥٢ - ١٨٤.
- ٤- رضا داوري اردكاني، فارابي، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.
- ٥- أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص ١٠٦ - ١٢٥.
- ٦- أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة، المسألة السادسة عشرة، ص ١٧٥ - ١٨٨.
- ٧- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، ص ١٩ - ٢٢.

تحقيق

حقّق بشأن التفسير العقلي الذي قدّمه أبو حامد الغزالي عن الوحي.



الدرس السابع

الوحي كلام الله المباشر مع النبي

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

١- أن يدرك أنّ الوحي هو كلام الله الذي كَلَّمَ به الأنبياء (عليهم السلام).

٢- أن يتعرّف على مختلف التفسيرات لكلام الله.

٣- أن ينقد التفسير القائل بأنّ الكلام الإلهي هو ذات الكلام النفسي.

٤- أن يتعرف على الاستعمالات اللغوية والقرآنية للكلام.

٥- أن يتمكن من إثبات أنّ الوحي تكلم حضوري مباشر.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّهُ لَنُنزِّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ

الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾^(١).

اتضح من تضايع الدروس السابقة أنّ الوحي ليس له منشأ بشري، بل هو علم خاصّ وتفهم غير اعتيادي لسلسلة من الحقائق والمعارف التي يخصّ بها الله من يجتبيهم من عباده (الأنبياء). وقد أشار القرآن الكريم إلى منشأ الوحي السماوي، إذ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ^(٢) مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾^(٣). ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ

(١) الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤.

(٢) إنّ كلمة (ذلك) في الآية إشارة إلى الأوامر والنواهي التي سبق ذكرها في الآيات السابقة، وحيث اشتملت تلك الأحكام على المصالح تمّ التعبير عنها بالحكمة. (انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٢، ص ١٠٢).

(٣) الإسراء: ٣٩.

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١١﴾ .

بالالتفات إلى عجزنا عن تجربة الوحي، فإن معرفته لن تكون ممكنة لنا إلا من خلال الرجوع إلى طريقه هذا النوع من التواصل المعرفي المتمثل بالله والنبوي. فقد تحدث الله عز وجل في القرآن الكريم، والنبوي الأكرم (ﷺ) في الأحاديث الشريفة الماثورة عنه بشأن مسألة الوحي بوضوح؛ وعليه يمكن التعرف على حقيقة الوحي والارتباط السماوي إلى حد ما من خلال الرجوع إلى نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة.

الوحي كلام الله

لقد دلت الشواهد العديدة من القرآن الكريم والروايات أن لله كلاماً وتكليماً، وأن الوحي هو كلام الله مع الأنبياء، وإليك جانباً من تلك الشواهد:

أ - يذهب القرآن الكريم إلى اعتبار الوحي سواء أكان مباشراً أم بالواسطة هو كلام الله مع الإنسان، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآدَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾^(١).

جاء في بيان سبب نزول هذه الآية الشريفة أن نفرأ من اليهود دخلوا على رسول الله، فقالوا له: (ألا تكلم الله وتتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فإننا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك) فقال النبي (ﷺ): «إِنَّ مُوسَى لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ»؛ فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ﴾.. الآية^(٢). ليثبت أن كلام الله مع الأنبياء (ﷺ) لا ينحصر بالتكليم، كما كان بالنسبة إلى الوحي الذي نزل على النبي موسى (ﷺ)، بل قد يكون عبروسيط من الملائكة. من هنا فقد ذهب بعض المفسرين إلى التصريح بأن عبارة ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ لا يمكن أن تكون من الاستثناء المنقطع، واعتبار الوحي في الآية خارج دائرة الكلام الإلهي؛ إذ إن جميع الأقسام الثلاثة المذكورة في هذه الآية داخل في الكلام الإلهي^(٣).

(١) الشورى: ٥١.

(٢) محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن المعروف بـ (تفسير القرطبي)، ج ٨، ص ٤٥٦، دار البيان العربي، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٣) انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٣٦.

ب - إنَّ القرآنَ الكريمَ ينسب لفظ (القول) ومشتقاته إلى الله سبحانه وتعالى^(١)، ويعتبر (الوحي) قول الله^(٢)، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(٣).

ج - إنَّ الله تعالى يعبر عن هذا الكتاب السماوي والقرآن الكريم بالوحي الإلهي، وأحياناً أخرى يصفه بأنه كلام الله، وذلك على النحو الآتي:

١- الآيات التي تعبر عن القرآن الكريم بأنه وحي، من قبيل قوله تعالى: ﴿نُحْنُ نُقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِينَ الْغَافِلِينَ﴾^(٤). وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٥). ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾^(٦). ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ﴾^(٧).

٢- الآيات التي تصف القرآن الكريم بأنه كلام الله، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾^(٨).

والعلامة محمد حسن الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٧، ص٧٥.

(١) كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾. المائدة: ١١٠.

(٢) انظر: الحاقة: ٤، والتكوير: ١٩.

(٣) المزمّل: ٥.

(٤) يوسف: ٣.

(٥) الشورى: ٧.

(٦) الأنعام: ١٩.

(٧) طه: ١١٤.

(٨) التوبة: ٦. وكذلك: البقرة: ٧٥، والفتح: ٧٥.

فقد اعتبرت هذه الآية الشريفة جميع القرآن الكريم كلام الله عزَّ وجلَّ^(١).

يستفاد من هاتين المجموعتين من الآيات أن الوحي الإلهي هو ذاته كلام الله سبحانه وتعالى.

د - لقد عبّر القرآن الكريم عن التوراة التي هي بدورها وحي إلهي أيضاً بأنها كلام الله، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرَّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

هـ - وهناك أيضاً روايات كثيرة تشير إلى أن الوحي والقرآن الكريم هو كلام الله، فقد روى علي بن سالم عن أبيه، قال: سألت الإمام الصادق (عليه السلام) عن القرآن الكريم، فقال: «كلام الله، وقول الله، وكتاب الله، ووحى الله»^(٣)؛ وعليه يكون إنكار تكليم الله للإنسان بمعنى إنكار الوحي، وهذا لا ينسجم مع أسس وأصول الأديان السماوية^(٤).

(١) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ١٥٥.

(٢) البقرة: ٧٥.

(٣) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١١٦.

(٤) قال الفخر الرازي: (أجمعت الأمة على أن الله تعالى متكلم، ومن سوى الأشعري وأتباعه أطبقوا على أن كلام الله هو هذه الحروف المسموعة والأصوات المؤلفة، وأمّا الأشعري وأتباعه، فإنهم زعموا أن كلام الله تعالى صفة قديمة يعبر عنها بهذه الحروف والأصوات) انظر: الإمام فخر الدين الرازي الشافعي، التفسير الكبير المعروف بـ (مفاتيح الغيب)، ج ٢٧، ص ١٦٦، تفسير الآية الحادية والخمسين من سورة الشورى، المسألة الرابعة، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

وكان معمر بن عباد يذهب إلى الاعتقاد بأن الله تعالى إنما يخلق الأجسام فقط، وحيث إن

من هنا كان تكليم الله للأنبياء مقبولاً عند أتباع جميع الشرائع السماوية (ﷺ) لأنهم يؤمنون بأن الله تعالى قد أمر الأنبياء ونهاهم، والأمر والنهي لا يكون إلا من خلال الكلام^(١).

الكلام والتكلم

إنّ مادة (كلم) في اللغة معنيين رئيسين، أحدهما (القول الذي يُفِيد معنى)^(٢)؛ وعليه فالكلام بهذا المعنى يتمّ عبر وضع الألفاظ للمعاني، ويدل على اقتران اللفظ بالمعنى عند الاستعمال^(٣). ومن هنا اختلفت الشعوب والأمم في لغاتها، فكان للألفاظ في مختلف اللغات معاني مختلفة. قال العلامة الطباطبائي في هذا الخصوص: (إنّ الكلام أعني تفهيم ما في الضمير بالأصوات المؤتلفة الدالة عليه بالوضع والاعتبار إنما يتمّ في الإنسان، وهو واقع في ظرف الاجتماع.. فلو كان ثمّ إنسان واحد من غير اجتماع فرض لم تمسّ

الكلام ومنه القرآن الكريم من العوارض، لا يمكن أن يكون مخلوقاً لله تعالى. فإنّ العوارض هي التي توجد الأجسام، فإذا سُمع الكلام من الطبيعة، كانت الطبيعة خالقة له، وأحياناً يوجده النبي، ولما كان الله تعالى خالقاً لجميع ذلك، وأنه منح الطبيعة والأنبياء هذه القدرة، يمكن القول بأنّ كلامهم هو كلام الله تعالى. (انظر: أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٨٠).

(١) انظر: صدر المتألهين محمد الشيرازي، المبدأ والمعاد، ص ١٤٥.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٥٢٣، مادة (كَلَّمَ) ومحمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، ص ٥٣٩. والمعنى الآخر: هو الجرح، وجمعه: كُوم وكلام. انظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ١٣١.

(٣) انظر: الميرزا محمد حسين الغروي النائيني، فوائد الأصول، تقرير: محمد علي الكاظمي الخراساني، ج ١ - ٢، ص ٢٩. والسيد الشهيد محمد باقر الصدر، الأعمال الكاملة، ج ٣، ص ١١٩. والشيخ محمد رضا المظفر، أصول الفقه، ج ١، ص ٩.

الحاجة إلى التكلم قطعاً لعدم مساس الحاجة إلى التفهيم والتفهم^(١).

ولازم الكلام والتكلم بهذا المعنى، وجود منظومة جسمية تقوم بهذا الدور.

في المفهوم القرآني لا ينحصر معنى (الكلام) و(التكليم) ببيان المراد من خلال الألفاظ والأصوات المادية، بل إن كل شيء دل على وجود شيء آخر بنحو من الأنحاء وشكل علامة عليه، فهو (كلمة وكلام)، وإن كل نوع بيان أو إلقاء للمعنى المراد إلى آخر فهو (تكليم)؛ وعليه فالكلام أعم من الصوت واللفظ المفيد للمعنى أو أي شيء آخر يؤدي وظيفة عملية إيصال المعاني^(٢).

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَقْضَىٰ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(٣).

كما عبر القرآن الكريم عن نبي الله عيسى بن مريم بأنه كلمة الله، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^(٤).

وربما كان المصحح والمسوّغ إلى إطلاق (الكلمة) على النبي عيسى بن مريم المسيح (ﷺ) أنه ولد على خلاف الأسباب الطبيعية، فكان آية من

(١) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٦٨، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٦م.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٥٢٤ وحسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ١٠، ص ١٠٧ - ١٠٧. والعلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٢، ص ٤٠٤.

(٣) الكهف: ١٠٩. وكذلك انظر: لقمان: ٢٧.

(٤) النساء: ١٧١. وكذلك انظر: آل عمران: ٤٥.

آيات الله، فكان مثل كلمات الله وسيلة لهداية الناس^(١).

وهنا نتساءل: هل كلام الله وتكلمه من قبيل كلام الإنسان وتكلمه؟ إن لم يكن مثله، فما هي كيفيته؟

الكلام والتكلم الإلهي

يعدّ البحث في كيفية كلام الله وتكلمه من أقدم البحوث المطروحة على طاولة البحث بين العلماء في جميع الأديان السماوية. وبعد الفتوحات الإسلامية في نهايات القرن الهجري الأول وبدايات القرن الثاني، ودخول المسائل المستحدثة وأفكار الأمم والشعوب الأخرى داخل المجتمعات الإسلامية، أخذ البحث عن الكلام الإلهي بوصفه فعلاً من أفعال الله أو صفة من صفاته منحىً جاداً في الأوساط الإسلامية. وعلى الرغم من إجماع المسلمين على كون الله متكلماً^(٢)، إلا أن العلماء والمفكرين قد أبدوا آراءً ونظريات مختلفة بهذا الخصوص، وفي هذا المقام سنتعرّض إلى ذكر أهم تلك النظريات على النحو الآتي:

أ - الكلام لفظ مادي

ذهب بعض علماء المسلمين إلى الاعتقاد بأن حقيقة كلام الله عبارة عن حروف وأصوات منظمّة يخلقها في الهواء أو الأجسام، وإن هذه الحروف والأصوات علامات على الحقائق والمعارف الموجودة في اللوح المحفوظ، وتدل على المعاني المرادة لله سبحانه وتعالى^(٣).

(١) انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان، ج ٢، ص ١٤٤.

(٢) انظر: العلامة الحلي، كشف المراد، ص ٢٨٩.

(٣) انظر: العلامة الحلي، كشف المراد، ص ٢٨٩. وعلاء الدين علي بن محمد القوشجي، شرح تجريد الاعتقاد، ص ٣١٦. والفاضل المقداد بن عبد الله السيوري الحلي، إرشاد

قال العلامة عبد الرزاق اللاهيجي في هذا الشأن: (اعلم أنّ لفظ الكلام حقيقة في هذا الملفوظ المسموع المركب من الأصوات والحروف، وقد يُطلق ويراد به التكلم، أعني: القدرة على إلقاء الكلام بالمعنى الأول. وهذا المعنى الثاني هو صفة المتكلم قائم به. والكلام بالمعنى الأول هو ما به التكلم وليس صفة للمتكلم ولا قائماً به، بل هو قائم بالهواء؛ لكونه من جنس الأصوات، كما عرفت في مباحث الأعراض)^(١).

وبناءً على هذا الرأي فقد كَلَّمَ اللهُ تعالى نبيّه موسى (ﷺ) بأن خلق الأصوات والحروف في الشجرة حتى وصلت تلك الألفاظ إلى مسامعه، واستوعب معانيها، قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَنهَاهُ نُودِيَ بِأَمْرٍ مِنْ رَبِّهِ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُورٍ * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾^(٢). وهكذا الأمر بالنسبة إلى القرآن الكريم، فهو كلام الله أيضاً، وقد سمعه النبي الأكرم (ﷺ) على نفس الوتيرة، وأبلغه إلى الناس. ومكمن السرّ في اختلاف كلام الله عن كلام الناس وكونه معجزة يكمن في أنّ الله تعالى يخلقه من دون واسطة^(٣).

الطالبين إلى نهج المسترشدين، ص ٢٠٨. والشيخ المفيد، المسائل العكبرية، ص ٢٠٨، وأوائل المقالات، ص ٢٨ - ٨٢.

(١) عبد الرزاق اللاهيجي، شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام، ج ٥، مؤسسة الإمام الصادق (ﷺ)، ط ١، قم المقدّسة، ١٤٣٠ هـ ق.

(٢) طه: ٩ - ١٣.

(٣) انظر: القاضي عبد الجبار أحمد الهمداني، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج ٧، ص ٦٠.

تقد ومناقشة

بالنظر إلى اعتبار الكلام الإلهي هو الوحي، لا يمكن أن يكون هذا الرأي بشأن كلام الله صحيحاً؛ وذلك للأمور الآتية:

١- إذا كان كلام الله لفظاً يخلقه في الهواء، سيكون الوصول إلى كلام الله داخلاً في العلم الحسولي، في حين أن واحداً من خصائص الحصول على الوحي - كما سنثبت في الدروس القادمة إن شاء الله - هو كونه حضورياً، حيث دلّت ظواهر الآيات والروايات على نزول الوحي على قلب رسول الله (ﷺ).

٢- إذا كان الوحي والكلام الإلهي يتمّ عبر خلق الأصوات والألفاظ في الفضاء أو الأجسام، لأمكن لجميع الذين يتمتعون بقوة سمعية عالية أن يسمعوا الوحي والكلام الإلهي، وأن يطلعوا على الغيب، في حين لا يستطيع ذلك إلا من يجتبيهم الله تعالى من الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ مَن بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ رَصَدًا﴾^(١).

كما يشهد التاريخ أنه لم يستطع أيُّ واحدٍ من أصحاب النبي الأكرم (ﷺ) من رؤية الملك أو سماع الوحي باستثناء الإمام علي (عليه السلام)^(٢)، رغم قريتهم من الرسول فلم يتمكنوا من معرفة الوحي إلا من خلال آثاره، من

(١) الجن: ٢٦ - ٢٧.

(٢) إن ما رواه الإمام علي (عليه السلام) في الخطبة الثانية والتسعين بعد المئة من نهج البلاغة من أن النبي (ﷺ) قال له: «إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَىٰ مَا أَرَىٰ، إِلَّا أَنْتَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ» لا يتنافى مع ما أسلفناه من الكلام المتقدم؛ لأنه بمثابة نفسه، وقد نال أعلى مراتب الكمال، فقد روي في الصحيح عن النبي الأكرم (ﷺ) أنه قال: «يا علي، أنا وأنت من شجرة واحدة».

قبيل: التغيّر الذي كان يطرأ على رسول الله أثناء نزول الوحي عليه^(١).

٣- كما تقدم في الدرس الأول من هذا الكتاب، فإنّ من بين خصائص الوحي كونه خفياً، في حين أنّه طبقاً لهذا الرأي يكون الوحي أمراً بيّناً وواضحاً.

ب- الفاظ قائمة بالذات

ذهب الحنابلة إلى الاعتقاد بأنّ التكلم من صفات الذات، وأنّ الله يتكلم على نحو ما يتكلم الإنسان. وأنّ الأصوات والحروف قائمة بذات الله تعالى، وهي قديمة مثل صفات العلم والقدرة^(٢). ثمّ طوى هذا الرأي النسيان، حتى جاء بعد ذلك ابن تيميّة، فعمد إلى إحيائه، ثمّ سار أتباعه عليه إلى يومنا هذا.

نقد ومناقشة

لقد بني هذا الرأي على اعتقاد غير سليم، وهو القول بقدم الكلام الإلهي^(٣)؛ حتى أنّ علماء الأشاعرة - الذين أرادوا إضفاء شيء من العقلنة على عقائد الحنابلة - رفضوا هذا القول بشدّة؛ إذ أول ما يترتب على ذلك من اللوازم الباطلة هو القول بتركّب ذات الله من الأصوات والحروف. وسيكون لنا كلام حول بطلان الاعتقاد بكون التكلم من صفات الذات، في معرض نقد الكلام النفسي إن شاء الله تعالى.

(١) انظر: العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص٢٦٣ وابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١، ص٢٥ - ٢٧.

(٢) انظر: عضد الدين الإيجي، المواقف، ص٢٩٣.

(٣) من بين الإشكالات المطروحة على هذا الرأي: إنّ كلام الله كالقرآن الكريم قد نزل نجومياً بالتدرّج؛ وعليه يجب أن يكون حادثاً. (انظر: فخر الدين محمّد بن عمر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ج٢٧، ص١٨٨).

ج - الكلام النفسي

لقد ذهب الأشاعرة - خلافاً للحنابلة - إلى عدم اعتبار كلام الله مشتملاً على الأصوات والحروف، بل هو عندهم من (الكلام النفسي). وأن الكلام النفسي مفهومٌ وحقيقة تعود إلى صفات الذات الإلهية، وأنه تعالى كان متصفاً بها منذ الأزل. وهو طبعاً غير العلم والإرادة أو الكراهة؛ إذ قد يخبر الإنسان عن شيء لا يجهله فحسب، بل قد يعلم خلافه، وأحياناً يأمر بفعل شيء دون أن تتعلق به إرادته الجدية، أو ينهى عنه دون أن يكون كارهاً له^(١).

عندما يتكلم الله تعالى إلى الأنبياء تلقى إليهم تلك الحقيقة من خلال الألفاظ، وأن الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء عبارة عن الوجود اللفظي لتلك الحقيقة^(٢). وعليه فإنّ كلام الله تعالى لا هو حادث ولا هو مخلوق. إذ لو كان حادثاً لاقتقر إلى محل يحدث فيه، وإنّ ذلك المحل إما أن يكون ذات الله أو غيره. والأول باطل؛ لأنّ الله ليس موضعاً للحوادث، وأما إذا حدث كلام الله في موضع آخر، كان ذلك الموضع هو محلّ المتكلم وليس الله. وعليه فإنّ كلام الله قديم، وهو صفة قائمة بذاته^(٣).

تقدّمناقشة

لم يقدّم أيّ دليل مقنع على إثبات الكلام النفسي، وإنّ مجرد ادّعاء شيء

(١) ميرسيد شريف الجرجاني، شرح المواظف، ج ٨، ص ٩٣ - ٩٤.

(٢) انظر: سعد الدين التفتازاني، جامع المقاصد، ج ٤، ص ١٤٤. وأحمد الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٩٥. ونهاية المرام في علم الكلام والفاضل المقداد بن عبد الله السيوري الحلبي، إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين، ص ٢١١. وفخر الدين محمد بن عمر الرازي، البراهين في علم الكلام، ص ١٥٠ - ١٥٢.

(٣) أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٩٥.

لا يُثبته ولا ينفيه. وكما يعترف الأشاعرة فإن سائر الفرق الإسلامية الأخرى لم توافقهم على رأيهم فيما يتعلق بالكلام الإلهي. ومن جملة ما قالته الأشاعرة ما يلي: (وخالفنا في ذلك جميع الفرق، وزعموا أنه لا معنى للكلام إلا المنتظم من الحروف المسموعة الدالة على المعاني المقصودة، وإن الكلام النفسي غير معقول)^(١).

بل هناك من العلماء من ذهب إلى القول بأن الإصرار على إثبات الكلام النفسي إمعاناً في إغلاق باب العلم، وفتح أبواب الجهل^(٢). كما يواجه هذا الرأي الكثير من الإشكالات، نجلها على النحو الآتي^(٣):

١- إن الكلام الإلهي الملفوظ إنما ينشأ من علم الله عز وجل، كما قال تعالى في وصف القرآن الكريم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾^(٤).

٢- إن التكلم فعل الله، وهو كسائر أفعاله من الصفات الفعلية؛ إذ ما لم يصدر مثل هذا الفعل عن الله، فإنه لا يتصف بصفة المتكلم. فإن ذهن الإنسان - من خلال الربط بين الله وما يُظهره من الحقائق التي يحصل عليها المخاطب - ينتزع مفهوم التكلم؛ وعليه فإن الكلام يصدر عن الله، وإن الآيات المتعلقة بالكلام الإلهي تدل على توقيته وخضوعه للظروف الزمانية،

(١) سعد الدين التفتازاني، جامع المقاصد، ج ٤، ص ١٤٤.

(٢) القاضي عبد الجبار الهمداني، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ص ٥٢٢.

(٣) بغية نقد هذا الرأي، انظر: جعفر السبحاني، عقائد ومذاهب إسلامي، ج ١، ص ١٩٢ - ١٩٥.

(٤) هود: ١٣ - ١٤.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾^(١).

وقد اشتمل المجلد التاسع والثمانون من كتاب (بحار الأنوار) على باب تحت عنوان (إنَّ القرآن مخلوق)، وقد اشتمل هذا الباب على روايات مأثورة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تثبت أنَّ كلام الله حادث وأنه فعله^(٢).

قال أبو بصير: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «لم يزل الله جلَّ وعزَّ ربَّنَا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم، وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور». قال: قلت: فلم يزل الله متكلماً؟ قال (عليه السلام): (إنَّ الكلام صفة محدثة ليست بأزلية، كان الله عزَّ وجلَّ ولا متكلم)^(٣).

٣- لا يصح تشبيه كلام الله بكلام الإنسان، هذا أولاً. وثانياً: إنَّ منشأ الكلام بالنسبة إلى الإنسان هو العلم التصوري والتصديقي والإرادة والكراهة أيضاً، ولا شيء سوى ذلك. فإنَّ إخبار المرء عن شيء يعلم خلافه، إنما هو في الحقيقة إخبار عن تصوره، والتصوُّر غير التصديق، ومتقدِّم عليه، وفي الموارد التجريبية وإن لم تكن هناك إرادة جديَّة، إلَّا أنَّ تصور الكلمات والمعاني وإرادة بيانها واقعة ومتحققة^(٤)؛ وعليه فإننا فيما يتعلق بمسألة التكلُّم لا نجد حاجة لغير العلم والإرادة، كي نطرح مسألة الكلام النفسي بشأن الكلام الإلهي.

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) انظر: العلامة محمَّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١١٧، باب (أنَّ القرآن مخلوق).

(٣) العلامة محمَّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ٧١، الباب: ١، ح: ١٨.

(٤) انظر: الحسن بن يوسف الحلبي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص ٢٢٥.

د - الارتباط الحضوري مع الأنبياء (عليهم السلام)

كما تقدم أن ذكرنا، فإنَّ الله تعالى في الكثير من الآيات القرآنيَّة بما في ذلك الآية الحادية والخمسون من سورة الشورى، ينسب التكلم لنفسه، ولكنه يختم الآية بقوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الأمر الذي يُثبت أنَّ كلام الله عزَّ وجلَّ ليس مثل كلام الناس^(١). فإنَّ الله منزَّه عن أن يكون له جسم وآلة جسدية، وإنَّ لكلامه صرف مدلول اعتباري؛ لأنَّ أفعال الله تعالى لا تشبه أفعال الإنسان بحالٍ من الأحوال؛ إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢). كما تشير الروايات إلى عدم وجود أيِّ شبه بين الكلام الإلهي والكلام البشري. روي عن الإمام عليٍّ (عليه السلام) أنه قال في هذا الشأن: «يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدْوَاتٍ، يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَنْحَفِظُ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ.. يَقُولُ لِمَا أَرَادَ كَوْنُهُ: (كُنْ فَيَكُونُ)، لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلَا بِبَدَأٍ يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمِثْلُهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا»^(٣).

عن صفوان بن يحيى قال: سأل أبو قرّة المحدث عن الرضا (عليه السلام)، فقال: أخبرني جعلني الله فداك عن كلام الله لموسى؟ فقال (عليه السلام): «اللَّهُ أعلم بأيِّ لسانٍ كلَّمه بالسريانية أم بالعبرانية». فأخذ أبو قرّة بلسانه فقال: إنما أسألك عن هذا اللسان؛ فقال أبو الحسن (عليه السلام): «سبحان الله ممَّا تقول! ومعاذ الله أن يُشبه خلقه أو يتكلم بمثل ما هم متكلمون..

(١) انظر: محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢٣٤. والعلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٧٤.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٦.

كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق، ولا يلفظ بشقّ فم ولسان، ولكنه يقول له: (كن)، فكان بمشيئته ما خاطب به موسى (ﷺ) من الأمر والنهي من غير تردد في نفس^(١).

وطبعاً على الرغم من تنزيه الله عن الاتصاف بما يتصف به الإنسان، إلا أن كلامه حادث وتكلمه حقيقي، أي أن له آثار الكلام البشري، وأنه يلقي مراده إلى الأنبياء.

وكما تقدم أن ذكرنا، فإن القرآن الكريم يعتبر كلّ ما كان علامة على شيءٍ آخر وأفاد معنى فهو كلام. وهذا الإلقاء حضوري؛ لأنّ الكلام الإلهي إفاضة من قبل الله، وإنّ النبيّ إنّما يسمعه بقلبه^(٢).

الشواهد على حضورية الكلام الإلهي

١- إنّ من بين الشواهد على حضورية الوحي والكلام الإلهي الموجّه إلى الأنبياء، هو أنّ الآخرين لم يستطيعوا سماع صوت الوحي، ولا رؤية مصدره، باستثناء الإمام عليّ (ﷺ) فهو شذوذ من القاعدة إمّا لبلوغه مرتبة رفعته إلى مستوى الأنبياء، وهو ما يؤكد الحديث المأثور عن النبيّ الأكرم (ﷺ) والذي يقول فيه: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، أو أنّه تعالى لمصلحة ما أراد لغير النبيّ أن يسمع كلام الوحي. كما كان بنو إسرائيل يقولون لموسى (ﷺ): (لا نؤمن لك إلاّ إذا سمعنا كلام الوحي بأنفسنا). فاختار النبيّ موسى - بأمر من الله - سبعين رجلاً منهم ليذهبوا معه إلى ميقات ربه ويسمعوا كلامه بأنفسهم، وقد تحقق لهم ذلك، إلاّ أنّهم على الرغم من ذلك عادوا إلى

(١) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٤، ص١٥٢، الباب٦، ج٤: ٤.

(٢) انظر: صدر المتألهين الشيرازي، مفاتيح الغيب، ج١، ص٩٥.

سابق إصرارهم وعنادهم، وطالبوه هذه المرة برؤية الله جهره^(١). وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمَاتًا﴾^(٢).

ولو أنّ الأنبياء (عليهم السلام) في ارتباطهم بالوحي كانوا يوظفون حواسهم الظاهرية من السمع والبصر، لكان بإمكان الآخرين سماع الوحي ورؤية الملك بأنفسهم. ولا يمكن القول بأنّ الله تعالى أثناء عملية إنزال الوحي كان يعطل حواس الآخرين عن العمل، لكيلا يتمكنوا من التقاط ما يدركه الأنبياء بحواسهم الظاهرية؛ لأنّ هذا يعني تعطيل وإلغاء بنية التصديق العملي. ولو تحقق مثل هذا الخطأ في المعرفة البشرية، لن يبقى هناك من وثوق بما يكتشفه الإنسان إطلاقاً^(٣).

إذا قيل في تبرير عجز الآخرين عن سماع الوحي أنهم مقارنة بالأنبياء فيما يتعلق بالقوى الظاهرية أضعف منهم، فكيف يكون جوابك عن ذلك؟

٢- الشاهد الآخر على كون كلام الله حضورياً، هو أنّ الأنبياء لم يكونوا ليشتككوا أو يترددوا في استيعاب الوحي. فالنبي موسى (عليه السلام) مثلاً أيقن بمجرد سماعه الوحي أنّه كلام الله. وجاء في الروايات أنّ الحجب تزاح من أمام أعين الأنبياء أثناء نزول الوحي. وقد أجاب الإمام الصادق (عليه السلام) عن كيفية إيمان الأنبياء بنبوتهم فقال: «كشف عنهم الغطاء»^(٤).

(١) وقد أشار الإمام الرضا (عليه السلام) إلى هذه الحادثة في بعض ما روي عنه. (انظر: عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٦٢).

(٢) الأعراف: ١٥٥.

(٣) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٣٤٧.

(٤) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١١، ص ٥٦.

إذن، يجب أن يكون هذا الارتباط حضورياً، وإلا فإن مجرد سماع صوتٍ مشتمل على معنى، لا يسوّغ لنا نسبة معاني تلك الألفاظ إلى الله تعالى^(١).

نعم من الضروري التأكيد على هذه المسألة، وهي أن المعرفة التي يأتي بها الوحي حصولية؛ لأنه يحكي عن أمور خارجة عنه، فهو واسطة إيصال المعرفة إلى النبي وإحاطته علماً بها، فالعلم بالوحي حضورى، والعلم بما يأتي به الوحي حصولي^(٢).

الكلام الحضورى برغم وجود الوسطة

ندرك من مجموع القرائن أنه حتى في الموارد التي يكون فيها ملك الوحي واسطة لإيصال الكلام الإلهي ويأتي للنبي بالوحي، لم يكن التكلم يحدث من خلال إيجاد الأمواج الصوتية أو القرع في الأذن أو الحوار المعروف، وإنما حيث كان الوحي كائناً روحانياً، وكان النبي يستوعب الوحي بقلبه وروحه، كان ذلك الارتباط روحياً، وكما يقول ابن سينا: (أما الوحي والكرامات فإنها داخله في تأثير نفساني في النفساني؛ إذ حقيقة الوحي هو الإلقاء الخفي من الأمر العقلي بإذن الله تعالى في النفوس البشرية المستعدة لقبول مثل هذا الإلقاء)^(٣). وقد عبر القرآن الكريم بأن الملك ينزل الوحي على قلب النبي مباشرة وبشكل غير مألوف، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤). وقال أيضاً: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٢٤٤.

(٢) انظر: محمد تقي مصباح اليزدي، راهنما شناسي، ص ٢٧.

(٣) ابن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعات، رسالة في النبوة، ص ٢٢٢.

(٤) البقرة: ٩٧.

* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١﴾

يستفاد من هاتين الآيتين أَنَّ الْمَلَكَ كَانَ يَنْزِلُ الْوَحْيَ عَلَى نَفْسِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ (ﷺ)، كما يتضح من عبارة ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾^(١) بدلاً من (عَلَى نَفْسِكَ) أَنَّ الْوَحْيَ كَانَ يَنْزِلُ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ دُونَ تَدَخُّلِ مِنَ الْحَوَاسِ الظَّاهِرِيَّةِ^(٢).

وإِنَّ تَكْلِمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ (ﷺ) مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، كَانَ بِدَوْرِهِ ارْتِبَاطاً حُضُورِيّاً وَغَيْرَ مَادِيٍّ، كَالَّذِي حَصَلَ مَعَ النَّبِيِّ مُوسَى (ﷺ) فِي طُورِ سَيْنَاءَ. وَأَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّجَرَةِ الْمَذْكُورَةِ فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَجُودِ نِدَاءٍ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كَلَاماً تَقُومُ بِهِ الشَّجَرَةُ؛ وَإِلَّا لَوْ كَانَ الْكَلَامُ مَادِيّاً لِأَمْكَانٍ لِكُلِّ مَنْ يَمْتَلِكُ حَاسَةً سَمِعَ سَلِيمَةً أَنْ يَسْمَعَهُ، هَذَا أَوَّلًا. وَثَانِيّاً: لِكَانِ النَّبِيِّ مُوسَى (ﷺ) يَسْمَعُهُ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَيْسَ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ وَكَأَنَّهُ صَادِرٌ مِنَ الشَّجَرَةِ^(٣).

فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى قَائِمٌ بِذَاتِهِ، كَمَا إِنَّ كَلَامَنَا قَائِمٌ بِذَوَاتِنَا؛ وَعَلَيْهِ يَكُونُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ كَلَّمَ النَّبِيَّ مُوسَى (ﷺ) مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ الشَّجَرَةِ، وَطَبَعاً هُوَ حِجَابٌ لَيْسَ فِيهِ أَيْ تَنَافُيٌّ مَعَ الْإِحَاطَةِ الْإِلَهِيَّةِ بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ^(٤)؛ مِنْ

(١) الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤.

(٢) المراد من (القلب) في أدب القرآن الكريم ليس هو العضو الممهود في الجانب الأيسر من صدر الإنسان، بل المراد منه هو النفس الإنسانية التي يعود إليها إدراك الإحساسات والمشاعر الإنسانية.

(٣) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٣٤٥.

(٤) عبد الله جواد آمل، تفسير موضوعي ١ (قرآن در قرآن)، ص ٥١.

(٥) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦، ص ٤٤. سنبعث هذه المسألة في معرض الحديث عن أقسام الوحي بتفصيل أكثر إن شاء الله تعالى.

هنا فقد تحدّثت آيات أخرى عن كلام الله مع النبي موسى (عَلَيْهِ السَّلَام) في خصوص هذه الواقعة وعبرت عنه بالوحي والكلام الرمزي، وذلك حيث يقول تعالى: ﴿قَلَمًا أَنَاهَا نُودِي يَا مُوسَى * إني أَنَا رَبُّكَ فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾^(١). ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَوَدَّعَيْنَاهُ مِنَ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾^(٢).

وقد يحدث أحياناً أن يكون الصوت الذي سمعه النبي إنما كان بغية إعداده لتقبّل الوحي. وهذا ما يمكن لنا أن نفهمه من خلال بعض الروايات. من ذلك ما روي عن النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه قال في جواب عبد الله بن عمر عن كيفية نزول الوحي: «أسمع صلاصل، ثمّ أسكت عند ذلك..»^(٣).

فإنّ (الصلاصل) في هذا النصّ جمع (صلصلة) وتعني: الأصوات المتواصلة التي كان يسمعهها النبيّ تمهيداً لتلقي الوحي^(٤)؛ من هنا كان النبيّ الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُطرق ويسكت بمجرد سماع تلك الصلصلة، كما عبّر عن ذلك بقوله: «ثمّ أسكت عند ذلك».

وعليه فإنّ الكلام الإلهي يكون من خلال إيجاد الاتصال والارتباط بين المخاطب والغيب، والذي ينتقل فيه المخاطب إلى فهم مراد الله سبحانه وتعالى بمشاهدة بعض مخلوقاته. وطبعاً فإنّ هذا لا ينافي أن يوجد الله تعالى مع هذا

(١) طه: ١١ - ١٣.

(٢) مريم: ٥١ - ٥٢.

(٣) جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٦٠.

(٤) المصدر المتقدم؛ ومحمّد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ٦٧.

التكلم صوتاً في الخارج.

إذن، كلام الله مع الأنبياء كلام حضوري، لا دخل فيه لأي أمرٍ من الأمور المادية أبداً^(١).

نزول الوحي بالتجلي دون التجافي

بالالتفات إلى حقيقة الوحي وكونه حضورياً يتضح لنا أن نزول الوحي لم يكن من خلال التجافي والانفصال عن المبدأ والنزول إلى الغاية، بل هو رتبي وعلى شكل التجلي؛ أي تحصل لدى النبي عند النزول مرتبة من الوحي، ويبقى أصله في ذلك المقام الأعلى. قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿حَم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾^(٢). والمراد من ﴿أُمَّ الْكِتَابِ﴾ هو اللوح المحفوظ. كما قال تعالى في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾^(٣).

يفهم من هذه الآيات أن للقرآن الكريم الذي نزل بلفظة عربية، إنما هو تجلٍ لحقيقة متعالية أخرى موجودة في اللوح المحفوظ^(٤).

خلاصة الدرس

١- إن الوحي هو تكلم الله مع الأنبياء (عليهم السلام). والقرآن الكريم يرى أن الوحي هو القول والكلام الإلهي.

(١) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٢٤٣.

(٢) الزخرف: ١ - ٤.

(٣) البروج: ٢١ - ٢٢.

(٤) انظر: المصدر المتقدم، ج ١٨، ص ٨٦ - ٨٧، وج ٢٠، ص ٣٧٨.

٢- أجمعت كافة الأديان والشرائع السماوية على تكليم الله للأنبياء (عليهم السلام)، ولكنها اختلفت في بيان كيفية ذلك.

٣- هناك من ذهب إلى القول بأنّ الوحي عبارة عن حروف وأصوات تخلق في الهواء أو موضع آخر، ولازم ذلك أن تكون حقيقة الوحي معرفة حصولية، ويمكن للجميع إدراكها. في حين أنّ الوحي علم حضوري خفي.

٤- كما إنّ الوحي ليس أصواتاً أو حروفاً قائمة بذاته تعالى؛ إذا يترتب على ذلك لازم باطل، وهو أن يكون الله مركباً من الأصوات والحروف.

٥- يرى الأشاعرة أنّ كلام الله كلاماً نفسياً، وأنّ له معنىً حقيقياً وأزلياً، وهو غير العلم والإرادة والكراهة، وإنّ ذلك المعنى وتلك الحقيقة تنقل إلى الأنبياء (عليهم السلام) عبر الألفاظ.

٦- لم يقدّم دليل مقنع على إثبات الكلام النفسي لله تعالى، بل لا يوجد هناك طريق لإثبات أو كشف ذلك، فإنّ الكلام الإلهي الملفوظ ينشأ من علم الله، ويعدّ فعلاً لله تعالى، وإنّ التكلم من صفات الأفعال.

٧- يعتبر القرآن الكريم كلّ ما كان علامة على شيءٍ ودلّ على وجوده، فهو كلام. وإنّ كلّ إلقاء للمعنى إلى آخر فهو تكلم؛ وعلى هذا الأساس ليس من اللازم أن يستخدم الله تعالى ألفاظاً في تكلمه.

٨- إنّ الوحي من العلم الحضوري الذي لا دخل فيه للحواس الظاهرية؛ من هنا فإنّ النبيّ يصل إلى درجة اليقين بأنّ ما يسمعه هو كلام الله، وأنّ غير النبيّ لا يسمعه ولا يدركه.

٩- يُسفد من القرآن الكريم أنّ نزول الوحي كان بالتجلي، دون

التجاء في.

أسئلة نموذجية

- ١- اذكر شاهداً من الآيات والروايات يثبت أن الوحي هو كلام الله.
- ٢- لماذا لا يمكن اعتبار الوحي مشابهاً لكلام الإنسان.
- ٣- هل الوحي عبارة عن ألفاظ مخلوقة في الفضاء؟ لماذا؟
- ٤- ما هو المراد من الكلام النفسي؟ ناقش رأي القائلين به.
- ٥- اشرح الكلام في الاستعمال اللغوي والقرآني.
- ٦- اذكر دليلاً وشاهداً على كون الوحي حضورياً.
- ٧- أثبت بالشواهد القرآنية أن نزول الوحي كان بالتجلي.

واحة المصادر

- جعفر السبحاني، عقائد ومذاهب اسلامي، ج ١، ص ١٩٢ - ٢٣١.
- إبراهيم الأميني، وحي در اديان آسماني، ص ٣١ - ٦١.
- علي محمد القاسمي، (وحي تكلم إلهي)، مجلة: معرفت، العدد: ٦٠، ص ٣٥ - ٤٣.
- محمد هادي معرفت، التمهيد، ج ١، مبحث الوحي.

تحقيق

ناقش الأدلة القرآنية التي أقامها الأشاعرة على قدم الكلام الإلهي، وأجب عنها.



الدرس الثامن

أقسام نزول الوحي ونتائجه

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

- ١- أن يتمكن من ذكر الآية القرآنية الشريفة المشتملة على أقسام الوحي.
- ٢- أن يتعرف على أقسام الوحي إلى الأنبياء (عليهم السلام) ونتائج نزول كل واحد منها.
- ٣- أن يتعرف إلى الأنبياء (عليهم السلام) الذين توفروا على كل واحد من أقسام الوحي.
- ٤- أن يذكر شاهداً على أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) توفّر على جميع أقسام الوحي.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

إنّ الله تبارك وتعالى قد بيّن في هذه الآية الشريفة جميع أقسام الوحي الثلاثة التي تنزل على الأنبياء (عليهم السلام). إذن طبقاً لهذه الآية القرآنية المباركة فإنّ الإنسان لا يستطيع التكلّم مع الله إلاّ من خلال واحد من طرق ثلاث، وإنّ الله تعالى لا يوحى إلى البشر إلاّ من خلال هذه الطرق. وإنّ جميع هذه الأقسام هي من الكلام الإلهي؛ لأنّ قوله ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ من الاستثناء المتصل. ومن خلال العطف بين

هذه الأقسام بـ (أو) يتضح أنّ هذه الأقسام تختلف عن بعضها^(١). والقسم الأول يكون الوحي فيه مباشراً ومن دون واسطة، في حين أنّ القسم الثاني والثالث يكون مع الواسطة^(٢). وفي القسم الثالث - خلافاً للقسم الثاني - تكون الواسطة هي من يقوم بإيصال الوحي وحمله إلى النبي^(٣).

(١) انظر: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٧، ص ١٨٧. والعلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص ٧٣.

(٢) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص ٧٥. وأبو علي الفضل ابن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٣٦.

(٣) انظر: العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٤٩، الهامش رقم: ١. وعليه فإذا ذكرت الروايات أنّ أقسام الوحي أكثر من ثلاثة؛ لم يكن الحصر عقلياً. وقد ذكر الإمام عليّ (عليه السلام) للأنبيا أربعة أنواع من الوحي، وهي:

١- كلام الله مع الأنبياء.

٢- ما يلقي في قلب النبي.

٣- الرؤيا التي يراها الأنبياء.

٤- ما ينزل على النبي بواسطة الملك. انظر: المصدر المتقدم، ص ٢٥٧.

إنّ القسم الأول والثاني والرابع هو على نسق تسلسل القسم الثاني والأول والثالث الوارد في الآية الحادية والخمسين من سورة الشورى.

القسم الأول: الوحي المباشر

إن هذه الآية الشريفة بيّنت أقسام الوحي الثلاثة، وجعلت كلام الله أول أقسام الوحي. وإن مجيء القسم الأول من الوحي دون قيد، بخلاف القسم الثاني والثالث، حيث قيّد بـ (مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ)، و(يُرْسِلَ رَسُولًا)، شاهد على أن القسم الأول يحصل مباشرة ومن دون واسطة^(١). وعلى الرغم من أن جميع أقسام الوحي خفية، إلا أن هذا القسم أشدها خفاءً، حيث لا واسطة بين الله ونبية؛ ولهذا السبب ومن جهة الأولوية عبّر عن هذا النوع من الكلام الإلهي خاصةً بالوحي^(٢).

كيفية هذا النوع من الوحي

إن ارتباط الإنسان الترابي بعالم الملكوت وإن كان ثقیلاً عليه دائماً، إلا أن حصول الوحي المباشر في اليقظة كان أشدها على الأنبياء (عليهم السلام). وكما سيأتي فإن النبي الأكرم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) كان في عداد الأنبياء الذين يتلقون الوحي على نحو مباشر. وإنه (صلوات الله عليه) رغم ما كان يتمتع به من نفس قوية، إلا أن ثقل الوحي كان بحيث يشتد حتى على الدابة التي تحمله أثناء نزول الوحي، فتتوقف عن الحركة^(٣). فعن عبد الله بن عمر قال: سألت النبي (صلى الله عليه وآله): هل تحسّ بالوحي؟ فقال: «... ما روي مرةً يوحى، إلا ظننت أن نفسي تقبض»^(٤).

(١) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص ٧٥.

(٢) انظر: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٧، ص ١٨٧.

(٣) أبو نصر محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، ج ١، ص ٣١٧. لمزيد من المعلومات

حول نزول الوحي المباشر، انظر: محمود راميار، تاريخ قرآن، ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٤) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، النوع السادس عشر (في كيفية

وكذلك فإنَّ النبيَّ الأكرم (ﷺ) قال في جواب الحارث بن هشام، إذ سأله عن كيفية نزول الوحي: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ»^(١).

كما يتضح من الروايات أنَّ النبيَّ الأكرم (ﷺ) كان أثناء نزول الوحي المباشر يُغشى عليه. قال زرارة: سألت الإمام الصادق (ع) عن الغشية التي كانت تصيب رسول الله (ﷺ) أثناء نزول الوحي عليه، فقال: «ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلى الله له»^(٢).

أنواع الوحي المباشر

إنَّ هذا القسم من الوحي يشتمل على جميع أنواع تكليم الله للإنسان سواء أفي اليقظة أم النوم^(٣)، وعليه نذكر هذين النوعين من هذا الوحي على النحو الآتي:

أ - الوحي المباشر في اليقظة

إنَّ النوع الأول من الوحي المباشر هو ما كان ينزل على الأنبياء (عليهم السلام) أثناء اليقظة. وقد نسب القرآن الكريم هذا النوع من الوحي المباشر إلى عدد من الأنبياء.

الأنبياء الذين خصَّهم الله بهذا النوع من الوحي

تذكر الآية الثالثة والستون بعد المئة من سورة النساء الوحي على النبيِّ الأكرم محمد (ﷺ)، ونوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب،

إنزاله)، ص ٦٤، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٨م.

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٤١. والعلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٦٠، ح: ١٢. ومحمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٢.

(٢) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٥٦، ح: ٦.

(٣) انظر: محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، ج ٦، ص ٥٢٤.

والأسباط، وعيسى، وأيوب، ويونس، وهارون، وسليمان (ﷺ)، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾^(١).

حيث إن هذه الآية لا تشير إلى حصول هؤلاء الأنبياء على الوحي أثناء النوم، فإن الأصل يقوم على تحقق الوحي أثناء اليقظة. ويتضح من عبارة ﴿إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أن المراد من الفعلين الأولين (أَوْحَيْنَا) جميع أقسام الوحي؛ إذ يشملان جميع أنواع الوحي النازلة على النبي الأكرم (ﷺ) ونوح (ﷺ)؛ وعليه يكون المراد من كلمة (أَوْحَيْنَا) الثالثة، الوحي المباشر على النبي إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق و...؛ إذ أولاً: إن المراد من كلمة (أَوْحَيْنَا) هذه ليس مطلق الوحي؛ لأن هؤلاء الرجال الصالحون هم من الأنبياء الذين جاؤوا بعد نوح (ﷺ)، ويشملهم قوله: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أيضاً.

وثانياً: بالالتفات إلى ما تقوله الآية بعد ذلك من إتيان الزبور لداود (ﷺ)، وما تذكره الآية التالية من تكليم النبي موسى (ﷺ)^(٢) الذي هو من نوع الوحي من وراء حجاب، وبيانه بشكل مستقل، يتضح أن الوحي في هذه الآية ليس من نوع الوحي الذي يكون من وراء حجاب. كما أن مجيء (أَوْحَيْنَا) دون أي قيد، ينفي نوع الوحي الذي يكون بواسطة الملك.

وهناك آيات أخرى تشير إلى حدوث الوحي المباشر أثناء اليقظة لبعض

(١) النساء: ١٦٣.

(٢) إذ يقول تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾. النساء: ١٦٤.

الأنبياء أيضاً. وإن هؤلاء الأنبياء هم:

١- النبي محمد (ﷺ): يُستفاد من الآيات والروايات أن بعض القرآن الكريم في الحد الأدنى كان من نوع الوحي المباشر. روي عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: «كان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة .. نزلت عليه وهو على بغلة الشهباء، وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلى بطنها، حتى رأيت سرتها تكاد تمس الأرض»^(١).

وفي رواية أخرى: «كان النبي (ﷺ) إذا غشيه الوحي ثقل على جسمه ما غشيه من أمر الله» .. وفي الحديث المقبول: «أنه (ﷺ) أوحى إليه وهو على ناقته، فبركت ووضعت جرانها بالأرض فما تستطيع أن تتحرك»^(٢).

كما ورد في بعض الروايات أن النبي (ﷺ) كان أثناء نزول الوحي يتغير لونه وتتقلب سحته. فكان النبي في تلك الحالة ينكس رأسه الشريف، وكان الصحابة يفعلون الشيء نفسه^(٣). وحتى في الليلة الباردة كان النبي الأكرم عند نزول الوحي عليه يتفصّد عرقاً^(٤). وقد تقدّم أن ذكرنا أن الإمام الصادق (عليه السلام) قد أجاب زرارة عن الغشية التي كانت تعترى النبي الأكرم أثناء نزول الوحي، فقال: «ذلك إذا لم يكن بينه وبين

(١) محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، ج ١، ص ٢١٧، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، بيروت، ١٩٩١م.

(٢) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٣) انظر: أبو الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٩ - ١٠، ص ٥٧٠.

(٤) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٦١.

اللَّهُ أَحَدٌ، ذَاكَ إِذَا تَجَلَّى اللَّهُ لَهُ»^(١).

وقال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(٢).

وبناءً على أحد الاحتمالات، فإنَّ المراد من (الثقل) في هذه الآية الشريفة، أنَّ لون النبيِّ الأكرم (ﷺ) ووضعه كان يتغيَّر أثناء نزول الوحي عليه^(٣). كما تدلُّ هذه الرواية على أنَّ هذه الحالة كانت تعتري النبيِّ الأكرم أثناء نزول الوحي المباشر عليه. من هنا ربَّما كان سبب تعبير الله سبحانه وتعالى عن القرآن الكريم في هذه الآية وغيرها من الآيات بالقول الثقيل لكونه حياً مباشراً.

وهناك من ذهب إلى القول بأنَّ الوحي إلى النبيِّ الأكرم (ﷺ) في المعراج كان مباشراً^(٤).

٢- النبيِّ موسى (ﷺ): لقد استعمل القرآن الكريم في الكثير من آياته مفردة الوحي فيما يتعلق بالنبيِّ موسى (ﷺ)، وذلك في إشارة منه إلى الوحي المباشر عليه، إذ لم يذكر الوسطة في أيِّ منها. وليس هناك شاهد يثبت أنَّ الله سبحانه وتعالى قد نسب إلى نفسه الوحي من باب بيان سلسلة العلل الطولية، من قبيل أمره بإلقاء العصا أمام فرعون والسحرة والناس، إذ يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾^(٥).

٣- النبيِّ سليمان (ﷺ): لقد تحدَّث القرآن الكريم عن الوحي النازل

(١) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص٢٥٦، ح: ٦.

(٢) المزمّل: ٥.

(٣) انظر: أبو الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٩ - ١٠، ص ٥٧٠.

(٤) انظر: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٧، ص ١٨٩.

(٥) الأعراف: ١١٧.

على النبي سليمان (ﷺ) من خلال استعمال كلمة (التفهيم)، وهو أنسب بتوجيه الكلام المباشر، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(١).

كان قطيع غنم قد دخل في مزرعة وأخذ بالرعي فيها، فشكا صاحب الزرع أمر التلف الذي حاق بمزرعته إلى النبي داود (ﷺ). وكان حكم الله أن يتحمل الخسارة صاحب القطيع. فحكم النبي داود بأن يدفع صاحب القطيع جميع القطيع إلى صاحب الزرع. إلا أن النبي سليمان (ﷺ) الذي كان حاضراً، حَكَمَ بأن يأخذ صاحب الزرع منافع الأغنام حتى يصلح ما تلف من زرعه. وطبعاً يُستفاد من هاتين الآيتين أن النبي داود (ﷺ) قد حكم بناءً على الوحي، وإن حكمه كان حقاً أيضاً؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ ويقول أيضاً: ﴿وَكَالَّا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَمًا﴾. أي أن الله تعالى شاهد على حكم الأنبياء (ﷺ)، وأنه أعطى كلاً من داود وسليمان منصب القضاء والعلم^(٢).

ب - الوحي المباشر أثناء النوم

إن رؤيا الأنبياء (ﷺ) تختلف عن الرؤى التي يراها سائر الناس، فهي نوع من مشاهدة الحقائق بشكل واضح ولاحب، إذ لا سبيل للخيلات

(١) الأنبياء: ٧٨ - ٧٩.

(٢) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٢١١ - ٢١٢.

والوساوس الشيطانية إلى وجوداتهم الطاهرة والمنزّهة، وإنّ قلوبهم يقظى حتى في منامهم؛ إذ روي عن النبيّ الأكرم (ﷺ) أنّه قال: «إنا معاشر الأنبياء تنام عيوننا ولا تنام قلوبنا»^(١).

وعن الإمام عليّ (عليه السلام) أنّه قال: «رؤيا الأنبياء وحي»^(٢).

وعندما تكون رؤيا الأنبياء وحي، يوجد احتمال قوي أن يكون مباشراً ومن دون واسطة.

تشهد بعض الروايات أنّ بعض الأنبياء (عليهم السلام) كانوا في بداية نبوتهم يحصلون على الوحي في منامهم، وحيث لم يشر إلى واسطة، يحتمل قوياً أن يكون هذا النوع من الوحي مباشراً^(٣). وفي الصحيح عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال:

(الرسول الذي يأتيه جبرئيل قبلاً، فيراه ويكلّمه فهذا الرسول. وأما النبيّ فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم)^(٤).

الأنبياء الذين تعهدوا هذا النوع من الوحي

إنّ من الأنبياء من كان له هذا النوع من الوحي، وهم على النحو الآتي:

١- النبيّ إبراهيم (عليه السلام): طبقاً لما هو مذكور في القرآن الكريم، إنّ النبيّ

(١) العلامة محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١١، ص ٥٥. وكذلك قال في الروايات المستفيضة (الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٣١): «تنام عيناى وقلبي يقظان». أبو الفضل ابن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٢٥.

(٢) العلامة محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦١، ص ١٨١.

(٣) العلامة محمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٧٥.

(٤) محمّد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، الباب الثالث (باب الفرق بين الرسول والنبيّ والمحدّث)، ح: ٣، ص ٢٣١ - ٢٣٢، دار الأضواء، ط ١، بيروت، ١٩٩٢م.

إبراهيم الخليل (عليه السلام) أمر في منامه أن يقدم ولده إسماعيل (عليه السلام) قرباناً لمرضاة الله عز وجل، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(١)

يفهم من التعبير (إني أرى) أن النبي إبراهيم (عليه السلام) كان يرى هذه الرؤيا مراراً. كما يُستفاد من هذه الآية وما يليها من الآيات، أن هذا النوع من الرؤى يوجب تكليفاً وحكماً على الأنبياء، ولذلك نجد النبي إبراهيم (عليه السلام) يُباشر العمل بمضمونه، حتى أنه شحذ السكين، وتلّ إسماعيل للجبين وأعدّه للذبح، ففداه الله تعالى بكبش عظيم ليذبحه بدلاً من ولده إسماعيل (عليه السلام)^(٢).

٢- النبي محمد (ﷺ): طبقاً لما تقوله الروايات المأثورة فإن أول وحي جاء النبي الأكرم (ﷺ) كان في الرؤيا^(٣). وهناك من ذهب إلى القول أن هذا النوع من الوحي استمر مع النبي الأكرم لسته أشهر^(٤). وطبعاً فإن هذا النوع من الوحي إنما كان يحدث في بداية البعثة، وقد سبق الوحي القرآني. فطبقاً للمروى في الصحيح^(٥) عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: «أما النبي فهو الذي

(١) الصافات: ١٠٢.

(٢) انظر: الصافات: ١٠٣ - ١٠٧.

(٣) أبو الحسن مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ص ١٨٨، ح: ٢٥٢. ومحمد ابن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ص ٤.

(٤) محيي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، ج ٢، ص ١٠٢. وعز الدين النسفي، كتاب الإنسان الكامل، ص ٣٢٥.

(٥) انظر: العلامة محمد باقر المجلسي، مرآة العقول، ج ٢، ص ٢٨٩.

يرى في منامه، نحو رؤيا إبراهيم، ونحو ما كان رأى رسول الله (ﷺ) من أسباب النبوة قبل الوحي^(١).

إن من بين الموارد التي أوحى فيها الله للنبي الأكرم (ﷺ) أثناء النوم عبارة عن:

أ - لقد رأى النبي الأكرم (ﷺ) دخول المسلمين إلى المسجد الحرام في منامه. ففي العام الهجري السادس تحرّك المسلمون باتجاه مكة المكرمة ينشدون زيارة البيت الحرام، إلا أنّ المشركين حالوا دون ذلك، حتى انتهى الأمر إلى توقيع معاهدة صلح الحديبية. وفي السنة الثامنة للهجرة فتح المسلمون مكة المكرمة ودخلوا المسجد الحرام^(٢). قال تعالى في بيان هذه الواقعة: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِذَا شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٣).

ب - رأى النبي الأكرم في منامه أنّ مجموعة من القروء تنزو على منبره وتتفاضل عليه تباعاً، وقد بين القرآن الكريم هذه الرؤيا على النحو الآتي: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوقَهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^(٤).

(١) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، الباب الثالث (باب الفرق بين

الرسول والنبي والمحدث)، ج ٢، ص ٢٣١ - ٢٣٢، دار الأضواء، ط ١، بيروت، ١٩٩٢م.

(٢) انظر: محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ٢٣٤.

(٣) يحتمل أن يكون المراد من قوله (من دون ذلك) النصر في خيبر.

(٤) الفتح: ٢٧.

(٥) الإسراء: ٦٠.

وقد فسّرت الروايات في كتب الفريقين من الشيعة والسنة هذه القرود
والشجرة الملعونة) ببني أمية^(١).

وهناك من المفسّرين من أهل السنة من يذهب إلى القول بأنّ نزول
سورة الكوثر على رسول الله (ﷺ) إنّما كان في عالم الرؤيا، ولكنه
اعتقاد خاطئ، وربّما حصل التوهّم للرواي بسبب الحالة التي كانت
تعتري النبيّ أثناء نزول الوحي المباشر عليه أثناء اليقظة، وهي الحالة التي
تسمّى بـ (برحاء الوحي)^(٢).

القسم الثاني: الوحي من وراء حجاب

لقد عبّر القرآن الكريم عن هذا النوع من الوحي في الآية الحادية
والخمسين من سورة الشورى بقوله ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، ويكون في الوحي مع
الواسطة، وفي هذا النوع من الوحي لا تكون الوسطة أو الحجاب هو الموصل
للوحي، ولا يكون هو المتحدّث بنفسه، بل يقتصر دوره على أن يستمع النبيّ
إلى الوحي من خلاله.

كيفية الوحي من وراء حجاب

بالالتفات إلى عدم وجود حجاب يمكنه أن يحجب الله سبحانه وتعالى،
إذ يقول الإمام الرضا (عليه السلام): «احتجب بغير حجاب محجوب»^(٣)، فإنّ الحجاب

(١) انظر: - أبو نصر محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، ج٢، ص٢٩٧. ومحمد بن
الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٦، ص٤٩٤. ومحمد بن أحمد القرطبي،
الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٢٨٢.

(٢) جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص٨٨، النوع
الخامس.

(٣) العلامّة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٣، ص٣٢٧.

المذكور في هذا النوع من الوحي لا يتنافى وإحاطته العلمية^(١). وهناك فيما يتعلق بالمراد من هذا الحجاب عدة آراء، نذكرها على النحو الآتي:

١- إن المراد من الاستماع من وراء حجاب هو أن يُسمع الوحي من خارج شيء^(٢).

٢- إن النبي في حجاب عن رؤية الباري تعالى، وأنه يسمع الكلام دون رؤية المتكلم^(٣).

٣- إن المراد من الحجاب هو البعد والحجاب المعنوي الحاصل كنتيجة للكمال الإلهي ونورانيته، ونقص الإنسان وضعفه^(٤).

إن الرأي الأول - بالالتفات إلى وضع هذا القسم من الوحي إلى جانب الوحي المباشر، والوحي بواسطة الملك - هو الأنسب.

وهناك من يرى أن الوحي أثناء النوم بشكل عام^(٥)، والوحي في معراج

(١) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص٢٢.

(٢) انظر: المصدر المتقدم، ج١٨، ص٧٤.

(٣) انظر: محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٩، ص١٧٦. وفخر الدين محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير، ج٢٧، ص١٨٩.

(٤) انظر: محمد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج١، ص٥٥. العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص٢٤٦.

(٥) يرى العلامة محمد حسين الطباطبائي الوحي في الرؤيا من مصاديق الوحي (من وراء حجاب). انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص٧٦ و١٠٧. ولكنه لم يوضح ما هو الحجاب في هذا النوع من الوحي. وبالالتفات إلى يقظة قلب النبي حتى في أثناء النوم، لا يمكن اعتبار الوحي أثناء النوم من مصاديق الوحي (من وراء حجاب) بشكل مطلق.

النبي الأكرم محمد (ﷺ)^(١)، هو من نوع الوحي من وراء حجاب. ولكن يبدو أنه من الممكن أن يحدث كل واحد من هذين النوعين بشكل مباشر ومن دون واسطة^(٢).

الأنبياء الذين مارسوا هذا النوع من الوحي

وهنا سنشير إلى بعض من موارد هذا النوع من الوحي، على النحو الآتي:

١- النبي موسى (ﷺ): جاء في القرآن الكريم أنّ النبي موسى (ﷺ) قد استمع إلى كلام الله من الشجرة، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

على الرغم من أنّ القرآن الكريم يعتبر كل واحد من أنواع الوحي الثلاثة كلاماً إلهياً، إلا أنه - بالتفاته خاصة - يسمي الوحي من وراء حجاب تكليماً إلهياً. فمثلاً كما سبق أن ذكرنا فإنّ القرآن الكريم يسمي الوحي إلى النبي موسى (ﷺ) (تكليماً)، والوحي إلى سائر الأنبياء (وحيّاً)، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ... * ... وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٤).

(١) انظر: مناع قطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٣٥.

(٢) كما سبق أن ذكرنا فإنّ الفخر الرازي يرى أنّ الوحي إلى النبي في المعراج كان مباشراً. انظر: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج ٢٧، ص ١٨٩.

(٣) القصص: ٣٠.

(٤) النساء: ١٦٣ - ١٦٤.

وهناك آية أخرى تدل على اصطفاء النبي موسى (ﷺ) بالتكليم^(١):

﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلامِي﴾^(٢).

إننا إذا رفضنا حضورية جميع أقسام الوحي، واعتبرنا الحصول على هذا القسم من الوحي غير حضوري، فلكي يصل النبي في الوحي من وراء حجاب إلى يقين بأن ما يسمعه إنما هو كلام الله، وجب أن تكون هناك في البين قرينة. كما سمع النبي موسى (ﷺ) الوحي من جميع ما يحيط به من الأشياء، وأحسّه وسمعه بجميع وجوده، والقرينة الأخرى أنه شاهد استعمار النار في الشجرة الخضراء^(٣).

٢- النبي محمد (ﷺ): يفهم من بعض الروايات أن الله تعالى في ليلة المعراج كلم النبي مشافهة ومن دون توسط جبرئيل (ﷺ)، إذ كلمه تكليماً من وراء حجاب^(٤)، وفي ذلك قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدْنَى * فَكَانَ قَابَ

(١) قال العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية: (وبالجملة تكلمه تعالى هو إيجاده اتصالاً وارتباطاً خاصاً بين مخاطبه وبين الغيب ينتقل به بمشاهدة بعض مخلوقاته إلى معنى مراد، ولا نمنع مقارنة ذلك بأصوات يوجدتها الله تعالى في خارج أو سمع أو غير ذلك). الميزان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٢٠٤، دار إحياء التراث، ط ١، بيروت، ٢٠٠٦م.

(٢) الأعراف: ١٤٤.

(٣) انظر: محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٢٦٣. ومحمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ١٣٨. وناصر مكارم الشيرازي وآخرين، بياض قرآن، ج ٧، ص ٣٢٢.

(٤) علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٣٤. وكذلك انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٣١٢. محمد بن محمد رضا القمي الشهدي، ج ١٢، ص ٤٧٦. ومحمد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٠.

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١﴾.

وطبعاً هذا على تقدير أن يكون الفاعل في قوله (دَنَا فَتَدَلَّى) هو النبي محمد (ﷺ)، والفاعل في قوله (أَوْحَى) هو الله عز وجل^(٢). والروايات تؤيد هذا التفسير. وإن بعض تلك الروايات تدل على أن الآية الخامسة والثمانين بعد المثتين، والسادسة والثمانين بعد المثتين من سورة البقرة، والآية التاسعة والثمانين من سورة الزخرف تتحدث عن حوار كلامي دار بين الله سبحانه وتعالى وبين النبي الأكرم (ﷺ)^(٣)، وأنه خلال ذلك أعطي النبي كتاب أصحاب اليمين وأصحاب الشمال بشكل مكتوب^(٤).

إلى أي قسم من أقسام الوحي ينتمي الوحي المكتوب الذي أنزل على النبي موسى (ﷺ)، والذي يشير إليه القرآن بقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَابِ (٥) مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾ في الآية

(١) النجم: ٨ - ١٠.

(٢) والاحتمال الآخر في الآية الشريفة أن يكون الفاعل في قوله: (دَنَا فَتَدَلَّى) و(أَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ) هو جبرئيل (ﷺ)، فيكون الوحي بواسطة الملك. انظر: أبو الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ١٧٢. ومحمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٢٨ - ٢٩.

(٣) محمد بن حسن بن فروخ الصفار القمي، بصائر الدرجات، ص ١٩٢، ج ٥، باب: (في الأئمة عليهم السلام) عندهم الصحيفة فيها أسماء الجنة و... والعلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٤) محمد بن حسن بن فروخ الصفار القمي، بصائر الدرجات، ص ١٩٢. والعلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٥) وقال ابن عباس: (يريد ألواح التوراة). أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢٥٦، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١،

الخامسة والأربعين من سورة الأعراف؟

القسم الثالث: الوحي بواسطة الملك

تحدّث الله سبحانه وتعالى عن هذا القسم من الوحي في الآية الحادية والخمسين من سورة الشورى إذ يقول: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾. إذ تدلّ هذه العبارة على أنّ الله سبحانه يبلغ كلماته أحياناً من خلال واسطة ورسول يبعثه إلى الإنسان. وإن كان القرآن الكريم يعبر عن كلّ من الإنسان والملك والمبعوث الإلهي تسمية (الرسول)، من قبيل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يُصَنِّفُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(١).

إلا أنّ المراد من الرسول في هذه الآية، كما أشارت الروايات إلى ذلك أيضاً، هو الملك^(٢) الذي يبلغ الله وحيه إلى الأنبياء (عليهم السلام) من خلاله، قال تعالى: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٣).

وهناك فيما يتعلق بـ (الرسول) في هذه الآية احتمالان آخران، وهما:

الأول: إنّ الرسول المذكور في هذه الآية مضافاً إلى دلالاته على المبعوث البشري يشمل الوحي أيضاً؛ وعليه يكون معنى الآية: إنّ الله تعالى يتكلم مع

بيروت، ٢٠٠٩م. وكذلك انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير

القرآن، ج ٨، ص ٢٥٨.

(١) الحج: ٧٥.

(٢) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٢٦٤. والعلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير

القرآن، ج ٩، ص ١٧٧، وج ١٨، ص ٧٦. ومحمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام

القرآن، ج ١٦، ص ٥٢. ومحمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٢٢٢.

(٣) النحل: ٢.

الأنبياء من خلال الملّك، ويتكلم مع الناس بواسطة الأنبياء^(١).

الثاني: أن يكون المراد من (الرسول) في هذه الآية خصوص المبعوث البشري الذي يرسله الله لهداية الناس، ويختاره لإبلاغ الأحكام والمعارف الإلهية إليهم، وإنّ الله تعالى يتكلم مع الناس بواسطة هؤلاء المبعوثين من الأنبياء والرسول^(٢).

كيفية الوحي بواسطة الملّك

كما سبق أن ذكرنا^(٣)، فإن الحصول على جميع أقسام الوحي بما في ذلك الذي يتم بواسطة الملّك إنما هو حضوري. وهذا ما يُعبّر عنه القرآن الكريم بالنزول على القلب، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنُنزِّلُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾^(٤). ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٥).

وروي عن النبي الأكرم (ﷺ) أنه قال: «إنّ الروح القدس نفت في روعي»^(٦).

(١) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، المجلد الخامس:

ج(٩ - ١٠)، ص٣٦.

(٢) انظر: محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٩، ص١٧٦. حيث ذكر

هناك كمحتمل.

(٣) تقدم ممّا ذلك في الدرس السابع، فراجع.

(٤) الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤.

(٥) البقرة: ٩٧.

(٦) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج٢، ص٧٤، ح: ٢. وشبيه بهذا التعبير ما في

ج٥، ص٨٠، ح: ١ و٣ أيضاً.

وعنه (ﷺ) أيضاً أنه قال: «وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني»^(١).

إن هذين القسمين من الشواهد لا يتنافيان؛ لأن طريقة كلام ملك الوحي ليست كطريقة الناس في الكلام، فإن ملك الوحي من خلال ارتباطه الروحي بالنبي يقذف الوحي في قلبه^(٢)، وإن النبي ليرى صورته ويسمع صوته، ولكن لا بالعين أو الأذن الماديتين^(٣). وبناءً على محتمل^(٤) فقد فسرت رؤية النبي الأكرم (ﷺ) للملك في الآية الآتية بالرؤية القلبية، قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾^(٥).

هناك من الحكماء من صرح بأن روح النبي وباطنه على اتصال بروح القدس^(٦). فمثلاً قال ابن سينا: (فيكون الموحى إليه يتصل بالملك بباطنه، ويتلقى وحيه بباطنه)^(٧).

فإن الشاهد على حضورية الحوار بين الملك والأنبياء (عليهم السلام)، هو أن غير النبي إنما يرى ملك الوحي ويسمع صوته إذا كان النبي متصرفاً بروحه، أو

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٤١. والعلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٦٠، ح: ١٢.

(٢) انظر: صدر الدين محمد الشيرازي، تفسير القرآن الكريم، ج ٧، ص ١١٥.

(٣) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٤) محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ٤٢٤.

(٥) النجم: ١١ - ١٤.

(٦) أبو نصر محمد الفارابي، انديشه هاي مدينة فاضلة، ترجمة: الدكتور السيد جعفر السجّادي، ص ٢٤٦.

(٧) ابن سينا، تسع رسائل في الحكمة والطبيعة، ص ٦٦.

كان يتمتع بنفس سامية وروح عالية مثل الإمام عليّ (عليه السلام)^(١).

الأنبياء الذين مارسوا هذا القسم من الوحي

طبقاً لما يقوله القرآن الكريم فإنّ ملك الوحي بالإضافة إلى النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله) قد تجلّى لعدد من الأنبياء (عليهم السلام) من قبيل: إبراهيم^(٢)، ولوط^(٣)، وزكريا^(٤)، بل وحتى غير الأنبياء من قبيل: السيدة مريم العذراء (عليها السلام)^(٥)، وكلمهم. وطبعاً فإنّ القرآن الكريم لا يوضّح ما إذا كان الملك الذي يظهر لهؤلاء هو ملك الوحي أم غيره، ولكن كما سبق أن ذكرنا^(٦) هناك رواية صحيحة السند تدلّ على أنّ (الرسول) يرى ملك الوحي في يقظته^(٧)؛ وعليه فإنّ الرأي القائل بأنّ الوحي الذي يكون بواسطة الملك من مختصات الأنبياء من أولي العزم، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد (صلى الله عليه وآله)^(٨) ليس صحيحاً. ومهما كان فإنّ القرآن الكريم يذكر عدداً قليلاً من الأنبياء الذين جربوا هذا النوع من الوحي، من قبيل:

١- النبيّ عيسى (عليه السلام): إنّ القرآن الكريم يُسمّي ملك الوحي الذي كان

(١) انظر: نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٠.

(٢) هود: ٦٩، والحجر: ٥١.

(٣) هود: ٧٧.

(٤) آل عمران: ٣٩.

(٥) آل عمران: ٤٢، ومريم: ١٧.

(٦) ذكرنا ذلك في الدرس الأول، فراجع.

(٧) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، الباب الثالث (باب الفرق بين الرسول والنبيّ والمحدث).

(٨) انظر: السيد حيدر الآملي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص ٤٥٣.

ينزل على النبي عيسى (ﷺ) بروح القدس، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^(١).

وكما سبق أن ذكرنا فإن روح القدس صفة من أوصاف جبرئيل، وإن مهمته الرئيسية أو في الأقل إحدى أهم وظائفه تكمن في إبلاغ الوحي إلى الأنبياء؛ وعلى هذا يُحتمل أن يكون النبي عيسى (ﷺ) قد اتصل بالوحي بواسطة الملك.

٢- النبي محمد (ﷺ): كما سبق أن ذكرنا فإن ملك الوحي كان يأتي للنبي الأكرم (ﷺ) على أشكال مختلفة؛ وعليه ليس هناك من شك في أن النبي الأكرم كان يتمتع من بين الأنبياء بهذا القسم من الوحي. وكان لجبرئيل أنسٌ خاصٌ بالنبي، فحتى قبل النبوة بينما لم يكن النبي قد تجاوز السابعة والثلاثين من عمره الشريف، كان جبرئيل (ﷺ) يأتيه في منامه ويناديه: (يا رسول الله). وكان ذات يوم يرمى الغنم فقال له شخص: (يا رسول الله)، فسأله النبي من أنت؟ فأجابه: أنا جبرئيل، وقد أرسلني الله إليك ليجتبيك بالرسالة. فأخضى ذلك رسول الله على الناس ردحاً من الزمن^(٢).

أقسام الوحي المحمدي

يجدر بنا في ختام هذا الدرس أن نشير إلى هذه المسألة، وهي أن النبي الأكرم (ﷺ) كان يتمتع بجميع أقسام الوحي^(٣)؛ لأنه كان مشتملاً على

(١) البقرة: ٨٧.

(٢) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٨٤.

(٣) انظر: الحافظ أبو عبد الله بن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ١، ص ١٩.

جميع الكمالات الإنسانية، وكان أفضل من جميع الأنبياء (ﷺ). قال الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾^(١): «فجمع له كلّ وحي»^(٢).

كما اتضح من البحوث السابقة أنّ النبيّ الأكرم (ﷺ) قد حضى بجميع أقسام الوحي؛ إذ ذكرنا نموذجاً لكلّ قسم من أقسام الوحي الذي كان ينزل عليه.

وعلى هذا الأساس، وكما دلّت الشواهد، فإنّ الوحي القرآني قد اشتمل على جميع أقسام الوحي الثلاثة، وهي كالاتي:

١- الوحي المباشر: كما سبق أن ذكرنا فإنّ النبيّ الأكرم (ﷺ) كان أحياناً يستلم الوحي من دون أن تكون بينه وبين الله واسطة، وكان على اثر ثقل هذا النوع من الوحي عليه يتغيّر لونه ويتفصّد عرقه.

٢- الوحي من وراء حجاب: لقد دلّت الآيات والروايات على أنّ الله سبحانه وتعالى قد كلم النبيّ محمداً (ﷺ) في ليلة المعراج دون توسط الملك^(٣). فأوحى إليه الآيات الأخيرة من سورة البقرة، والآية التاسعة والثمانين من سورة الزخرف. وهذا النوع من الحوار كان من أنواع الوحي من وراء حجاب؛ إذ كان النبيّ يستمع إلى الكلمات الإلهية والأصوات الربانية، دون أن يرى مصدرها.

(١) النساء: ١٦٣.

(٢) أبو نصر محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٨٥.

(٣) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩، ص ٢٣٩، ح: ٣٩.

٢- الوحي بواسطة الملك: إن أكثر أنواع الوحي نزولاً على رسول الله (ﷺ) كان يأتيه بواسطة جبرئيل (عليه السلام). وبناءً على معتقد بعض العلماء^(١) فإن ظاهر بعض الآيات يدل على أن جميع القرآن الكريم أنزل على النبي بواسطة جبرئيل (عليه السلام). قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢). ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾^(٣).

خلاصة الدرس

١- بناءً على ما جاء في الآية الحادية والخمسين من سورة الشورى، يكون الوحي على ثلاثة أقسام، وهي: الوحي المباشر، والوحي من وراء حجاب، والوحي مع الواسطة.

٢- إن الوحي المباشر بالمقارنة إلى قسيميه أشدّ ثقلًا وأصعب على حامله.

٣- ينقسم الوحي المباشر إلى نوعين، هما: الوحي المباشر أثناء اليقظة، وقد حدث هذا النوع من الوحي للنبي نوح، وإبراهيم، وعيسى (عليه السلام)، ومحمد (ﷺ)، وغيرهم. والوحي المباشر أثناء النوم، وهو ما حدث للنبي إبراهيم (عليه السلام) والنبي محمد (ﷺ).

٤- وفي قسم الوحي من وراء حجاب، يسمع النبي صوت الوحي من خارج حجاب، من قبيل الوحي الذي سمعه النبي موسى (عليه السلام) في وادي الطور

(١) صدر الدين محمد الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٧، ص٢٢ - ٢٣.

(٢) البقرة: ٩٧.

(٣) الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤.

الأيمن، والوحي الذي رآه النبي الأكرم (ﷺ) في ليلة المعراج.

٥- إن الوحي بواسطة الملك قد يتجلى فيه الملك على صورته الحقيقية، وقد يتجلى على شكل إنسان، أو ينزل على قلب النبي. وقد حدث هذا النوع من الوحي للنبي محمد (ﷺ)، والنبي عيسى (ﷺ).

٦- يظهر من الآيات والروايات أن النبي محمداً (ﷺ) قد استوفى أقسام

الوحي بأجمعها.

أسئلة نموذجية

١- اذكر أقسام الوحي النازل من قبل الله على الأنبياء (ﷺ) من خلال

الاستشهاد بآية من القرآن الكريم.

٢- كيف يحصل الوحي من وراء حجاب؟

٣- اذكر أربعة نماذج من أنواع الوحي المباشر مستعيناً بآيات القرآن

الكريم.

٤- هل استوفى النبي الأكرم (ﷺ) جميع أقسام الوحي؟ أذكر شاهداً

على ذلك.

٥- في أي قسم يندرج الوحي القرآني؟

واحة المصادر

- العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن،

ج ١٨، ص ٧٢ - ٨١.

- العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٤٤ - ٢٨١.

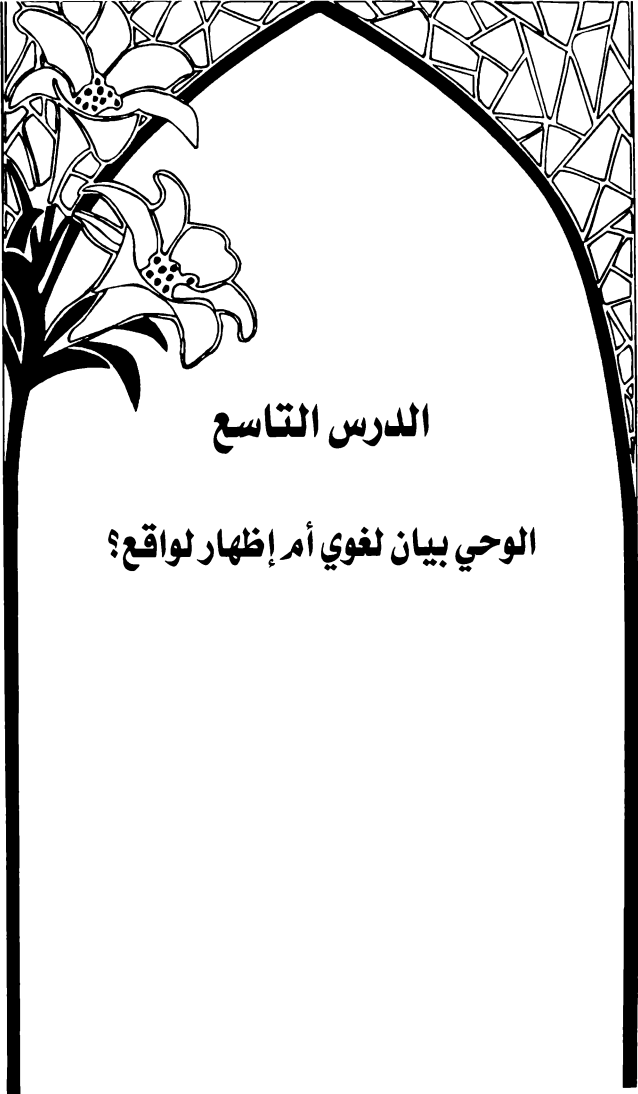
- محمد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ٥٥ - ٧٢.

- الدكتور ستار جبر حمّود الأعرجي، الوحي ودلالته في القرآن الكريم
والفكر الإسلامي، ص ٨٣ - ١٧٩.

تحقيق

أي أقسام الوحي أفضل من الأقسام الأخرى؟ حقّق في ذلك.

.....



الدرس التاسع

الوحي بيان لغوي أم إظهار لواقع؟

.....

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

- ١- أن يتمكن من بيان مختلف الآراء بشأن ما يوحى إلى الأنبياء (عليهم السلام).
- ٢- أن يُثبت أن الأنبياء (عليهم السلام) كانوا يتمتعون بمختلف أنواع الوحي.
- ٣- أن يتعرف على مختلف أنواع الوحي النازل على الأنبياء (عليهم السلام).
- ٤- أن يعلم أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان يتمتع بجميع أنواع الوحي.
- ٥- أن يتعرف على كيفية نزول الحقائق المتعالية والبسيطة من طريق الوحي اللغوي والكلامي.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

ما الذي يحصل عليه الأنبياء خلال ارتباطهم بوحى السماء؟ هل يشتمل الوحي الإلهي أو الذي يُنزلهُ الملك على مجرد إظهار الواقع، وإن الأنبياء هم الذين يصبون ذلك الواقع في قوالب لغوية ينقلونها إلى الآخرين؟ أم أن الوحي ينزل من الله في قالب لغوي من الأساس؟

إنّ العثور على إجابة عن هذا السؤال مضافاً إلى إسهامه الكبير في

معرفة طبيعة الوحي، فإنّ له كذلك تأثيراً واضحاً في تفسير النصوص الدينية، وهذا ما سنشير إلى جانب منه في هذا الدرس، فإنّ من أهمّ البحوث المطروحة منذ القدم فيما يتعلق بالكتب السماوية، هو البحث في سماوية ألفاظها وتراكيبها وبنائها اللغوي^(١).

(١) فيما يتعلق بسماوية أو عدم سماوية ألفاظ الكتاب المقدّس، انظر: مايكل بيترسون، عقل واعتقاد ديني، ترجمة: أحمد النراقي، ص ٤٣٨. وجان هيك، فلسفه دين، ترجمة: بهزاد راد، ص ١١٩ - ١٢٠. وتوماس ميشيل، كلام مسيحي، ترجمة: حسين توفيق، ص ٢.

الآراء

هناك فيما يتعلق بالإجابة عن السؤال المتعلق بكيفية نزول الوحي على

الأنبياء عدد من الآراء، منها:

١- إنَّ الوحي مجرد مظهر للواقع.

٢- إنَّ الوحي بيان لغوي.

٣- إنَّ الوحي إظهار للواقع مصحوب بالبيان اللغوي.

٤- إنَّ الوحي أنواع مختلفة عن إظهار المراد الإلهي.

١- الوحي بوصفه إبرازاً للواقع دون بيان لغوي

إنَّ الوحي عبارة عن وقائع وحقائق غير لغويّة يكشفها الله تعالى بنفسه أو بواسطة ملكٍ ويطلعها على النبي، وإنَّ النبيّ يعمل على لباس هذه الحقائق المستقلة والمجرّدة عن الألفاظ ثوباً وقالباً لغويّاً^(١). فإنَّ هذا النوع من الإلقاء قد يتم عبر إراءة الحقائق بنفسها، أو من طريق رموز وعلامات تدل على تلك الحقائق المرادة للمرسل. من هنا يكون للوحي ثلاثة أركان، وهي عبارة عن: المرسل، والرسول، والرسالة.

وهناك من نسب هذا الرأي إلى الفلاسفة المسلمين^(٢)، ولكنها نسبة باطلة إذ:

أولاً: إنَّ الحكم على لغويّة الوحي إلى الأنبياء، أو عدم لغويته خارج عن دائرة العقل.

(١) شاه ولي الله الدهلوي، التفهيمات الإلهية، ص ٥٨١، نقلاً عن أحمد خان الهندي، تفسير القرآن وهو الهدى والفرقان، ترجمة: السيد محمّد تقّي فخر داعي كيلاني، المقدّمة، ص: يب، وكذلك:

Emmanuel Steven M., Kierkegard & the concept of Revelation, p. ٦٢ - ٦٣

نقلاً عن علي رضا قائمي نيا، وحي وافعال كفتاري، ص ٤٠ - ٤٣.

(٢) علي رضا قائمي نيا، وحي وافعال كفتاري، ص ١٦ و ٤٠ - ٤١.

وثانياً: كما سبق أن ذكرنا^(١)، فإنّ الفلاسفة إنّما كانوا بصدد التفسير العقلي لارتباط الوحي.

وثالثاً: على الرغم من اعتقاد الفلاسفة بأنّ قوّة الخيال تلبس الوحي قالباً مادياً، إلاّ أنّ هذا لا يُشكّل دليلاً على عدم الاعتقاد بلغويّة الوحي؛ إذ إنّ رأي الفلاسفة - كما صرّح بذلك بعضهم - يقوم على أنّ الوحي في كلّ مرتبةٍ ومرحلةٍ عبارة عن حقيقة متناسبة وتلك المرحلة، فهو في عالم العقل عبارة عن وجود عقلي، وفي عالم المثال الذي هو عبارة عن خيال النبيّ يتنزل ذلك الوجود العقلي إلى صورة ألفاظ وأصوات مثالية، وفي العالم المحسوس يتحول إلى ألفاظ وأصواتٍ مادية، وفي ذلك يقول صدر المتألّهين: (يُشاهد ببصره العقلي آيات ربّه الكبرى، ويسمع بسمعه العقلي كلام ربّ العالمين من الروح الأعظم)^(٢).

ورابعاً: إنّ بعض الفلاسفة من قبيل: صدر المتألّهين بالإضافة إلى تصريحهم باعتبار وحي القرآن الكريم لغوياً ولفظياً، يذهبون كذلك إلى القول بأنّ استلام الوحي عبارة عن سماع كلام عقلي من طريق المسامع القلبية^(٣).

٢- الوحي بيان لغوي

يذهب الراي الآخر إلى القول بأنّ الوحي عبارة عن مجموعة من البيانات اللغويّة المكتوبة أو الملفوظة التي ينزلها الله تعالى إلى النبيّ، وهذا يعني:

(١) تحدّثنا في الدرس السادس عن آراء الفلاسفة بشأن الوحي بالتفصيل، فراجع.

(٢) صدر الدين محمد الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٧، ص٢٧.

(٣) انظر: صدر الدين الشيرازي، مفاتيح الغيب، ص١٩.

أولاً: إِنَّ للوحي طبيعة لغوية.

وثانياً: إِنَّ الله سبحانه يلقي إلى النبيّ كلمات وجمل ذات معنى. ومن هذا الطريق يتلقى النبيّ والآخرون من طريقه معلومات ومعارف، عليهم التزامها والعمل بمضامينها؛ ولهذا السبب فإنّ الله قد أرسل كل نبي إلى قومه ليحدّثهم بلغتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(١).

بناءً على هذه الرؤية التي تعدّ من أكثر الآراء شيوعاً وقبولاً بين علماء المسلمين فيما يتعلق بالوحي القرآني^(٢)، يكون للوحي أربعة أركان، وهي: أولاً: المرسل. وثانياً: الرسول. وثالثاً: الحوار بلغته خاصّة. ورابعاً: رسالة الوحي.

من الضروري التذكير بهذه المسألة وهي أنّ هذا القسم من الوحي عبارة عن نوع فذ من الحوار الكلامي واللغوي، فهو يختلف جذرياً عن الحوار المتعارف بين شخصين؛ إذ على الرغم من تكليم الله أو الملك للنبي، إلّا أنّ هذا التكلّم - كما سبق أن ذكرنا^(٣) - تكلم حضوري، يعتمل في نفس النبي؛ من هنا فإنّ القرآن الكريم يبيّن أنّ نزول الوحي على النبيّ الأكرم (ﷺ) إنّما هو نزول على القلب، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤). ﴿نَزَلَ بِهِ

(١) إبراهيم: ٤.

(٢) سيأتي في الدرس القادم مفصلاً أنّه بناءً على الآيات والروايات ومشهور علماء المسلمين أنّ ألفاظ القرآن الكريم سماوية أيضاً، ولكن على الرغم من ذلك هناك من المحقّقين من نسب هذا الرأي إلى بعض المنظرين الغربيين. انظر: علي رضا قائمي نيا، وحي واقف الكفتاري، المقدّمة.

(٣) انظر: الدرس السابع.

(٤) البقرة: ٩٧.

الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١﴾.

٣- الوحي إظهار الواقع مقروناً بالبيان اللغوي

الاحتمال الآخر أن الله تعالى في ارتباطه بالنبى يعمل على إظهار الواقع، من خلال التكلم معه بلغة من اللغات، فمثلاً عندما يتكلم الله عن نعيم الجنة، يعمل في الوقت نفسه على إراءة الجنة إلى النبى على حقيقتها؛ وبناءً على هذا الرأي سيكون للوحي خمسة أركان، وهي كالاتي:

أولاً: المرسل للوحي (الله أو الملك).

وثانياً: الرسول (النبى).

وثالثاً: الحوار بلغة خاصة.

ورابعاً: الحقائق المرسلة.

وخامساً: رسالة الوحي^(٢).

٤- الوحي أنواع متنوعة من إراءة المعرفة

سبق أن ذكرنا في الدروس المتقدمة أن الوحي عبارة عن كلام حضوري لله سبحانه وتعالى يقذفه في قلب النبى على ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ مَا بَدَأَ بِذِكْرِهِ قَوْلًا سِرًّا وَأَنْ يَخْتَارَ مَا نُنزِّلُ الْكِتَابَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مِنْ صَفْحَةٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي نَزَّلْتُهُ مِنَ السَّمَاءِ بِالسَّبْعِ الْمَقَابِلِ﴾. وهذا النوع من الوحي لا يقع في الموارد الإنشائية البحتة، التي يكتفى فيها بالأمر بإيصال الكلام إلى الآخرين؛ يمكن للوحي الإنشائي أن يقع بنحو آخر يظهر فيه الواقع غير مقرون بالبيان اللغوي، من قبيل ما رآه النبى إبراهيم (عليه السلام) في المنام من ذبح ولده، فعلم من ذلك أنه مأمور بالتضحية بابنه إسماعيل. إذ وراء ذلك الإنشاء أمر واقعي يراد له أن يُشاهد. وسيأتي بيان نموذج لهذا القسم من الوحي في البحوث القادمة إن شاء الله تعالى. وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تشتمل جميع أقسام الوحي على بيان للحقيقة والواقع مقروناً بالتكلم اللغوي.

(١) الشعراء: ١٣ - ١٤.

(٢) إن هذا النوع من الوحي لا يقع في الموارد الإنشائية البحتة، التي يكتفى فيها بالأمر بإيصال الكلام إلى الآخرين؛ يمكن للوحي الإنشائي أن يقع بنحو آخر يظهر فيه الواقع غير مقرون بالبيان اللغوي، من قبيل ما رآه النبى إبراهيم (عليه السلام) في المنام من ذبح ولده، فعلم من ذلك أنه مأمور بالتضحية بابنه إسماعيل. إذ وراء ذلك الإنشاء أمر واقعي يراد له أن يُشاهد. وسيأتي بيان نموذج لهذا القسم من الوحي في البحوث القادمة إن شاء الله تعالى. وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تشتمل جميع أقسام الوحي على بيان للحقيقة والواقع مقروناً بالتكلم اللغوي.

يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَيَّ حَكِيمٌ»^(١). وإنَّ المراد من التكلّم كلُّ نوعٍ من أنواع المعرفة التي تری الواقع، أو تحكي عنه ببيان لغوي، أو كلا الأمرين مقرونان إلى بعضهما. وحتى في الوحي من وراء حجاب، من قبيل: التكلیم الذي حدث للنبي موسى (عليه السلام)، يمكن أن يرى الواقع مقروناً بالتكليم^(٢).

وعلى هذا الأساس، فإننا نرى أنّ الوحي إلى الأنبياء بما يتناسب والظروف يمكن أن يكون على نحوٍ من ثلاثة أنحاء، وهي: (الإظهار البحت للحقائق)، أو (البيان اللغوي)، أو (إظهار الحقائق مقروناً بالبيان اللغوي). وقد أشار ابن خلدون إلى هذا التنوّع في الوحي، إذ يقول في وصف صنف الأنبياء في معرض كلامه عن الأصناف البشرية: (وصنف مفظور على الانسلاخ من البشرية جملة - جسمانيها وروحانيها - إلى الملائكة من الأفق الأعلى، ليصير في لحظة من اللحظات ملكاً بالفعل، ويحصل له شهود الملأ الأعلى في أفقهم، وسماع الكلام النفساني، والخطاب الإلهي في تلك اللحظة)^(٣).

أنواع الوحي إلى الأنبياء (عليهم السلام)

على الرغم من إمكان مختلف أنواع الوحي إلى الأنبياء (عليهم السلام)، إلا أنّ إثبات أنّ الأنبياء قد حصلوا بالفعل على هذه الأنواع المختلفة من الوحي بحاجة إلى شاهد ودليل. وكما تقدّم أن ذكرنا فإنّ العقل عاجز عن البت في هذه المسألة. وإنّ أقصى ما يمكن للعقل أن يثبتته هو ضرورة الوحي، وإنّ الله تعالى يُعرّف الأنبياء بالحقائق من طريق الوحي، إلا أنّ بيان

(١) الشورى: ٥١.

(٢) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٢٤٤.

(٣) عبد الرحمان بن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، ص ١٢٨ (أصناف النفوس البشرية)، شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم، ط ١، بيروت.

كيفية هذه المعرفة خارجة عن قدرة العقل؛ وعليه ليس هناك من طريق إلى معرفة الوحي إلا من خلال طريق في هذا الارتباط السماوي بين الباري سبحانه وتعالى والنبي المتجسد في الكتب السماوية والأحاديث النبوية الشريفة.

ونحن في هذا البحث اقتصرنا على القرآن الكريم والروايات الشريفة^(١)؛ إذ إن القرآن الكريم هو الوحيد الذي حافظ على سماويته من بين جميع الكتب الأخرى، وبقي سليماً من التحريف. ولكن كما سيأتي بالتفصيل في الدرس الأخير إن شاء الله أن ما تمّ جمعه في النصوص المسيحية المقدّسة بوصفه كتباً سماوياً لا يعدو - إلا فيما ندر - أن يكون عبارة عن تقرير لأحداث الرسالات وسير بعض الأنبياء وأقوامهم^(٢). قال شلاير ماخر في هذا الشأن: (تكمن قيمة الكتاب المقدّس في رواية تاريخ وتجارب دين بني إسرائيل والمسيح، وتاريخ المؤمنين في الصدر الأول)^(٣).

يفهم من القرآن الكريم والسنة المطهّرة أن الوحي إلى الأنبياء كان على أنحاء وأنواع مختلفة، هي كالآتي:

١- إظهار الواقع

كما تقدّم في الدرس السابق فإنّ بعض أقسام الوحي إلى الأنبياء كان يتمّ عبر الرؤيا، كما حصل للنبي إبراهيم إذ رأى في المنام أنه يذبح ابنه

(١) بالالتفات إلى ما ثبت في محله، وما ذكرناه باختصار في الدرس الثاني من أن القرآن الكريم وحي إلهي ومن أكثر المصادر وثوقاً، يمكن لنا الاستناد إليه في البحث عن أنواع الوحي القرآني.

(٢) انظر: ايان باربر، علم ودين، ص ١٢٢.

(٣) المصدر المتقدّم.

إسماعيل. ويظهر من القرآن الكريم والروايات^(١) أن هذا الوحي لم يكن لغوياً، وإنما كان عبارة عن انكشاف للواقع، ففهم النبي إبراهيم أنه بذلك قد أمر بالتضحية بابنه^(٢). قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣).

وقد تقدّم أن ذكرنا بأن إظهار الواقع قد يكون من خلال رموز غير لغويّة، وإن الرؤيا التي رآها النبي الأكرم (ﷺ) بشأن اغتصاب بني أمية للخلافة من أصحابها الشرعيين كانت من هذا النوع من أنواع الوحي.

٢- الوحي اللغوي

طبقاً لما هو ثابت من آيات القرآن الكريم، فإن النبي الأكرم (ﷺ) قد نال كلا قسمي الوحي اللغوي: الكتابي والحواري، وهما كالآتي^(٤):

أ- الوحي اللغوي الكتابي

لقد نزلت التوراة أو بعضها وحيّاً لغوياً كتابياً على النبي موسى (ﷺ). قال تعالى بشأن كتابة الألواح لموسى (ﷺ): ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا

(١) انظر: عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٤٢١.

(٢) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ١٥٨.

(٣) الصافات: ١٠٢.

(٤) حيث إننا سنثبت في المستقبل - إن شاء الله تعالى - أن جميع آيات القرآن الكريم التي أنزلت بواسطة جبرئيل من الوحي اللغوي (الكتابي أو الحواري)، فإننا سنذكر أمثلة أخرى على ذلك.

سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١﴾.

وكذلك هناك آياتٍ أخرى من قبيل: الآية الثالثة والخمسين من سورة البقرة، تتحدث عن إعطاء الكتاب لموسى (ﷺ)، والآية السادسة والثلاثين من سورة النجم، والتاسعة عشرة من سورة الأعلى تتحدث عن صحف النبي موسى (ﷺ)، مما يدلّ بأجمعه على الوحي المكتوب.

كما يُستنبط من بعض آيات القرآن الكريم أن زيور النبي داود (ﷺ) كان وحياً مكتوباً. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١). ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زُبُورًا﴾^(٢).

إنّ الزيور مأخوذ من مادة (زبر) بمعنى الكتابة^(٤)، والمراد منها الأمر المكتوب^(٥).

يُستفاد من الروايات - وهناك منها ما هو صحيح^(٦) - أن النبي

(١) الأعراف: ١٤٥. وقال ابن عباس: (المراد من الألواح: التوراة). انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٤٧٦ والعلامة محمد حسن الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٢٥٧.

(٢) الأنبياء: ١٠٥.

(٣) النساء: ١٦٣.

(٤) انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين وأحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة ومحمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي، لسان العرب.

(٥) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٥٣. وهناك احتمال آخر وهو أن يكون الوحي الذي نزل على النبي داود (ﷺ) كان على شكل إلهام. فخر الدين محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٧، ص ١٨٦.

(٦) انظر: محمد بن الحسين بن فروخ الصفار القمي، بصائر الدرجات، ص ١٩٢، ج ٥، باب في

الأكرم (ﷺ) في ليلة المعراج قد أعطي كتاب أصحاب اليمين وأصحاب الشمال بشكل مكتوب. من ذلك ما روي في الصحيح^(١) عن الإمام الجواد (ﷺ) أنه قال: «انتهى النبي (ﷺ) إلى السماء السابعة، وانتهى إلى سدرة المنتهى^(٢)»، قال: فقالت السدرة: ما جازني مخلوق قبلك. ثم دنى فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى. قال: فدفع إليه كتاب أصحاب اليمين، وكتاب أصحاب الشمال؛ فأخذ كتاب أصحاب اليمين بيمينه وفتح ونظر فيه؛ فإذا فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم. قال: وفتح كتاب أصحاب الشمال ونظر فيه، فإذا فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم. ثم نزل ومعه الصحيفتان فدفعهما إلى علي بن أبي طالب (ﷺ)^(٣).

الأئمة (ﷺ) عندهم الصحيفة التي فيها أسماء أهل الجنة، وأسماء أهل النار ... والعلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(١) رواة هذا الحديث هم: محمد بن الحسين بن فروخ الصنفار القمي، ومحمد بن عيسى (بن عبد الله الأشعري)، وعبد الصمد بن بشير (الغرامى العبدى)، وكلهم من الإمامية الثقات. انظر: أحمد بن علي النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٤٩، و ٢٠٨ / ٢٥٤. ويوسف ابن الحسن الحلبي، الخلاصة، ص ١٥٧، و ٢٧٠.

(٢) قال العلامة الطباطبائي: (السدر: شجر معروف، والتاء للوحدة. والمنتهى: كأنه اسم مكان، ولعل المراد به منتهى السماوات، بدليل كون الجنة عندها، والجنة في السماء .. وقد فسّر في الروايات أيضاً بأنها شجرة فوق السماء السابعة إليها تنتهي أعمال بني آدم). الميزان في تفسير القرآن، ج ١٩، ص ٢٨، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٦م.

(٣) محمد بن الحسين بن فروخ الصنفار القمي، بصائر الدرجات، ص ١٩٢، ح ٦. والعلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١٤٧.

ب - الوحي اللغوي الحواري

كما تقدّم منا في الدرس السابق، يتضح من بعض الروايات - التي تشتمل على ما هو صحيح السند - أنّ النبيّ الأكرم (ﷺ) قد كلم الله سبحانه وتعالى في ليلة المعراج تكليماً^(١). وطبقاً لما في الصحيح^(٢) عن النضر، عن عبد الصمد بن بشير، قال: ذكر عند أبي عبد الله (ﷺ) بدء الأذان وقصّة الأذان في إسرائ النبيّ (ﷺ) حتى انتهى إلى السدرة، قال: «فالت سدرة المنتهى: ما جازني مخلوق قبلك، قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾^(٣). قال: فدفع إليه كتاب أصحاب اليمين وأصحاب الشمال. قال: وأخذ كتاب أصحاب اليمين بيمينه ففتحه فنظر إليه، فإذا فيه أسماء أهل الجنّة وأسماء آبائهم وقبائلهم، قال: فقال له: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ

(١) علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج ١، ص ٣٤٤. محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، كنز الدقائق، ج ١٢، ص ٤٧٦.

(٢) محمد بن الحسين بن فروخ الصفار القمي، بصائر الدرجات، ص ١٩٢، ج ٥، باب في الأئمة (ﷺ) عندهم الصحيفة التي فيها أسماء أهل الجنّة، وأسماء أهل النار ... والعلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٢٤ - ١٢٥. ورواة هذا الحديث كلهم من الإمامية الثقات، وهم: محمد بن الحسين بن فروخ الصفار القمي (ثقة جليل إمامي صحيح المذهب. انظر: أحمد بن علي النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٥٤ ويوسف بن الحسن الحلبي، الخلاصة، ص ١٥٧). وأحمد بن محمد الأشعري (ثقة إمامي جليل. انظر: أحمد بن علي النجاشي، المصدر المتقدم، ص ٢٥٤ وفهرست الشيخ الطوسي، ص ٢٦٦)، والنظر محمد ابن سويد الصيرفي، (ثقة صحيح المذهب. انظر: أحمد بن علي النجاشي، المصدر المتقدم، ص ٤٢٧) وعبد الصمد بن بشير (العرامي العبدي)، (ثقة. انظر: أحمد بن علي النجاشي، المصدر المتقدم، ص ٢٤٩).

إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ»^(١) قال: فقال رسول الله (ﷺ): «وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ»^(٢). «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا»^(٣). قال: فقال الله: قد فعلت. قال: «رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا»^(٤) إلى آخر السورة، وكل ذلك يقول الله: قد فعلت. قال: ثم طوى الصحيفة فأمسكها بيمينه. وفتح صحيفة أصحاب الشمال فإذا فيها أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، قال: فقال رسول الله (ﷺ): «رَبِّ إِنِّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ»^(٥) قال: قال الله: «فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ»^(٦).

تدل هذه الرواية على أن الآية الخامسة والثمانين بعد المتتين، والسادسة والثمانين بعد المتتين من سورة البقرة، والآية التاسعة والثمانين من سورة الزخرف كانت وحياً مباشراً وحواراً كلامياً بين الله سبحانه والنبى محمد (ﷺ). وطبعاً يُحتمل أيضاً أن هذه الآيات لم تكن حينها وحياً قرآنياً، ثم نزلت بعد ذلك ضمن مجموع الآيات وحياً قرآنياً على رسول الله (ﷺ).

وهناك رواية أخرى أيضاً عن الإمام الصادق (ع) يقول فيها لأبي بصير: «قال الله تبارك وتعالى: يا محمد، قال: لبيك ربّي. قال: من لأمتك من بعدك؟ قال: الله أعلم. قال: علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين، وسيد المسلمين .. يا أبا محمد،

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٢) البقرة: ٢٨٥.

(٣) البقرة: ٢٨٦.

(٤) البقرة: ٢٨٦.

(٥) الزخرف: ٨٨.

(٦) الزخرف: ٨٩.

والله ما جاءت ولاية عليّ (عليه السلام) من الأرض، ولكن جاءت من السماء مشافهة»^(١).

دفع إشكال

فيما يتعلق بالوحي اللغوي يرد إشكال مفاده أنّ الوحي قبل النزول عبارة عن حقيقة بسيطة علمية وتكوينية، فكيف تنتزّل هذه الحقيقة المتعالية والبسيطة على شكل مفاهيم وكلمات ملفوظة تكون دلالتها على المعاني دلالة وضعية، وليس بينها أيّ رابطٍ تكويني؟

توضيح ذلك: إنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، وإنّ دلالة الألفاظ على المعاني التي تكون من خلال عملية الوضع^(٢) بقسميه: التعيني والتعيني^(٣) مسألة اعتبارية، فإنّ وضع الألفاظ على المعاني يتمّ على يد

(١) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٤٤٢، كتاب الحجّة، باب مولد النبي (ﷺ)، ح: ١٣.

(٢) إنّ للبحث في علاقة اللفظ بالمعنى جذوراً تاريخية طويلة، ولا زال البحث بشأنها محتتماً في الأروقة والمحافل العلمية، وقد اختصّ بهذا الحقل جانب من بحوث كتب فلسفة اللغة، وعلم أصول الفقه أيضاً. وهناك بين العلماء والمفكرين في هذا الشأن مذهبان آخران، وهما:

أ - النزعة الطبيعية التي تذهب إلى القول بأنّ دلالة الألفاظ على المعاني تكوينية وطبيعية وليست وضعية. (انظر: منصور اختيار، معنى شناسي، ص ١١٧. وإبراهيم اتين، رابطته لفظ ودلالات، ترجمة: حسين سيدي، مجلة كيهان فرهنگي، السنة الثامنة، العدد: ٩، ص ٥. وكذلك عباس زرياب، آيا دلالت ألفاظ بر معنا ذاتي است؟، مهدي نامه، بإشراف حسن عرب وأصغر محمد خاني، ص ٤٣١).

ب - القول بالتفصيل، بمعنى أنّ دلالة الألفاظ على المعاني تكون بالوضع أحياناً، وتكون طبيعية وتكوينية في أحيان أخرى. (انظر: محمد رضا باطني، در باره زبان، مجموعة مقالات، ص ١١٨ - ١١٩).

(٣) إنّ الوضع التعيني هو الذي يكون بوضع واضح، بأن يقول: قد وضعت هذا اللفظ للدلالة

الذين أبدعوا وأوجدوا تلك الألفاظ^(١)، وأخذوا يتكلمون بها. من هنا كان للمعنى الواحد عدّة ألفاظ في مختلف اللغات.

فإنّ الإجابة عن هذا الإشكال هي أنّ دلالة الألفاظ على المعاني وإن كانت اعتبارية، إلا أنّ الألفاظ ذاتها أمور واقعية وحقائق تكوينية، وإنّ هذه الألفاظ المادية - كسائر الأمور المادية الأخرى - تحتوي على مراتب، وإنّ مرتبتها المادية هي مظهر من الألفاظ في العالم الأعلى والموجودة في العلم الإلهي.

قال تعالى في هذا الشأن: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(٢). ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(٣).

توضيح ذلك: إنّهُ تقدم في بحث التفسير العقلي للوحي أنّ للكائنات في العوالم الثلاثة - أي: عالم العقل، وعالم المثال، وعالم المادة - حقائق متناسبة

على هذا المعنى. وأمّا الوضع التعييني فهو الذي يحصل بشكلٍ تدريجي من خلال كثرة الاستعمال بحيث يحصل نوع ارتباط بين اللفظ والمعنى، فينصرف ذهن السامع إلى المعنى بمجرد سماع ذلك اللفظ. (انظر: محمّد حسين الغروي النائيني، فوائد الأصول، تقرير: الشيخ محمّد علي الكاظمي الخراساني، ج ١ - ٢، ص ٢٩؛ ومحمّد باقر الصدر، الأعمال الكاملة، ج ٢، ص ١١٩ ومحمّد رضا المظفر، أصول الفقه، ج ١، ص ٩).

(١) هناك خلاف بشأن من هو واضع الألفاظ، فقد ذهب أبو الحسن الأشعري وابن فورك والشيخ النائيني (فوائد الأصول/ ص ٢٠) إلى القول بأنّ واضع الألفاظ هو الله سبحانه وتعالى. إلا أنّ هناك إشكال على هذا الرأي، وإنّ الاتجاه السائد حالياً بين علماء الأصول يقوم على القول بأنّ الواضع هو غير الله. (انظر: أبو القاسم الخوئي، محاضرات في أصول الفقه، ج ١، ص ٢٨).

(٢) الحجر: ٢١.

(٣) الأنعام: ٢٨. وكذلك انظر: الأنعام: ٥٩. (إنّ دلالة هاتين الآيتين على المراد يكون من خلال القول بأنّ المراد من "الكتاب" فيهما هو اللوح المحفوظ، ومرتبة من العلم الإلهي).

وتلك المراحل، وفي ذلك يقول شهاب الدين يحيى السهروردي: (فالفيض متصل من الواجب وجوده إلى العقل، ومنه إلى النفس، ومنه إلى الجرم)^(١). فإن بين هذه العوالم الثلاثة ترتيباً طويلاً، وإن حقائق عالم العقل يكتب لها التحقق في مرتبة أدنى من عالم الخيال والحس^(٢). فالأفاز الوحي تكون في علم الله واللوح المحفوظ على شكل وجودات عقلية وغير مادية، وأما في عالم المثال فتكون على شكل ألفاظ وأصوات مثالية، وفي عالم المحسوسات تتحول إلى ألفاظ وأصوات مسموعة ومرئية. وإن هذا التنزل إنما يكون بالتجلي دون التجايف، بمعنى أن الألفاظ لا تفصل عن المرتبة العليا، وإنما يحصل فيها تمدد لتنزل بشكل انسيابي، فيكتب لها التحقق في المرتبة الأدنى. ولكي يتنزل الوحي إلى هذه المرتبة، يجب أن يقع في مسير يربط بين التكوين والاعتبار، ويحتمل أن يكون ذلك المسير متمثلاً بقلب النبي الأكرم (ﷺ) وفؤاده^(٣).

كما أن الألفاظ قبل أن تجري على البيان والقلم البشري، تخلق في ذهن الإنسان على شكل غير مادي، وإن تلك الألفاظ الذهنية تتجلى على هيئة ألفاظ مسموعة ومرئية، دون أن تفارق الذهن، وكذلك فإن أجهزة الاستقبال الصوتية والتصويرية تبث الأمواج غير المرئية أو المسموعة على شكل أصوات مسموعة ومرئية، دون القضاء على تلك الأمواج.

(١) شيخ الإشراق السهروردي، سه رساله، ص ١٠٢.

(٢) انظر: محمد بن إبراهيم، صدر الدين الشيرازي، تفسير القرآن، ج ٤، ص ١٦٦، وج ٥، ص ٥١ - ٥٢ مرتضى المطهري، الأعمال الكاملة، ج ٤، ص ٤١٦.

(٣) انظر: عبد الله جوادي الآملي، تفسير موضوعي قرآن كريم، ج ١، قرآن در قرآن، ص ٤٨ - ٤٩.

٢- إظهار الواقع مقروناً بالبيان اللغوي

يبدو أنّ الوحي القرآني كان عبارة عن إظهار للواقع^(١) مقروناً بالبيان

اللغوي إذ:

أولاً: إنّ الحقائق القرآنية قد أظهرت إلى النبي الأكرم (ﷺ).

وثانياً: إنّ القرآن الكريم وحي لغوي. ويمكن العثور على الكثير من الآيات والروايات والشواهد الدالة على لغوية الوحي القرآني، مما يدل على سماوية البنية اللفظية لهذا الكتاب الإلهي. ورعاية للاختصار سنترك ذكر هذه الشواهد إلى الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

النبي الأكرم (ﷺ) ورؤية الحقائق القرآنية

نفهم من آيات عديدة أنّ للقرآن تأويلاً، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُعَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٢).

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ

(١) سنثبت ذلك لاحقاً إن شاء الله تعالى.

(٢) الأعراف: ٥٣.

(٣) يونس: ٣٩.

تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَنْبَابِ ﴿١١﴾.

فإن هذه الآية الكريمة وكذلك بعض الروايات^(٢) تدل على علم النبي الأكرم (ﷺ) بتأويل القرآن.

فهذه الآيات الكريمة والروايات الشريفة تدل بشرطين على مشاهدة النبي الأكرم (ﷺ) لحقائق الآيات القرآنية، وذانك الشرطان هما:

١- أن يكون علم النبي الأكرم (ﷺ) بتأويل القرآن الكريم قائماً على الشهود، دون أن يكون ثمرة لدلالة الألفاظ على المعاني.

٢- ألا يكون تأويل القرآن الكريم من سنخ المعاني، بل من الأمور العينية الخارجية، كما يذهب إلى ذلك ابن تيمية^(٣) والعلامة الطباطبائي. وطبعاً فإن لكل منهما فيما يتعلق بماهية تلك الحقيقة الخارجية رأياً مختلفاً. إذ يرى ابن تيمية أن تأويل الآيات يعني كل أمر خارجي تستند إليه الآية، فمثلاً إن تأويل آيات الأمر بالصلاة هو المصالح التي كانت هي السبب وراء أمر الله بالصلاة. وإن تأويل الآيات النازرة إلى الإخبار هو الوقوع الخارجي لتلك الأخبار.

ولازم هذا الكلام أن يكون تأويل بعض آيات القرآن الكريم في الحدِّ

(١) آل عمران: ٧.

(٢) من ذلك ما ورد عن أحدهما (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، فرسول الله أفضل الراسخين في العلم، قد علمه الله عز وجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله... محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب أن الراسخون في العلم هم الأئمة، ح: ٢.

(٣) انظر: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، الإكليل في المتشابه والتأويل، ص ١٥ - ٢٣.

الأدنى، من قبيل الآيات المتعلقة بالمستقبل أو الماضي ممكناً لكافة الناس في عصر وقوعها حتى المنحرفين منهم، في حين أنّ القرآن الكريم يحصر فهم تأويل القرآن بالله وبعض النفوس الإنسانية الطاهرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(١). وعليه لا يمكن لرأي ابن تيمية أن يكون صحيحاً.

وأما من وجهة نظر العلامة الطباطبائي فإنّ جميع القرآن الكريم قابل للتأويل، وإنّ تأويل القرآن يكمن في الحقيقة المتعالية الموجودة في اللوح المحفوظ، وإنّ الله سبحانه وتعالى عمد إلى تنزيل تلك الحقيقة المتعالية، لتكون مفهومة لنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ^(٢) لَدَيْنَا لَعَلِيَّ^(٣) حَكِيمٌ﴾^(٤).

وإنّ المطهرين يعلمون تأويل القرآن الكريم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٥). كما أنّ هؤلاء المطهرين هم راسخون في العلم أيضاً؛ لأنّ الله تعالى قد نزههم من كلّ رجس في الاعتقاد والإرادة، وهذا لا يعني إلى الرسوخ في العلم؛

(١) المائدة: ٧. وطبعاً إنّما يكون ذلك بناءً على القول بأنّ الواو في كلمة (والراسخون) واو عطف على ما قبلها.

(٢) وفي آية أخرى: ﴿يَمْعُوا اللَّهَ مَا يُشَاءُ وَيُثَبِّتْ وَعِذَّةُ أُمِّ الْكِتَابِ﴾. الرعد: ٣٩.

(٣) بناءً على الآية السابقة فإنّ المراد من كون القرآن محفوظاً في لوح محفوظ وعليّ، أي: في منزلة ومكانة عالية، لا يمكن للعقل أن يدركها، وهو حكيم أي محكم ومتين لم يبيّن بشكل تفصيلي في الآيات والسور. انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص ٨٦.

(٤) الزخرف: ٣ - ٤.

(٥) الواقعة: ٧٧ - ٧٩.

ومن هنا فإنَّ الله سبحانه وتعالى يصف الراسخين في العلم بهاتين الصفتين؛ وعليه تكون طهارة النفس سبباً إلى العلم بالتأويل وليس الرسوخ في العلم فقط^(١). وإنَّ النبي الأكرم (ﷺ) هو سيّد المطهرين الذين ذكرهم القرآن الكريم، إذ يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢)، وهم الذين يعلمون تأويله من خلال مسّ الكتاب المكنون.

لقد أدرك النبي الأكرم (ﷺ) حقائق القرآن ورآها ببصيرة فؤاده لا من خلال دلالة الألفاظ. وقد أثبت الله تعالى البصر للقلب والفؤاد في سورة النجم حيث قال: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ الْفؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾^(٣) .. ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾^(٤).

يتضح من هذه الآية أنّ للقلب والفؤاد رؤيته الخاصة، وليست هذه الرؤية من قبيل ما تتصوره الأفكار؛ لأنّ الفكر مرتبط بالذهن، والرؤية مرتبطة بالأمور العينية والحقيقية، وإنّ كلمة الرؤية لا تستعمل في الفكر^(٥). وإنّ الكذب كما يُستعمل بالنسبة إلى الكلام، يصحّ استعماله أيضاً بالنسبة إلى ما يصيب القوى الإدراكية من الأخطاء؛ إذ يقال مثلاً: (كذبت عينه) بمعنى أخطأ في رؤيته البصرية. وفيما يتعلق بالآية المتقدّمة يكون المراد أنّ قلب رسول الله (ﷺ) لم يخطئ في رؤيته؛ إذ للمرء وراء الإدراك الحسيّ

(١) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٤٩ - ٥٥.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) النجم: ١٠ - ١١.

(٤) النجم: ١٨.

(٥) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٤٣ - ٤٤.

والظاهري نوع من الإدراك الشهودي. وبذلك تصحّ نسبة الرؤية إلى القلب والفضاد. ويتضح من سياق الآيات أنّ الله سبحانه وتعالى يثبت صدق النبيّ في تلقي الوحي ورؤية آيات الله الكبرى^(١).

خلاصة الدرس

١- إنّ الوحي إلى الأنبياء (عليهم السلام) يمكن تصوّره على أنحاء:

أ - إظهار الواقع.

ب - البيان اللغوي والكلامي.

ج - إظهار الواقع مقروناً بالبيان اللغوي.

د - أنواع مختلفة من إظهار المعرفة.

٢- فيما يتعلق بالوحي الذي يتمّ من خلال إظهار الواقع، يعتمد النبيّ إلى لباس الوحي ثوباً لفظياً ولغوياً، ويحمّله إلى الناس. وأمّا فيما يتعلق بالوحي اللغوي فإنّ النبيّ يتلقاه على صورة مجموعة من البيانات الحوارية المفضولة أو المكتوبة.

٣- إنّ إثبات نوعية الوحي الذي ينزل على النبيّ خارج عن نطاق العقل، فهو من الأمور التي لا تدرك إلاّ من خلال النصوص الدينية نفسها.

٤- تدل الآيات والروايات على أنّ الله سبحانه وتعالى قد أنزل الوحي على الأنبياء بجميع أنواعه الثلاثة.

٥- إنّ تنزل الحقائق التكوينية البسيطة في اللوح المحفوظ على شكل الوحي اللغوي يتمّ بأن تتجلى الألفاظ البسيطة والمجرّدة وتظهر على صفحة

(١) المصدر المتقدّم، ج ١٩، ص ٢٨ - ٣٠.

قلب النبي الأكرم (ﷺ) على هيئة ألفاظ مثالية، ومن ثمّ يعمد النبي إلى بيانها إلى الناس على صورة ألفاظ مادية.

٦- كان النبي الأكرم (ﷺ) قد حصل على الوحي بجميع أنواعه.

أسئلة نموذجية

١- كم هي أنواع الوحي المتصورة؟

٢- اشرح الوحي الذي يكون بإظهار الواقع مقروناً بالبيان اللغوي.

٣- أثبت - مستعيناً بآيات القرآن - أن الله سبحانه وتعالى قد كلّم الأنبياء بجميع أنواع الوحي.

٤- كيف يتم بيان الحقائق التكوينية والبسيطة من خلال الوحي اللغوي؟

٥- أثبت أن النبي الأكرم (ﷺ) قد نزل عليه الوحي بجميع أنواعه.

واحة المصادر

- عبد الله جوادي الآملي، تفسير موضوعي، ج ١، قرآن در قرآن، ص ٤٨ - ٥٠.

- علي رضا قائمي نيا، وحي وأفعال كفتاري، ص ٣١ - ٤٦ و ٦٨ - ٨٧.

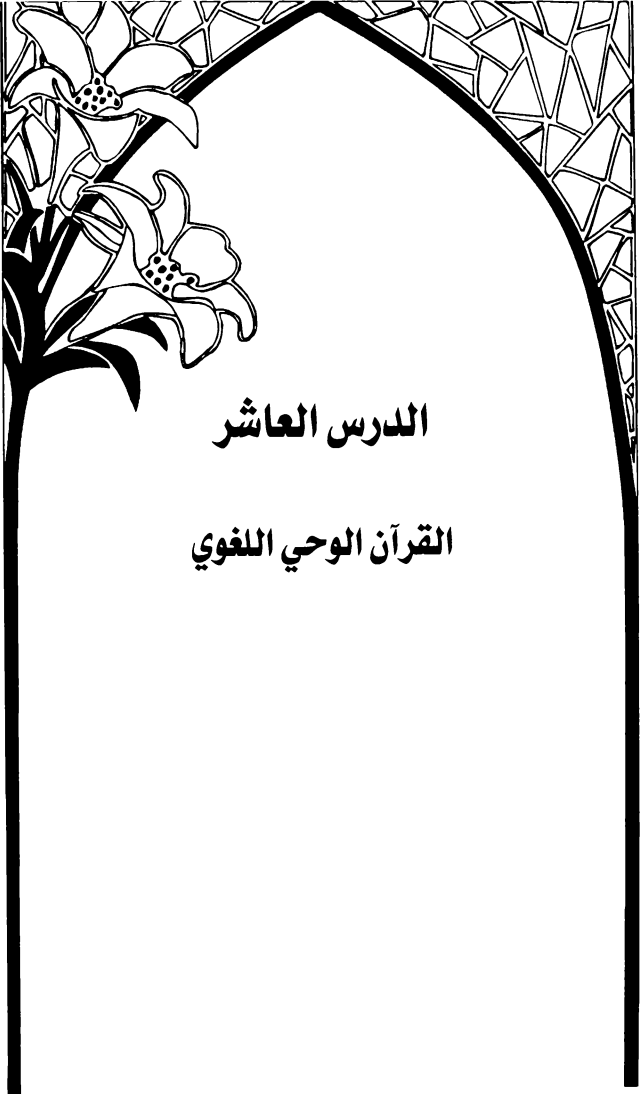
- صدر الدين الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج ٧، ص ٢٧ و ٢٨.

- العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١١٧ - ١٢٣.

تحقيق

من أي أنواع الوحي كان تعليم الأسماء لأدم (ﷺ) الذي أشارت له الآية

الحادية والثلاثون من سورة البقرة؟



الدرس العاشر

القرآن الوحي اللغوي

1

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

- ١- أن يتعرّف على الآراء المطروحة بشأن الوحي القرآني.
 - ٢- أن يتمكن من الاستشهاد على كون القرآن الكريم وحياً لغوياً.
 - ٣- أن ينتقد الرأي القائل بعدم كون القرآن وحياً لغوياً.
 - ٤- أن يتعرّف على الآثار اللغوية المترتبة على الوحي القرآني.
- قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١).

﴿حَم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

لقد كانت مسألة الوحي اللغوي أو غير اللغوي للكتب السماوية محل بحث ونقاش دائم بين العلماء، وطبعاً إنّ طرح هذه المسألة بشأن كتب الأنبياء الآخرين^(٣) - وهي التي جمعت في كتاب الإنجيل - كان بشكل مختلف عن

(١) يوسف: ٢.

(٢) الزخرف: ١ - ٣.

(٣) يذهب العلامة محمد حسين الطباطبائي إلى القول بأنّ ألفاظ الكتب السماوية الأخرى غير القرآن الكريم، من قبيل: التوراة والإنجيل، لم تكن إلهية، فهي بمنزلة الأحاديث القدسية التي يكون مضمونها من الله، وألفاظها من النبي. (محمد حسين رخشاد، در محضر علامه طباطبائي، ص ٨٥). إلا أنّ العلامة الشعراني يرى أنّ نزول الألواح والوصايا

القرآن الكريم من حيث السوابق والدوافع والنتائج. وعلى الرغم من أن الاتجاه الغالب بين قدامى اليهود والكاثوليك من النصارى والمحافظة البروتستانت، كان يقوم على إلهية سماوية أفاض الكتاب المقدس بعهدية القديم والجديد، إلا أن الاتجاه السائد حالياً يقوم على التشكيك في سماوية وإلهية حتى المضامين والمفاهيم^(١).

وهناك فيما يتعلق بلغوية أو غير لغوية الوحي القرآني ثلاث نظريات، وهي كالآتي:

١- إن ما أوحى إلى النبي الأكرم (ﷺ) هو محتوى القرآن الكريم ومضامينه، وقد عمد النبي بدوره إلى صب تلك المضامين والمفاهيم في قوالب لفظية ولغوية^(٢).

٢- إن جبرئيل (عليه السلام) أخذ محتوى القرآن من الله وصاغه للنبي الأكرم (ﷺ) في قالب لفظي ولغوي^(٣).

العشر على النبي موسى (عليه السلام) كان لفظياً.

(١) انظر: توماس ميشيل، كلام مسيحي، ترجمة: حسين توفيق، ص ٢٦. مايكل بيترسون، عقل واعتقاد ديني، ترجمة: أحمد النراقي، ص ٤٣٨. وجان هيك، فلسفة دين، ترجمة: بهرام راد، ص ١١٩ - ١٢٠. ورحمة الله خليل الرحمان الهندي، إظهار الحق، ص ١٦٠ - ١٩٩. وكذلك محمد صادق فخر الإسلام، أنيس البيان في نصرة الإسلام، ج ٢، ص ٢٦٥ - ٢٩٦.

(٢) شاه ولي الله الدهلوي، التفهيمات الإلهية، ص ٥٨١، نقلاً عن أحمد خان الهندي، تفسير القرآن وهو الهدى والفرقان، ترجمة: محمد تقي فخر داعي كيلاني، المقدمة، ص: يب. ونصر حامد أبو زيد، معاني متن (مفهوم النص)، ترجمة: مرتضى كريمي نيا، ص ٥١٧.

(٣) وقد نسبت هذه النظرية إلى معمر بن عباد السلمي (م: ٢٢٨) من رؤوس المعتزلة، إلا أن هذه النسبة باطلة. انظر: محمد هادي معرفت، علوم قرآني، ص ٧٥.

٣- إنَّ القرآنَ الكريمَ وحي إلهي بمضامينه وألفاظه^(١). وهذا ممكن في

الوحي غير المباشر على صورتين، هما:

أ - أن يتلقى جبرئيل القرآن الكريم من الله ملفوظاً.

ب - أن يقوم الله سبحانه وتعالى بإيجاد الألفاظ القرآنية في نفس جبرئيل. إنَّ الرأي المقبول والمشهور بين علماء المسلمين يقوم على سماوية وإلهية الألفاظ القرآنية^(٢). ولهذا الرأي من الدعامة القرآنية والروائية القوية والمتينة بحيث اعتبر أمراً ثابتاً من ضرورة الدين، وهناك من قال بأنه معتقد عموم المسلمين. قال العلامة الطباطبائي: (تقوم عقيدة عامة المسلمين - وتعود هذه العقيدة بجذورها إلى ظواهر ألفاظ القرآن - بشأن الوحي القرآني على اعتباره بلفظه كلام الله الذي أنزله إلى النبي الأكرم (ﷺ) بواسطة أحد المقرّبين من الملائكة التي هي كائنات سماوية .. واسم ذلك الملك المقرّب هو جبرئيل، والروح الأمين. وقد أمر النبي الأكرم (ﷺ) أن يبلغ تلك الآيات إلى الناس بلفظها)^(٣).

(١) انظر: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٩١. كما ذكر السيوطي هذه النظريات الثلاث في الجزء الأول من كتاب الإتيان، ص ١٥٧، وأمّا الزرقاني فقد انتقد النظريتين الأخيرتين، في الجزء الأول من مناهل العرفان في علوم القرآن، ص ٤٢.

(٢) انظر: محيي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، ج ٣، ص ١٠٢. وصدر الدين محمد الشيرازي، مفاتيح الغيب، ترجمة: محمد الخواجوي، ص ١١٢. وكذلك كتابه: أسرار الآيات، تقديم: محمد الخواجوي، ص ٥٢ - ٥٣. والعلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٢١٧. والميرزا أبو الحسن الشعراني، راه سعادت، ص ٢٣. ومحمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ١، ص ٤٨. وعبد الله جوادي آملّي، شريعة در آيينه وحي، ص ٤٨. والسيد أحمد خان الهندي، تفسير القرآن وهو الهدى والفرقان، ترجمة: محمد تقي فخر داعي كيلاني، ج ١، ص ٧.

(٣) العلامة محمد حسين الطباطبائي، قرآن در اسلام، ص ٣١٧.

وقال في موضع آخر: (إن ألفاظ القرآن نازلة من عنده تعالى كما أن معانيها نازلة من عنده أيضاً)^(١).

(١) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٣١٧، منشورات جامعة المدرسين، قم.

الشواهد والأدلة

١- الشواهد والأدلة من خارج النص

أ - اختلاف القرآن عن الكلام البشري: إن مقارنة القرآن الكريم بسائر الكلمات الأخرى تثبت أن ألفاظ القرآن إلهية وليست بشرية، بل إن أسلوب القرآن يختلف حتى عن كلام النبي الأكرم (ﷺ) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) من ناحية البيان والتراكيب وصياغة الكلمات والجمل^(١). فمثلاً: إننا لا نجد في القرآن كلمات من قبيل: الصحراء والبادية والرماح والعصيبة وما إليها من الكلمات التي كانت شائعة بين العرب في عصر النبي الأكرم بكثرة^(٢).

ب - خصائص حامل القرآن الكريم: إن النبي الأكرم (ﷺ) كان شخصاً أُمياً، ومن كان كذلك لا يمكنه أن يأتي من عنده بنص مثل القرآن الكريم في بلاغته الإعجازية^(٣).

٢- الشواهد من داخل النص

أ - الشواهد القرآنية

كما سبق أن ذكرنا، فإن أفضل الطرق في هذا المجال تكمن في الرجوع إلى ذات القرآن الكريم والسنة الشريفة. وإن الآيات التي تدل على سماوية ألفاظ القرآن على عدة طوائف:

(١) إن اختلاف القرآن الكريم عن السنة من ناحية الأسلوب وتركيب الكلمات والجمل، خير شاهد على عدم تدخل النبي (ﷺ) في البنية اللفظية والبيانية للقرآن. (موسى الحسيني، وحياني بودن الفاظ قرآن، مجلة: بجوهشهاي قرآني، السنة السادسة، العدد: ٢١ و٢٢، ربيع وصيف ١٣٧٩هـ ش، ص ٢٣٤).

(٢) انظر: إبراهيم عوض، القرآن والحديث مقارنة أسلوبية.

(٣) محمد بن أحمد بن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ص ١٣٢.

الطائفة الأولى: آيات الإعجاز والتحدّي

إنّ للنظم العجيب، والأسلوب البياني البديع، والبنية الموسيقية المنمّعة في القرآن الكريم سهماً كبيراً في إعجازه؛ وعلى هذا الأساس كانت فصاحة القرآن وبلاغته الفذة واحدة من وجوه إعجازه^(١)، فإنّ آيات التحدّي تدعو الجميع إلى الإتيان بمثل القرآن، وتقول لهم: إن كنتم في شكّ أو ريب في سماوية بنية القرآن وألفاظه، فأتوا بكلام مشابه له في البلاغة والفصاحة والجمال والإبداع، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿قُلْ لَّيِّنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٢).

وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^(٣).

وبالالتفات إلى أنّ الحديث يعنى الكلام الملفوظ^(٤)، فإنّ استعمال مفردة (الحديث) في هذه الآية يحكي عن سماوية ألفاظ القرآن الكريم؛ لأنّ القرآن يطالب الآخرين من خلال التحدّي أن يأتوا بمثله، وبالالتفات إلى مفهوم (الحديث) يتضح أن القرآن معجزة حتى ببعده اللفظي.

ولو كان للإنسان دور في صياغة متن القرآن، لخرج عن كونه معجزة، ولما كان هناك للتحدّي بالإتيان بمثله أيّ موقع من الإعراب، وكما يقول

(١) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٦٨ - ٧٣.

(٢) الإسراء: ٨٨.

(٣) الطور: ٣٣ - ٣٤.

(٤) أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير.

الزرقاني: (لو أبيع أداؤه بالمعنى، لذهب إعجازه)^(١)؛ وعليه فإن آيات التحدي مشفوعة بشهادة التاريخ على سعي فصحاء العرب إلى الإتيان بكلام مماثل للقرآن، وفشلهم في ذلك المسعى، دليل واضح على سماوية هذا الكتاب الإلهي. جدير ذكره أن تحدي القرآن يشمل النبي الأكرم (ﷺ) نفسه أيضاً؛ وعليه فحتى النبي الأكرم بوصفه إنساناً لا يستطيع أن يأتي من تلقائه بكلام شبيه بالقرآن الكريم^(٢).

الطائفة الثانية: الآيات المشتمة على عناوين وأوصاف القرآن

١- (القرآن): إن هذه الكلمة مصدر بمعنى المفعول، وهي مشتقة من (قرأ)، وقد استعملت بوصفها علماً^(٣). والقراءة لا تستعمل إلا في مورد النظر إلى شيء مكتوب^(٤). قال العلامة الطباطبائي في هذا الشأن: (والقرآن اسم للكتاب المنزل على نبيه محمد (ﷺ)، باعتبار كونه مقروءاً)^(٥).

كما إن الاستعمالات القرآنية الأخرى لهذه المفردة تدل على كونه نصاً مقروءاً، فمثلاً في كل من الآية الحادية والخمسين والحادية والستين من سورة يونس وردت بمعنى مطلق القراءة، وفي الآية الرابعة والأخيرة من

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ١، ص ٥١.

(٢) انظر: محمد هادي معرفت، علوم قرآني، ص ٥٧ - ٥٩، و ٣٦٩.

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين ومجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط: وأحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة وأحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير وانظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٤ - ١٥.

(٤) وهذا ما أشير له في أقرب الموارد، والقاموس المحيط.

(٥) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ١٤، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٦م.

سورة المزمّل وردت مقرونة بالأمر بالترتيل والقراءة^(١)، فإنّ مفردة القرآن استعملت في الكثير من الآيات^(٢) بمعنى الوحي النازل من قبل الله تعالى، الأمر الذي يدلّ على كونه نصّاً ملفوظاً، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٣).

وهناك من الآيات ما ينسب قراءة القرآن إلى الله على النبي الأكرم (ﷺ)، من قبيل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^(٤).

٢- (العربي): وهي منسوبة إلى العرب، ولها معنيان، وهما:

أولاً: الكلام أو الإنسان في اللغة العربية،

وثانياً: الكلام أو الإنسان الفصيح^(٥).

ومهما كان فإنّ هذه المفردة تدلّ على سماوية ألفاظ القرآن الكريم، فإن كان المراد منها هو (اللغة العربية)، فهي لغة تتعلق بالألفاظ، فليس هناك مفهوم من دون قالب لفظي في أيّ لغة من اللغات. وإذا كان المراد هو (الفصاحة) فهي كذلك وصف للكلام الملفوظ^(٦). وقد استعملت كلمة

(١) وقد ورد (القرآن) في عدة موارد بالمعنى المصدرى، من قبيل: الإسراء: ٧٨، والقيامة: ١٧ - ١٨.

(٢) من قبيل: البقرة: ١٨٥، والأنعام: ١٩، والحجر: ٨٧.

(٣) يوسف: ٢.

(٤) القيامة: ١٨.

(٥) انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين. وأحمد بن فارس، معجم مقاييس

اللغة وأحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المصباح المنير. ومحمد الراغب الإصفهاني، معجم

المفردات لألفاظ القرآن.

(٦) فعن الإمام الباقر (عليه السلام) أو الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال في جوابه عن قوله تعالى:

﴿وَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾: «يُبَيِّنُ الألسن، ولا تبيّنه الألسن». السيد هاشم البحراني، البرهان

(العربي) صفة للقرآن الكريم في الكثير من الآيات، وهي تدلّ بأجمعها على أنّ القرآن الكريم قد أنزل وحياً باللغة العربية، من قبيل قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وفي بعض الآيات الأخرى اقترنت كلمة (العربي) بكلمة (اللسان) كصفة للقرآن المبين، فتكون ناظرة إلى اللفظ، والمراد منها بيان وطريقة الكلام^(٢)، من قبيل قوله تعالى: ﴿نُزِّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٣).

تدلّ هذه الآية الشريفة على أنّ القرآن الكريم قد نزل على قلب النبي بألفاظ عربية غير مادية؛ إذ تذكر مسألة النزول على القلب.

وهناك طائفة من الآيات تنفي أعجمية القرآن وغير عربيته، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾^(٤).

وإنّ كلمة (الأعجمي) تعني الكلام أو الشخص غير العربي أو غير الفصيح^(٥)، وفي كلتا الصورتين تعود إلى اللغة؛ وعليه فإنّ الوحي القرآني

في تفسير القرآن، ج ٤، ص ١٨٨.

(١) فصلت: ٢ - ٣. وكذلك انظر: الرعد: ٣٧، ويوسف: ٢، وطه: ١١٣، وفصلت: ٤١، والشورى: ٧، والزخرف: ٣، والشعراء: ١٩٣ - ١٩٥، والزمر: ٢٨.

(٢) محمّد الراغب الإصفهاني، معجم المفردات لألفاظ القرآن.

(٣) الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥.

(٤) فصلت: ٤٤.

(٥) انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين وأحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة. وأحمد بن محمّد المقرئ الفيومي، المصباح المنير.

كان حياً لغوياً ولفظياً.

٣- (كلام الله): إنَّ الكلام لغةٌ يعني (الأصوات)^(١)، أو (الحديث الناقل للمعنى)^(٢)؛ وعليه فقد تمَّ لحاظ اللفظ والمعنى في الكلام، ولهذا فقد استعمل في بعض الآيات مقترناً بالفعل (يسمع)، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾^(٣).

وإنما يصحَّ أن نسب الكلام إلى شخص إذا كان هو الذي يباشر ترتيب كلماته وصياغة مفرداته؛ لأنَّ ذلك هو الذي يُشكل أساس الكلام. من هنا فحيث ينسب الله ألفاظ القرآن وتراكيبه إلى نفسه، وجب أن يكون صادراً عنه فهو كلامه.

٤- (القول): هناك من الآيات ما يعبر عن الوحي النازل من قبل الله سبحانه وتعالى بالقول، والمراد من القول هو الكلام المنطوق والمنطوق، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا^(٤) ثَقِيلًا^(٥)﴾.

وإنَّ فاعل الإلقاء في هذه الآية الشريفة هو الله سبحانه وتعالى، حيث ينزل كلامه على رسوله الكريم (ﷺ)^(٦).

(١) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: (كَلَم).

(٢) أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المصباح المنير.

(٣) التوبة: ٦.

(٤) إنَّ المراد من القول في هذه الآية كما ذهب المفسرون هو (القرآن الكريم). انظر: محمد ابن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ١٦٢. وأبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٩ - ١٠، ص ٥٧٠. والعلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٦١ - ٦٣.

(٥) المزمّل: ٥. وكذلك انظر: الطارق: ١٣، والحاقة: ٤، والتكوير: ١٩.

(٦) انظر: محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٣٦٣. وأبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٧٨، وج ٣، ص ٢٦٩.

٥- (الحديث): وهي مفردة مشتقة من (الحدث) بمعنى (الشيء الجديد)^(١)، والكلام^(٢) الذي يُسمع^(٣). وفي المصطلح القرآني يُطلق الحديث على الكلام أيضاً^(٤)، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^(٥).

وفي الآية السادسة من سورة الكهف، والرابعة والثلاثين من سورة الطور، والحادية والثمانين من سورة الواقعة، والرابعة والأربعين من سورة القلم، أطلق لفظ الحديث على الوحي النازل من قبل الله تعالى، كما أطلق (أحسن الحديث) على الوحي في الآية الثالثة والعشرين من سورة الزمر. وعليه يكون الوحي القرآني كلاماً ملفوظاً^(٦).

والفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج ٢، ص ٥٥.

(١) انظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة. وإسماعيل بن حماد بن حماد الجوهري، الصحاح. أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المصباح المنير.

(٢) أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المصباح المنير. ومحمد الراغب الإصفهاني، معجم المفردات لألفاظ القرآن.

(٣) محمد الراغب الإصفهاني، معجم المفردات لألفاظ القرآن.

(٤) محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ٢٤٩. وأبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٤٩٥، وج ٥، ص ٧٢. والفيض الكاشاني، تفسير الصافي، ج ٥، ص ٤. محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، كنز الدقائق، ج ١١، ص ٢٩٧. والعلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ٢٧٠، وج ١٨، ص ١٧٠.

(٥) النساء: ١٤٠. وكذلك انظر: الأنعام: ٦٨، والجاثية: ٦، والذاريات: ٢٤، والمرسلات: ٥٠.

(٦) قال الطبرسي: (أحسن الحديث يعني: القرآن، سمّاه الله حديثاً؛ لأنه كلام الله،

كما يُفهم من استعمال كلمة (الحديث) في الآية الرابعة والثلاثين من سورة الطور، سماوية الألفاظ القرآنية أيضاً؛ وذلك إذ يقول تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾. حيث يتحدثى الله المخاطبين بأن يأتيوا بكلام مثل القرآن الكريم. وبالالتفات إلى مفهوم (الحديث) يتضح أن القرآن الكريم معجزة حتى من الناحية اللغوية وبعده اللفظي.

٦- (الكتاب): إن كلمة الكتاب مأخوذة من (كتب) بمعنى ضمّ شيء إلى شيء آخر^(١)، ومن ذلك الحروف أثناء الكتابة^(٢)، فإن الكتاب في الاستعمال غير المصدرى يعني (المكتوب)، وحيث تضمّ الحروف إلى بعضها عند التلفظ يقال لها كتاب، وهناك آيات كثيرة تطلق (الكتاب) على القرآن، وتنسب نزوله إلى الله تعالى. إذن يتضح أنّ هذه المفردات المكتوبة إنما نزلت من قبل الله عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾^(٣).

والكلام سمّي حديثاً كما يسمّى كلام النبي (ﷺ) حديثاً؛ ولأنه حديث التنزيل بعد ما تقدّمه من الكتب المنزلة على الأنبياء. وهو أحسن الحديث لفرط فصاحته وإعجازه واشتماله على جميع ما يحتاج المكفّف إليه). أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٢٨٢، دار الأميرة للطباعة والنشر، ط ١، بيروت، ٢٠٠٩م. وقال العلامة محمد حسين الطباطبائي أيضاً: (أحسن الحديث هو القرآن الكريم، والحديث هو القول .. فهو أحسن القول؛ لاشتماله على محض الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)، العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ٢٠٨، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٦م.

(١) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة. وإسماعيل بن حماد بن حماد الجوهري، الصحاح.

(٢) محمد الراغب الإصفهاني، معجم المفردات لألفاظ القرآن.

(٣) آل عمران: ٧.

فإن هذه الآية المباركة ومثيلاتها^(١) تتحدّث عن نزول الكتاب على النبي الأكرم، والمراد من الكتاب هنا هو القرآن الكريم من دون ريب؛ وعليه تكون ألفاظ القرآن الكريم سماوية أيضاً.

الطائفة الثالثة: الآيات المشتملة على عبارات تدلّ على نزول اللفظ

- ١- التلاوة: وهي كلمة تعني الاتّباع، وإنّما يقال لقراءة القرآن (تلاوة) لتوالي ومتابعة قراءة آياته^(٢). علاوةً على ذلك فإنّ الاتّباع الحقيقي من المتكلم إنّما يتحقق من خلال النقل الدقيق للكلمات والمفردات المستعملة في كلامه؛ وعليه ففي استعمال التلاوة يكون اللفظ مراداً أيضاً، وإنّ القرآن الكريم يستعمل كلمة التلاوة من أجل بيان ما أنزل على النبي الأكرم (ﷺ) من قبل الله سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٣).
- ٢- القراءة: وهي مفردة تعني التلّفظ والبيان باللسان، وقد استعملت في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾^(٤).

(١) من قبيل: البقرة: ١٧٦، وآل عمران: ٣، والنساء: ١٠٥ و١١٢، والمائدة: ٤٨.

(٢) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة تحت مادة (تلو): (تلى: أصل واحد هو الاتّباع .. ومنه تلاوة القرآن؛ لأنه يتبع آية بعد آية).

(٣) البقرة: ٢٥٢.

(٤) الأعلى: ٦. انظر: محمّد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ١٩٥ وأبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٥٦. وهناك رأي آخر بشأن هذه الآية، وهو أنّها تدعو النبي أن يراعي عدم التقدّم على القرآن قبل أن يُقضى إليه وحيه، فلا يقرأ الآيات قبل اكتمال نزولها. (انظر: العلامة محمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ١٩٥).

٣- الصحف: وهي جمع (صحيفة) بمعنى الشيء المبسوط^(١). ويطلق العرب كلمة (الصحيفة) على كل ما كتب فيه شيء. وقد استعملت هذه الكلمة للدلالة على القرآن في موضعين، وأريد بهما اللوح المنير وغير المادي الذي أثبت فيه الوحي. وهذه المفردة تدلّ على وجود قرآن ملفوظ ومكتوب قبل نزوله^(٢)، قال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾^(٣). ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾^(٤).

ففي الآية الأولى يكون فاعل كلمة (يتلو) بقرينة السياق هو النبي الأكرم (ﷺ)؛ وعليه فإنه يقرأ الآيات الإلهية من تلك (الصحف). وفي المجموعة الثانية من الآيات تمّ وصف تلك الصحف بأنها (مطهّرة)، وتبيّن الآية السادسة عشرة من سورة عبس أن تلك الصحف مرفوعة بيد الملائكة المطهّرين.

علاوةً على ذلك ليس هناك شاهد يُثبت أن النبي الأكرم (ﷺ)، كان يقرأ القرآن للناس من كتاب؛ وعليه فإنّ المراد من الصحف ليس ورقاً مادياً كتب عليه القرآن الكريم بعد نزوله، بل المراد صحفاً كتب عليها القرآن قبل نزوله.

٤- السورة: هناك اختلاف في وجهات النظر فيما يتعلق بالجزء اللغوي لكلمة (سورة)، وكذلك وجه تسمية أجزاء معينة من آيات القرآن بهذه

(١) جاء في معجم مقاييس اللغة: (أصلٌ صحيح يدلّ على انبساط في شيء وسعة ..). كما قال الراغب في مفرداته: (الصحيفة: المبسوط من الشيء).

(٢) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن.

(٣) البيّنة: ٢.

(٤) عبس: ١١ - ١٥.

الكلمة^(١). ولكن ليس هناك من شك في أن مصطلح (السورة) حقيقة قرآنية^(٢)، وأنا بمجرد أن نسمع هذه الكلمة تطلق في سياقها القرآني ينصرف ذهننا - دون أي قرينة - إلى أن المراد منها جزء من القرآن الملفوظ والموجود بين أيدينا، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نُنْظِرُ بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَأَكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٣).

وقد استعمل النبي الأكرم (ﷺ) كلمة السورة في هذا المعنى الاصطلاحي^(٤)؛ إذ أراد ألفاظ السور ومضامينها، وكذلك قام فهم المسلمين على أن المراد من هذه الكلمة هو هذا المعنى لا غير. قال ابن عباس: (كان النبي (ﷺ) يعرف فصل سورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم؛ فيعرف أن

(١) قال أحمد بن يوسف: (والسورة: الدرجة الرفيعة .. وسُميت سورة القرآن بذلك لأن صاحبها يشرف بها وترفعه. وقيل: اشتقاقها من السور وهو البقية. ومنه: أسأروا في الإناء .. وبدل على ذلك أن تميماً وغيرها يهزمون. فيقولون: سورة بالهمزة، وسميت سورة القرآن بذلك: لأنها قطعة منه، وهي على هذا مخففة من الهمزة. وقيل: اشتقاقها من سور البناء؛ لأنها تحيط بقارئها وتحفظه، كسور المدينة. ولكن جمع سورة القرآن سور (بفتح الواو)، وجمع سورة البناء: سور (بسكونها)، ففرقوا بينهما في الجمع). أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج ١، ص ٢٠١.

(٢) للبحث في معنى الحقيقة القرآنية، انظر: علي أكبر بابائي وآخرين، تحت إشراف محمود رجبى، روش شناسي تفسير قرآن كريم، ص ٨٤.

(٣) التوبة: ١٢٧. وكذلك: البقرة: ٢٢، التوبة: ٦٤، وآل عمران: ٨٦، وأحمد بن حنبل: ١٢٤. ويونس: ٢٨. والنور: ١. ومحمد: ٢.

(٤) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٢٦٠، ح: ٥٥، وص ٢٦٢، ح: ٥، وص ٢٧٨، ح: ٣، وص ٢٩٠، ح: ٤، وص ٢٩١، ح: ٦.

السورة قد ختمت، وابتدأت سورة أخرى^(١). وإن أصحاب النبي وخاصة كتاب الوحي منهم كانوا يدركون هذه المسألة بدهامة. وقد روي عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) أنه قال:

«كان يُعرف انقضاء سورة بنزول (بسم الله الرحمن الرحيم) ابتداءً لأخرى»^(٢).

كما أطلقت كلمة (سورة) في مصطلح علوم القرآن على جزء من القرآن الكريم يشتمل على عدد من الآيات، واحتوى على بداية ونهاية^(٣)، كما نسب الله سبحانه وتعالى في العديد من الآيات نزول (سورة) إلى نفسه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٤).

وعليه بناءً على المعنى الذي ذكر لـ (السورة) فإن هذه الآيات تشهد على سماوية الألفاظ القرآنية.

الطائفة الرابعة: الآيات التي تدل بمضمونها على نزول كلمات القرآن

مضافاً إلى ما ذكرنا من المفردات والكلمات، هناك آيات أخرى تدل بشكل مستقل ومنفرد على سماوية ألفاظ القرآن الكريم. فمثلاً هناك من الآيات ما يُثبت استحالة تغيير كلمات القرآن الكريم، من قبيل قوله تعالى:

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ج ١، ص ٢٢١.

(٢) محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، ج ١، ص ١٩، ح: ٥.

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٦٤. وعلوم القرآن عند المفسرين، ج ١، ص ٢٦٥ فما بعد.

(٤) النور: ١.

﴿وَأْتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُنْتَحَدًا﴾^(١).

فقد ذكرت هذه الآية مصداق (الكتاب) في الكلمات الإلهية، وإن وجه الشبه بين الكتاب والكلام يكمن في أن (كُتِبَ) بمعنى ضمّ شيء إلى شيء آخر^(٢). ومن ذلك ضمّ الحروف إلى بعضها عند الكتابة^(٣). كما أن الكلام عبارة عن ضمّ الحروف إلى بعضها أثناء التلفظ والحديث الناقل إلى المعنى^(٤)؛ وعليه فإنّ الكتاب هو كلمات الله (الكلمات الناقلة للمعاني)، وإنّ الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه أن يقرأ الكتاب الذي هو كلماته، ويكشف له بالتالي عن هذا السرّ المتجسّد في استحالة تبديل وتغيير كلمات الله. وإنّ لهذه العبارة إطلاقين من جهتين:

الأولى: من جهة الفعل في كلمة (تبدیل)؛ إذ يشمل تبديل الألفاظ والمعاني.

والثانية: من جهة الفاعل الذي يشمل النبيّ الأكرم (ﷺ) وغيره.

وإنّ تتمّة الآية قرينة على هذا الإطلاق؛ إذ تدلّ على أنّ كلّ من يسعى إلى القيام بأيّ تبديلٍ أو تغيير، سيكون نصيبه الإخفاق والفشل.

فإنّ الآية الآتية التي تنفي قدرة النبيّ على إحداث أيّ تغيير في القرآن من قبل النبيّ الأكرم (ﷺ)، تدلّ على أنّ الآية السابقة تشمل النبيّ الأكرم أيضاً:

(١) الكهف: ٢٧.

(٢) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة.

(٣) محمّد الراغب الإصفهاني، معجم المفردات لألفاظ القرآن.

(٤) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (كلم).

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا اثْبَتْ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾^(١).

ففي هذه الآية يقترح الكفار على النبي الأكرم (ﷺ) أن يأتي بقرآنٍ آخر، أو أن يجتهد في تغييره، وإنَّ الله تعالى يلحق نبيه أن يقول لهم في الجواب: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾؛ لأنَّ القرآن ليس كلام النبي، بل هو وحي إلهي لا غير، وقد أمره الله بوجوب اتِّباعه وعدم الانحراف عنه. وفي هذه الآية تمَّ التصريح بسلب الاختيار عن النبي فيما يتعلق بوحى القرآن الكريم، وإنَّ متعلق سلب الاختيار هذا - لمكان الإطلاق - يشمل جميع أنواع التغيير والتبديل في الألفاظ والمعاني، وإنَّ حصره بتغيير المعاني مجرد دعوى من دون دليل. وهذا يدل على أنَّ ألفاظ القرآن وعباراته مثل مفاهيمه ومعانيه ليست من النبي، بل هي من عند الله، وإلَّا فإنَّ باستطاعة أيِّ فرد أن يغيِّر ما قاله باستعمال ألفاظ وعبارات أخرى^(٢). كما نفهم من القرآن الكريم أنَّ ألفاظ القرآن ليست حتى من ملك الوحي؛ لأنَّ الآيات التي تعتبر القرآن قول الله وكلامه، تدلُّ على أنَّ ألفاظ القرآن الكريم ليست صادرة عن جبرئيل (عليه السلام)، بل هي من الله سبحانه وتعالى. هذا مضافاً إلى أنَّ وجود المنظومة اللغوية في عالم الملائكة لا تخلو من إشكال^(٣).

(١) يونس: ١٥.

(٢) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٢٨ وأبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٩٧.

(٣) وقد يعتمد شخص إلى عكس هذا الإشكال على الذات الإلهية، ويقول: كما لا يمكن

ب - الشواهد الروائية

كما تشهد الروايات على لغوية الوحي القرآني أيضاً، فعن علي بن سالم عن أبيه، أنه سأل الإمام الصادق (عليه السلام) عن القرآن الكريم، فقال: «كلام الله، وقول الله، وكتاب الله، ووحى الله»^(١).

النتائج والآثار

نستنتج من البحوث المتقدمة أن آيات القرآن تدل على سماوية ألفاظ هذا الكتاب السماوي، ويترتب على ذلك الآثار^(٢) الآتية:

١- عدم جواز استبدال ألفاظ القرآن الكريم بكلمات أخرى: فحيث أثبتنا سماوية ألفاظ القرآن الكريم، لن يجوز لأحد أن يستبدل كلمات القرآن بما يرادفها، من قبيل: (كالصوف المنفوش) بدلاً من ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾^(٣)، بل يحظر أي نوع من أنواع التغيير^(٤) في ألفاظ

تصوّر المنظومة اللغوية بحق الملائكة، كذلك لا يمكن تصورها بحق الله عز وجل. إلا أننا نقول: إن الله سبحانه وتعالى خالق، فهو يخلق الكلمات.

(١) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٢، ص١١٦.

(٢) كما يترتب على القول ببشرية ألفاظ القرآن تبعات، منها: عدم قداسة ألفاظ القرآن الكريم، ونفي الإعجاز البلاغي في بعده اللفظي، وتجاهل مرجعية القرآن في فهم الدين، والتعددية الدينية.

(٣) القارعة: ٥.

(٤) إن لهذا النوع من التغييرات عدة صور:

أ - في إعراب الكلمة، سواء أدى هذا إلى تغيير المعنى أم لا، من قبيل: نصب أو رفع كلمة (أظهر) في قوله تعالى في الآية الثامنة والسبعين من سورة هود: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾. ومن قبيل قوله تعالى في الآية التاسعة عشرة من سورة سبأ: ﴿رَبُّنَا بَاعِدْ بَيْنَ

القرآن وتراكيبه^(١).

٢- ميزان النصّ القرآني في الفهم: حيث ثبت أنّ الفاظ القرآن من الله سبحانه وتعالى، فإنّ النصّ القرآني سيكون هو المعيار في تصحيح القواعد الأدبية والنحوية في اللغة العربية، دون العكس؛ وعليه فإذا صادفنا بعض قواعد علم الصرف والنحو والبلاغة تتناقض وعبارات القرآن الكريم، كان ذلك التناقض دليلاً على بطلان تلك القاعدة أو ضعفها في الأقل. من هنا فإنّ علماء المسلمين كلما صادفوا في الأدب العربي قاعدة لا تتسجم مع القرآن، تدبّروا في فهمهم وخطأوا تلك القاعدة.

٣- ضرورة التدقيق في تفسير عبارات القرآن وكلماته: إنّ للتدقيق في الحروف وهيأة الكلمات وموقعها في الجملة تأثيراً كبيراً في فهم معنى النصّ؛ وعليه حيث ثبت أنّ القرآن الكريم بألفاظه وتركيباته وحيّاً

أسفاريّاً ﴿بقراءة كلمة (باعد) بصيغة الأمر أو الماضي.

ب - التغيير في حروف الكلمة، من قبيل قوله تعالى في الآية التاسعة والخمسين بعد المثتين من سورة البقرة: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعُظْمِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ بقراءة حرف (الزاي) من نشزها بالعجمة والإهمال.

ج - التغيير باستبدال الكلمة بما يرادفها، من قبيل قوله تعالى في الآية الخامسة من سورة القارعة: ﴿كَالْمُهِنِ الْمُنْفُوشِ﴾ باستبدالها بعبارة (كالصوف المنفوش).

د - التغيير بالتقديم أو التأخير، كما في قوله تعالى في الآية التاسعة عشرة من سورة ق: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ وجعلها: (وجاءت سكرة الحق بالموت).

هـ - التغيير بالزيادة والنقصان، كما في الآية الرابعة والعشرين من سورة الحديد: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْقَبِيُّ الْخَمِيدُ﴾ بحذف كلمة (هو). انظر: محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، المقدمة.

(١) انظر: محمد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٧٣.

إليها سوف تتضاعف أهمية التدقيق فيها من أجل فهمها؛ وذلك لاختلاف كلام الله العالم بدقائق الأمور عن كلام الإنسان المحدود.

خلاصة الدرس

١- كان التساؤل عن كيفية نزول الكتب السماوية وخاصة القرآن الكريم قائماً بشكل مستمر.

٢- هناك عدة نظريات فيما يتعلق بالنزول اللغوي وغير اللغوي للقرآن الكريم، ومنها:

أ - النزول اللغوي من قبل الله تعالى.

ب - إن جبرئيل (عليه السلام) هو الذي صبّ ما تلقاه من المعاني القرآنية في قوالب لفظية نقلها إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله).

ج - إن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) تلقى المعاني، وعمد إلى صياغتها في قوالب لفظية من عنده.

٣- إن مقارنة القرآن الكريم بسائر الكلمات الأخرى، بما في ذلك الحديث، والتدقيق في أمية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) يثبت لنا سماوية الألفاظ القرآنية.

٤- إن الآيات النازلة إلى إعجاز القرآن تدلّ على سماوية ألفاظه وتراكيبه؛ إذ إن جانباً من الإعجاز القرآني يكمن في الألفاظ والتراكيب.

٥- إن الآيات التي تصف الوحي النازل على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بالقرآن، والعربي، وكلام الله، والقول، والحديث، والكتاب تدلّ على كون الوحي لغوياً ولفظياً.

٦- إن الآيات التي تستعمل للقرآن النازل تعبيرات من قبيل: التلاوة، والقراءة، والصحف، والسورة، تدلّ على سماوية بنيته.

٧- إن الآيات التي ترى استحالة تغيير كلمات القرآن على النبي الأكرم (ﷺ)، شاهدة على سماوية ألفاظ وتراكيب القرآن الكريم.

أسئلة نموذجية

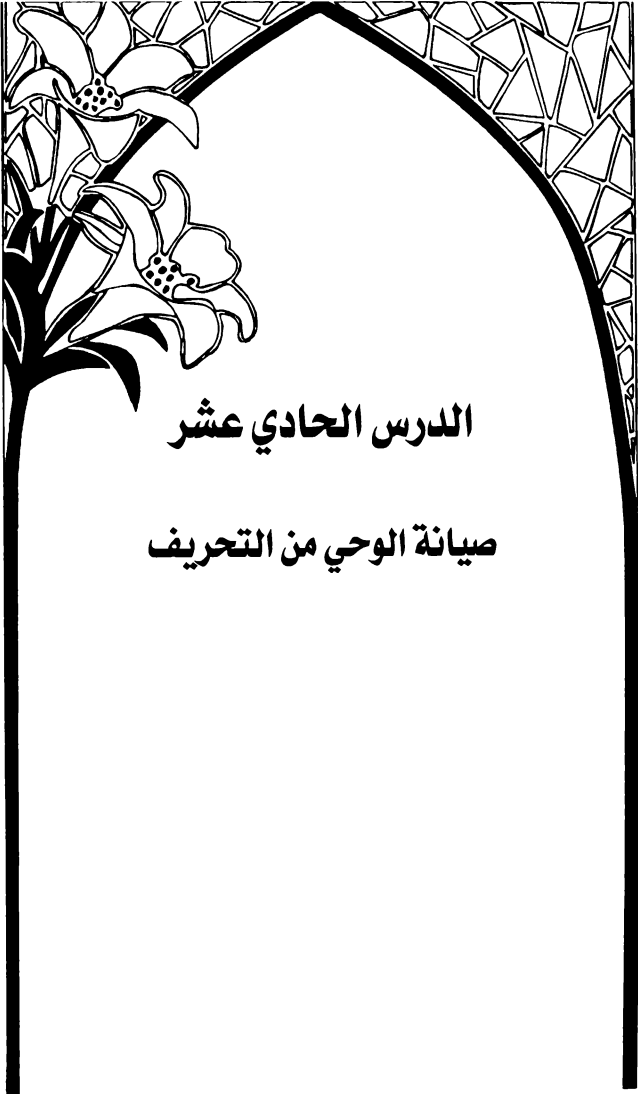
- ١- اذكر الآراء المطروحة في باب اعتبار القرآن وحياً لغوياً أو غير لغوي.
- ٢- أثبت سماوية الألفاظ والتراكيب القرآنية بأدلة من خارج النصّ القرآني.
- ٣- كيف تدلّ الآيات الناظرة إلى الإعجاز على سماوية ألفاظ القرآن الكريم؟
- ٤- كيف يدلّ وصف الوحي النازل على النبي الأكرم (ﷺ) بالقرآن، والعربي، وكلام الله على لغويته؟
- ٥- اشرح كيفية دلالة الآيات الناظرة إلى استحالة تغيير القرآن الكريم على النبي الأكرم (ﷺ) على سماوية بنيته.

واحة المصادر

- إبراهيم كلانتری، وحياني بوجدن ألفاظ قرآن، مجلة: بينات، السنة التاسعة، العدد: ٣، خريف عام ١٣٨١ هـ ش، الرقم المسلسل: ٣٥، ص ٤٦ - ٥٩.
- موسى الحسيني، وحياني بوجدن ألفاظ قرآن، مجلة: بجوهشهاي قرآني، السنة السادسة، ربيع وصيف عام ١٣٧٩ هـ ش، العدد: ٢١ - ٢٢، ص ٢١٨ - ٢٣٦.

تحقيق

ابحث في التبعات والنتائج الباطلة المترتبة على القول بعدم سماوية ألفاظ القرآن الكريم وبنيته.



الدرس الحادي عشر

صيانة الوحي من التحريف

.....

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

١- أن يأتي بدليل عقلي على سلامة الوحي.

٢- أن يتعرّف إلى الآيات الناظرة إلى سلامة الوحي وطرقها الدلالية.

٣- أن يتمكن من إثبات سلامة الوحي من ناحية الأنبياء بالدليل العقلي.

٤- أن يتمكن من الإجابة عن الشبهات المثارة حول سلامة الوحي.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ

أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا *

لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلُّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(١).

مقدمة

توصلنا في الدروس السابقة إلى نتيجة مفادها: إنَّ الإنسان لا يمكنه الاقتصار - في التعرّف على الغاية من خلقه، وطرق الوصول إلى تلك الغاية - على القنوات المعرفية الحسيّة والظاهرية فقط؛ من هنا فقد اقتضت حكمة الله أن يفتح للإنسان قناة معرفية أخرى اسمها الوحي. بيّد أنه لا يسع الجميع الاتصال بالوحي ولا يمكنهم الحصول عليه، ولذلك وجب عليهم الحصول على رسالة السماء بواسطة الأنبياء (عليهم السلام).

وهنا يرد هذا السؤال: كيف لنا الوثوق بوصول رسالة الله إلى الناس سالمة من التغيير والتحريف؟ إذ لا يمكن الحصول على هذا الاطمئنان إلا إذا بقي الوحي سالمًا في جميع مراحل صدوره إلى حين وصوله إلى الناس. بمعنى ألاّ يتعرّض ملائكة الوحي والأنبياء في أخذ الوحي وحفظه وإبلاغه^(١) إلى أيّ نوع من أنواع الخطأ عمداً كان أو سهواً، وأن يكون الوحي في مأمن من عبث العابثين وتلاعب المتلاعبين؛ من هنا كانت سلامة الوحي من المسائل الأساسية والمهمّة في جميع الأديان السماوية^(٢)؛ إذ إنّ بناء نبوّة الأنبياء واستفادة العباد من الوحي يقوم على سلامته وصيانتة من التحريف والتغيير. وفي هذا السياق نجد من الضروري أن تُثبت عصمة ملك الوحي والأنبياء في أمر الوحي، وقدرتهم على حفظ الوحي من تطفل الآخرين^(٣). وقد تمّ تعريف

(١) تعود هذه المراحل الستة إلى الوحي غير المباشر، وأمّا الوحي المباشر فله ثلاث مراحل، وهي: الأخذ والحفظ والإبلاغ فقط.

(٢) فيما يتعلق بعصمة الوحي في المسيحية، انظر: ايان باربر، علم ودين، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، ص ٣٥، و ١٣١، و ٢٦٨.

(٣) من هنا كانت مسألة عصمة النبيّ في أمر الوحي مطروحة في الشرائع السماوية، من

العصمة بأنها: قوّة ومملكة نفسانية تردع صاحبها من ارتكاب الموبقات^(١).

وقد أجمع علماء المسلمين - إلا ما شدّد منهم - على إيصال الأنبياء الوحي سالمًا إلى الناس. وتقوم عقيدة الشيعة على عصمة الملائكة وجميع الأنبياء من كلّ أنواع المعاصي والأخطاء والنسيان^(٢). وقد ذهب (القاضي عبد الرحمان الإيجي) من علماء الأشاعرة إلى القول باتفاق كلمة الأمم والشرائع على صدق الأنبياء في مسألة الوحي^(٣). كما ذهب المعتزلة إلى تقبيح السهو والخطأ في أمر الوحي. قال القاضي عبد الجبار: (إنا لا نجوزّ عليه [النبي] السهو والغلط فيما يؤديه عن الله تعالى)^(٤).

الدليل العقلي على سلامة الوحي من التحريف

١- ضرورة الوحي وسلامته من التحريف

لقد دلّ البرهان الذي أقمناه في الدرس الثالث - على ضرورة الوحي - على أنّ الحكمة الإلهية تقتضي بقاء الوحي في جميع مراحلها حتى وصوله إلى

قبيل: اليهودية والمسيحية (جلال الدين الأشتياني، تحقيقي در دين يهود، ص ٢٢٩). وهناك من العلماء والمفكرين في الدين المسيحي من يذهب إلى عصمة مؤلفي الكتاب المقدس أيضاً (انظر: هنري تيسن، الهيات مسيحي، ترجمة: ميكائيليان، ص ٢٠٥).
(١) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ١٢٨.

(٢) انظر: الشيخ المفيد، تصحيح الاعتقاد (شرح عقائد الصدوق)، ص ١٢٨. والمرضى علم الهدى، تنزيه الأنبياء والأئمة، ص ٣٤. والعلامة الحلّي، كشف المراد، ص ٣٤٩، ولزيد من الاطلاع بشأن عصمة الأنبياء والملائكة، راجع: حسن يوسفان وأحمد حسين شريف، عصمت معصومان، ص ٩٣ - ١٥٣، و ٢٣٥ - ٣٤٧.

(٣) انظر: عبد الرحمان الإيجي، شرح المواقف، ج ٨، ص ٢٦٣.

(٤) القاضي عبد الجبار، المغني، ج ١١، ص ١٦٧.

العباد سالمًا من جميع الأخطاء والتلاعب؛ لأنّ الوحي إنّما نزل كيما يساعد الناس في الوصول إلى الغاية والهدف (الكمال) الذي خلقوا من أجله. ولو أنّ خطأ طرأ على الوحي في أيّ مرحلة من مراحلها، وأيّاً كان مقدار ذلك الخطأ، فإنّ العباد سيبتعدون عن الهدف من خلقهم بنفس المقدار. علاوة على ذلك فإنّ عدم الإطمئنان إلى سلامة الوحي في كلّ مرحلة يُفضي إلى انعدام الثقة عنه، ولا يصلح لإتمام الحجّة عليهم، وبالتالي لن يتحقق الهدف المترتب عليه؛ من هنا فإنّ الله سبحانه وتعالى اقتضاه لعلمه وحكمته وإحاطته بجميع الأمور وقدرته، لا يعدّ لحمل وحيه إلّا رسولاً منزهاً من الأخطاء، قادراً على حفظ الوحي من التلاعب^(١).

وعلى هذا الأساس، فإنّ مقتضى الحكمة والعلم والقدرة الإلهية تقوم على وصول الوحي سالمًا إلى الناس، وأن تكون ملائكة الوحي والأنبياء معصومين من جميع أنواع الخطأ في التلقي والحفظ والإبلاغ.

٢- الإعجاز وسلامة الوحي من التحريف

إنّ اجتراح المعاجز يُعدّ بدوره دليلاً عقلياً على عصمة الأنبياء في مسألة الوحي؛ لأنّ الناس قد خلقوا بحيث يؤمنون بكلّ ما ينسبه مجتري المعجزة إلى الله سبحانه وتعالى؛ وعليه فبمقتضى الحكمة لن يؤيّد الله بالمعجزة شخصاً

(١) انظر: العلامة محمّد حسين الطباطبائي، وحي وشعور مرموز، ص ١٩. ومحمّد تقي مصباح اليزدي، راه وراهنما شناسي، ص ١٤٧ - ١٤٨، وكذلك كتابه: آموزش عقايد ١ - ٢. وقد ذهب العلامة الطباطبائي في الصفحة الخامسة والثمانين من كتابه (شيعه در اسلام) إلى القول باعتبار تلقي الوحي وحفظه وإبلاغه ثلاثة أركان لهداية الإنسان التكوينية، ويستنبط من عدم وقوع الخطأ في التكوين، وجوب صيانة الوحي ووصوله إلى الناس سالمًا من الأخطاء. وربما كان مراده هو الدليل على ضرورة الوحي وصاغه بعبارة أخرى.

يُحتمل في حقه الخطأ في أمر الوحي عمداً أو سهواً؛ وعليه فإن النبي - المؤيد والمصدق بالمعجزة أو بشارته من سبقه من الأنبياء الذين ثبتت نبوتهم بالمعاجز - يجب أن يكون معصوماً من الخطأ في أمر الوحي، وأن يكون قادراً على حفظه من عبث العابثين حتى وصوله إلى العباد، وإلا فسيغير هذه الصورة يكون الله سبحانه وتعالى قد أيد - بتمكين النبي من المعجزة - الكذب (إذا وقع الخطأ في الوحي عمداً)، أو الباطل (إذا وقع الخطأ في الوحي سهواً، أو بسبب عدم القدرة على حفظه). مضافاً إلى ذلك فإن ذلك سيوقع العباد في الغرر، وهذا يناقض حكمة الله وعلمه وإحاطته وقدرته في جميع الأمور^(١).

الأدلة والشواهد النقلية على سلامة الوحي من التحريف

إن الأدلة والشواهد النقلية تدل بدورها على سلامة الوحي من التحريف؛ إذ تُثبت الآيات والروايات أن الملائكة وخاصةً ملائكة الوحي منهم والأنبياء معصومون. وجدير ذكره أن استدلالنا على سلامة الوحي من التحريف بالآيات والروايات ليس من الدور^(٢)؛ إذ المفروض أننا نستدل بهما بعد إثبات نبوة النبي الأكرم (ﷺ) بالإعجاز أو الطرق الأخرى، وإثبات سلامة القرآن من طريق التحدي؛ وعليه تكون الروايات المثورة عن النبي الأكرم (ﷺ) والأنمة المعصومين (عليهم السلام) ومضامين القرآن الكريم حجة علينا، أي أن اعتبار وحجية القرآن الكريم والسنة الشريفة غير متوقفة على سلامة الوحي.

(١) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ١٣٦ - ١٣٧.

وسعد الدين الفتازاني، شرح المقاصد، ج ٤، ص ٥٠.

(٢) ببيان أن سلامة الوحي تتوقف على اعتبار سلامة القرآن والروايات، ومن جهة أخرى إن سلامة وحجية القرآن والروايات متوقفة على سلامة الوحي؛ لأن القرآن وحي، وإن اعتبر الروايات وحجيتها يكون يتبع حجية القرآن.

أ - الأدلة النقلية على سلامة الوحي من ناحية الملائكة

تقدم في الدرس السابع أن ذكرنا أنّ من بين أقسام الوحي هو الوحي الذي ينزل على الأنبياء (عليهم السلام) بواسطة الملك؛ وعليه فإنّ الوثوق بسلامة الوحي بجميع مراحلها سيتوقف على إثبات عصمة ملك الوحي أيضاً. وهذا ما تثبته الأدلة والشواهد النقلية؛ إذ تدل على عصمتهم أيضاً^(١). قال العلامة الطباطبائي بهذا الشأن: (إنّ جميع أصناف الملائكة معصومة من الخطأ طبقاً لنصوص القرآن الكريم والروايات المتواترة)^(٢).

(١) في هذا الخصوص انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٣٩، وج ١٤، ص ٢٨١، وج ٢٠، ص ٢٢٦. وصدر الدين محمد الشيرازي، مفاتيح الغيب، ج ١، ص ٢٦٢، وج ٢، ص ١٦٦، وج ١٣، ص ١٧، وج ٢٠، ص ٤٤ - ٤٥. وفيما يتعلق برواية تمرّد ملك اسمه (فطرس)، بمنزلة التقاسع عن امتثال أمر الله (انظر: العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٤٣ - ٢٥٠)، أو عدم الإذعان لولاية الإمام علي (عليه السلام) (انظر: الصفار القمي، بصائر الدرجات، ص ٦٨) أو القول بتعارض الكثير من الآيات والروايات بشأن عصمة الملائكة، وخاصة أنّ الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) سُئل عن خطأ الملائكة، فقال: «معاذ الله .. إنّ شأن الملائكة لعظيم». العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ٢٢٢. وكذلك قيل: إنّ ملكين باسم (هاروت) و(ماروت) قد نزلا إلى الأرض اختباراً، فارتكبا المعصية (انظر: محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٧٥) ومحمد بن الحسن الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ١١٠). وهذه النسبة غير صحيحة أيضاً، فإنّ الآيات والروايات تدل على أنّ هذين الملكين قد أمرا بتعليم الناس السحر؛ لإبطال السحر، وإتھما معصومان. (انظر: البقرة: ١٠٢؛ وأبو الفضل بن الحسن الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٥٨. ومحمد بن علي الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٢٧١). وهناك من وجّه سلوك الملك فطرس بحيث لا يمسّ عصمته ولا يتنافى معه. في هذا الخصوص، انظر: محمد احسانى فر، (بجوهشي در روايات وفطرس ملك)، مجلة: علوم حديث، العدد: ٣٤، شتاء عام ١٣٨٣ هـ ش، ص ٦٨ - ٨٠.

(٢) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الرسائل التوحيدية، ص ١٤٣.

وفيما يلي نبحث في هذه الأدلة والشواهد:

١- الآيات

ندرك من خلال الكثير من الآيات القرآنية أنّ ملائكة الوحي معصومة من الخطأ والنسيان، وأنها قادرة على حفظ الوحي من تحريف الآخرين. وأنّ هذه الآيات على ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: الآيات التي تدلّ على عصمة جميع الملائكة، ومنها قوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١). ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

فإنّ هذه الآية تدلّ على عصمة الملائكة، لأنها تصفهم بأنهم متفانون في العبادة، وأنهم لذلك موضع إجلال وتكريم من قبل الله سبحانه وتعالى، حيث تتسجم أفعالهم وأقوالهم مع الإرادة الإلهية^(٣).

وقال الله تعالى في آية أخرى على لسان الملائكة: ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(٤).

يتضح من هذه الآية أيضاً أنّ الملائكة معصومون، ولا يريدون إلا ما أَرَادَهُ اللهُ، ولا يفعلون إلا ما يأذن الله لهم بفعله^(٥).

(١) التحريم: ٦.

(٢) الأنبياء: ٢٦ - ٢٧.

(٣) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٣٠٠.

(٤) مريم: ٦٤.

(٥) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٨٧. وأبو علي

الفضل ابن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٧ - ٨، ص ٧٠.

المجموعة الثانية: الآيات الدالة على عصمة ملك الوحي، فإن القرآن الكريم وبسبب من حساسية اليهود بشأن جبرئيل ملك الوحي، يؤكد بشكل خاص على عصمته في تلقي الوحي وحفظه وإبلاغه. من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾^(١).

فالمراد من (الرسول) في هذه الآيات هو جبرئيل (عليه السلام)، وإن الأوصاف التي تُعدها هذه الآيات لجبرئيل تثبت ألا قلق من ناحيته بشأن الوحي، وإن عبارة ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ تدل على قوته وقدرته في المحافظة على الوحي من أي تلاعب وتحريف، كما أن عبارة ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾ تدل على أمانته وامتناله لأمر الله، وإن عبارة ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ تدل على عظم مكانته ومنزلته عند الله، الأمر الذي يستلزم سلامة الوحي من ناحيته.

وهناك آيات أخرى تصف جبرئيل (عليه السلام) بلحاظ أمانته بـ (الروح الأمين)، من قبيل قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾^(٢). وبلحاظ طهره بـ (روح القدس) من قبيل قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾^(٣).

المجموعة الثالثة: الآيات التي تدل على الرقابة الإلهية والإشراف على حملة

(١) التكوير: ١٩ - ٢١.

(٢) هناك آيات أخرى تعبّر عن الملائكة بالرسول، من قبيل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَمُصُّ ظَنُفِي مِنْ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الحج: ٧٥.

(٣) الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤.

(٤) النحل: ١٠٢.

الوحي إلى حين بلوغ الوحي غايته، من قبيل قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(١).

تدلّ هذا الآية الشريفة على أنّ الله يخضع رسله من الملائكة والناس إلى رقابة مشدّدة حتى يؤدّوا عملهم على أحسن وجه، إلى حين إبلاغ الرسالة إلى الناس بشكلٍ صحيح ومتقن؛ وبذلك يتمّ ضمان سلامة الوحي من التحريف والتعرّض للأخطاء^(٢)؛ إذ لو احتمل الخطأ في حق الملائكة لما تحقق قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾.

وإنّ عبارة ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ تدلّ على سلامة الوحي من حين صدوره إلى وصوله إلى الرسول، وإنّ عبارة ﴿وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ تدلّ على سلامة الوحي في مرحلة الإبلاغ إلى الناس. أي أنّ الملائكة الحفظة^(٣) يعملون على حراسة رسل الله، بحيث لن يكون بمقدور أيّ شخصٍ أن يتعرّض لهم، أو يحدث خللاً في رسالته.

كما تدلّ عبارة ﴿أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ على عدم خيانة الرسول في مسألة الوحي، فإنّ هذه الآية تدلّ على سلامة الوحي من ناحية ملك الوحي، فإذا كان ملك الوحي هو المصداق الوحيد للرسول، أو واحداً من

(١) الجن: ٢٦ - ٢٨.

(٢) لأنّ المراد من علم الله في إيصال الرسالة بواسطة الرسل، علمه الفعلي المتعلّق بتحقيق الإبلاغ في عالم الخارج (انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٥٤).

(٣) قال تعالى في خصوص هؤلاء الملائكة: ﴿وَالصّٰفّٰتِ صَفّٰتٍ﴾. الصافات: ١. وفي هذا الشأن، انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ١٢٦).

مصاديقه في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(١) كانت هذه الدلالة بشكل مباشر^(٢)، وإن كان المراد من الرسول خصوص النبي من البشر^(٣)، دلت هذه الآية على سلامة الوحي من ناحية الملك بشكل غير مباشر؛ إذ لا يتمكن النبي من إبلاغ الرسالة الإلهية سالمة إلى الناس، إلا إذا كان قد حصل عليها سالمة من الملك، ولا يكون ذلك إلا إذا حافظ الملك على سلامتها في جميع المراحل إلى حين إيصالها وتسليمها إلى النبي.

٢- الروايات

وتدلّ الروايات على سلامة الوحي من ناحية ملك الوحي أيضاً. وتنقسم هذه الروايات إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: الروايات التي تثبت العصمة لجميع الملائكة، من باب المثال روي عن الإمام عليّ (عليه السلام) أنه قال في وصف خصائص الملائكة: «ولا عندهم غفلة، ولا فيهم معصية»^(٤). «لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةُ النَّسْيَانِ»^(٥).

(١) فيما يتعلق بالمصدق الوحيد انظر: محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ١٥٨. وفيما يتعلق بكونه واحداً من مصاديق الرسول، انظر: الحافظ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ١٢٩.

(٢) في هذه الصورة سيتولى سائر الملائكة مهمة الحماية لملك الوحي.

(٣) انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٢٧٤. والعلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٥٦. وأبو الفضل المبيدي، كشف الأسرار، ج ١٠، ص ٢٥٨. ومحمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج ١٢، ص ٢٧٦.

(٤) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ١٧٥.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

وروي عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) أنه قال: «إن ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبايح بألطف الله»^(١).

المجموعة الثانية: الروايات التي تثبت عصمة ملك الوحي بخصوصه. من ذلك ما روي عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: «جَعَلَهُمُ اللَّهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَذَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ»^(٢). «وَمِنْهُمْ أُمَّتَاءُ عَلَى وَحْيِهِ»^(٣).

وروي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنه قال في وصف جبرئيل ملك الوحي، بعد طلب الثناء من الله على جميع الملائكة: «اللَّهُمَّ .. وجبرئيل الأمين على وحيك، المطاع في أهل سماواتك، المكين عندك، المقرب عندك»^(٤).

يتضح من خلال مجموع هذه الآيات والروايات أن الملائكة قاطبة مصونون من الخطأ والعصيان، معصومون من عبث الشياطين^(٥)؛ وعليه فإن جبرئيل معصوم من الخطأ أيضاً، وبالالتفات إلى قدرته في تلقي الوحي وحفظه وإبلاغه، لن يكون هناك في حقه مجال لاحتمال الخطأ أو الخيانة أو العبث من قبل الآخرين.

(١) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٦، ص٣٢١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٩١.

(٣) المصدر المتقدم، الخطبة: ١.

(٤) الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث.

(٥) بناءً على هذا لا يكون القول بالتوقف في عصمة الملائكة صحيحاً، انظر: عضد الدين الإيجي، المواقف، ص٣٦٧. والسيد شريف الجرجاني، شرح المواقف، ج٨، ص٢٨٣.

ب - الأدلة النقلية على سلامة الوحي من ناحية الأنبياء

هناك الكثير من الأدلة والشواهد النقلية الدالة على سلامة الوحي من ناحية الأنبياء، وفيما يلي عرض لعدد من الآيات القرآنية والروايات الشريفة في هذا الإطار، على النحو الآتي:

١- القرآن الكريم

إن الآيات التي تدلّ على سلامة الوحي من ناحية الأنبياء^(١) على طائفتين:

الطائفة الأولى: الآيات التي تدل على عصمة الأنبياء في مسألة الوحي بشكل مباشر، ومنها قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَن قَدِ ابْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخَصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٢).

بتقرير أن القدر المتيقن من (الرسول) في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ أنه يشمل النبي من بني الإنسان^(٣)؛ لأن الروايات ذهب إلى اعتبار النبي الأكرم (ﷺ) من مصاديق الرسول في هذه الآية الشريفة، فقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير هذا الجزء من الآية أنه قال: «كان والله محمد ممن ارتضاه للغيب»^(٤).

(١) انظر: عبد الله جوادي الآملي، تفسير موضوعي، ج ٢، (وحي ونبوت در قرآن)، ص ٢١٢ - ٢٩٥.

(٢) الجن: ٢٦ - ٢٨.

(٣) انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٣٧٤. والعلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٥٦. وأبو الفضل الميبدي، كشف الأسرار، ج ١٠، ص ٢٥٨. ومحمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج ١٢، ص ٢٧٦.

(٤) محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، باب نادر فيه ذكر الغيب، ح: ٢، ص ٢٥٦.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) في جوابه عن سؤال بعض أصحابه بشأن هذه

الآية: «يوكّل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم»^(١).

طبقاً لهذه الروايات فإنّ (الرسول) يشمل النبيّ أيضاً؛ وعليه ليس من

الصحيح أن يتمّ حصر مصداق الرسول في الملائكة فقط^(٢).

فإنّ هذه الآية خير شاهد على سلامة الوحي من ناحية الأنبياء (عليهم السلام)،

وهي تؤكد البرهان العقلي القائل بأنّ الوحي إذا لم يصل إلى الناس سليماً من

التغيير والتحريف سيترتب عليه نقض الغرض، والمخالفة للحكمة الإلهية. وإنّ

الآية الآتية شبيهة بالآية السابقة في دلالتها، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿رُسُلًا

مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ. لَأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا﴾^(٣).

إنّ مضمون هذه الآية التي ترى بعثة الأنبياء سبباً في إتمام الحجّة، هو

ذاته مضمون الدليل العقلي القاضي بضرورة الوحي، وهو يدل بنفس النسبة

على عصمة الأنبياء فيما يتعلق بالوحي .. قرّر ذلك البيان.

وقال تعالى أيضاً: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ

وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ﴾^(٤).

فهذه الآية تدلّ من خلال ضمّها إلى آياتٍ أخرى على عصمة الأنبياء في أمر

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ٢٠٧.

(٢) ذهب الشيخ الطوسي إلى أنّ المراد من الرسول في هذه الآية هو ملك الوحي فقط. (انظر:

محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ١٥٨).

(٣) النساء: ١٦٥.

(٤) البقرة: ٢١٣.

الوحي^(١) ، وذلك للأسباب الآتية:

الأول: إنها تعتبر هدف الأنبياء وغاية الكتب السماوية تكمن في بيان الحق، ورفع الاختلاف بين الناس.

والثاني: إنَّ الله أعلم بمن يختاره للوصول إلى هذه الغاية والهدف^(٢) ، وهو القادر على كلِّ شيء^(٣) ، ولا شيء يمكنه أن يقف حائلاً دون تحقيق هذه الغاية^(٤).

والثالث: إنَّ أيَّ خطأ سواء أكان عن عمدٍ أم سهو، أو تلاعب في الوحي لا يُساعد على رفع الاختلاف بين الناس، بل إنه يُفاقمه، وهذا لا ينسجم مع حكمة الله؛ وعليه فبناءً على حكمة الله يجب أن يكون حملة الوحي معصومين من جميع أنواع الخطأ والسهو والغفلة.

الطائفة الثانية: الآيات التي تدلّ بشكلٍ غير مباشر على عدم خيانة الأنبياء فيما يتعلق بالوحي. وإنَّ هذه الآيات تنقسم إلى الأقسام الآتية:

١- الآيات التي تدلّ على وجوب الطاعة المطلقة للأنبياء، فمثلاً قال تعالى في لزوم إطاعة واتباع جميع الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٥).

(١) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ١٣٤.

(٢) الأنعام: ١٢٤ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

(٣) البقرة: ٢٠ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٤) الطلاق: ٣ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَلْبَابِ أَمْرِهِ﴾.

(٥) النساء: ٦٤.

وقال تعالى في خصوص وجوب إطاعة النبي الأكرم (ﷺ): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١).

وقال تعالى دون إنكار أو اعتراض أن الأنبياء (عليهم السلام) كانوا يأمرون الناس بالتقوى ولزوم إطاعتهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُون﴾^(٢).

وهناك آيات تبشر الذين يُطيعون رسول الله ويتبعونه بالجنة، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم﴾^(٣).

فإن مجموع هذه الآيات التي تأمر بالاتباع المطلق للأنبياء، أو تحث وتشجع على لزوم الطاعة لهم - وخاصة الآية الرابعة والستون من سورة النساء، التي تعتبر إطاعة الأنبياء هي الغاية الوحيدة من إرسالهم^(٤) - تنفي بوضوح

(١) النساء: ٥٩.

(٢) الشعراء: ١٠٨. إن هذه الآية حكاية عن نوح، وهناك آيات أخرى بهذا المضمون محكية عن لسان أنبياء آخرين، كما في قوله تعالى في الآية السادسة والعشرين بعد المئة، والحادية والثلاثين بعد المئة من سورة الشعراء، حكاية عن النبي هود. والآية الرابعة والأربعين بعد المئة، والخمسين بعد المئة من السورة نفسها حكاية عن لسان النبي صالح (عليه السلام). والآية الثانية والستين بعد المئة حكاية عن لسان النبي لوط (عليه السلام). والآية الخمسين من سورة آل عمران، حكاية عن لسان النبي عيسى (عليه السلام).

(٣) النساء: ١٢. وهناك آيات أخرى تحث على إطاعة النبي الأكرم (ﷺ)، من قبيل الآية السادسة والأربعين بعد المئتين، والثانية والخمسين بعد المئتين، من سورة البقرة. والآية التاسعة والستين والآية السبعين من سورة النساء. والآية الحادية والسبعين من سورة الأحزاب. والآية السابعة عشرة من سورة الفتح. والآية الرابعة عشرة من سورة الحجر.

(٤) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ١٣٧.

احتمال أي نوع من خيانة الأنبياء فيما يتعلق بالوحي؛ إذ لو كان هناك احتمال أن يضيف النبي على الوحي ما ليس منه، لم يجب على الناس العمل بأوامره، في حين أن الله تعالى قد أمر بوجوب إطاعة الأنبياء مطلقاً.

٢- الآيات التي تدل على أن الأنبياء لا يدعون الناس إلى غير الأوامر الإلهية، ولا ينبغي لهم ذلك، من قبيل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١). يُهم من هذه الآية أن الله لا يختار للنبوّة شخصاً يدعو الناس إلى الشرك، بدلاً من دعوتهم إلى التوحيد.

وهناك من الآيات ما يُشير إلى أن المشركين كانوا يتهمون النبي الأكرم (ﷺ) بأنه كان يسعى إلى استمالة الناس إليه؛ فيقول كذباً: (إن الله أمرني بهذا)^(٢). فقال الله في جوابهم: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾^(٣).

وإن المراد من قوله تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ في هذه الآية: أننا سنعاقبه بقدرتنا عليه^(٤)، لا أن نكتفي بمنعه من الافتراء فقط، بل

(١) آل عمران: ٧٩.

(٢) سبق أن ذكرنا هذا النوع من الدعاوى في الدرس الرابع، وأجبنا عنها هناك، فراجع.

(٣) الحاقة: ٤٤ - ٤٧.

(٤) علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٨٤. إن هذا النوع من التعبيرات في اللغة العربية يدل على القدرة؛ إذ إن اليد اليمنى عند الإنسان أقوى في الغالب من يده اليسرى. ومضافاً إلى هذا القول هناك للمفسرين أقوال أخرى، من قبيل: ١- الأخذ مصحوباً بالإذلال. ٢- قطع اليد اليمنى. (انظر: محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١١٠. وأبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٩ - ١٠، ص ٣٤٩). ٣- إن المراد من ذلك: (القتل صبراً الذي تؤخذ فيه يد الإنسان

سنقطع منه الشريان الذي يمدّه بالحياة: ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾، ولن يكون باستطاعة أحد أن ينقذه أو يحول دون ذلك: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾.

٣- الآيات التي تدلّ على أنّ ما يقوله النبيّ هو الوحي، وأنه لا يتبع غير الوحي. من قبيل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).
﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(٢).

٢- الروايات

جاء في العديد من الروايات أنّ الأنبياء معصومون، من ذلك ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال: «إنّ الأنبياء لا يذنبون؛ لأنهم معصومون مطهرون، لا يذنبون ولا يزيغون، ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً»^(٣).

وروي عن الإمام عليّ (عليه السلام) أنّه قال في وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنّ رسول الله .. كان معصوماً من الخطأ»^(٤).

وروي عن الإمام الهادي (عليه السلام) أنّه قال في الشاء على رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَفْضَلَ صَلَوَاتِكَ وَأَكْمَلَهَا .. عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَنَجِيكَ .. الْمَسْدَدِ بِالْأَمْرِ، الْمَرْضِيِّ الْمَعْصُومِ مِنْ كُلِّ خَطَأٍ وَزَلَلٍ، الْمَنْزُومِ مِنْ كُلِّ

اليمنى، وتضرب عنقه). (انظر: محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٦٠٧.
وأبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، ج ٤، ص ٢٤٩).

(١) النجم: ٣ - ٤.

(٢) الأنعام: ٥٠.

(٣) العلامة محمّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٢، ص ٣٤٨.

(٤) المصدر المتقدّم، ج ١٠، ص ٤٣٩.

دنس وخطل»^(١).

مكمن السرّ في سلامة الوحي

لقد أثبتنا أنّ الله سبحانه وتعالى يختار من الناس أنبياءً لوحيه، كيما يبلغونه إلى الناس سالمًا من النقص والتحريف، وأنّ ملائكة الوحي والأنبياء فيما يتعلق بالوحي معصومون من جميع أنواع الخطأ عمدًا أو سهوًا. وهنا يرد هذا التساؤل: ما هو العنصر أو العناصر التي جعلت من ملك الوحي والنبّي معصومًا عن الخطأ؟

مكمن السرّ في سلامة الوحي من ناحية ملك الوحي

لما كان تلقي ملك الوحي حضورياً، فإنّه لن يُخطئ أبداً في هذا التلقي^(٢)، وندرك من خلال قراءتنا لآيات القرآن الكريم أنّ ملك الوحي يتمتع بقوة خارقة: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾^(٣)؛ إذن يمكنه المحافظة على سلامة الوحي، وحيث إنّه قويّ ومطيع: ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ﴾^(٤) يمكنه أن يحول دون تلاعب الآخرين بالوحي أثناء تبليغه وإيصاله إلى غايته. وكما تقدم أن ذكرنا فإنّ القرآن الكريم يصف ملك الوحي بالأمانة والطهر والكرامة، ولهذه المسألة دلالة على أنّ ملك الوحي لا تصدر عنه أدنى خيانة للوحي؛ إذ إنّ واحد من حملة الوحي الذين بلغ بهم

(١) المصدر المتقدم، ج ٩٩، ص ١٧٨.

(٢) وعليه لا يصحّ ما قيل من أنّ ملك الوحي يحتاج إلى معجزة ليوقن بأنّ ما تلقاه من الله هو الوحي. انظر: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)،

ج ٢٧، ص ١٨٩.

(٣) التكوير: ٢٠.

(٤) التكوير: ٢١.

علمهم وإدراكهم بعواقب أيّ تهاونٍ من جانبهم فيما يتعلق بمسألة سلامة الوحي، وكفى بذلك رادعاً لهم من التمرد على الإرادة الإلهية^(١). قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٢).

مكمن السرف في سلامة الوحي من ناحية الأنبياء

أثبتنا في الدروس السابقة أنّ الأنبياء (عليهم السلام) يتلقون الوحي بشكل حضوري، وإنّ التلقي الحضوري لا مجال فيه للوقوع في الخطأ؛ وعليه فإنّ كون الوحي حضورياً هو العنصر الرئيس في سلامة الوحي عندما يتلقاه النبي، فإنّ ارتباط النبي بالوحي من الوضوح بحيث لا يشك أو يُخطئ أبداً في حقيقة ما يتلقاه. وقد سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن كيفية تعرّف الأنبياء على نبوتهم، فقال: «كشّف عنهم الغطاء»^(٣).

من هنا فإنّ أيّ كلمةٍ أو روايةٍ تتسبب الشك أو الخطأ إلى الأنبياء في الوحي موضوعة ومختلفة. من قبيل قصة ورقة بن نوفل، وأسطورة الغرانيق التي حاكتها الأيدي الخبيثة للنيل من النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله). وهكذا لا يمكن أن يكون الرأي القائل بضرورة اجتراح جبرئيل (عليه السلام) معجزة ليراه النبي ويتأكد من أنه مرسل من قبل الله، لا يمكن أن يكون صحيحاً^(٤).

إنّ سرّ عصمة الأنبياء من نسيان الوحي، أنهم متيقظون على الدوام، بحيث إنهم لا يغفلون عن الوحي حتى وهم نيام، فإذا نامت أعينهم لا تنام

(١) وهناك أقوال أخرى في عصمة الملائكة. انظر: ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٤٣٣.

(٢) الأنبياء: ٢٨.

(٣) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١١، ص ٥٦.

(٤) فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج ٢٧، ص ١٨٩.

قلوبهم وعقولهم. فقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء تنام عيوننا، ولا تنام قلوبنا»^(١).

وعلاوة على ذلك فقد ضمن الله على نفسه أن النبي الأكرم لا ينسى كلمات القرآن الكريم، وذلك حيث يقول تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾^(٢).

إنّ لعدم تعمّد الأنبياء في التدخل بالوحي عاملين، وهما:

الأول: إنهم كانوا على درجة عالية من الوعي والإدراك الذي يمكنهم من الوقوف على قبح هذه الخيانة.

والثاني: إنهم يتمتعون بإرادة صلبة، لا قبيل للشيطان والأهواء النفسية عليها^(٣).

فإنّ هذين العاملين كانا يدعوان الأنبياء إلى عدم التلاعب بالوحي رغم قدرتهما على ذلك، علاوة على ذلك فإنّ الأنبياء (ﷺ) قد تخلقوا وتربوا في كنف الله، وإنّ الله سبحانه وتعالى قد سدّدهم وأيدهم بالإلهام والملائكة^(٤). قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(٥).

تقدم في الدرس الأول أن ذكرنا في معرض الحديث عن (الوحي

(١) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١١، ص ٥٥.

(٢) الأعلى: ٦.

(٣) للاطلاع على مزيد من الأقوال في هذا الشأن، انظر: الحسن بن يوسف الحلبي، كشف المراد، ص ٣٦٥.

(٤) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٧٣ - ٢٧٤، وج ٥، ص ٨٠، وج ٦، ص ٢٦١، وج ١٤، ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٥) الأنبياء: ٧٣.

التسديدي) فيما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ مَا فَتَى يُؤَيِّدُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) بِ (الروح)^(١).

فإنَّ عصمة الملائكة والأنبياء (عليهم السلام) هبة إلهية، بمعنى أَنَّ اللَّهَ قَدْ زَوَّدَ بعض مخلوقاته من الملائكة والناس وعياً وإرادة صلبة وقوية بحيث إنهم - رغم حريتهم واختيارهم - لا يتمردون على أوامر الله، ويقومون بأداء رسالتهم على أحسن وجه. وإنَّ السبب في أَنَّ اللَّهَ إِنْما يختار الملائكة من بين مخلوقاته وخصوص الأنبياء من بين الناس ليزوِّدهم بالعصمة، هو أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وتعالى مطلع على الغيب، فهو سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(٢)، ومدرك لما سيكون عليه مصير جميع الكائنات، ولذلك فإنه يعلم أَنَّ هؤلاء لا يقومون بما يخالف أوامره باختيارهم، وأنهم يبذلون كلَّ ما بوسعهم في خدمته، ولا يقصرون في عبادته والخضوع له^(٣). قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٤).

وقد روى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، عن الإمام الرضا (عليه السلام)، عن الإمام علي (عليه السلام)، عن رسول الله (ﷺ)، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، اختارنا معاشراً آل محمَّد، واختار النبيين، واختار الملائكة المقربين. وما اختارهم إلا على علم منه بهم أَنَّهُمْ لا يواقعون ما يخرجون به عن ولايته،

(١) انظر: محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب الروح التي يسدّد بها الله الأئمة، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢) الأنعام: ٧٣.

(٣) انظر: محمد تقي مصباح اليزدي، راهنما شناسي، ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٤) الأنعام: ١٢٤.

وينقلون به عن عصمته»^(١).

شبهات وأجوبة

خلافًا لدلالة الشواهد والأدلة العقلية والنقلية القائمة على سلامة الوحي في جميع مراحلها، إلا أن هناك من تمسك ببعض الآيات والروايات التاريخية، فأثار بعض الشبهات حول سلامة الوحي. وفيما يلي نناقش أهم تلك الشبهات ونجيب عنها:

١- تردد الأنبياء في تلقي الوحي

هناك روايات ضعيفة تقول بأن رسول الله (ﷺ) عندما نزل عليه الوحي أول مرة شكك في أن يكون وحياً إلهياً، وعاد إلى بيته مضطرباً. فلما رآته السيدة خديجة على تلك الحالة، أسرعت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان عالماً نصرانياً، فروت له ما جرى عليه. فقال لها ورقة بن نوفل: إنها دلائل النبوة. فاطمأن رسول الله (ﷺ) إلى أن ما رآه هو جبرئيل، وأنه أوحى له^(٢). كما تمسكوا لتشكيك الأنبياء في الوحي بهذه الآيات^(٣): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ * حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا

(١) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ٣٢٢. ومثله في ج ١٠، ص ١٧٠.

(٢) انظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج ١٢، ص ٦٤٤ - ٦٤٥، وكتابه: تاريخ

الطبري، ج ٢، ص ٢١٨. ومسلم بن حجاج النيشابوري، صحيح مسلم، ج ١، ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٣) ذكر المأمون هذه الآيات بوصفها شبهة في عصمة الأنبياء وسأل بشأنها الإمام الرضا

(عليه السلام). (انظر: محمد بن علي بن الحسين الصدوق، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج ١،

يُرَدُّ بِأَسْنَأَ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ»^(١).

الجواب

لا شك في أن قصة ورقة بن نوفل التي ينسب فيها الشك بالوحي إلى رسول الله (ﷺ)، هي قصة موضوعة ومفتعلة، وذلك للأسباب الآتية:

الأول: خلافاً لما تصوّره هذه القصة، فقد تقدّم أن إدراك النبي للوحي إدراك حضوري لا مجال فيه للشك والتردد، وهناك إلى جانب ذلك الكثير من الآيات والروايات التي تدل على سلامة الوحي ويقين النبي بالوحي ومصدره^(٢). فعن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): كيف لم يخف رسول الله فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ذلك ممّا ينزغ به الشيطان؟ قال: «إنّ الله إذا اتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار، فكان الذي يأتيه من قبل الله عزّ وجلّ مثل الذي يراه بعينه»^(٣).

والثاني: إنّ سند هذه القصة غير قابل للوثوق، كما أن متنه مضطرب للغاية^(٤).

وأما الآيات فإنّما تكون شاهداً على شكّ الأنبياء في الوحي إذا كان المرجع في كلّ واحد من الضمائر الثلاثة في عبارة: ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾

(١) يوسف: ١٠٩ - ١١٠.

(٢) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٢٠ - ٢٢٢، وج ٨، ص ٢٤٤.

(٣) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٦٢.

(٤) انظر: جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج ٢، ص ٢٩١ - ٣٠٤. ومحمد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ٧٨ - ٨٢.

يعود إلى (الرسول)، وإن نائب الفاعل في: ﴿كُذِّبُوا﴾ هو حامل الوحي، بمعنى: إن الأنبياء قد ظنوا أنّ الذي جاء إليهم بالوحي هو شيطان متكرر على شكل ملك الوحي^(١). إلا أنّ هذا التفسير للآية الشريفة لا دليل عليه، بل هو مخالف للآيات والروايات والأدلة العقلية التي سيقت لإثبات عصمة الأنبياء (عليهم السلام). كما هو واضح من جواب الإمام الرضا (عليه السلام) عن سؤال المأمون على ما هو المروي عن علي بن محمد بن محمد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى (عليه السلام)، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله، أليس من قولك أنّ الأنبياء معصومون؟ قال: «بلى..» قال المأمون: فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ قال الرضا (عليه السلام): «يقول الله: حتى إذا استيأس الرسل من قومهم، افتوعدوهم بالعذاب، إلا أنّ العذاب قد تأخر؛ فظنّ قومهم أنّ الرسل قد كُذِّبوا؛ لفعندها جاء الرسل نصرنا»^(٢).

وهناك احتمالات أخرى بشأن تفسير هذه الآية، إلا أنّها لا تتنافى وعصمة الأنبياء؛

فأولاً: إنّ الناس إنّما ظنّوا أنّ الأنبياء قد كذبوا عليهم بسبب التأخر في نزول العذاب.

(١) انظر: علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج ١، ص ٣٥٨. ومحمد بن مسعود العياشي،

تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠١.

(٢) انظر: محمد بن علي بن الحسين الصدوق، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج ١، ص ١٥٤،

منشورات الفجر، ط ١، بيروت، ٢٠٠٨م. والعلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في

تفسير القرآن، ج ١١، ص ٢٢٢، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠٦م.

وثانياً: لقد تصوّر الأنبياء أنّ الذين أظهروا الإيمان والإخلاص، إنّما أظهروه كذباً ونفاقاً، وإنّ إيمانهم لم يكن صادقاً.

٢- تدخل الشيطان في إبلاغ الوحي

استدل بالآيات الآتي ذكرها على شبهة تدخل الشيطان في إبلاغ الوحي، وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾^(١).

هناك من المفسرين من فسّر كلمة (أمنيته) في هذه الآية الشريفة بمعنى التلاوة، فقال بأنّ الشيطان كان يقحم بعض العبارات بين تلاوة الرسول للآيات، واعتبر أسطورة الغرائيق من مصاديق هذه الآية الشريفة قائلاً: عندما كان رسول الله (ﷺ) في مكة يتلو على الناس سورة النجم، وصل إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾^(٢)، فألقى الشيطان على لسانه عبارة: (تلك الغرائيق^(٣) العلى، وإنّ شفاعتهم لتترجى)، فسجد النبي الأكرم وجميع الناس بما فيهم المشركون إلى الأصنام، وهنا نزل جبرئيل على النبي وأخبره أنّ هذه العبارة

(١) الحج: ٥٢ - ٥٤.

(٢) النجم: ١٩ - ٢٠.

(٣) الغرائيق: جمع غرنيق وغرنوق، وهو: طائر أبيض. والغرنوق: الرجل الشاب الأبيض الجميل. (انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، ج ٢، ص ١٣٤٠، مادة: غرنق)، انتشارات أسوة، ط ١، قم، ١٤١٤ هـ ق.

إنما كانت زيادة من الشيطان، فأعلن النبي للناس أنها ليست من القرآن، واستولى على رسول الله (ﷺ) حزنٌ شديد، حتى نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلاً * وَلَوْلَا أَنْ كُتِبْنَا لَكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾^(١) فاشتد حزنه أكثر، فأنزل الله سبحانه وتعالى الآيات المتقدمة عليه لمواساته؛ ليدرك أنّ مسألة تدخل الشيطان مسألة شائعة ومألوفة في عملية إنزال الوحي على جميع الذين سبقوه من الأنبياء^(٢).

الجواب

إنّ هذا النوع من التفسير لهذه الآية يؤدي لا محالة إلى سلب الثقة عن جميع الكتب السماوية، وخاصة القرآن الكريم منها؛ إذ يحتمل أن تكون كلُّ آيةٍ منه هي من إلقاء الشيطان. ولا يكفي الاستدراك من قبل جبرئيل (عليه السلام)؛ إذ يحتمل بقاء تلك العبارة المقحمة في الكتب السماوية من قبل الشيطان حتى بعد الاستدراك. بل الإشكال الرئيس يقول: من أين لنا أن نعرف أنّ هذا الاستدراك والتصحيح المزعوم ليس من فعل الشيطان أيضاً؟

مضافاً إلى ذلك، فإنّ هذا التفسير الباطل^(٣) الذي يلزم منه انعدام الثقة بالوحي، وأدّى ببعض المستشرقين إلى التشبّه به في نسبة تدخل الشيطان في

(١) الإسراء: ٧٣ - ٧٥.

(٢) انظر: جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الدر المنثور، ج ٦، ص ٦٥ - ٦٩. وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج ٩، ص ١٧٤ - ١٧٨.

(٣) لمزيد من النقد لهذا الإشكال، انظر: جعفر أنواري، (نفوذ نابذيري وحي)، مجلة:

الوحي القرآني^(١)، إنما يستقيم على تفسير أنّ كلمة (أمنيته) هي من قراءة الشيطان على الأنبياء (عليهم السلام)، إلا أنّ هذا غير صحيح؛ وذلك لما يأتي:

أولاً: لأنّ المعنى الآخر بل المعنى الأصلي مأخوذ من الأمنية وتمني حصول الشيء^(٢)، وإنّ هذه الكلمة قد استعملت في معاني أخرى على سبيل المجاز، كما قال بعض: (والتلاوة إنّما سُمّيت أمنية؛ لأنّ تالي القرآن إذا مرّ بآية رحمة تمنّاها..)^(٣). وهذا المعنى المراد في هذه الآية هو وحده المنسجم مع الآيات والروايات المرتبطة بسلامة الوحي. وإنّ الاستعمالات الأخرى لهذه الكلمة في القرآن الكريم، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَفِّرُ اللَّهُ بِسَطِّ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ..﴾^(٤)، وقوله: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى﴾^(٥) وردت بمعنى الأمنية أيضاً؛ وعليه لا يمكن - لمجرد استعمال (التمني) بمعنى التلاوة والقراءة في بيت شعر^(٦) - رفع اليد عن المعنى الواضح لهذه الآية.

وعلى هذا الأساس، فإنّ معنى الآية هو: إنّ الأنبياء كانوا يتمنون أن يؤمن جميع الناس بالله، وأن يغدوا من الصالحين، إلا أنّ الشياطين كانوا

(١) انظر: مونتغمري واط، محمد پیامبر سیاستمدار، ترجمة: إسماعيل ولي زاده، ص ٧٦ - ٨٣.

(٢) انظر: أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المصباح المنير، ص ٥٨٢. وأحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٢٧٦.

(٣) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، لسان العرب، ج ١٥، ص ٢٩٥.

(٤) القصص: ٨٢.

(٥) النجم: ٢٤. وكذلك الآيات ٩٤ و ٩٥ و ١١١ من سورة البقرة، والآية ١٤٣ من سورة آل عمران، والآية ٢٢ و ١٢٣ من سورة النساء، والآية ٦ و ٧ من سورة الجمعة.

(٦) من قبيل: (تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور على الرسل). انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ٨، ص ٢٩٢.

يحولون دون ذلك بشئى الطرق، ويمنعون الناس من الإيمان^(١).

وثانياً: على فرض أن يكون معنى (الأمنية) هو التلاوة، إلا أن الآية الشريفة حتى على هذا الاحتمال لا تدلّ على تدخل الشيطان في الوحي، بل إن معنى هذه الآية هو أن النبي الأكرم (ﷺ) عندما يتلو القرآن على الناس، تبادر شياطين الإنس متمثلة بالمشركين إلى إلقاء الشبهات فيها. من باب المثال كانوا يقولون للناس بشأن قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾^(٢): (إن محمداً إذا باشر ذبح بهيمة بنفسه، أحلها. وأما إذا ذبحت للآلهة فإنه يحرمها)^(٣). أو عندما كان الأنبياء (عليهم السلام) يتلون الآيات الإلهية للناس، كان شياطين الإنس يلقون بكلامهم في طيات كلام الأنبياء ليشغلوا الناس عن الاستماع لكلامهم^(٤). وقد تحدّث القرآن الكريم عن هذا النوع من سلوك المشركين تجاه النبي الأكرم (ﷺ) إذ يقول: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾^(٥).

على هذا الأساس وطبقاً لما تقدم، فعلى فرض صحة هذه القصة يحتمل

(١) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٢٤٩. ومحمد تقي مصباح اليزدي، راه وراهنا شناسي، ص١٧٣ - ١٧٤. وفخر الدين محمد بن عمر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج٢٣، ص٥٠.

(٢) المائة: ٣.

(٣) عبد المنعم أحمد تغليب، فتح الرحمان، ج٤، ص٢٢٤٨.

(٤) انظر في هذا الشأن: محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٧، ص٣٢٩. وفخر الدين محمد بن عمر الرازي، عصمة الأنبياء، ص٦٦ - ٦٨. وأبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٧ - ٨، ص١٤٥ - ١٤٦. وناصر مكارم الشيرازي ومساعدوه، بيام قرآن، ج٧، ص١٦٦ - ١٦٧.

(٥) فصلت: ٢٦.

أن يكون المشركون قد عمدوا - أثناء تلاوة النبي الأكرم (ﷺ) قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ - إلى رفع أصواتهم قائلين: (تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى). إلا أن الله أبطل سعيهم.

وأما نص أسطورة الغرائيق فهو في غاية الاختلاف^(١)، مما يثبت اختلافه ووضعه من قبل الوضاعين؛ وعليه لا يصح الاعتماد عليه؛ إذ أولاً: إن سندها ينتهي إلى ابن عباس، ولم يكن له من العمر عند نزول سورة النجم سوى ثلاث سنوات^(٢). أما الرواة الآخرون لهذه الأسطورة فهم: محمد بن كعب بن سليم القرظي (وقد ولد عام ٤٠ للهجرة)، وأبو العالية البراء (توفي عام ٩٠ من الهجرة)، وسعيد بن جبير، وكلهم من التابعين، فلم يدركوا رسول الله (ﷺ)، فلا يمكن أن يكونوا قد شهدوا القصة. وهكذا الأمر بالنسبة إلى سائر الرواة الآخرين^(٣). وقد ذهب علماء الشيعة والمحققون من أهل السنة إلى تضعيف سند هذه القصة، وقالوا ببطلانها^(٤).

(١) انظر: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تفسير مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج ٢٣، ص ٥٠. ومحمد بن أحمد القرظي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٢، ص ٨٠. وإسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٦٥٥. وسيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٤٢٣ - ٢٤٢٣.

(٢) حيث ولد ابن عباس قبل ثلاث سنوات من الهجرة. (انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ٩٥)، وإن رواية هذه الأسطورة يرون حدوثها في مكة المكرمة قبل الهجرة إلى المدينة المنورة.

(٣) السيد مرتضى العسكري، أحاديث أم المؤمنين عائشة، ص ٣١٧.

(٤) وقد أحصى العلامة محمد جواد البلاغي عدة صيغ لهذه الأسطورة، وهي كالاتي:

١ - إن النبي الأكرم (ﷺ) قرأ هذه العبارة: ١ - أثناء الصلاة. ٢ - عندما كان جالساً مع قومه. ٢ - كان ينادي نفسه.

وثانياً: إن هذه الأسطورة تنافى الكثير من الآيات الناظرة إلى عصمة الأنبياء في مسألة الوحي، ومن بينها الآيات التي استهلكت ذات هذه السورة، التي تنفي الزيغ والانحراف عن ساحة رسول الله (ﷺ)، وترى أنه لا يحيد عن الوحي في تلاوة القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(١).

وثالثاً: إن أسلوب القرآن الكريم وسيرة النبي الأكرم (ﷺ) تثبتان خلاف ذلك، فإن رسول الله لم يتهاون في محاربة الشرك لحظة واحدة، وإن القرآن الكريم قبّح الأصنام وعبادتها في الكثير من الآيات، بما في ذلك آيات من هذه السورة نفسها، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾^(٢).

خلاصة الدرس

١- لقد أثبتت الأدلة العقلية والآيات والروايات أن ملائكة الوحي والأنبياء (عليهم السلام) في أخذهم للوحي وحفظه وتبليغه معصومون من الخطأ عمداً وسهواً.

ب - إن النبي قرأ هذه العبارة بعد تلاوة قوله تعالى: ١- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَمِعْتُ أَنبَأَ الْوَحْيِ مُبْتَسِماً﴾ النجم: ٢٠ - ٢٢.

ج - هناك اختلاف في صيغ عبارة هذه الأسطورة، من قبيل: ١- (إنهن لفي الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى). ٢- تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى). ٣- (إنهن الغرائيق العلى، إن شفاعتهن لترتجى). ٤- (تلك الغرائيق العلى، وشفاعتهن ترتضى، ومثلهن لا يُنسى). (انظر: العلامة محمد جواد البلاغي، الهدى إلى دين المصطفى، ج ١، ص ١٦٩). كما جاء نقل بعض هذه الصيغ في الدر المنثور، ج ٦، ص ٦٥ - ٦٩.

(١) النجم: ٢ - ٤.

(٢) النجم: ٢٢.

وأن بمقدورهم المحافظة على الوحي من تلاعب الآخرين.

٢- إن الأدلة العقلية تدلّ على سلامة الوحي؛ لأنّ عدم الاطمئنان إلى سلامة الوحي يؤدي إلى سلب الثقة عنه، فلن يُحقق الوحي غايته، وهذا مخالف للحكمة الإلهية.

٣- إنّ للإعجاز دلالة عقلية على سلامة الوحي؛ لأنّ الناس يؤمنون بكلّ ما ينسبه مجترح المعجزة إلى الله سبحانه وتعالى؛ وعليه فطبقاً للحكمة الإلهية يجب على الأنبياء (أصحاب المعاجز) أن يوصلوا الوحي إلى الناس سالماً من أيّ نقصٍ أو زيادة، وإلّا وقع الناس في الخطأ، وهو مخالف للحكمة الإلهية.

٤- هناك آيات كثيرة تدلّ على سلامة الوحي من ناحية الملائكة، ومن بينها: الآيات التي تدلّ على اعتبار الملائكة عباداً مكرمين، والآيات التي تعتبر ملك الوحي قوياً ومتيناً ومطيعاً وأميناً، والآيات الناظرة إلى إشراف الله على أداء ملائكة الوحي إلى حين وصوله إلى غايته.

٥- ندرك من خلال الكثير من الروايات سلامة الوحي من ناحية ملك الوحي. فبعضها يدلّ على عصمة جميع الملائكة، وبعضها الآخر يدلّ على عصمة ملك الوحي، أو سلامة الوحي من ناحيته.

٦- هناك آيات كثيرة تدلّ مباشرة على سلامة الوحي من ناحية الأنبياء، ومن بينها: الآيات الناظرة إلى الإشراف الإلهي على أداء الأنبياء فيما يتعلق بالوحي، والآيات التي تصف الأنبياء بأنهم وسيلة لإتمام الحجّة، ورفع الاختلاف.

٧- هناك آيات أخرى تدلّ على سلامة الوحي من ناحية الأنبياء بشكلٍ غير مباشر، ومن بينها الآيات الناظرة إلى ضرورة الاتباع المطلق للأنبياء، والآيات التي تدلّ على أنّ الأنبياء لا يدعون إلى غير ما أمر به الله تعالى، وأنّ

ما يقوله النبيّ وحي، وأنه لا يتبع غير الوحي.

٨- إنّ عناصر سلامة الوحي عبارة عن:

١- الحصول على الوحي بشكلٍ واضح ومن خلال العلم الحضورى الذي لا مجال فيه للشك.

٢- أمانة الملك وقدرته في الحفاظ على الوحي من تلاعب المتلاعبين.

٣- الاهتمام الدائم والمستمر بالوحي من قبل الأنبياء (عليهم السلام).

٤- تسليح الأنبياء بدرجة عالية من الوعي والإرادة القوية.

٩- هناك من ذهب - خلافاً لما تقدم من الأدلة والشواهد والأدلة العقلية -

إلى القول بعدم سلامة الوحي، مستنداً إلى بعض القصص والآيات، إلا أنّ تلك القصص مختلفة، وأمّا الآيات فليس فيها ما يدلّ على عدم سلامة الوحي.

أسئلة نموذجية

١- اذكر دليلاً عقلياً على سلامة الوحي من التحريف.

٢- أثبت سلامة الوحي من ناحية الملك، مستشهداً لذلك بآية من القرآن

الكريم.

٣- كيف تدلّ الآيات الناضرة إلى إتمام الحجّة على سلامة الوحي من

ناحية الأنبياء (عليهم السلام)؟

٤- اذكر كيفية دلالة الآيات الناضرة إلى ضرورة الاتّباع المطلق للأنبياء

على سلامة الوحي.

٥- ما هو مكمّن السرّ في سلامة الوحي من التحريف؟

٦- أجب عن الشبهة القائلة بتشكيك الأنبياء (عليهم السلام) في الوحي.

٧- أجب عن الشبهة القائلة بتدخل الشيطان في عملية إبلاغ الوحي إلى الناس من قبل الأنبياء (عليهم السلام).

واحة المصادر

- ١- العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٢٤٩ - ٢٥١، وج ٣، ص ١٩٣ - ٢٠٢.
- ٢- الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، راه وراهنما شناسي، ص ١٤٧ - ١٩٧.
- ٣- السيد مرتضى علم الهدى، تنزيه الأنبياء والأئمة، ص ٢٠ - ١٠٠.

تحقيق

بعد إثبات عصمة الأنبياء (عليهم السلام) واطمئنانهم إلى الوحي، ما هو السبب الذي يدعو النبي زكريا (عليه السلام) - حين بشره الملك بولادة يحيى (عليه السلام) - أن يطالب الله سبحانه وتعالى بآية وعلامة، على ما تشير إليه الآية الحادية والأربعون من سورة آل عمران؟



الدرس الثاني عشر

دور النبيِّ والمَلَك في الوحي

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

- ١- أن يتعرّف على رأس ملائكة الوحي، وكيفية تلقيه للوحي.
 - ٢- أن يتمكن من بيان دور الأنبياء في جميع أقسام الوحي.
 - ٣- أن يتعرّف على مختلف أشكال الوحي التي يأتي بها ملك الوحي إلى النبي الأكرم (ﷺ).
 - ٤- أن يتمكن من شرح مختلف حالات النبي الأكرم (ﷺ) عند نزول الوحي عليه.
- قال العلامة الطباطبائي: (تدلّ الآيات على أنّ النبي الأكرم (ﷺ) في تلقي الوحي حاله حال جبرئيل (عليه السلام)، فكما أنّ دور جبرئيل يتلخص في التلقي والطاعة، كذلك يكون دور النبي الأكرم، إذ يقتصر على كون قلبه وعاءً للوحي، وكونه مأموراً بتبليغ ما ينزل على قلبه إلى الناس).
- اتضح من تضايع البحوث السابقة أنّ الله سبحانه وتعالى ينزل الوحي على الأنبياء بمختلف الأشكال، ومن بين تلك الأشكال أن يجعل الله بينه وبين البشر وسيطاً أو وسطاء من الملائكة لحمل الوحي إلى النبي؛ وعليه ففي وحي الله إلى الأنبياء، هناك مضافاً إلى النبي (ﷺ)، ملكٌ أو مجموعة من الملائكة. ويجدر بنا في هذا المقام أن نبحث في دور الأنبياء والملائكة في مسألة الوحي.

الملائكة

إنَّ وجود الملائكة من مسلّمات الدين الإسلامي، بل وجميع الشرائع السماوية^(١). والملائكة كائنات مجردة^(٢) وعاقلة ومدركة، كما هم عبادٌ مكرمون عند الله، ومبرأون ومعصومون من الذنوب والأخطاء^(٣). كما تدلّ الآيات القرآنية على أنّ الملائكة وجودات غير مادية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِينٍ * فَلَمَّا رَأَى أَنِّي يُرِيدُهُمْ لَأَتَّصِلُ إِلَيْهِمْ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ﴾^(٤).

وبالالتفات إلى الآية الآتية، ندرك أنّ المراد من (الرسل) في الآيات المتقدمة هم الملائكة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا..﴾^(٥). وروى عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنّه قال: «اللهم أغنيتهم عن الطعام والشراب بتقديسك»^(٦).

وروى عن ابن عباس أنّه قال: إنّ عبد الله بن سلام سأل النبي الأكرم

(١) فيما يتعلق بحقيقة الملائكة، انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الرسائل التوحيدية، ص ١٤٢ - ١٥٠. ومحمد تقى مصباح اليزدي، معارف قرآن (١ - ٣) خدا شناسي، كيهان شناسي، انسان شناسي، ص ١٨٢ - ١٩٥. وعلي رضا رجالي طهراني، فرشتگان، ص ٩١ - ١٦١.

(٢) انظر: حسن حسن زاده الأملي، نصوص الحكم بر شرح فصوص الحكم، ص ٣٦٥ - ٣٧٠.

(٣) انظر: الأنبياء: ٢٦. لقد تحدّثنا حول عصمة الملائكة في الدرس السابق، فراجع.

(٤) هود: ٦٩ - ٧٠.

(٥) الحج: ٧٥.

(٦) الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث.

﴿عَلَيْهِ﴾ عن طعام جبرئيل (عَلَيْهِ)، فقال: «طعامه التسبيح، وشرابه التهليل»^(١).

من هنا ندرك أن الملائكة تستمد قواها وطاقاتها من ذكر الله وتسبيحه، كما يستمد الإنسان قواه وطاقاته من تناول الطعام والشراب، وإن إسرافيل وجبرئيل وميكائيل (عَلَيْهِمْ) سادة الملائكة^(٢)، وإن إسرافيل يحتل المرتبة الأولى، ويأتي جبرئيل ليحل بعده في المرتبة الثانية^(٣).

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى مهام مختلفة للملائكة، يمكن بيانها على النحو الآتي:

- حمل عرش الله: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾^(٤).

- تدبير الأمور: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتُ أَمْرًا﴾^(٥).

- قبض أرواح الناس: ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ﴾^(٦).

- الإشراف والرقابة على أعمال الناس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كَرَامًا

(١) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ٢٥٣.

(٢) انظر: المصدر المتقدم.

(٣) روي عن النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أنه روى عن جبرئيل أنه قال: «هذا إسرافيل .. أقرب خلق

الله منه .. وإني لأقرب الخلق منه». علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٨.

وكذلك انظر: صدر الدين محمد الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج ٧، ص ٢٦.

(٤) الحاقة: ١٧.

(٥) النازعات: ٥.

(٦) الأعراف: ٣٧.

كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ .

- حفظ الناس من الوقوع في المهالك: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾^(١) .

- إنزال العذاب والعقاب: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾^(٢) .

- مساعدة المؤمنين ومدّهم بالعون: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾^(٣) .

- إنزال الوحي الإلهي: ﴿يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِي﴾^(٤) .

وعليه فإنّ هذه الآيات بمجموعها تشعر، بل تدل على أنّ للملائكة أصنافاً وأنواعاً مختلفة، وهذا ما صرّحت به الروايات الشريفة أيضاً.

فقد أشار أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) إلى بعض أوصاف الملائكة حيث قال: «مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرُكِعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَضِبُونَ، وَصَافُونَ لَا يَتَرَايِلُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ، لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعَيُونِ، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلَا فَتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةُ النَّسْيَانِ. وَمِنْهُمْ أَمْنَاءٌ عَلَىٰ وَحْيِهِ، وَأَسِيْنَةٌ إِلَىٰ رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ. وَمِنْهُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ. وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي

(١) الانفطار: ١٠ - ١٢ .

(٢) الأنعام: ٦١ .

(٣) هود: ٧٧ .

(٤) الأحزاب: ٩ .

(٥) النحل: ٢ .

الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةَ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْتَاقُهُمْ، وَالخَارِجَةَ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَائِهِمْ، وَالْمُنَاسِبَةَ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَاقُهُمْ^(١).

أقسام ملائكة الوحي

هناك دلالة في القرآن الكريم على أن ملائكة الوحي على عدة مجموعات، وذلك حيث يقول تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾^(٢).

يتضح من هذه الآيات أن ملائكة الوحي على ثلاثة مجموعات، وهي كالاتي^(٣):

المجموعة الأولى: التي تصطف لحمل العرش، وهم الذين عبّر عنهم في الآية الشريفة بـ ﴿الصَّافَّاتِ صَفًّا﴾. وقد ذكر الله هذه المجموعة بالتكريم والتبجيل، وذلك إذ يقول: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾^(٤).

المجموعة الثانية: حماة الوحي وحفظته، وهم الذين عبّر عنهم في الآية الشريفة بـ ﴿الزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾. كما دلت بعض الروايات أن بعض السور واكبها عدد كثير من الملائكة^(٥). من ذلك ما روي عن أبي بن كعب عن

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

(٢) الصافات: ١ - ٣.

(٣) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ١٢٥ - ١٢٦، وج ٢٠، ص ٢٠٦.

(٤) عبس: ١٣ - ١٦.

(٥) ورد في بعض الروايات أن (آية الكرسي)، وسورة (يس) رافقهما ثلاثون ألفاً من الملائكة.

النبي الأكرم (ﷺ) أنه قال:

«أنزلت علي الأنعام جملة واحدة، يُشيعها سبعون ألف ملك»^(١).

المجموعة الثالثة: الذين يتلون الوحي على مسامع رسول الله (ﷺ)، وهم الذين عبّر عنهم في الآية الشريفة بـ ﴿التَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾.

جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَام) سيد ملائكة الوحي

يتضح من بعض آيات القرآن الكريم أنّ جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَام) هو سيد الملائكة الموكّلين بحمل الوحي، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ﴾^(٢).

فإنّ كلمة (مطاع) في هذه الآيات تدلّ على أنّ هناك ملك يأتي بالوحي، وهو يحمل صفة أمير على سائر الملائكة الآخرين، وأنّ على سائر الملائكة أن تطيع له في مسألة الوحي. وهناك آية أخرى تعرّف جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَام) بوصفه مُنْزِلَ الْقُرْآنِ عَلَى النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ (ﷺ)، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيْلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

أما الآية الآتية فتقول: إنّ الذي يُنْزِلُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هو روح القدس، إلا أنّ الروايات فسّرتّه بأنّه جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَام)، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٤).

انظر: جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، النوع الرابع عشر.

(١) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٥، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، بيروت، ٢٠٠٩م.

(٢) التكويز: ١٩ - ٢١.

(٣) البقرة: ٩٧. وكذلك انظر: الشعراء: ١٩٢ - ١٩٣.

(٤) النحل: ١٠٢.

وقد وصف القرآن الكريم جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في آيات أخرى بالقوة^(١)، والمكانة العالية عند الله تعالى^(٢)، والأمانة^(٣)، والقداسة^(٤)، والكرامة^(٥).

دور الملك في مسألة الوحي

إن دور جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) والملائكة الآخرين فيما يتعلق بالوحي تنحصر في تلقي كلام الله وإبلاغه إلى النبي^(٦)، فإن ما يسمعه النبي من الملك هو كلام الله سبحانه وتعالى^(٧)، وليس لجبرئيل أن يضيف عليه أو يُنقص منه، بل يقتصر دوره على إنزال وحي الله بإذنه كما هو. قال تعالى: ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(٨).

كيفية استلام الوحي من قبل الملك

حيث أدركنا أن جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كان مجرد قناة لنقل الوحي إلى النبي، يفرض هذا التساؤل علينا نفسه: من أي جهة يتلقى جبرئيل الوحي؟ هناك ثلاثة آراء في هذا الشأن، وهي:

(١) التكوير: ٢٠. ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾.

(٢) التكوير: ٢٠. ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾.

(٣) الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤. ﴿نُزِّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.

(٤) النحل: ١٠٢. ﴿قُلْ نُزِّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾.

(٥) التكوير: ١٩. ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.

(٦) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٣١. ومحمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ١، ص ٤٨. ومحمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص ٨٠.

(٧) العلامة محمد حسين الطباطبائي، قرآن در اسلام، ص ١٠٢.

(٨) مريم: ٦٤.

الرأي الأول: إنَّ ملكَ الوحي - كما هو الحال بالنسبة إلى النبيّ (في أحد أقسام الوحي) - يتلقى الوحي عن الله من خلال واسطة^(١).

الرأي الثاني: إنَّ ملكَ الوحي يتلقى الوحي من ملكٍ آخر^(٢)، (تذهب بعض الآراء إلى القول بأنه إسرافيل)^(٣).

الرأي الثالث: إنَّ جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يتلقى الوحي من اللوح المحفوظ مباشرة^(٤).

فإنَّ كيفية تلقي جبرئيل للوحي ووجود واسطة بينه وبين الله عزَّ وجلَّ من الأمور الغيبية التي لا طريق لنا إلى إدراكها إلا من خلال النصوص القرآنية أو الروايات المأثورة عن المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ). أمَّا القرآن الكريم فليس فيه إشارة صريحة وواضحة في كيفية تلقي جبرئيل للوحي، وما إذا كان هناك واسطة بينه وبين الله، أم ليس هناك مثل هذه الواسطة. فإنَّ الآيات الناظرة إلى نزول الوحي القرآني بواسطة جبرئيل إنما تُشير إلى مبدأ الوحي فقط، فهي ساكنة عن وجود أو عدم الواسطة بين الله وبين جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ). من قبيل قوله تعالى:

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾^(٥).

(١) انظر: محمَّد بن النعمان العكبري، الاعتقادات، ص ١٢٠ - ١٢١. وعبد الكريم محمَّد المدرسي، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ص ١٠ - ١١.

(٢) انظر: فخر الدين محمَّد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج ٢٧، ص ١٨٩ وكذلك: محمَّد تقي المدرسي، تفسير من هدى القرآن، ج ١٢، ص ١٢.

(٣) محمَّد بن علي بن الحسين الصدوق، توحيد الصدوق، ص ٣٦٤.

(٤) ذكر السيوطي ذلك كواحد من الآراء المطروحة. (انظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٥٧). وأمَّا الزرقاني فقد نسبته إلى (الطبيي). (انظر: محمَّد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، ج ١، ص ٤٧).

(٥) النحل: ١٠٢. وكذلك انظر: الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤.

وأما الروايات فهناك منها ما يُشير إلى كيفية تلقي جبرئيل الوحي، وإن تلك الروايات على طائفتين، وإنَّ كلَّ واحدٍ من الرأيين المتقدمين يستند إلى إحدى هاتين الطائفتين^(١)، وهما:

روايات الطائفة الأولى

هناك من الروايات ما يدلّ على أنّ الله سبحانه يتكلم إلى جبرئيل مباشرة كما يتكلم مع الأنبياء في بعض صور الوحي وأقسامه، وأنَّ جبرئيل يتلقى الوحي من الله مباشرة^(٢). من ذلك ما رواه نؤاس بن سمعان مرفوعاً إلى النبي الأكرم (ﷺ)، أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْمُرَ بِأَمْرٍ تَكَلَّمَ بِهِ. فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهِ أَخَذَتْ السَّمَاءُ رَجْفَةً .. فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلَ السَّمَاءِ صَعَقُوا؛ فَيَخْرُونَ سَجْدًا؛ فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِئِيلُ؛ فَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَجْهِهِ بِمَا أَرَادَ .. فَيَنْتَهِي جِبْرِئِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ»^(٣).

وشبَّه بهذه الرواية، ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفْعَلْ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(٤)، أنه قال: «وذلك أنّ أهل السماوات لم يسمِعوا وحياً فيما بين أن بعث عيسى بن مريم (عليه السلام) إلى أن بعث محمد (ﷺ). فلما بعث الله جبرئيل إلى محمد (ﷺ)، سمع أهل السماوات صوت وحي القرآن كوقوع الحديد على الصفا؛ فصعق أهل السماوات فلما فرغ من الوحي انحدر جبرئيل كلما مرّ بأهل السماء فُزِعَ عن قلوبهم يقول: كشف عن قلوبهم، فقال

(١) انظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، ج ١، ص ٤٧ - ٤٨.

(٢) انظر: عبد الكريم محمد المدرسي، مواهب الرحمان في تفسير القرآن، ص ١٠ - ١١.

(٣) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ٢، ص ٣٦، ح: ٣٠٢٨.

(٤) سياً: ٢٣.

بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، وهو العليُّ الكبير»^(١).

إنَّ ظاهر هاتين الروایتين يدلُّ على أنَّ الوحي إلى الملائكة كان يتمُّ عبر تكلم الله وسماعهم ذلك الكلام مباشرة.

روايات الطائفة الثانية

أمَّا الطائفة الثانية من الروايات فهي تؤيد الرأي الثاني؛ إذ تشير إلى تلقي جبرئيل الوحي من ملكٍ آخر. وقد اختلفت الروايات في تحديد هوية الملك الذي يتوسط بين الله عزَّ وجلَّ وبين جبرئيل (عليه السلام). فهناك منها ما يقول إنه إسرافيل، وإنه يأخذ الوحي من القلم واللوح^(٢) أو الملائكة في المراتب الأعلى. وفي رواية مشهورة بين أهل السنة والشيعه، عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: «سأل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) جبرئيل: فمن أين تأخذ الوحي؟ فقال: آخذه من إسرافيل. فقال: ومن أين يأخذه إسرافيل؟ قال: يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين. قال: فمن أين يأخذه ذلك الملك؟ قال: يُقذف في قلبه»^(٣).

وهناك من الروايات ما يحدد ميكائيل (عليه السلام) بوصفه مبلغ الوحي إلى جبرئيل (عليه السلام)، وأنه يتلقى الوحي بدوره من إسرافيل (عليه السلام)^(٤). من ذلك ما رواه ابن عباس من سؤال عبد الله بن سلام - أحد أئمة اليهود - النبي الأكرم

(١) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٥٩.

(٢) المصدر المتقدم، ج ٥٧، ص ٣٦٨.

(٣) محمد بن علي بن الحسين الصدوق، توحيد الصدوق، ص ٢٦٤.

(٤) انظر: العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٧٠. وهناك في سند بعض الأحاديث أنَّ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يتلقى الوحي من جبرئيل، وجبرئيل يتلقاه من ميكائيل، وميكائيل يتلقاه من إسرافيل، وإسرافيل يتلقاه من الله. (انظر: تاج الدين الشعيري، جامع الأحاديث، ص ٢٤٤).

(عَلَيْهِ السَّلَامُ)، على النحو الآتي: «قال عبد الله بن سلام للنبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فيما سأله: من أخبرك؟ قال النبي: جبرئيل. قال: عمَّن؟ قال: عن ميكائيل. قال: عمَّن؟ قال: عن القلم. قال: عمَّن؟ قال: عن رب العالمين. قال: صدقت»^(١).

ويذهب الشيخ الصدوق إلى الاعتقاد بأن بين عيني إسرافيل لوح يقرعه الله أثناء الوحي، فينظر فيه إسرافيل؛ فيقرأ ما فيه، ثم يبلغه إلى ميكائيل، ويبلغه ميكائيل إلى جبرئيل^(٢). وقد ارتضى العلامة المجلسي ما ذهب إليه الشيخ الصدوق، وأضاف: (يحتمل أن يكون المراد به اللوح المحفوظ، ويكون ذلك عند أول النزول إلى البيت المعمور، أو يكون المراد اللوح الذي ثبت فيه القرآن في السماء الرابعة، ولعله بعد نظر إسرافيل في اللوح على الوجهين يجد فيه علامة يعرف بها مقدار ما يلزمه إنزالها، أو يكون لوحاً آخر ينقش فيه شيء فشيء عند إرادة الوحي)^(٣).

وقال علي بن إبراهيم القمي في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾^(٤) وكيفية تلقي جبرئيل للوحي: (اللوح المحفوظ له طرفان: طرف على يمين العرش، وطرف على جبهة إسرافيل. فإذا تكلم الرب جل ذكره بالوحي، ضرب اللوح جبين إسرافيل؛ فينظر في اللوح، فيوحي بما في اللوح إلى جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَامُ))^(٥).

(١) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٦، ص٢٥٣.

(٢) محمد بن علي بن الحسين الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، ص٥٧.

(٣) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص٢٥٤.

(٤) البروج: ٢١ - ٢٢.

(٥) علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ج٢، ص٤١٤ - ٤٤٥.

ويحتمل قوياً أنّ الشيخ الصدوق والشيخ القمي قد أخذوا هذا المعنى من الحديث المروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) والذي رواه الشيخ القمي على النحو الآتي: حدّث جبرئيل (عليه السلام) النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) عن إسرافيل (عليه السلام) فقال: «اللوح بين عينيه من ياقوته حمراء، فإذا تكلمّ الربّ تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه، فنظر فيه ثمّ يُلقيه إلينا»^(١).

وقد عمد العلامة الطباطبائي إلى نقل كلام الشيخ القمي وقال: إنّ الروايات المذكورة في خصائص اللوح متنوّعة وكثيرة معتبراً إيّاها نوعاً من التمثيل^(٢).

وأما صدر المتألهين فذهب إلى القول بأنّ الملائكة على أصناف، فمنهم: ملائكة اللوح، وملائكة القلم. وإنّ ملائكة اللوح الذين يرأسهم إسرافيل، يتلقون الوحي من ملائكة القلم^(٣). وفي رواية أنّ أعوان إسرافيل هم ملائكة لوح الله^(٤).

الجمع بين هاتين الطائفتين من الروايات

يمكن الجمع بين هاتين الطائفتين من الروايات على النحو الآتي: إنّ الله سبحانه وتعالى يلقي الوحي إلى جبرئيل (عليه السلام) كما يلقيه إلى الأنبياء (عليهم السلام)، فتارةً يلقيه عليه مباشرة، وتارةً أخرى بواسطة الملك. توضيح ذلك: أولاً: إنّنا إذا أمعنا النظر في خصائص الملائكة، وبعض الروايات، ندرک

(١) المصدر المتقدم، ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٣٧٨.

(٣) صدر الدين محمد الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج ٧، ص ٢٦.

(٤) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣١٧ - ٣١٨.

أن بإمكان الملائكة أن تتلقى الوحي من الله سبحانه وتعالى بشكل مباشر؛ إذ الملائكة وجودات مجردة وصور علمية، وإن الله تعالى يفيض عليهم العلوم، لا أنها تنقش عليهم كما تنقش على الألواح، ولا أن يمتلكوا أذهاناً كأذهان البشر^(١). وهذا ما تدلّ عليه روايات الطائفة الأولى المتقدمة وبعض الروايات الأخرى. قال الإمام عليّ (عليه السلام) في جواب من سأله عن الملائكة: «صور عارية عن المواد، عارية عن القوة والاستعداد، تجلى لها فأشرقت..»^(٢).

يضاف إلى ذلك أن هناك آيات تؤيد القول بأن الله سبحانه وتعالى يتحدّث مع الملائكة بشكل مباشر، ومن دون واسطة. من قبيل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).
﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾^(٤).

وثانياً: على الرغم من قدرة الملائكة على تلقي الوحي من الله مباشرة، ولكن قد تقتضي الحكمة وبعض المصالح أو أهمية المورد - كما هو الحال بالنسبة إلى الوحي القرآني - أن ينزل الله الوحي إلى جبرئيل بواسطة ملك آخر. كما هو الحال بالنسبة إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) إذ ينزل الله عليه بعض الوحي القرآني بواسطة الملك رغم قدرته على تلقي الوحي مباشرة، وكما وقع له ذلك

(١) حسن حسن زاده الآملي، نصوص الحكم بر شرح فصوص الحكم، ص ٢٠٤.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٢٢٧. والعلامة محمد باقر المجلسي، بحار

الأنوار، ج ٤٠، ص ١٦٥.

(٣) البقرة: ٣٠.

(٤) الأنفال: ١٢.

بالفعل. وكما تقدم فإن هذا الأمر لا يتنافى وكون الوحي خفياً؛ وعليه لا يكون الإشكال الذي أورده الشيخ المفيد على الشيخ الطوسي - واعتباره شذوذ الروايات التي يستند إليها الصدوق (روايات الطائفة الأولى) بسبب خفاء الوحي، وقوله ببطلان الاعتقاد بوجود واسطة بين الله وجبرئيل - بشأن الوحي وارداً^(١).

النبي والوحي

إن الأنبياء (عليهم السلام) هم الذين يتلقون الوحي الإلهي، إلا أن ظاهر بعض الآيات يدل على أن القرآن الكريم قد نزل على سائر الناس، من قبيل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾^(٢).

فإن هذا النوع من الآيات لا يحمل أي دلالة على نزول الوحي على غير النبي مباشرة، بل إن أقصى ما ترمي إليه هو الإشارة إلى أن الغاية النهائية من إنزال الوحي هو الناس، وأن الهدف من ورائه هو هدايتهم، إلا أن هذا الأمر يتحقق بواسطة الأنبياء، فهم الذين يتلقونه، ويتولون عملية إيصاله إلى الناس. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾^(٣).

وبناءً على ذلك، فإن وظيفة الأنبياء - علاوةً على تلقي الوحي - تكمن في بيانه وإبلاغه إلى الناس أيضاً، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤).

وعلى هذا الأساس، فإن الأنبياء هم وحدهم الذين يتلقون الوحي الإلهي من

(١) محمد بن النعمان العكبري، الاعتقادات، ص ١٢٠ - ١٢١.

(٢) النساء: ١٧٤.

(٣) الجمعة: ٢.

(٤) النحل: ٤٤.

بين جميع بني البشر^(١)؛ وعليه فبعد البحث في دور (ملك الوحي)، تتحصر ضرورة البحث في دور الأنبياء في مسألة الوحي فقط. وهناك في هذا الشأن بعض الأمور:

الاستعداد الفطري لتلقي الوحي

إن بلوغ مقام النبوة وتلقي الوحي يحتاج إلى استعداد وكفاءة خاصة لا تتوفر إلا في عدد قليل من البشر، ويبدو من الآيات والروايات أن هذا الاستعداد فطري^(٢)، وأن ليس لسلوك الأنبياء دور في تحصيل ذلك الاستعداد^(٣). وأن الآيات في هذا الشأن على عدة طوائف:

الطائفة الأولى - الآيات التي تدل على اختيار الله سبحانه وتعالى للأنبياء، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٤). ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٥).

(١) إن ما أورده جلال الدين السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) تحت عنوان النوع العاشر: (فيما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة) يعني أن بعض الآيات قد نزلت مطابقة للكلام الجاري على ألسنة بعض الصحابة. وعلى فرض صحة هذه الدعوى - وهي ليست صحيحة - لا تعني نزول الوحي على هؤلاء الأشخاص.

(٢) قال العلامة الطباطبائي: (إن الأنبياء هم الأولياء الكاملون بالفطرة). العلامة محمد حسين الطباطبائي، الرسائل السبعة، ص ٢١٩.

(٣) قال صدر المتألهين في هذا الشأن: (فإن ذلك النبوة) مبدول. المبدأ والمعاد، ص ١٢٠. (وإن النبوة موهبة لا كسبية). المصدر المتقدم، ص ٦١٢. وكذلك انظر: محمد بن عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ترجمة: محمد بروين كتابادي، ج ١، ص ١٨١. ومحمد الغزالي، معارج القدس في مدارج علم النفس، ص ١٤٦. ومحمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص ١٩١ - ١٩٤.

(٤) آل عمران: ٣٣.

(٥) الحج: ٧٥.

الطائفة الثانية - الآيات التي تدل على أن نزول الملائكة على العباد، إنما يكون بإذن الله وإرادته، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(١). ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٢).

وقال تعالى في شأن رسول الله (ﷺ): ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٣).

الطائفة الثالثة - الآيات التي تدل على أن الأنبياء كانوا ينفون عن أنفسهم القدرة على اجتراح المعاجز حينما يسألهم الناس أن يأتوا بها، قائلين أن مقام النبوة إنما هو إعطاء وهبة من الله، من قبيل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤).

دور الأنبياء في مسألة الوحي

على الرغم من عدم كون الاستعداد إلى تحصيل الوحي وأصل مقام النبوة اكتسابياً، إلا أن بعض المقدمات إلى ذلك اكتسابية، ويجدر توظيف ذلك الاستعداد على أفضل وجه.

(١) يونس: ٢٠.

(٢) النحل: ٢.

(٣) الشورى: ٥٢.

(٤) إبراهيم: ١١.

ومن الروايات الواردة في هذا الشأن ما رواه الشيخ الكليني، عن النبي الأكرم (ﷺ)، أنه قال: «ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل .. ولا بعث الله نبياً، ولا رسولاً، حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من جميع عقول أُمَّته»^(١).

تدلّ هذه الرواية على أنّ الأنبياء كانوا يتمتعون باستعداد وعقل أفضل من عقول سائر بني قومهم، وهو استعداد وعقل موهوب لهم من الله تعالى. ولا بدّ - بالإضافة إلى ذلك - من أن يتعلّى النبي - كي يحصل على حقائق الوحي، وتبليغه إلى الناس - بالطهارة والنورانية والقدرة والكفاءة^(٢). وفي ذلك روي عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «إنّ الله وجد قلب محمد (ﷺ) أفضل القلوب وأوعاها، فاختره لنبوته»^(٣).

وقد ربط القرآن الكريم في بعض آياته الإتيان بالآيات التكوينية والتشريعية على يد النبي بإذن الله سبحانه وتعالى. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤).

يُستفاد من هذه الآية أنّه على الرغم من ارتباط الوحي والمعجزة بإذن الله وإرادته، فإنّ للأنبياء دوراً فيهما؛ إذ إنّها تعلق الإتيان بالمعجزة وتلقي الأنبياء للوحي بإذن الله، وإنّ هذا الإذن إنما يتحقق إذا كان مقتضي موجوداً، وأن

(١) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، كتاب العقل والجهل، ص ١٢، ح: ١١.

(٢) انظر: المصدر المتقدم، ص ١٧٢ - ١٧٣ وشهاب الدين السهروردي، مجموعة مصنفات شيخ الإشراق (التلويحات، التلويح الأول)، ج ١، ص ٩٥، وكذلك كتابه: سه رساله از شيخ اشراق، ص ٦٨.

(٣) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٠٥، ح: ٢.

(٤) غافر: ٧٨؛ والرعد: ٣٨.

يكون المانع مفقوداً^(١).

نقلت لنا كتب التاريخ والسير أن النبي الأكرم (ﷺ) كان قبل البعثة يتعبّد ويتهجّد في غار حراء أياماً طويلة^(٢). فهل يُعدّ هذا الأمر شاهداً على دور النبي في مسألة الوحي؟ اشرح ذلك.

ومن بين الشواهد على دور الأنبياء في تحقيق الوحي، أن رسول الله (ﷺ) كان في بداية البعثة أو قبلها يرى الوحي في منامه فقط. وطبقاً للمروي في الصحيح عن الإمام الباقر (ع) أنه قال: «أما النبي فهو الذي يرى في منامه .. ونحو ما كان رأى رسول الله (ﷺ) من أسباب النبوة قبل الوحي»^(٣). هناك من العلماء المسلمين من ذهب إلى اعتبار الوحي اكتسابياً إلى حدّ ما، رغم قوله بأنّ الوحي هداية تفوق العقول البشرية^(٤)، وربما كان مراده من ذلك أنّ النبي يجب أن يوظف هذه المواهب الإلهية ليكون أهلاً لتلقي الوحي الإلهي، وبالالتفات إلى هذه الحقيقة ذهب ابن خلدون إلى الاعتقاد بأنّ استعداد رسول الله (ﷺ) في تلقي الوحي استعداد تكاملي، وأنّ نزول الوحي يتطوّر ويتكامل بمرور الأزمنة، ويفدو تحمّله على رسول الله أيسر^(٥)؛ ولذلك كانت

(١) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٧٩ - ٨١. ولزيد من التوضيح بشأن (الإذن الإلهي) انظر: محمد تقي مصباح اليزدي، معارف قرآن، ج ١ - ٣ (خدا شناسي، كيهان شناسي، انسان شناسي)، ص ١٩٥ - ١٩٩.

(٢) انظر: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٤٨، وج ٣، ص ٦.

(٣) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب (الفرق بين الرسول والنبي)، ح: ٣. ص ٢٣١ - ٢٣٢، دار الأضواء، ط ١، بيروت، ١٩٩٢ م.

(٤) مرتضى المطهري، الأعمال الكاملة، ج ٢، (وحي ونبوت)، ص ١٩٢.

(٥) قال ابن خلدون في تبرير مقاله هذه: (انظر إلى ما نقل في نزول سورة براءة في غزوة تبوك،

الآيات والسور المدنية في الغالب أطول من الآيات والسور المكّية^(١)؛ ومن هناك كانت ظاهرة الطول والقصر في الآيات والسور من وجوه التمييز بين المكّي والمدني منها^(٢).

تقويه: من الضروري التنبية إلى أنّ القول بوجود دور تكميلي للنبي في مسألة نزول الوحي عليه لا يعني اعتبار الوحي تابعاً لإرادة النبي وأنه يكون طوع بنانه يستتزله متى شاء، كما تقدم أن ذكرنا هذا التوهم من بعض؛ إذ تصور أنّ الوحي تجربة نبوية، وأنّ الوحي والإسلام تابع ومتأثر بحالات النبي وظروفه^(٣). وقال في هذا الشأن: (كان نبي الإسلام ﷺ) تجربتان، وما الإسلام إلا ثمرة تينك التجريبتين: التجربة الخارجية، والتجربة الداخلية. وبمرور الأزمنة أصبح نبي الإسلام ﷺ أكثر خبرة ومهارة في كلتا التجريبتين، وغدا دينه أكمل وأكثر نضجاً^(٤).

(كان الوحي تابعاً له [النبي]، وليس النبي تابعاً للوحي)^(٥).

وأنها نزلت كلها أو أكثرها وهو يسير على ناقته بعد أن كان بمكّة ينزل عليه بعض السور من قصار المفصل في وقت، وينزل الباقي في حين آخر. وكذلك كان آخر ما نزل بالمدينة آية الدين وهي ما هي في الطول بعد أن كانت الآية تنزل بمكّة مثل آيات الرحمان والذاريات والمدثر والضحي والفرقان وأمثالها). محمد بن عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ٩٩، انتشارات استقلال، ط ١، طهران، ١٤١٠هـ.

(١) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) انظر: عبد القادر ملا حويش، بيان المعاني على حسب ترتيب النزول، ج ١، ص ٢١. وكذلك: مقدمة ابن خلدون، المصدر المتقدم.

(٣) انظر: عبد الكريم سروش، بسط تجربه نبوي، ص ١٣ - ٢٤.

(٤) المصدر المتقدم، ص ٢٤.

(٥) المصدر المتقدم، ص ١٣ - ١٤. وكذلك انظر: مقدمة الكتاب.

فإنّ هذا التفسير والتحليل للوحي ليس صحيحاً، فقد دلت الآيات والروايات على تبعية النبي للوحي، من قبيل قوله تعالى الذي خاطب فيه رسوله (ﷺ) فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾^(١).

عدم استقلال النبي في أمر الوحي

إنّ آيات القرآن الكريم إنّما تحصر دور الأنبياء في كونهم مجرد وسطاء لتلقي الوحي، وهو دور تكميلي وليس دوراً محورياً وأساسياً. وإنّ تلك الآيات على طوائف:

الطائفة الأولى: الآيات التي تنسب الوحي وإنزال القرآن إلى الله فقط، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾^(٢).

الطائفة الثانية: الآيات التي تصف النبي الأكرم (ﷺ) بأنه مجرد مستقبل للوحي، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾^(٣).

الطائفة الثالثة: الآيات التي تدل على عدم تمكن الأنبياء من استئزال الوحي وفقاً لرغبتهم ومشيتهم، وإنّ الوحي والمعجزة إنّما يتحققان للأنبياء بإذن من الله سبحانه وإرادته، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(٤).

(١) الأعراف: ٢٠٣. وانظر: يوسف: ٣، ويونس: ١٠٩، والإسراء: ٨٦، والحجر: ٨٧، والأحزاب: ٢، والزمر: ٢٣.

(٢) الإنسان: ٢٣. وكذلك انظر: يوسف: ٣، والحجر: ٨٧، والزمر: ٢٣.

(٣) النمل: ٦.

(٤) يونس: ٢٠. وكذلك انظر: إبراهيم: ١١، والأعراف: ٧١.

الطائفة الرابعة: الآيات التي تظهر أن نزول جبرئيل على الأنبياء لم يكن بإرادة منهم، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(١).

وقد روى ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) سأل جبرئيل فقال: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت الآية المتقدمة جواباً لسؤاله^(٢).

اختلاف دور النبي في مختلف أقسام الوحي وأنواعه

إن وساطة النبي تختلف باختلاف أقسام الوحي وأنواعه، فإن دور النبي في الوحي غير اللغوي وبيانه على شكل مفاهيم ملفوظة أكبر من دوره فيما لو نزل عليه الوحي ملفوظاً على صورة عبارات وكلمات مفهومة؛ إذ إن النبي في الحالة الأولى يقوم باللباس الحقائق المستقلة والمجردة قالباً لغوياً، في حين لا يتعدى أن يكون في الحالة الثانية واسطة بين الله والناس في نقل الألفاظ غير المادية وتلاوتها على الناس كما سمعها دون إضافة أو نقصان.

كما أن اختلاف أقسام الوحي (كونه مباشراً، أو من وراء حجاب، أو من خلال واسطة) يعود إلى اختلاف حالات النبي؛ إذ ليس لله حالات تختلف فيما بينها، فيناسبها أحياناً أن ينزل الوحي مباشرة، أو من خلال واسطة، أو من وراء حجاب، بل إن سبب اختلاف الوحي يعود إلى اختلاف حال من يستقبله^(٣).

أحوال الملك والنبي عند نزول الوحي

إن البحث في أحوال ملك الوحي والنبي أثناء نزول الوحي يشكل أحد

(١) مريم: ٦٤.

(٢) انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٨، ص ٣٥٩.

(٣) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الرسائل السبعة، ص ٢٢٠.

المسائل المهمة في باب الوحي، خاصةً بالالتفات إلى الاختلاف الماهوي بين النبي وبين الله والملك. إذ يطرح هذا التساؤل نفسه: كيف يتصل الأنبياء بالله سبحانه وتعالى؟ وكيف يكون التواصل بين النبي والملك؟ والجواب: إن النبي عند تلقي الوحي بشكل مباشر تحصل له حالة من الارتقاء، وعند ارتباط النبي بالملك تحصل حالة من التشابه بينهما، بأن يظهر هناك نوع من الاستحالة في أحد طرفي هذا الارتباط، فأحياناً يقترب الأنبياء من عالم الملائكة، وأحياناً تتمثل الملائكة في صور بشرية، وهذا ما صرح به بعض الأعلام حيث قال: (والتزليل له طريقان: أحدهما: إن رسول الله ﷺ انخلع من صورة البشرية إلى صورة الملكية، وأخذ من جبرئيل. والثاني: إن الملك انخلع إلى البشرية حتى يأخذ الرسول منه. والأول أصعب الحالين)^(١).

وعليه فإن لكل من النبي والملك أثناء نزول الوحي حالات متنوعة، نبحثها على النحو الآتي:

حالات الملك عند نزول الوحي

كان جبرئيل (عليه السلام) ينزل بالوحي على رسول الله ﷺ بإحدى صور ثلاث، هي كالاتي:

١- التمثيل التام^(٢): لقد تمثل جبرئيل (عليه السلام) للنبي وظهر له بشكله التام في

مواطنتين فقط، أحدهما في بداية البعثة، وقد أشار الله تعالى إلى هذا المورد

(١) محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ٢٩٠ - ٢٩١.

(٢) إن العلامة الطباطبائي يُنكر إمكان مشاهدة الملك على صورته، معتبراً ما تقوله الروايات بهذا الشأن مجرد تمثيل. انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٣٢٩. وقال في موضع آخر: (فإن الآيات لا تثبت أزيد من معاينة المثال كما هو ظاهر). المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٢.

بقوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ .. وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾^(١).

فما شاهده رسول الله (ﷺ) في الأفق كان هو جبرئيل^(٢)؛ إذ نزل عليه في غار حراء بالآيات الأولى من سورة العلق^(٣).

وأما الموضع الثاني، فحدث في معراج النبي الأكرم (ﷺ)، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى .. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفْتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾^(٤).

أشارت هذه الآية إلى أن رسول الله (ﷺ) قد شاهد جبرئيل في ليلة المعراج^(٥)؛ إذ لا تخلو هذه الآيات من أن يكون المشاهد واحداً من اثنين هما: الله أو جبرئيل، وحيث يستحيل الأول يتعين الثاني وهو جبرئيل، وهو من آيات الله العظيمة. كما يبدو هذا التفسير من رواية الإمام الرضا (عنه السلام) إذ يقول: «لقد رأى من آيات ربه الكبرى، فأيات الله غير الله»^(٦).

(١) التكويز: ١٩ و ٢٢.

(٢) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٩ - ١٠، ص ٦٧٦.

(٣) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ٢٥٠.

(٤) النجم: ٥ - ٧، ١١ - ١٤.

(٥) انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٩ - ١٠،

ص ٢٦٤. ومحمد بن محمد رضا القمي المشهدي، كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج ١٢،

ص ٤٨٣.

(٦) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٩٦، باب في إبطال الرؤية، ح: ٢.

٢- التشبّه بصورة دحية الكلبي^(١): طبقاً لبعض الروايات كان جبرئيل يتمثل أحياناً على صورة دحية الكلبي^(٢)، كما كان يتمثل للنبي إبراهيم ولوط (عليهما السلام)^(٣)، والسيدة مريم (عليها السلام)^(٤). وفي هذه الصورة كان جبرئيل لا يدخل على رسول الله حتى يستأذن، ويجلس بين يديه جلسة العبد في حضرة سيده؛ فيعلم النبي أنه جبرئيل وليس دحية الكلبي^(٥). وقد وصف النبي الأكرم (ﷺ) هذا النوع من ظهور جبرئيل بقوله: «وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»^(٦).

هذا وقد تشرف الإمام علي (عليه السلام)^(٧) والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)^(٨) برؤية جبرئيل (عليه السلام) على شكل دحية الكلبي عند رسول الله (ﷺ).

(١) دحية بن خليفة بن صروة من أصحاب رسول الله، كان يضرب به المثل في الحسن والجمال، توفي حوالي عام ٤٥ للهجرة. (انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ٣٣٧).

(٢) كان مجرد تمثيل وليس تبديلاً لماهية جبرئيل إلى ماهية بشرية. انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٢٤ - ٣٥. وحسن حسن زاده الأملي، نصوص الحكم بر شرح فصوص الحكم، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٣) انظر: هود: ٦٩ - ٨٠، والحجر: ٥١ - ٦٨.

(٤) انظر: مريم: ١٧.

(٥) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٥٦. وانظر في هذا الشأن: محمد ابن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ٢، ص ٥٧٨، ح: ٢٥، كتاب الدعاء، باب دعوات موجزات لجميع الحوائج والعلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٦٨، ح: ٢٩.

(٦) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٦١، ح: ١٢.

(٧) انظر: المصدر المتقدم، ج ٢٧، ص ٣٠٢.

(٨) انظر: المصدر المتقدم، ج ٤٣، ص ١٤٤.

وهناك من ذهب إلى الاعتقاد بأن طبيعة الإنسان حيث كانت جميلة، فقد تجسّد جبرئيل على شكل دحية الكلب الذي كان من أجمل أهل زمانه، ليكون أشبه بطبيعة الإنسان^(١).

ولابدّ من الالتفات إلى أنّ نزول جبرئيل على صورة دحية الكلب كان مجرد تمثيل، وليس هناك محذور عقلي من أن يتشبه الكائن الروحاني ويتجسّد في قالب كائن جسماني مثل الإنسان. وإنّ جبرئيل في هذه الموارد يبقى محتفظاً بحالته الروحانية ولا يتجرّد منها أبداً؛ إذ من المستحيل أن يتحوّل الكائن الروحاني كالمَلَك إلى إنسان مادي^(٢)، ولم يكن لدحية الكلب في هذا التجسّد أي دور، ولم يحدث أيّ تغيير في حياته الشخصية.

إذن، في هذا النوع من التمثيل لم تتحول روح إلى جسم، أو جسم إلى روح، من هنا بمجرد أن يغيب جبرئيل كان الجسد الذي تَمَّصه يغيب بغيابه أيضاً.

٣- خفاؤه عن نظر النبي: كان جبرئيل (عليه السلام) ينزل على النبي بالوحي بصورة خفية فليقي عليه الوحي دون أن يراه، وربما يكون النبي قد أشار إلى هذا النوع من الوحي حين قال: «أحياناً يأتيني الملك في مثل صلصلة الجرس»^(٣). «إنّ الروح القدس نفث في روعي»^(٤).

(١) محمد هادي معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ٦٢.

(٢) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٢٦ - ٢٨ وحسن حسن زاده الأملي، نصوص الحكم بر شرح فصوص الحكم.

(٣) جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٧، ص ٣٦٤.

(٤) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ٢، ص ٧٤، ح ٢، وشبيه بهذه الرواية ما في ج ٥، ص ٨٠، ح ١ و ٣ أيضاً.

حالات النبي أثناء نزول الوحي

كان يحدث للنبي عند نزول الوحي عليه مختلف الحالات التي تناسب كل واحدة منها ظروف مختلف أقسام الوحي وأنواعه. فكان منها ما هو سهل على النبي ومنها ما هو في غاية الصعوبة والمشقة. وتلك الحالات كالآتي:

١- الحالة الاعتيادية: في الموارد التي كان ينزل فيها جبرئيل (عليه السلام) على صورة دحية الكلبي، لا يظهر أي تغيير على النبي. وفي هذه الصورة يتلقى النبي الوحي ببسر تام. وقد روي عنه أنه قال في وصف هذا النوع من الوحي: «وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني؛ فأعي ما يقول»^(١).

٢- التعرّق واصفرار الوجه: وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بعض صور الوحي، يتفصد عرقاً حتى في الليلة الشتوية، ويتغير لونه^(٢). ويحتمل أن تكون هذه الحالة تحدث للنبي عند نزول الوحي عليه بواسطة الملك دون أن يراه؛ إذ يتعين على النبي في مثل هذه الحالة - كما سبق أن ذكرنا - أن يقترب من مرتبة الملائكة؛ ولذلك يتغير وضعه وتضطرب حالته. وقد وصف النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بنفسه هذا النوع من الوحي بأنه أشد أنواع الوحي، وذلك حيث قال (صلى الله عليه وآله): «أحياناً يأتيني الملك في مثل صلصلة الجرس وهو أشده .. وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً»^(٣).

٣- حالة الغشية: وهي الحالة التي تحدث للنبي عند نزول الوحي المباشر عليه أثناء اليقظة، وهو من شدة الوطأة على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بحيث

(١) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٦١، ح: ١٣.

(٢) المصدر المتقدم، ص ٢٦١.

(٣) جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٧، ص ٣٦٤.

كان يقول: «أحسنّ وأنّ روعي توشك أن تخرج من جسدي»^(١). وكان أصحاب النبي يرون تلك الحالة على شكل غشية تعتري النبي؛ إذ يكون النبي في تلك الحالة قد اتصل بذات الباري تعالى، فيأخذ عنه الوحي مباشرة، ويكون كلُّ اهتمامه منصباً عليه، متجرداً عن عالم المادة تمام التجرد^(٢). قال زرارة سألت الإمام الصادق (عليه السلام) عن الغشية التي كانت تعتري رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند نزول الوحي عليه؛ فقال: «ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذلك إذا تجلى الله له»^(٣).

خلاصة الدرس

- ١- إنّ وجود الملائكة من مسلّمات الشرائع السماوية، وهي كائنات مجردة، ومدركة، ومعصومة من المعاصي والأخطاء.
- ٢- تنقسم الملائكة إلى مجموعة تتكفل بتدبير الأمور التكوينية، ومجموعة أخرى تتكفل بأمر الوحي، وهذه المجموعة على ثلاثة أقسام: القائمون على إبلاغ الوحي، والقائمون على حفظه، والقائمون على تلاوته في حضرة النبي.
- ٣- إنّ جبرئيل (عليه السلام) هو سيّد ملائكة الوحي، وإنّ دوره في هذه المسألة ينحصر في إبلاغ الوحي إلى النبي.
- ٤- إنّ جبرئيل (عليه السلام) يتلقى الوحي تارةً من الله مباشرة، بينما يحصل عليه تارةً أخرى بواسطة ميكائيل أو إسرافيل.

(١) جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٤١.

(٢) انظر: عبد الله جوادي الأملي، تفسير موضوعي، ج ١، (قرآن در قرآن)، ص ٤٩.

(٣) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٢٥٦، ص ٢٥٦، ح: ٦.

٥- ليس للأنبياء دور في تحصيل الاستعداد للنبوّة، وأنّ دورهم في تلقي الوحي يتلخص في الوساطة. وفي الموارد التي لا يكون فيها الوحي لغويّاً يتسع إلى تحويل المفاهيم وصبها في قوالب لغويّة، وهي أكثر من موارد الوحي اللغوي.

٦- عند تلقي الوحي المباشر يحصل للنبيّ نوع من الارتقاء، وعند نزول جبرئيل بالوحي يتجلّى على شكل إنسان أو يتمثل للنبيّ بشكل تام.

٧- تعتري الأنبياء مختلف الحالات أثناء نزول الوحي عليهم، وإنّ اختلاف حالاتهم يعود إلى اختلاف أقسام الوحي.

٨- كان رسول الله (ﷺ) عند نزول الوحي عليه من قبل الملك يحتفظ بحالته الطبيعية، وعندما كان الملك يقذف الوحي في روعه أو ينفثه في قلبه، كان يتغيّر لونه ويتفصد عرقاً، وعندما يتلقى الوحي من الله مباشرة كان يُصاب بما يُشبه الغشية.

أسئلة نموذجية

١- اذكر أقسام الوحي الثلاثة مستعيناً بالقرآن الكريم.

٢- اشرح دور الملك في مسألة الوحي.

٣- من هو سيّد ملائكة الوحي، وكيف يتلقى الوحي؟

٤- ما هو دور النبيّ في مختلف أنواع الوحي؟

٥- ما هي الأنواع والأقسام التي ينزل بها الملك بالوحي على النبيّ الأكرم (ﷺ)؟

٦- اذكر مختلف حالات النبيّ الأكرم (ﷺ) أثناء نزول الوحي عليه.

واحة المصادر

- ١- عبد الله جوادي الآملي، تفسير موضوعي قرآن كريم، ج ١، قرآن در قرآن، قم، مركز نشر إسرائاء، ١٣٧٨ هـ ش، ص ٤٩ - ٥٠.
- ٢- حسن حسن زادة، نصوص الحكم بر شرح فصوص الحكم، طهران، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٧ هـ ق، ص ٢٠١ - ٢٠٦، و ٢٦٥ - ٣٨٩.
- ٣- علي رضا رجالي طهراني، فرشتگان، قم، انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، ١٣٧٨ هـ ش.

تحقيق

حَقَّق في سند الروايات المتعلقة بنزول جبرئيل (عَلَيْهِ السَّلَام) بالوحي على رسول الله (ﷺ)، متلبساً بصورة دحية الكلبي.



الدرس الثالث عشر

أزلية الوحي واستقلاله

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

- ١- أن يتمكن من الاستدلال على تعيّن الوحي في وقت سابق، واستقلاله عن العوامل البشريّة.
 - ٢- أن يتعرّف على مختلف الآراء بشأن علاقة الوحي بالعوامل البشريّة.
 - ٣- أن يكتسب الخبرة والقدرة على نقد الآراء الباطلة.
 - ٤- أن يتمكن من تفسير بعض المفاهيم القرآنيّة التي يبدو من ظاهرها أنّها تخالف العلم.
- قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿حَمْدٌ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِلَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾^(١).

مقدمة

إنّ من المسائل التي تمسّ الحاجة إلى بحثها في باب الوحي، هو استقلال الوحي عن الأمور البشريّة. توضيح ذلك: إنّ الله سبحانه وتعالى إنّما ينزل الوحي من أجل هداية الإنسان ومساعدته في التعرّف على الهدف والغاية من خلقه، وتعبيد الطريق أمامه لبلوغ تلك الغاية؛ إذ يقول تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(١)، فقد اهتمّ الباري تعالى في الجملة ببعض الأمور البشريّة. وهنا يطرح هذا التساؤل نفسه: كيف كان يتمّ توظيف العناصر الإنسانيّة؟ وهل كان توظيف الوحي لتلك العوامل والعناصر في إطار التأثير بالمخاطب وهدايته، أم كان على شكل خضوع الوحي لها وتأثره وانفعاله بها؟

تتجلى أهميّة هذا البحث في أنّه - علاوةً على التأثير في معرفة الوحي بشكلٍ صحيح، بما في ذلك المباني التفسيرية في فهم النصوص السماوية - يقدم إجابة عن هذه الأسئلة في باب الوحي القرآني - لخلوده وشموليته^(٢) - على نحو أكبر؛ إذ من الممكن أن يقال: من خلال إثبات تأثر القرآن الكريم بالعناصر الإنسانيّة بسبب اختصاص تلك العناصر بالمخاطبين به في عصر النزول، سيقصر القرآن الكريم على أولئك الأفراد الذين كانوا يعيشون في تلك الحقبة الزمنية. وفي ظلّ إثبات استقلال الوحي سوف يتضح أنّ النصوص السماوية - ومنها القرآن الكريم

(١) النساء: ١٦٥. يتضح من هذه الآية أنّ المعرفة البشريّة الاعتيادية لا تكفي في التعرّف على الطريق المؤدي إلى الكمال الإنسانيّة. وهكذا انظر: طه: ١٣٤، فلو كانت المعرفة البشريّة تكفي لما صحّ هذا الاستدلال وهذا الاحتجاج، ولقيل لهم: لماذا لم توظفوا معرفتكم؟ وجاء في وصف القرآن الكريم: ﴿الرَّكَّابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾، إبراهيم: ١.

(٢) إذ يقول تعالى في الآية الثانية والخمسين من سورة القلم: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

- تخلو من أي كلام باطل وغير حقيقي أو واقعي.

ولكن قبل الخوض في بيان ومناقشة الآراء في هذه المسألة يجب التنبيه

إلى مسألتين:

الأولى - إننا في هذا البحث نأخذ منشأ سماوية الوحي - الذي أثبتناه في

الدرس الرابع - بوصفه مسألة وأصلاً بديهيًا، ونناقش الآراء في ضوء هذه المسألة البديهية؛ من هنا فإن الرأي القائل باعتبار الوحي من صنع النبي وعبقريته الذهنية خارجة عن بحثنا، وقد أثبتنا بطلانها.

الثانية - إن كلامنا لا يشمل الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد

لدى اليهود والنصارى؛ إذ كما سبق أن قلنا: إن الكتاب المقدس ليس جميعه من الوحي السماوي إلى الأنبياء^(١). كما يعترف العلماء النصارى بنسبة تأليف الأناجيل الراهنة إلى تلاميذ السيد المسيح (ﷺ)^(٢). وطبعاً إن هذه النسبة بدورها غير ثابتة أيضاً^(٣).

(١) فمثلاً جاء في التوراة في الفقرة الخامسة والسادسة من الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية: ﴿فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. وَدَفَنَهُ فِي الْجَوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فَعُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ﴾. فلا يمكن أن تكون هذه العبارات قد قالها النبي موسى، فضلاً عن أن تكون وحياً من الله عليه.

(٢) انظر: مريل سي. تني، معر في عهد جديد، ترجمة: طه ميكائيليان، ص ١٢٥ - ٢٢١. وتوماس ميشيل، كلام مسيحي، ترجمة: حسين توفيق، ص ٢٦ - ٢٧ و ٤٢ - ٤٧. وقد جاء في الصفحة الثانية والأربعين من هذا الكتاب: (إننا نحن المسيحيون لا نرى مؤلفي العهد الجديد (الأناجيل الأربعة) من الأنبياء، ولكننا نؤمن بأنهم قد كتبوا جميع ما كتبوا بإلهام من الله سبحانه وتعالى). إلا أنهم لم يأتوا على هذه الدعوى بأي دليل، بل أقيم الدليل على بطلانها. (انظر: رحمة الله خليل الرحمان الهندي، إظهار الحق، ص ١٦٠ - ١٩٩).

(٣) راجع الدرس الرابع (المنشأ السماوي للوحي).

الآراء

هناك فيما يتعلق بدور الأمور البشرية في الوحي عدة نظريات:

الأولى - إنَّ الوحي ما هو إلا انعكاس للغة والثقافة والمعتقدات السائدة بين الناس في عصر النزول.

الثانية - إنَّ الوحي قد تأثر باللغة والثقافة والمعتقدات السائدة بين الناس في عصر النزول.

الثالثة - إنَّ نزول الوحي إنما كان بلغة الناس، والاهتمام بالثقافة والمعتقدات السائدة بين الناس في عصر النزول، بعد إجراء عملية ترشيح عليها وتخليصها من الشوائب والأمور السلبية.

النظرية الأولى: الوحي انعكاس للغة وثقافة ومعتقدات الناس في عصر النزول

وفقاً لهذه الرؤية كان لتصورات وثقافة الناس في عصر النزول انعكاس في الوحي، وفي هذا السياق يرد الحديث عن المسائل غير الواقعية التي لم يؤيِّدها العلم في النصوص السماوية، وقد أقام أصحاب هذه الرؤية - مع تأكيدهم على نزول الوحي بلغة المخاطبين - تفسيرين مختلفين للغة، وقدموا دليلين على مدعاهم، وهما على النحو الآتي:

أ - اللغة انعكاس للتصورات الذهنية لدى الناس

إنَّ الوحي قد نزل بلغة بشرية، وإنَّ المفردات ليست انعكاساً مباشراً لعالم الخارج والواقع، بل هي شواهد تحكي عن (التصورات) والمفاهيم الراسخة في الشعور أو اللاشعور الذهني؛ من هنا فقد تحدّثت الكتب السماوية عن أمور لا وجود لها في عالم الخارج، فإذا تحدّث القرآن الكريم عن (الجنّ)، و(الحسد)، و(السحر)، فلأنَّ الناس في صدر الإسلام كانوا يؤمنون بوجودها؛ وعليه فإنَّ هذا النوع من المفردات المستعملة في القرآن إنما تدل على مفاهيمها الذهنية، من هنا لا يمكن الاستناد - في إثبات كون

السحر حقيقة - إلى رواية تذكر سحر اليهود للنبي الأكرم (ﷺ): إذ رغم إيمان الناس بالسحر في ذلك العصر، إلا أن إيمانهم لا يعني أن للسحر حقيقة واقعية، فالإيمان بالسحر شيء، ووجوده شيء آخر^(١).

الجواب

إن هذه النظرية لا يمكن أن تكون صحيحة إلا بناءً على نظرية (الدلالة)^(٢) في باب اللفظ والمعنى، والتي تقول بأن الألفاظ لا تدلّ على العالم الخارجي، وإنما تدلّ على المفاهيم الذهنية التي قد لا يكون لها مصداق في الخارج. في حين أن هذه النظرية باطلة، فقد وجهت لها الكثير من الإشكالات^(٣)؛ ومن بينها:

الأول - عندما يتمّ تطبيق الألفاظ على المفاهيم الذهنية، فإنّ عملية التفاهم ستكون عملية معقدة؛ إذ قد لا يكون هناك بين المتحاورين مفهوم مشترك فيما يتعلق باللفظ الواحد.

الثاني - إذا وضع اللفظ على المعنى الموجود في الذهن ومراد المتكلم، لا يفتقد بالإمكان الحديث عن صحّة أو خطأ كلام ما. فمثلاً إذا قيل: إنّ الماء مكوّن من ذرتين من الهيدروجين، وذرة من الأوكسجين، لا يمكن البحث

(١) نصر حامد أبو زيد، (تاريخية المفهوم المفلق والمبهم)، ترجمة وتحقيق: محمد تقي الكرمي، مجلة: نقد ونظر، العدد: ١٢، ص ٢٣٤، و٢٣٥، و٢٥٧، و٣٦٠.

(٢) وهي النظرية التي صدع بها العالم اللغوي السويدي (فردينان دي سوسور). انظر: (فرانك. ر. بالمر)، نكاهي تازة به معنى شناسي، ترجمة: كوروش صفوي، ص ٥٣ - ٥٥. وقد ارتضى نصر حامد أبو زيد هذا القول منه (انظر: نصر حامد أبو زيد، النصّ والسلطة والحقيقة، ص ٧٩).

(٣) المصدر المتقدّم.

فيما إذا كان هذا حقيقة واقعة، إذ لا يعلم مراد المتكلم وما يدور في ذهنه. لا يمكن القول: على الرغم من وضع الألفاظ على المفاهيم الذهنية، فإنها عند الاستعمال تنظر إلى ما بإزائها الخارجي؛ إذ لا يمكن للمفهوم الذهني أن تصدق على الخارج أبداً؛ فإن كلمة الشمس - مثلاً - مقيدة بكونها ذهنية، والمفهوم الذهني لا ينطبق على الخارج أبداً، إلا إذا حذفت الجهة الذهنية التي تشكل جزءاً منه، وفي هذه الصورة سيكون مجازياً وليس حقيقياً^(١).

كيف تحكي ألفاظ الوحي عن الذهن وليس الواقع، وذلك الذهن الذي تحكي عنه ألفاظ الوحي هو الذهن البشري المفعم بالأخطاء؛ في حين أن لازم ذلك بيان المعتقدات الخرافية دون إبطالها، وإيقاع الناس في الجهل. والحال أننا ذكرنا - فيما تقدم - أن هدف الوحي يكمن في هداية الناس، وقد وصف القرآن نفسه بكونه نوراً وكتاب هداية، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾^(٢). ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾^(٣). ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٤).

وثانياً: لم يتم دليل مقبول على كون الاعتقاد بوجود الجن والحسد مسألة خرافية، وإن عدم تأييد العلم لا يصح دليلاً على عدم كونها حقائق؛ لأنها مثل الكثير من المفاهيم خارجة عن دائرة العلوم التجريبية، فالعلوم

(١) محمد كاظم الخراساني، كفاية الأصول، ص ٣١.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) النساء: ١٧٤.

(٤) فصلت: ٤٢.

المعاصرة لا يمكنها إثبات حقيقة الوحي ومعجز الأنبياء والملائكة وعشرات المفاهيم الأخرى المذكورة في النصوص الدينية من خلال التجربة. أمّا الحسد فليس هناك ما يمنعه من الناحية العقلية، بل الشواهد الكثيرة تثبت التأثير السلبي لبعض الأفراد في نظرتهم وتسليط أبصارهم على الأشياء والأشخاص^(١). وقد قامت الروايات الشريفة أيضاً على إثبات التأثير السلبي للعين. فمثلاً روي عن النبي الأكرم (ﷺ) أنه قال: «لو كان شيء يسبق القدر لسبقه العين»^(٢). وروي عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: «الْعَيْنُ حَقٌّ»^(٣).

ب - اللغة مرآة الثقافة

في سياق إثبات هذه الرؤية تمّ الاستناد إلى آيتين من القرآن الكريم:

الآية الأولى، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(٤).

فإنّ استيعاب لغة القوم يعني استيعاب ثقافة القوم؛ إذ إنّ اللغة تشكل مرآة تعكس الصورة الثقافية والعقائدية للناطقين بتلك اللغة^(٥)؛ ومن هنا قد يتبلور الوحي وينصهر في ثقافة المخاطبين ومنظومتهم الاعتقادية، وقد تحتوي تلك المنظومة على أمور باطلّة في بعض جوانبها.

(١) في هذا الشأن انظر: علي درّي إصفهاني، (چشم های زهر آلود یا چشم زخم).

(٢) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٧٤، دار الأميرة، ط ١، بيروت، ٢٠٠٩م. كما رويت هذه الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً.

انظر: العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ٢٢٥.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة رقم: ٤٠٠.

(٤) إبراهيم: ٤.

(٥) هداية الله جليلي، (وحي در هم زباني يا بشر)، مجلة: كيان، العدد: ٢٢، ص ٤٠.

الجواب

إنّ دعوى أن يكون المراد من (اللسان) في الآية آتفة الذكر هي (الثقافة) المشتملة على الأعراف والتقاليد، دعوى باطلة وغير صحيحة، وذلك للأمور الآتية:

أولاً: إنّ كلمة (لسان) لغة تعني أداة (وعضو) التكلّم^(١)، ولغة التخاطب^(٢)، ولا يشمل الثقافة. قال ابن منظور الأفرقي في شرح قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾: أي: بلغة قومه^(٣).

وثانياً: إنّ استقراء استعمال هذه المفردة في القرآن الكريم، يثبت خلاف هذا الادعاء؛ إذ إنّ المراد منها في جميع مواطن استعمالها هو إما لغة التخاطب أو أدواته^(٤)، من قبيل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(٥). وقوله تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَفْجَلَ بِهِ﴾^(٦).

وثالثاً: ذهب المفسّرون بالاستلham من استعمالات القرآن لهذه المفردة إلى اعتبار (اللسان) هو اللغة. ومن هنا نجد العلامة الطباطبائي يقول في تعريف اللسان: (اللسان هو: اللغة)^(٧).

(١) اللسان: ما ينطق. (الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، مادة: لسن).

(٢) محمّد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، مادة: (لسن). وأحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (لَسَنَ).

(٣) محمّد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، مادة (لسن).

(٤) حسن المصطفى، التحقيق في كلمات القرآن، ج ١٠، ص ١٩١.

(٥) النحل: ١٠٣.

(٦) القيامة: ١٦. وانظر أيضاً: البلد: ٩؛ والنور: ٢٤.

(٧) العلامة محمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٢، ص ١٢.

وطبعاً سيأتي أن معنى اللسان لا يقتصر على المعنى الحقيقي للكلمة، بل يشمل حتى المجازات والكنائيات والأمثال والتشبيهات، ولغة التخاطب بشكل عام؛ وعلى هذا الأساس يكون المراد من هذه الآية هو: إن الأنبياء قد حملوا الوحي إلى أقوامهم بلغاتهم، لكي يتمكنوا من فهم محتواه، ومن هنا جاء التعليل في الآية بقوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾؛ وبالتالي سيتمكن المخاطب من فهم كلام نبيه دون اللجوء إلى ترجمان^(١). قال الشيخ الطوسي في تفسير هذه الآية: (أخبر الله تعالى أنه لم يرسل فيما مضى من الأزمان رسولاً إلى قومه إلا بلغة قومه، حتى إذا بين لهم فهموا عنه، ولا يحتاجون إلى من يترجم عنه)^(٢).

ورابعاً: إذا كان المراد من (اللسان) هو الثقافة، كان معنى الآية: (وما أرسلنا من رسول إلا بثقافة قومه)، فيؤمن بها بشكل كامل ولا يخالفها أبداً؛ وبالتالي سوف لا تكون للناس أية مشكلة مع النبي والوحي الذي يوافق ثقافتهم ولا يخالفها. في حين أن الواقع يشهد على خلاف ذلك، فإن جميع الأنبياء إنما بعثوا لينتفضوا على الواقع المريع والثقافة الخاطئة التي يزرع المجتمع تحت وطأتها، بل إن القرآن يحث على محاربة الطاغوت ويدعو الناس إلى مقاطعة الظلمة وعدم الركون إليهم، إلى جانب دعوتهم إلى التوحيد وعبادة الله، بوصف هاتين الدعوتين تقعان على سلم أولويات الأنبياء (عليهم السلام)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

(١) انظر: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، تفسير الآية الرابعة من سورة إبراهيم. وناصر مكارم الشيرازي وآخرين، تفسير نمونة، ج ١٠، ص ٢٦٩. وعبد الحسين الطيب، أطيب البيان، ج ٧، ص ٣٥٩.

(٢) محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ٢٤٦، دار الأميرة، ط ١، بيروت، ٢٠١٠م. ومثله أيضاً: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ٤٤، دار الأميرة، ط ١، بيروت، ٢٠٠٩م.

بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿١﴾ .

كما أن الأنبياء بدورهم إلى جانب دعوة الناس إلى الالتزام والانقياد إلى أوامر الله ونواهيه، كانوا يصرّون على مواجهة المفاصد المتفشية في عصرهم بدرجة أكبر، من باب المثال هناك آيات عديدة تشير إلى مواجهة النبي شعيب (عليه السلام) - بوصفه واحداً من الأنبياء - ظاهرة التطفيف وعدم الوفاء بالوزن، قال تعالى: ﴿وَأَلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴿١٦١﴾ . (إذ قال لهم شعيب ألا تتقون * إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين * أوفوا الكيل ولا تكوثوا من المخسرين * وزنوا بالقرسطاس المستقيم * ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) ﴿١٦٢﴾ .

وبسبب مخالفة جميع الأنبياء (عليهم السلام) للثقافة السائدة في قومهم، فقد تعرّضوا للتكذيب من قبلهم. وقد أشار القرآن الكريم إلى تكذيب بعض الأنبياء بشكلٍ محدد من قبل قومهم^(١)، وهناك آيات تشير أيضاً إلى اعتراض الناس على الكثير من الأنبياء، من قبيل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا

(١) النحل: ٣٦.

(٢) الأعراف: ٨٥.

(٣) الشعراء: ١٧٧ - ١٨٣.

(٤) انظر: سبأ: ٤٥، والشعراء: ١٠٥، ١٢٣، ١٤١، ١٦٠.

لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ^(١).

فإن التعبير ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يدل على مخالفة جميع الأمم التي جاءت بعد ثمود (قوم النبي صالح) لأنبيائهم، وهذا يدل على أن جميع الأنبياء (عليهم السلام) بعد النبي صالح (عليه السلام) قد واجهوا مخالفة من قبل أقوامهم. قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(٢).

الآية الثانية

إن الآية الآتية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بانعكاس ثقافة عصر نزول القرآن الكريم، وذلك حيث يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣).

الجواب

لقد فهمت كلمة (ذكركم) في هذه الآية على أنها تعني (كلامكم) وهو فهم خاطئ؛ وذلك لأنّ المعنى اللغوي لهذه الكلمة ليس هو الكلام أو اللغة، بل يعني (حفظ واستذكار الشيء)، و(الشرف)^(٤). كما أن المفسرين لم يذهبوا إلى تفسير كلمة (الذكر) في هذه الآية بـ (الكلام) أو (اللغة)، وإنما ذكروا لذلك معاني من قبيل: (شرفكم)، و(ما يليق بكم)^(٥)،

(١) إبراهيم: ٩.

(٢) فاطر: ٤. وكذلك انظر: آل عمران: ١٨٤، والأنعام: ٢٤.

(٣) الأنبياء: ١٠.

(٤) انظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: (ذكر).

(٥) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٢٠٨، تفسير سورة

و(أساس التذكّر، وحياء القلب، وحركة الفكر)^(١).

النظرية الثانية: تأثر الوحي بالثقافة والعقائد السائدة بين الناس في عصر النزول

أمّا النظرية الأخرى، فتقول: إنّ الوحي قد تأثر بالثقافة والمعتقدات السائدة في عصر النزول، وقد انعكست عليه، وقد تمّ بيان تأثر الوحي بثقافة ومعتقدات المخاطبين على شكلين مختلفين: الشكل الأول: مراعاة المصلحة. والشكل الثاني: اعتبار الوحي تجربة نبوية.

أ - مراعاة المصلحة في معالجة الواقع

وفقاً لهذه النظرية فإنّ الله سبحانه وتعالى قد راعى المصلحة في بيان الأحكام والمعارف من طريق الوحي، فأدخل في القرآن الكريم - من خلال إدراكه للظروف والأوضاع الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي في عصر النزول - بعض المعتقدات والأعراف والتقاليد الخاطئة من قبيل: الاعتقاد بالجنّ، والحسد، والسحر، ليتمكن النبي (ﷺ) من بيان الأحكام على نحو أفضل، ويبلغ الهدف الأساس من رسالته ألا وهو الدعوة إلى التوحيد وتجنّب الطاغوت على نحو أيسر^(٢).

الجواب

بالالتفات إلى صفات الباري تعالى فإنّ الله لم يُمالي، ولم يراع مثل هذه المصلحة المزعومة في الوحي، وإثما بين الواقع كما هو؛ إذ إنّ

الأنبياء، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٦م.

(١) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٠، ص ٨٢، تفسير سورة

الأنبياء، دار الأميرة، ط٢، بيروت، ٢٠٠٩م.

(٢) بهاء الدين خرّمشاهي، (بازتاب فرهنگ زمانه در قرآن كريم)، مجلة: بينات، السنة

الثانية، العدد: ١، التسلسل: ٥، ربيع عام: ١٣٧٤، ص ٩٢ - ٩٧.

للوحي دوراً رئيساً في نشر المعرفة^(١) وبيان الحق^(٢) والتفريق بين الحق والباطل^(٣). وإنّ تسرّب ما يخالف الواقع إلى القرآن يؤدي بالناس إلى الضلال، خاصةً فيما يتعلق بأصول العقائد، إذ يلزم من ذلك ألاّ يمتلك الناس في برهة من الزمن المستوى الكامل من الإيمان الذي يضمن سعادتهم، وهذا يتعارض والهدف من خلق الإنسان ورسالة الأنبياء (عليهم السلام)، وهو بعيد عن ساحة الله عزّ وجلّ؛ وعلى هذا الأساس فإنّ مراعاة الله للمصلحة في بيان الوحي وإنزاله على الأنبياء يجب ألاّ تؤدي إلى انحرافهم وضلالهم، وإنّ المطروح في هذه النظرية تترتب عليه الكثير من اللوازم^(٤).

إلاّ أنّ هناك من تلقى هذه النظرية حول القرآن الكريم بالقبول، واستشهد لذلك ببعض الآيات ظناً منه أنّها تحمل دلالة تأثر القرآن بثقافة عصر نزوله^(٥). وبالإضافة إلى بطلان هذا الفهم في قراءة القرآن، فإنّ القرآن نفسه في الكثير من آياته قد شجّب العقائد الباطلة والتقاليد الخاطئة التي

(١) النحل: ٨٩.

(٢) قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾ فاطر: ٣١، وكذلك انظر: آل

عمران: ٦٢، والمائدة: ٢٧، والقص: ١٣.

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ الطارق: ١٣.

(٤) انظر: محمود رجي، مباني تفسير قرآن كريم (كراسة تعليمية)، وطبعاً نحن لا نذكر أنّ يكون الله قد راعى المصلحة في بيان الوحي فيما يتعلق بمراعاة حال المخاطبين، وهذا ما سوف نشرحه إن شاء الله تعالى.

(٥) انظر: بهاء الدين خرمشاهي، (بازتاب فرهنگ زمانه در قرآن كريم)، مجلة: بينات، السنة الثانية، العدد: ١، التسلسل: ٥، ربيع عام: ١٣٧٤، ص ٩٥ - ٩٧. وهداية الله جليلي، (وحي در هم زباني با بشر)، مجلة: كيان، العدد: ٢٣، ص ٩٠. ومقصود فراستخواه، (قرآن آرا وانتظارات كوناكون)، مجلة: دانشگاه انقلاب، العدد: ١١٠، ص ١٢٧.

تسود المجتمع الجاهلي، من قبيل قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١). ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾^(٢).

يتضح من هذه الآيات أن القرآن الكريم لم يذكر أي أمر باطل، ولم يشتمل على شيء لا أساس له من الصحة؛ وعليه فإن ما يخبر به الله في القرآن الكريم من الوقائع هو حق وسيكتب له التحقق بالفعل، وما يُنشؤه سيعمل على طبقه ولن يتخلف عنه.

فإن بعض أنصار هذه النظرية ساقوا أدلة لإثبات مدعاهم، ومن ذلك قولهم: إن النبي الأكرم (ﷺ) كان يراعي مستوى عقول الناس في توجيه الكلام والخطاب إليهم^(٣)، فقد روي عن رسول الله أنه قال: «إننا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»^(٤).

الجواب: إن هذا الكلام غير صحيح؛ وذلك لأن مراد رسول الله (ﷺ) هو أن الأنبياء يتحدّثون إلى قومهم بمقدار ما يسعهم استيعابه من الأمور العلمية والعقلية، وهو أمر ضروري في عملية التبليغ الصحيح والناجح، إلا أن هذا لا يعني أن الوحي النازل على الأنبياء بما يسع الناس أن يفهموه قد احتوى على أمور تخالف الواقع، فإن اشتغال الكلام على أمور مفهومة للناس لا

(١) المائة: ٥٠.

(٢) الأحزاب: ٤.

(٣) انظر: مقصود فراستخواه، (قرآن آرا وانتظارات كوناكون)، مجلة: دانشگاه انقلاب، العدد: ١١٠، ص ١٣٦ فما بعد.

(٤) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، كتاب العقل والجهل، ح: ١٥، و ٣٩٤.

يعني اشتماله على الأمور الخاطئة والكاذبة.

كما استشهدوا لإثبات هذه النظرية بأمثلة من القرآن الكريم، يعود بعضها إلى اهتمام القرآن الكريم بالمناخ السائد، والاستفادة من القوالب اللغوية والتشبيهات التي يأنس بها المخاطب والسامع، والمفردات الدخيلة^(١). وكما سيأتي في معرض الكلام عن النظرية الثالثة فإننا نؤمن بهذه الموارد، ولكنها لا تصلح شاهداً على هذا المدعى. وإليك بعض النماذج الأخرى:

١- انعكاس بعض النظريات العلمية الخاطئة في القرآن الكريم، من قبيل نظرية بطليموس الفلكية، أي: الاعتقاد بثبات الأرض وحركة الشمس^(٢). وهناك آيات كثيرة أشارت إلى عدد السماوات وأنها سبعة، من قبيل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾^(٣).

الجواب

أولاً: إنَّ حمل الآيات القرآنيَّة على نظرية بطليموس الفلكية ونظائرها، إنما هو من أخطاء المفسرين؛ إذ ليس في القرآن الكريم بيان صريح بذلك، ليكون شاهداً على مدعى أنصار هذه النظرية. فمثلاً: إنَّ ما ورد في الآيات من وجود السماوات السبع (على فرض أن يكون المراد بهذا العدد هو الحصر دون الكثرة)، ليس فيه أيّ ذكرٍ للخصوصيات الأخرى الموجودة في نظرية

(١) مجلة: دانشگاه انقلاب، العدد: ١١٠، ص ١٤١.

(٢) بهاء الدين خرمشاهي، (بازتاب فرهنگ زمانه در قرين كريم)، مجلة: بينات، السنة الثانية، العدد: ١، التسلسل: ٥، ربيع عام: ١٣٧٤، ص ٩٥. وهداية الله جليلي، (وحي در هم زباني با بشر)، مجلة: كيان، العدد: ٢٣، ص ٩٠.

(٣) البقرة: ٢٩.

بطليموس، أو أنه لا يوجد بيان واضح في خصوصها.

وثانياً: يحتمل أن يكون المراد من كلمة (سبع) مجرد بيان الكثرة لا الحصر^(١). كما يحتمل ألا يكون المراد من (السماء) السماء المادية.

٢- إمضاء بعض القوانين والأحكام السائدة في المجتمع، الأمر الذي يشكّل تاييداً للثقافة والقوانين الشائعة بين القبائل العربية آنذاك، والتي قد تفقد موضوعيتها العملية في ذلك الإطار الخاص - بعد تغير الظروف الزمانية والمكانية - حتى من وجهة نظر المؤمنين بالقرآن، من قبيل: جلد ورجم الآثمين، وقيومة الرجل على المرأة، وتعدّد الزوجات، وفرض الحجاب على المرأة بشكله الخاص، وحرمة الربا؛ وعليه لو كتب على القرآن أن ينزل في عصرنا الراهن لأقرّ التقاليد والأعراف والقوانين المعاصرة النافعة والمؤثرة في تحسين الواقع الراهن^(٢).

الجواب: إنّ وجود بعض الأحكام الإمضائية في القرآن الكريم، لا يعني الاعتراف بالعقائد الخرافية والأساطير التي كانت سائدة بين العرب آنذاك، بل إنّ انعكاسها في القرآن الكريم إنّما كان بسبب تأثير المجتمع بالعناصر الثقافية الصحيحة التي هي في الغالب من تعاليم الأنبياء السابقين.

ب - تصوّر الوحي تجربة نبوية

سبق أن ذكرنا أنّ من بين الآراء التي طرحت بشأن الوحي اعتباره تجربة نبوية، ومن النتائج المترتبة على هذا التفسير - كما صرّح بذلك أصحاب هذه

(١) العلامة محمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص٢٧٤، و١٩،

ص٢٢٧. وناصر مكارم الشيرازي وآخرون، تفسير نمونه، ج١، ص١٦٥ - ١٦٧.

(٢) انظر: مقصود فراستخواه، (قرآن آرا وانتظارات كوناكون)، مجلة: دانشگاه انقلاب،

العدد: ١١٠، ص١٢٥.

النظرية أنفسهم - تأثر الوحي بالأمر ذات الصلة بالحياة الاجتماعية والسياسية للنبي، وما يصدر عن النبي بإزائها.

توضيح ذلك: إنَّ النبيَّ كانت له مواقف خاصّة تجاه الحوادث الاجتماعية، وقد كان بين مواقفه والأوضاع الاجتماعية علاقة أخذ وردّ، فالوحي يدفع إلى المجتمع شيئاً، ويأخذ منه شيئاً آخر؛ وبالتالي لا يكون للوحي مضمون ثابت، بل إنَّ الأوضاع الاجتماعية هي التي تحدّد مضمونه إلى حدّ ما، وإنَّ النبيَّ بمنزلة الأستاذ والمعلّم الذي يدخل قاعة الدرس، وهو يعلم إجمالاً المسائل العلمية التي يروم تعليمها إلى الطلاب، فإنَّ هذا المقدار من المسألة معلوم للأستاذ، إلاَّ أنّه لا يستطيع التكهّن بالتفاصيل التي ستسود قاعة الدرس بدقة، ولكنه في الوقت نفسه يلعب دوراً محورياً ومؤثراً في عملية التربية والتعليم^(١).

وقالوا بشأن النبيّ الأكرم (ﷺ) والوحي النازل عليه: (لقد كان وحي النبيّ وتجربته تلبية واستجابة للتساؤلات ووضع الحلول بإزاء المشاكل، ولم يكن مجرد أداء للتكليف، ووضع أيديولوجية جاهزة^(٢).. ولو كتب للنبيّ أن يعيش فترة أطول، وأن يتعرّض لحوادث اجتماعية وسياسية أكثر، كانت مواقفه - تبعاً لذلك - أكثر. وهذا هو معنى ما نقوله من أنّ حجم القرآن سيكون أكثر ممّا هو عليه الآن بكثير)^(٣).

الجواب

أولاً: لقد أثبتنا في الدروس المتقدّمة بطلان الرأي القائل باعتبار الوحي

(١) انظر: عبد الكريم سرور، بسط تجربه نبوي، ص ٢٠ - ٢٤.

(٢) المصدر المتقدّم، ص ٢٨.

(٣) المصدر المتقدّم، ص ٢٠.

تجربة دينية أو نبوية؛ وعليه يكون كلّ ما ترتب على هذا القول باطلاً أيضاً؛ إذكل ما يُبنى على الباطل فهو لا محالة باطل.

وثانياً: خلافاً لما يذهب إليه هذا الرأي، فإنّ ما ينزل على النبيّ الأكرم (ﷺ) عبارة عن أمور جاهزة ومعدّة سلفاً؛ إذ طبقاً لكلام الله فإنّ القرآن الكريم كان له نحو وجود قبل النزول، وذلك حيث يقول تعالى: ﴿حَمْدٌ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾^(١). ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾^(٢).

قال الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣). كيف تدلّ هذه الآية على أنّ الوحي متعيّن وجاهز سلفاً؟

وطبعاً كما سيأتي فإننا نؤمن بأنّ الوحي ليس منفصلاً عن الأوضاع والحوادث التي واكبت عصر نزوله، وقد كان الأنبياء على صلة بهذه الأوضاع، ولكن لا يكون ذلك على غرار الأستاذ الذي يلقي النظريات على الطلاب، وبعد أن يفاجئه الطلاب بالأسئلة والإشكالات، يبدأ بإجراء تعديلات على تلك النظريات بما يتناسب والاستجابة لإشكالات الطلاب وتساؤلاتهم، وتكتسب شكلاً منطقيّاً. بل إنّ النبيّ بمنزلة الأستاذ الذي لا يبدي غير النظريات الصحيحة والمنطقية، وإذا واجه تساؤلات الطلاب وإشكالاتهم، شرح لهم الطريقة الصحيحة لتطبيق تلك النظرية وتوظيفها، دون أن يتلاعب بمضمونها ويعمل على تعديلها بحيث يُفقد ثباتها.

(١) الزخرف: ١ - ٤.

(٢) البروج: ٢١ - ٢٢.

(٣) المائدة: ٦٧.

وعليه فإنّ مواقف الأنبياء (عليهم السلام) الاجتماعية إنّما كانت بأمر من الله سبحانه وتعالى وتشكّل جانباً من مهامهم ومسؤولياتهم، هذا أولاً. وثانياً: إنّ هذه المواقف لم تكن لتؤثر في أصل الوحي، وإنّما هي مجرد بيان وشرح وتطبيقات لرسالة الوحي الثابتة^(١).

النظرية الثالثة: اهتمام الوحي واستثمار العناصر البشرية

حيث كان القرآن الكريم وسيلة هداية سماوية، كان لا بدّ له أن يوظف العناصر البشرية الإيجابية بغية الحصول على التأثير المطلوب في عملية الهداية^(٢). وفيما يلي نشير إلى هذه التوظيفات على النحو الآتي:

١- اهتمام الوحي بأجواء النزول

لا شكّ في أنّ الله سبحانه وتعالى أثناء إنزال الوحي كان ملتفتاً إلى الفضاء السائد، من قبيل: أسباب النزول، والثقافة المهيمنة على عصر النزول، ومكان النزول وزمانه، وخصائص المخاطبين^(٣)، لما في ذلك من الأثر الكبير في عملية هداية الناس، خاصّة وأنّ الله ينزل الوحي أحياناً بمناسبة حادثة أو جواباً عن سؤال أو حلاً لمشكلة، وطبعاً فإنّ هذا النوع من الآيات كثير^(٤)، وكما تقدّم فإنّ الأنبياء

(١) لمزيد من التوضيح انظر: علي رضا قائمي نيا، (معرفة شناسي متن)، مجلة: قبسات، العدد: ١٢، ص ٢٢٥ - ٢٢٨.

(٢) لمزيد من التفصيل، انظر: السيد محمّد علي ايازي، قرآن وفرهنگ زمانه، ص ٦٦ - ١٠٢.

(٣) لمعرفة هذه المصطلحات، انظر: علي أكبر بابائي ومساعدته، روش شناسي تفسير، ص ١٤٤ - ١٦٥، و ١٧١ - ١٧٩.

(٤) انظر: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أسباب النزول. وجلال الدين عبد الرحمان السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول. ومحمّد باقر المحقّق، نمونه بينات در شأن نزول آيات.

كانوا يحاربون العناصر العقائدية والثقافية الناشزة، وإن القرآن الكريم في الكثير من آياته يبطل بعض الممارسات الجاهلية، من قبيل اعتبار الملائكة بنات الله^(١)، والندور العبثية والخاطئة^(٢)، واعتبار الولد المتبنى ابناً حقيقياً^(٣)، ووآد البنات^(٤)، والظهار^(٥)، وتقديم الأضاحي إلى الأوثان.

٢- الوحي بلغة القوم

إنّ ما ينزل من قبل الله بوصفه وحياً على الأنبياء، لا بدّ من بيانه إلى الناس في قوالب لفظية ولغوية، كيما يفهمونه ويعملون على طبقه. ومن جهة أخرى فإنّ نزول الوحي إلى الأنبياء في قالب الألفاظ المعهودة بين قوم كلّ نبيّ ظاهرة طبيعية تجري في جميع الحالات التي يكون فيها للمخاطبين لغتهم الخاصة؛ فإنّ كلّ حكيم لا يكلم قومه بلغة غير لغتهم. قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٦).

فإنّ نزول الوحي بلغة الذين خوطبوا به، يمهد الطريق أمام فهم هؤلاء المخاطبين لمضامين الوحي، وبناءً على ما تقوله بعض الآيات فإنّ عريية القرآن الكريم قد سهّلت مهمة رسول الله (ﷺ) في تبليغ الرسالة، قال تعالى:

(١) انظر: الإسراء: ٤٠، النجم: ٢٧.

(٢) انظر: المائدة: ١٠٣.

(٣) انظر: الأحزاب: ٤.

(٤) انظر: الحجر: ٥٨ - ٥٩.

(٥) انظر: الأحزاب: ٤.

(٦) إبراهيم: ٤.

﴿فَإِنَّمَا يَسْرُنَا بِلسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾^(١).

وطبعاً فإنّ توظيف الوحي للغة المخاطبين لا تعني اقتصاره على لغتهم، فمثلاً نجد القرآن - بنية تسهيل الأمر على الناس في فهم القرآن الكريم - يستعمل بعض الأمثال والتعابير والاستعارات والكنيات والمفردات الدخيلة^(٢) والشائع استعمالها على ألسنة الناس، بل قد يستخدم بعض الأمور - التي يعتبرونها من البديهيّات والمسلّمات - من باب الجدال^(٣)، فإنّ وجود هذا النوع من الأمور في الوحي ليس من التّأثر في شيء، بل هو توظيف وحسن اختيار، من قبيل محاكاة النبيّ إبراهيم (عليه السلام) للنمرود، التي أشار فيها إلى بزوغ الشمس من المشرق، وجاء في قصة ذي القرنين قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾^(٤).

(١) مريم: ٩٧. كما هناك آيات تثبت أنّ الأعراب الذين عاصروا نزول الوحي لم يكونوا ليقبلوا كلام الله ورسالته إذا نزلت على رجل من غير العرب، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿وَلَوْ نُرِذُّنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾. الشعراء: ١٩٨ - ١٩٩.

(٢) علاوة على كتب التفسير وعلوم القرآن التي تذكر أحياناً نماذج من المفردات الدخيلة في القرآن الكريم، فقد صنّف بعض العلماء مؤلفات مستقلة في هذه المفردات، من قبيل: جلال الدين السيوطي، فقد ألف كتاباً يحمل عنوان: (المهذب في ما وقع في القرآن) (من المغرب، وضمّنه مئة وخمسة وعشرين كلمة دخيلة في القرآن الكريم. كما ألف آرثور جيفري كتاباً يحمل عنوان: (المفردات الدخيلة في القرآن) وذكر فيه مئتين وخمسة وسبعين كلمة دخيلة في القرآن عدا أسماء الأعلام. وقد عمد (فريدون بدره اي) إلى ترجمته إلى الفارسية تحت عنوان (واژه های دخیل در قرآن)، وتكفلت دار توس بنشره.

(٣) إنّ صناعة الجدال أسلوب في النقاش أوصى به الله تعالى في محكم كتابه الكريم إذ يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. النحل: ١٢٥.

فلكي يري الله المسافة التي قطعها ذو القرنين وهي المشرق والمغرب استعان بهذا التشبيه^(١)، واستعمل عبارة (وجدها) وأراد بذلك أن ذا القرنين رأى الشمس وكأنها تختبئ في بئر مظلمة، كما يحصل الأمر نفسه مع بحار في عرض المحيط إذ يرى الشمس ساعة الغروب وكأنها تفرق في الماء تدريجياً^(٢). وإن مجيء هذه الآية في القرآن الكريم ليس كما توهم بعض من أنها تماهياً من الوحي مع المعتقدات القديمة الخاطئة التي كانت ترى وجود بئر في ناحية المغرب تختبئ فيها الشمس عند غروبها لتعاود الخروج من جهته الأخرى في صبيحة اليوم التالي^(٣).

٢- مراعاة حال المخاطبين وخصائصهم

إنَّ الله سبحانه وتعالى أخذ خصائص المخاطبين بنظر الاعتبار في بيان الوحي، وإنَّ تلك الخصائص من قبيل:

أ - البيان التدريجي للأحكام: لقد بيّن القرآن الكريم بعض الأحكام بما يتناسب والظرفية الاجتماعية، من قبيل تحريم الخمر^(٤)؛ إذ لم تكن الأرضية معدة لتحريمها بجرّة قلم.

(١) فخر الدين محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج ٢١ - ٢٢، ص ١٤١.

(٢) انظر: محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، ج ٢، ص ٤٢٦. ومحمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٢، ص ١٧٣.

(٣) هداية الله جليلي، (وحي درهم زباني با بشر)، مجلة: كيان، العدد: ٢٣، ص ٤٣.

(٤) فقد أشار القرآن الكريم في المرحلة الأولى إلى كون الخمر إشماً رغم ما يترتب عليه من بعض الفوائد الاقتصادية. (انظر: البقرة: ٢١٩)، وفي المرحلة الثانية نهى عن الصلاة في حالة السكر. (انظر: النساء: ٤٣). وفي المرحلة الثالثة والأخيرة اعتبره من عمل الشيطان الذي يجب اجتنابه بالمرّة. (انظر: المائدة: ٩٠).

٢- مراعاة مستوى فهم المخاطب لبيان الواقع: لقد راعى القرآن الكريم مستوى فهم وحساسية عامة الناس، فبين الآيات بشكل لا تحتوي على لوازم غير صحيحة. ففيما يتعلق بصفات الله قال تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١) مما يبدو في ظاهره نسبة اليد والأمور المادية إلى ذات الباري تعالى، نجده يقول في موضع آخر: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢)، و﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٣)، ليرتفع الاشتباه، وتحمل اليد على المعنى المجازي من قبيل القدرة والسلطان. وهذا الأسلوب أفضل من بيان الأمور السلبية، كأن يقال: إِنَّ اللَّهَ لَا يَرَى كَمَا تَرَوْنَ، أو لا يسمع كما تسمعون. من هنا فإن هذا النوع من مراعاة المصالح قد حدث بالفعل، وفي الوقت نفسه لم يكن فيه كذب أو ما يخالف الواقع.

خلاصة الدرس

١- إن بحث تعين الوحي في وقت سابق وإثبات استقلاله عن المؤثرات والعناصر الإنسانية - وخاصةً فيما يتعلق بالقرآن الكريم لما يحمله من صفة الخلود - يحضى بأهمية خاصة.

٢- لما كان الوحي لا يبدؤ وأن ينزل بلسان الناس، واللغة ما هي إلا انعكاس للتصورات الذهنية البشرية، فقد ذهب التوهم ببعض إلى اعتبار الوحي انعكاساً لتصورات وثقافة الناس المعاصرين لنزول الوحي، وإن تسرب مسائل من قبيل: الجن، والحسد، والسحر إلى القرآن يدخل في هذا السياق.

٣- إن اللغة ليست انعكاساً عن الأمور الذهنية البحتة، بل إن الألفاظ إنما

(١) الفتح: ١٠.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) المؤمنون: ٩١.

وضعت بإزاء الأمور الخارجية ، وليس هناك أيُّ دليلٍ على عدم واقعية أمور من قبيل: الجنّ، والحسد، والسحر. بل الأدلة والشواهد قائمة على وجودها.

٤- هناك من نظر في ظاهرة بعث الأنبياء بلغة أقوامهم، فذهب إلى القول بأنّ اللغة مظهر ثقافة الناس، وإنّ الوحي إنعكاس لثقافة الناس. في حين أنّ المراد من اللسان في الآية مورد البحث تعني اللغة دون الثقافة.

٥- إنّ وجود الأمور المخالفة للواقع في الوحي أيّاً كان سببها لا تتنافى والهدف الرئيس من الوحي المتمثل بهداية الناس إلى الحقيقة والواقع؛ إذن لا يمكن القول بأنّ الله قد تعمّد تضمين الوحي بعض ما هو سائد بين الناس من التقاليد الخاطئة من أجل ضمان نجاح الأنبياء (عليهم السلام).

٦- إنّ من بين أسباب القول بتأثر الوحي بالعناصر البشرية، اعتبار الوحي تجربة دينية. وقد تقدم في البحوث السابقة أن أثبتنا بطلان هذا التفسير، وبالتالي لا تكون نتيجته صحيحة.

٧- إنّ بيان بعض الأمور المخالفة للواقع في القرآن، إمّا حكاية عن قول الآخرين، أو من باب الجدل.

٨- لقد كان للوحي تعيّن سابق، وقد راعى أجواء النزول ووضع الناس لضمان التأثير فيهم، وقد أحسن الاستفادة من العناصر البشرية الإيجابية، من قبيل: اللغة، وبعض الأمثال، والاستعارات، والكنايات.

أسئلة نموذجية

١- اشرح الرؤية القائلة بأنّ اللغة انعكاس لتصورات الناس، وإنّ الوحي انعكاس لثقافة الناس، وأجب عنها.

٢- أجب عن الرأي القائل بأنّ اللغة مظهر لثقافة الناس، وإنّ الوحي

انعكاس لهذه الثقافة.

٢- هل صحيح أنّ تقاليد وأعراف الناس الخاطئة قد تسرّبت إلى الوحي من أجل مراعاة المصلحة؟ أجب عن ذلك.

٤- اشرح وجود أمور من قبيل: الجنّ، والحسد، والسحر في القرآن الكريم.

٥- كيف يمكن تبرير وجود مسائل من قبيل: محاكمة النبي إبراهيم (عليه السلام) مع النمرود؟

٦- اذكر الرأي الصحيح فيما يتعلق بعلاقة الوحي بالعناصر البشرية.

واحة المصادر

١- محمد علي الإيازي، قرآن وفرهنگ زمانه.

٢- محمد رضائي الإصفهاني، (قرآن وفرهنگ زمانه)، مجلة: معرفت، العدد: ٢٦، ص ٤٤ - ٥٤.

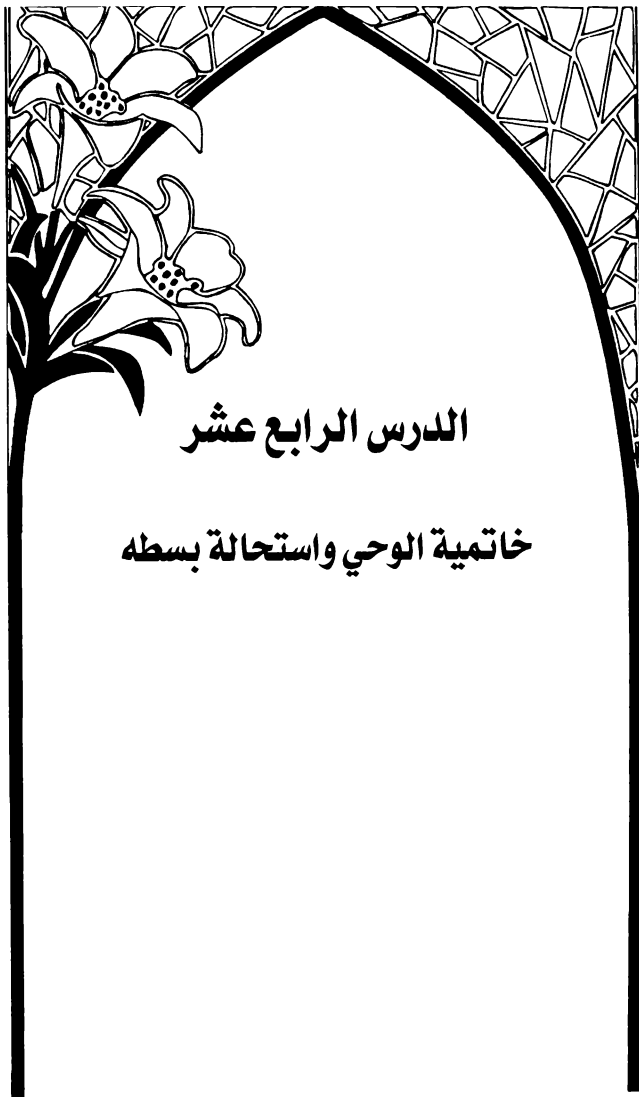
٣- علي رباني كلبايكاني، نقد نظريه بسط تجريه نبوي، قم، انتشارات مركز مديريت حوزة علميه، شتاء: ١٣٨٢هـ ش، ص ٦٦ - ٨٩.

تحقيق

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(١) بيّن كيف يمكن الجمع بين القول بمسّ الشيطان، وبين القول باستقلال القرآن، وعدم تأثره بالثقافة المعاصرة لمرحلة النزول؟

(١) البقرة: ٢٧٥.

1



الدرس الرابع عشر

خاتمية الوحي واستحالة بسطه

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

- ١- أن يتعرّف على أدلة ختم الوحي.
 - ٢- أن يتمكن من الإجابة عن أدلة إمكان بسط الوحي وتفنيدها.
 - ٣- أن يتعرف على جانب من خصائص الوحي النهائي.
 - ٤- أن يتمكن من بيان مكن السرّ في اختتام الوحي.
- قال الإمام عليّ (عليه السلام): «أرسله على حين فترّة من الرُّسل، وتنازع من الألسن، فقفى به الرُّسل، وختم به الوحي»^(١).

إنّ من بين البحوث المهمّة في ظاهرة الوحي، البحث عن الجواب الصحيح للسؤال القائل: هل الوحي (بمعنى الحصول على الحقائق أو كلمات الله، الذي بدأ بهبوط آدم (عليه السلام) إلى الأرض) قد ختم برحيل النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله)، أم هناك من يتمكن من الحصول على الوحي، وإقامة مثل هذا الارتباط بالملأ الأعلى حتى إذا لم يكن من الأنبياء؟ كما أذعن بعض المحقّقين من غير المسلمين، فإنّ المسلمين يذهبون إلى اختتام الوحي، ويعتقدون بأنّ القرآن آخر الكتب السماوية؛ وعليه فإنّهم لا يترقبون مجيء نبي أو نزول كتاب آخر

أبدأ^(١). بل هناك من المسلمين من ادعى الإجماع على ذلك، فعن الشيخ المفيد أنه قال: (من إجماع المسلمين أنه لا وحي لأحد بعد نبينا ﷺ)^(٢)، وهناك من قال بأنه من ضروريات الإسلام^(٣).

(١) انظر: محمد باقر الصدر، الموجز في أصول الدين، تحقيق: عبد الجبار الرفاعي،

ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) محمد بن النعمان العكبري، الاعتقادات، ص ١٢١.

(٣) انظر: محمد تقي مصباح اليزدي، راهنما شناسي، ص ٣٦٧.

أدلة ختام الوحي

إن مسألة انتهاء الوحي واختتامه ليست عقلية، أي لا يمكن إثباتها بالأدلة العقلية، إلا أن الأدلة النقلية تدل على أن الوحي قد ختم، وأن الآيات والروايات الواردة في هذا الباب لا تخلو من الإشارة إلى نزول الوحي بعد القرآن فحسب^(١)، بل إنها تعتبر ملف الوحي بعد الإسلام مغلقة. من ذلك قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٢).

والخاتم مشتق من (خَتَمَ)، بمعنى انتهاء الشيء وآخره^(٣)، وإنما يقال للخاتم خاتماً لأنه تختتم به الرسالة. وقد عرّف رسول الله (ﷺ) في هذه الآية بـ ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾؛ لأنه أنهى سلسلة الأنبياء (عليهم السلام)، وسيكون خاتم الرسل أيضاً؛ لأن النبي يحمل خبراً غيبياً عن الله، وأن الرسول بالإضافة إلى مقام الرسالة لا بد وأن يكون نبياً؛ وعليه فإذا ختمت النبوة لن يكون هناك رسول

(١) ولو كان الأمر على خلاف ذلك لوجب أن يبشّر القرآن الكريم بالكتب التي ستليه. وطبقاً لما هو موجود في القرآن، فإن الله قد أخذ على أنبيائه عهداً أن ينصروا الأنبياء الذين يلونهم ويأتون بعدهم من جميع الجهات، وذلك حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابِي وَحِكْمِي ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ آل عمران: ٨١. ولا شك في أن أبرز وأنجع مصاديق النصرة هي البشارة بمجيء النبي والكتاب اللاحق، الأمر الذي يمهد له الأرضية، ويخلق المناخ الصالح للإيمان به وتصديقه وعدم تكذيبه.

(٢) الأحزاب: ٤٠.

(٣) انظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة وابن منظور الأفرقي، لسان العرب، مادة (خَتَمَ).

أيضاً^(١). وبالالتفات إلى أن الوحي من خصائص النبوة، فإنه بانتهاء النبوة سيكون الوحي منتهياً بانتهائها.

كما تدلّ الروايات على انتهاء الوحي بنزول القرآن الكريم، من ذلك ما تقدم عن الإمام عليّ (عليه السلام) أنه قال: «أرسله على حين فترّة من الرّسل .. وختّم به الوحي»^(٢).

ونقل الشيخ الكليني بسند صحيح^(٣) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (إنّ الله عزّ ذكره ختم بنبّيكم النبيين، فلا نبّي بعده أبداً. وختّم بكتابكم الكتب، فلا كتاب بعده أبداً)^(٤).

إشكال وجواب

قد يقال إنّ أتباع الأديان الأخرى يذهبون بدورهم إلى القول بأنّ كتابهم السماوي هو آخر الكتب وإنّ دينهم آخر الأديان، ولذلك فإنهم لا يؤمنون بالنبيّ والكتاب اللاحق. بل هناك منهم من صرح بذلك أيضاً، فالنصارى مثلاً يذهبون إلى اعتبار السيّد المسيح عيسى (عليه السلام) هو آخر الأنبياء، وأنّ الوحي قد ختم به. يقول بل تليخ: (إننا فيما يتعلق بعيسى بوصفه المسيح نحمل عنه تصوراً إنسانياً .. يمكن اعتباره آخر قنوات الوحي السماوي)^(٥).

(١) انظر: العلامة محمّد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦، ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٢٣.

(٣) انظر: العلامة محمّد باقر المجلسي، مرآة العقول، ج ٢، ص ١٥٧.

(٤) محمّد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٢٦٩.

(٥) بل تليخ، الهيات سيستماتيك، ترجمة: حسين النوروزي، ص ١٩٠ - ١٩١.

وجوابه أولاً: إن مجرد ادعاء أتباع دين ما، ليس كافياً في اعتبار كتابهم آخر الكتب؛ بل لابد من صدور هذه الدعوى من النبي والكتاب نفسه، وإن السيد المسيح عيسى بن مريم (ﷺ) لم يدع مثل هذه الدعوى، بل بناءً على التفسير الصحيح لبعض عبارات الكتاب المقدس نجد أن عيسى (ﷺ) قد بشر بنبوّة رسول الله محمد المصطفى (ﷺ). فقد جاء في الإنجيل: (إذا كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً (فارقليطاً) آخر، ليمكث معكم إلى الأبد)^(١).

يذهب علماء المسلمين إلى أن عيسى (ﷺ) قد بشر بمجيء (بارقليطاً) وهي مفردة سريانية وقد عربت إلى الفارقليط، وقد ترجمها كاتب إنجيل يوحنا إلى (pericyltos) في اللغة اليونانية وتعني: كثير الحمد، وهو في العبرية: (محمد) و(أحمد)، ومصدقه المنحصر على نحو اليقين هو النبي الأكرم محمد المصطفى (ﷺ). إلا أن الأناجيل التي كتبت بعد الإسلام حرفت هذه الكلمة إلى كلمة (paracyltos) بمعنى المعزي، جاعلين مصداقها (روح القدس)، وقالوا إنه جاء بعد المسيح (ﷺ) لتعزية الحوارين، وقد ترجموها إلى الإنجليزية بـ (Advocate)^(٢).

كما أن النبي موسى (ﷺ) لم يدع أنه آخر الأنبياء، بل بشر الناس بأن الله سيبعث نبياً بعده، فقد ورد في العهد القديم أن الله سبحانه وتعالى قال: (سأقيم لهم نبياً من بين إخوتهم مثلك، وألقي كلامي في فمه؛ فينقل إليهم

(١) العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر، الفقرة: ١٥ - ١٦. وانظر أيضاً: يوحنا: ١٤ / ٦، ١٥، و ١٤ / ٢٥ - ٢٩، و ١٥ / ٢٢ - ٢٦.

(٢) انظر: (موريس بوكاي، تورات وانجيل وقرآن وعلم، ترجمة: ذبيح الله دبير، ص ١٤٨).

جميع ما أكلمه به^(١).

وبطبيعة الحال هناك اختلاف بين علماء النصارى والمسلمين في تحديد مصداق هذه البشارة؛ إذ يرى النصارى أن مصداقها يتحدّد بالنبي عيسى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٢)، بينما يذكر المسلمون شواهد كثيرة في هذه العبارة تجعل مصداقها منحصرأ برسول الله محمد المصطفى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)^(٣).

وثانياً: إن النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قد أثبت نبوته وارتباطه السماوي بالكثير من المعجزات^(٤)، الأمر الذي يبطل جميع الدعاوى القائلة باعتبار الكتب والأديان السابقة عليه هي آخر الكتب والأديان السماوية، والأهم من جميع ذلك أن الوحي النازل على النبي الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) متمثلاً بالقرآن الكريم كان هو في حد ذاته معجزة خالدة^(٥).

(١) العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح الثامن عشر، الفقرة: ١٨. وانظر أيضاً، الفقه: ١٥، من نفس المصدر.

(٢) فمثلاً جاء في العهد الجديد: (فتجيء أيام الفرج من عند الرب، حين يرسل إليكم المسيح الذي سبق أن عينه لكم ... فإن موسى قال: سيقوم الرب إليكم من بين إخوتكم نبياً مثلي، فاسمعوا له في كل ما يقول لكم). العهد الجديد، أعمال الرسل، الإصحاح الثالث، الفقرة ٢٠ - ٢٢. ولزيد من الاطلاع انظر: جوليوس كرينستون، انتظار مسيح در آيين يهود، ترجمة: حسين توفيق.

(٣) انظر: رحمة الله خليل الرحمان الهندي، إظهار الحق، ص ١٦٠ - ١٩٩؛ والبروفيسور عبد الأحد داود، محمد در تورات وانجيل، ترجمة: فضل الله نيك آيين.

(٤) هناك من المصادر ما أثبت خمساً وثلاثين معجزة لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). انظر: محمد صالح المهندس، معجزات الرسول الكريم سيدنا محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

(٥) انظر: محمد تقي مصباح اليزدي، قرآن شناسي، تحقيق وتقرير: محمود رجبى، ص ١٢٤ - ١٩٠.

وقد تحدّى الجميع عبر العصور والأجيال أن يأتوا بمثل القرآن الكريم الذي نزل عليه من الله سبحانه وتعالى، أو أن يأتوا بعشر سور مثله، أو حتى سورة واحدة، ولا يزال التحدي قائماً إلى يومنا هذا، قال تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(١).

وحتى الآن لم يفلح شخص واحد في الإتيان بمعجزة مثل القرآن، أو أن يأتي بكلام معجز، أو أن يأتي بمعجزة أخرى تثبت كون ما جاء به إنما هو وحي من الله سبحانه وتعالى.

بطلان دعوى إمكان بسط الوحي

على الرغم من جميع الأدلة التي أقيمت بشأن انتهاء نزول الوحي وخاتمته، ظهر هناك من قال بتفسير الوحي على أنه تجربة دينية يخوضها النبي، وبالإمكان بسط ظاهرة الوحي وتكاملها وتعميمها إلى ما بعد النبي الأكرم (ﷺ). وقيل في هذا الشأن: (والياً بعد غياب النبي يجب تعميم وبسط التجارب الباطنية والظاهرية للنبوّة، والعمل على رفع مستوى تكامل الدين وإغنائه وإثرائه. فإنّ العرفاء الذين يتذوقون من ذائقة النبي (ﷺ) .. يزدون من ثراء تجربتنا الدينية)^(٢).

(وطبعاً فإنّ التجارب الدينية والسموية لا تزال قائمة)^(٣).

وهؤلاء يرون حتى في تفرّق المسلمين إلى مذاهب تكاملاً للدين، إذ

(١) الإسراء: ٨٨ .

(٢) عبد الكريم سرروش، بسط تجربه نبوي، ص ٢٥.

(٣) المصدر المتقدّم، ص ١١٧.

يقولون: (يجب النظر إلى تفرّق المسلمين من هذه الزاوية .. وإنّ المذهب الذي ظهر من خلال غبار الصراع والتعاطي، سيواصل مسيرته من خلال الصراع والكفاح والتعاطي مع سائر المذاهب الأخرى ويأخذ بالنمو والانبساط، ويسهم في إثراء تجاربه الخاصّة)^(١).

إذا كان المراد من هذا الكلام أنّه برغم انتهاء عصر النبوات لا يزال هناك من يستطيع الحصول على معارف من سنخ معارف الأنبياء، وأنّ بإمكانهم العمل على إثراء ما جاء به النبيّ الأكرم (ﷺ)، فهو كلام باطل، وذلك للأسباب الآتية:

الأوّل: إنّ الآيات والروايات التي تقدّمت بشأن انتهاء الوحي، تدلّ على بطلان القول بإمكان بسط الوحي وتعميمه.

الثاني: إنّ هذا الكلام يقوم على أساس من التفسير المتقدّم والقائل بأنّ الوحي عبارة عن تجربة دينيّة^(٢)، وهو تفسير باطل؛ وعليه فإنّ الوحي ليس تجربة دينيّة حتى يغدو بإمكان الآخرين الاستفادة منها.

الثالث: لو سلّمنا صحّة القول بأنّ الوحي تجربة دينيّة، ولكن هناك بوناً شاسعاً بين تجربة النبيّ وتجارب الآخرين، فإنّ تجربة الأنبياء مصونة من الخطأ، خلافاً لتجارب الآخرين فإنّها عرضة للأخطاء، ولا تكون حجّة إلّا لأصحابها، وهذا ما اعترف به نفس القائل بإمكان بسط وتعميم التجربة الدينيّة، حيث قال: (حالياً لا يمثل كلام أيّ شخص حجّة تعبدية ودينيّة بالنسبة لنا، باستثناء كلام النبي^(٣)). فحتى العرفاء لا تكون تجاربهم حجّة

(١) المصدر المتقدّم، ص ٢٦.

(٢) تقدم هذا الموضوع في الدرس الخامس، فراجع.

(٣) عبد الكريم سروش، بسط تجربه نبوي، ص ٢٧.

على الآخرين، وبالإمكان أن تخضع - كسائر التجارب البشرية - للنقد والتطوير^(١). وأمّا تجارب الأنبياء فإنها تتعدى إلى غيرهم، وتوجب تكليفاً وعملاً بمضمونها^(٢).

كيف يتأتى لشخص أن يجمع بين القول بالفرق الكبير والشاسع بين تجربة النبي وتجارب الآخرين، وعدم حجية كلام أي شخص غير رسول الله، وبين القول بإمكان بسط الوحي وتعميم تجربة النبي على الآخرين في الوقت نفسه؟ عندما لا يكون كلام أي شخص بعد النبي حجة، وعندما لا تكون أي تجربة أو كلام من سنخ تجربة النبي وكلامه، فإنه لن يكون حياً، وبالتالي فإن الوحي والتجربة النبوية يستحيل تعميمها وبسطها أو تكرارها.

الرابع: إن هذا الادعاء يتعارض وكلمات أخرى قالها الكاتب المذكور، إذ اعترف بأن القرآن الكريم هو آخر مراحل الوحي السماوي: (إننا على اطمئنان كامل بأننا قد حصلنا على آخر رسائل الوحي، وأن الله سبحانه وتعالى قد أنزل علينا في القرآن كل ما يريد قوله لنا)^(٣).

الخامس: إن الذي يفتني إنما هو معرفة الوحي، أو الوحي في مرحلة الكشف، وليس الوحي نفسه الذي ينزل على رسول الله (ﷺ) ويتم إبلاغه وإيصاله إلى الناس^(٤)؛ إذ تدل الآيات والروايات على كمال الإسلام والوحي

(١) المصدر المتقدم، ص ١٤٢.

(٢) المصدر المتقدم، ص ١٣٣؛ وكذلك انظر: المصدر المتقدم، ص ١٤٤.

(٣) المصدر المتقدم، ص ١١٥.

(٤) يمكن لنا من خلال التسامح في الاصطلاح أن نفترض للوحي والدين ست مراتب، وهي كالآتي: أ - مرتبة الواقع ونفس الأمر: ما يكون ثابتاً في اللوح المحفوظ، ويكون منشأً للدين النازل. ب - مرتبة المرسل: ما ينزل من قبل الله على الرسول ج - مرتبة الإبلاغ: ما يُبلغه النبي

القرآني. من باب المثال، قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

لقد أجمع المفسرون قاطبةً - بغض النظر عن الاختلافات الطفيفة في بعض المباحث - على دلالة الآية على كمال الإسلام^(٢). كما يُدعن صاحب الكلام الآنف^(٣) بأن كمال كل شيء إنما يكون من خلال حصول جميع أجزائه وآثاره الإيجابية وأهدافه الرئيسية والجانبية^(٤). فإن المراد من كمال الإسلام هو حصول تمام أجزائه، وجميع أغراضه وآثاره^(٥). كما أن الجزء الثاني من الآية الذي أشار إلى إتمام النعمة الإلهية، يدل على بيان جميع ما يُعد نعمة من سنخ الوحي والدين.

الأكرم (ﷺ) إلى الناس. د - مرتبة الواصل: الوحي الذي يصل إلى الناس. هـ - مرتبة المكشوف: ما يكتشفه العلماء في الوحي من خلال الاستعانة بالعقل والنقل. و - المرتبة التأسيسية: جانب من الأحكام والمعارف السماوية التي عمل الناس بها. وبالاتفات إلى سلامة الوحي وعدم تحريف القرآن الكريم، تعتبر المراتب الثلاث: (المرسل، والإبلاغ، والواصل) شيئاً واحداً. ومرادنا من الوحي في هذا البحث هو المرتبة الثانية؛ بمعنى ما ينزل على النبي الأكرم (ﷺ).

(١) المائة: ٣.

(٢) لمزيد من الاطلاع أنظر: التفاسير بشأن الآية الثالثة من سورة المائدة، وخاصة: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٠٩ - ٢٩١؛ وعبد الحسين أحمد الأميني، الغدير، ج ٢.

(٣) عبد الكريم سروش، مدارا ومديريت، ص ٢٧٤؛ وكذلك مقالته (دين اقلي واكثري)، مجلة: كيان، العدد: ٤، ص ٨.

(٤) انظر: جمال الدين محمد بن منظور الأفريقي، لسان العرب، ج ١٢، ص ١٥٦ ومحمد الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (كمل)، ص ٤٥٩ وفخر الدين محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج ٢٢، ص ٤٧.

(٥) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٩٢.

ما تقدم كان قائماً على اعتبار كمال كل شيء؛ في حصول جميع أجزائه. وأمّا إذا اعتبرنا الكمال وصفاً وجودياً يحكي عن الغنى والثراء الحقيقي للموجود بالمقارنة إلى موجود آخر، كانت دلالة (آية الإكمال) على غنى الوحي أوضح؛ إذ سيغدو كل دين وكتاب سماوي في هذه الصورة هو الأكمل بالقياس إلى ما قبله، وإن الوحي النازل في تطوّر وتكامل مستمر، حتى يبلغ مرحلة يشتمل فيها على جميع ما يضمن سعادة الناس، ولن تغدو هناك حاجة إلى نزول وحي آخر^(١).

وهناك روايات كثيرة تشير بدورها إلى كمال الإسلام بنزول القرآن الكريم، من ذلك ما روي عن الإمام عليّ (عليه السلام) أنّه قال: «وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ (الْكِتَابَ بَيِّنَاتاً لِكُلِّ شَيْءٍ) وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهَ أَزْمَاناً، حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ - فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ - دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ»^(٢).

وعليه لا يبقى هناك بعد رسول الله (ﷺ) متسع لبسط الوحي وتعميمه على الآخرين.

نهاية الوحي بنزول الحد الأقصى

إن أدلة كمال الإسلام - بناءً على اعتبار الكمال وصفاً وجودياً يحكي عن الغنى والثراء الحقيقي للموجود بالمقارنة إلى موجود آخر - تدلّ على أنّ الوحي بنزول الحد الأقصى من حاجة الإنسان إليه يكون مختوماً ومنتهياً دون الحد الأدنى. وعلاوةً على ذلك فإن الآيات والروايات الناظرة إلى جامعية القرآن وشموليته تدلّ على هذا الأمر أيضاً، وهناك آيات متعددة تشير إلى جامعية القرآن الكريم وشموليته، إلا أننا نكتفي منها بالإشارة إلى الآيتين

(١) انظر: المصدر المتقدم، ص ١٢٤.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٨٦. وكذلك انظر: الخطبة رقم: ١٨، و ١٨٣.

الآيتين لوجود الإجماع والقطع^(١) بدلالتهما على جامعية القرآن:

الآية الأولى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

تدل هذه الآية بوضوح على شمولية وجامعية القرآن الكريم؛ لأنها تتحدث عن كتاب لا يحتوي على شيء مما يجانب الواقع، وفيه تصديق للكتب السماوية الأخرى^(٣). وقد جاء هذا الوصف في الكثير من الآيات، من ذلك

(١) هناك اختلاف بشأن الآيات الثلاث الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأنعام: ٢٨. وقوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ الأنعام: ٥٩. وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ الأنعام: ١١٤. وإن هذا الاختلاف بشأن الآيتين الأولىين ناشئ من الاختلاف في المراد من الكتاب، وهل هو القرآن الكريم أو اللوح المحفوظ وعلم الله، فإذا كان المراد هو القرآن الكريم، كانت هاتان الآيتان متساويتين في المضمون مع الآية مئة وإحدى عشر من سورة يوسف، والآية التاسعة والثمانون من سورة النحل. (انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ٨١ و ١٢٩. ومحمود بن عمر الزمخشري، الكشاف في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢١ - ٣١).

وأما الاختلاف بشأن الآية مئة وأربعة عشر من سورة الأنعام، فهو ناشئ من الاختلاف في تفسير كلمة (مفصلاً) فهل يراد منها المعنى الواضح وعدم الخلط بين أحكامه ومعارفه، أم يراد منها - على ما قاله الطبرسي - بيان جميع حاجات الإنسان (انظر: أبو علي الفضل ابن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٣٥٣). وفي هذه الصورة ستكون هذه الآية تحمل أيضاً نفس مضمون الآية مئة وإحدى عشر من سورة يوسف، والآية التاسعة والثمانون من سورة النحل.

(٢) يوسف: ١١١.

(٣) فيما يتعلق بعدم مجانية القرآن للواقع، انظر: هود: ١٣، وفيما يتعلق بتصديق القرآن للكتب السماوية السابقة هناك أكثر من ست عشرة آية، منها: البقرة: ٤١ و ٨٩

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(١).

الآية الثانية: ﴿وَيَوْمَ نُبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).
تدل هذه الآية على سعة محتوى القرآن الكريم؛ إذ إن عبارة: ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يفهم منها أن المراد من الكتاب هو القرآن النازل، وليس الموجود في (أُمِّ الْكِتَابِ) أو (اللوح المحفوظ).

وهناك روايات كثيرة تدل بدورها على شمولية القرآن الكريم وجامعيته^(٣)، منها ما رواه الشيخ الكليني بسند صحيح^(٤) عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذَكَرَهُ .. خَتَمَ بَكِتَابِكُمُ الْكِتَابَ، فَلَا كِتَابَ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَأَنْزَلَ فِيهِ تَبْيَانَ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَلَقَكُمْ وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَنَبَأَ مَا قَبْلَكُمْ، وَفَصَّلَ مَا بَيْنَكُمْ، وَخَبَرَ مَا بَعْدَكُمْ، وَأَمَرَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَمَا أَنْتُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ»^(٥).

وروى البرقي في كتاب (المحاسن) عن الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِي الْقُرْآنِ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى - وَاللَّهِ - مَا تَرَكَ اللَّهُ شَيْئًا

والأحقاف: ١٢.

(١) يونس: ٣٧.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) ذكر منها في تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٧٤ - ٧٧، ما يقرب من تسع عشرة آية، وفيها ما هو صحيح السند.

(٤) العلامة محمد باقر المجلسي، مرآة العقول، ج ٣، ص ١٥٧.

(٥) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٢٦٩.

يحتاج إليه العباد، حتى ما يستطيع عبد يقول: (لو كان في القرآن هذا) إلا وقد أنزله الله فيه^(١).

من هنا فقد ذهب علماء المسلمين - بالالتفات إلى هذا النوع من الآيات والروايات - إلى القول بجامعية وشمولية مضمون القرآن الكريم ومحتواه. وهناك من العلماء من أمثال ابن مسعود^(٢) وأبي حامد الغزالي^(٣) من يرى القرآن الكريم مشتملاً على جميع الأحكام والعلوم. وهناك من يذهب إلى القول بأن القرآن إنما يشتمل على بيان كل شيء من خلال دلالة الإشارة^(٤) أو دلالة الباطن^(٥). والقدر المتيقن من دلالة الآية^(٦) هو أن القرآن الكريم قد اشتمل على أكثر ما يحتاج إليه النبي في هداية الناس^(٧).

(١) أحمد بن محمد بن خالد البرقي، المحاسن، ج ١، ص ٢٦٧. ومثله في أصول الكافي، ج ١، ص ٥٩.

(٢) انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٩٠. ومحبي الدين ابن عربي، رحمة من الرحمان في تفسير وإشارات القرآن، ج ٢، ص ٧٧ - ٧٨. وجلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ٤، النوع الخامس والستون، ص ٣٣.

(٣) أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، ص ٨. إلا أنه ذهب في (إحياء العلوم) إلى أن القرآن الكريم إنما أشار إلى أصول وكليات العلوم. (انظر: إحياء العلوم، ج ١، ص ٢٨٩).

(٤) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٢، ص ٣٣٤. والمراد من دلالة الإشارة: دلالة الكلام على لازمه.

(٥) انظر: عبد الله جوادي الآملي، تفسير موضوعي، ج ١، قرآن در قرآن، ص ٢٢٦. ومحمد الصادقي، الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، ج ١٤، ص ٤٤٨.

(٦) المراد بالآية هنا قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ التي تقدم ذكرها ضمن بضعة آيات. (المعرب).

(٧) انظر: مصطفى كرمي، قرآن وقلمرو شناسي دين، ص ٢٢٢ - ٢٦٥. إلا أن هذا الكلام

وقد ذهب سماحة الإمام الخميني (قده) إلى القول باعتبار القرآن الكريم مظهراً إلهياً جامعاً وشاملاً، وذلك إذ قال: (ولما كانت النبوة الخاتمة، والقرآن الكريم، وشريعة ذلك النبي العظيم (ﷺ) من مظاهر وتجليات وظهورات المقام الأحدي الجامع ومرتبة الاسم الأعظم؛ لذلك كانت من أكثر النبوات والكتب والشرائع إحاطة وجامعية، فلا يُتصور وجود نبوة أو شريعة أكمل وأشرف منها .. فهي آخر ظهور كمال علمي فيما يتعلّق بالشرائع)^(١).

وعليه فإنّ الوحي إنّما اختتم عندما نزل على قلب النبي الأكرم (ﷺ) أكثر ما يحتاج إليه في هداية الناس؛ وبالتالي لا يصحّ اعتبار الكمال المذكور في آية (إكمال الدين وإتمام النعمة) بالحد الأدنى، والقول: (إنّ تلك الآية الكريمة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٢) ناظرة إلى الكمال في حدّه الأدنى .. وأمّا الحدّ الأقصى فإنه قد يحصل بفعل التكامل التدريجي، والبسط التاريخي اللاحق للإسلام)^(٣).

لأنّ هذا الكلام مخالف للآيات والروايات الناظرة إلى جامعية القرآن الكريم وشموليته، بل ويتعارض حتى مع الكلام الآخر الذي صدر عن ذات الكاتب في مواطن أخرى من الكتاب نفسه في نصيحته التي وجهها إلى

لا ينسجم مع قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣. إذ إنّ الإكمال والإتمام لا يطلق على الأكثر، بل على الكل، وخاصةً بالنظر إلى قوله تعالى: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، فالأكثر لا يصدق على الكل بل على الجزء الأكبر منه. (المعرب).

(١) الإمام الخميني (قده)، آداب الصلاة، ص ٤٢٩، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، طه، طهران، ٢٠٠٣م.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) عبد الكريم سرروش، بسط تجربه نبوي، ص ٢٤.

المتدينين في الاكتفاء ببيان الدين؛ إذ إنَّ الله سبحانه وتعالى لو أراد بيان المزيد لحصلنا على أضعاف النصوص الدينية الموجودة حالياً بين أيدينا^(١).

السُّرْفِي خَتَامُ الْوَحْيِ

وهنا يردُّ هذا السؤال: لماذا ختم الوحي في برهة زمنية خاصة بنزول القرآن الكريم؟ فإنَّ سرَّ ذلك غير واضح، وإنَّ القرآن الكريم والروايات الشريفة لم تتحدَّث في هذا الشأن. ولكن يمكن القول: إنَّ أسباب وعناصر تكرار الوحي والنبوة بعد نزول القرآن أصبحت منتفية^(٢). فإنَّ ختام الوحي يرتبط من جهة بقدرة الإنسان في التوصل إلى البرنامج العام لتنظيم الحياة، والترويج لذلك البرنامج وتبليغه، والقدرة على الاجتهاد واستنباط الفروع من الأصول، وتواجد الإمام المعصوم (عليه السلام) بين الناس، ومن جهة أخرى فهو يرتبط أيضاً بسلامة الوحي الخاتم (القرآن الكريم) من التحريف^(٣)، وجامعية هذا الكتاب المعرفية^(٤) بما يلبي حاجة الإنسان في رقعة الزمان والمكان، ولهذا كان القرآن الكريم - بالإضافة إلى ما أشرنا إليه من جامعته وشموليته - خالداً أيضاً.

(١) المصدر المتقدم، ص ١١٢.

(٢) انظر: محمد تقي مصباح اليزدي، راهنما شناسي، ص ٢٨١ - ٢٨٥.

(٣) فيما يتعلق بعدم تحريف القرآن الكريم، انظر: محمد هادي معرفت، صيانة القرآن عن التحريف وفتح الله محمددي (نجار زادكان)، سلامة القرآن من التحريف وتقنييد الافتراءات على الشيعة الإمامية.

(٤) فيما يتعلق بجامعية القرآن الكريم وشموليته، انظر: محمد علي ايازي، جامعيت قرآن

ومصطفى كريمي، قرآن وقلمرو شناسي دين، ص ٢٢٥ - ٢٦٤.

خلود الوحي الخاتم

طبقاً لما عليه الكثير من الآيات والروايات، فإن القرآن الكريم الذي هو آخر مراحل الوحي الإلهي، سيبقى خالداً، وسيهدي الناس إلى الأبد.

أ - أما آيات القرآن الكريم بهذا الشأن فهي عبارة عن:

١- الآية التي تصرّح بشمولية الدعوة القرآنيّة، وتنفي اختصاصها بقوم دون قوم، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأَنذَرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾^(١).

٢- الآيات التي تعتبر رسالة القرآن ناظرة إلى عموم الناس والعالمين، من قبيل قوله تعالى:

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢). ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًىٰ لِلنَّاسِ﴾^(٣).

٣- الآيات التي خاطبت جميع الناس بتعابير من قبيل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أو ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾، ودعتهم إلى العمل بأحكام الله ليهتدوا إلى الصراط المستقيم ويفلحوا. من قبيل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤). ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ﴾^(٥).

(١) الأنعام: ١٩.

(٢) الأنعام: ٩٠.

(٣) البقرة: ١٨٥. وكذلك من قبيل: الفرقان: ١، والنساء: ٧٩، والأنبياء: ١٠٧، وسبأ: ٢٨.

(٤) البقرة: ٢١.

(٥) الأعراف: ٢٧.

٤- الآيات التي تعبر عن القرآن الكريم بوصفه وسيلة إنذار لجميع من كان حياً أو كان له قلب حي من الناس، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١).

إشكال وجواب

قد يبدو من ظاهر بعض آيات القرآن للوهلة الأولى، اختصاص الدعوة القرآنية على فئة خاصة، من قبيل:

١- الآية التي تقول بأن الهدف من نزول القرآن الكريم هو إنذار أهل مكة وما حولها، وهي قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَّارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٢).

٢- الآية التي تأمر النبي الأكرم (ﷺ) بإنذار قومه وعشيرته، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣).

٣- الآيات التي تصف القرآن بأنه كتاب هداية وبشارة للمتقين والمحسنين والمتمسكين بأحكام الله تعالى، من قبيل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٤). ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾^(٥). ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانَا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ﴾^(٦).

(١) يس: ٦٩ - ٧٠.

(٢) الأنعام: ٩٢.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

(٤) البقرة: ٢.

(٥) النحل: ٨٩.

(٦) الأحقاف: ١٢.

أما الجواب فهو: إن هذه الآيات تقيد أو تخصص الآيات الناظرة إلى خلود القرآن وشموليته؛ وذلك للأسباب الآتية:

الأول: إن تخصيص الآيات العامة بالآيات التي تذكر الأهداف الخاصة والمحدودة - إنذار العشيرة والقراية القريبة، أو المشركين في مكة - يعتبر تخصيصاً للأكثر، وهو مخالف لفصاحة وبلاغة القرآن الكريم.

الثاني: إن حمل العام على الخاص إنما يصح إذا كان أحد الدليلين مثبتاً والآخر سالباً، في حين أن كلا هذين القسمين من الآيات مثبت.

الثالث: إن بعض تلك الآيات ناظر إلى بيان مختلف مراحل الدعوة، فمن الطبيعي أن يبدأ النبي الأكرم (ﷺ) رسالته ودعوته بالمقربين منه، من الذين يعرفون صدقه وأمانته، ليتوسع بعد ذلك في هذه الدعوة ويعمل على تعميمها على جميع سكان منطقته وأطرافها، لتشمل بالتالي المناطق الأخرى وجميع ربوع الأرض، وقد جاء في الروايات أن رسول الله (ﷺ) دعا عشيرته وقومه الأقربين إثر نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١). فقال لهم:

«إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة»^(٢).

الرابع: إن دلالة قوله تعالى: ﴿وَلْيُنذِرْ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٣) على اختصاص رسالة القرآن بمنطقة خاصة، ليست قطعية؛ إذ بناءً على روايات (دحو الأرض) فإن ظهور الأرض قد بدأ من عند الكعبة ومكة، ثم اتسعت

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٥٢، دار المعرفة، ط ١، بيروت، ٢٠٠٢م.

(٣) الأنعام: ٩٢.

إلى باقي بقاع العالم^(١). وإن أطراف مكة تشمل جميع أنحاء الكرة الأرضية.

الخامس: إن الآيات التي تصف القرآن بأنه كتاب هداية للمطهرين والمتقين، تدلّ على أنّ هؤلاء الأشخاص يلبّون دعوة القرآن الكريم، وبالتالي فإنهم ينتفعون بهدايته^(٢).

ب - تدلّ الروايات بدورها على خلود الشريعة الإسلامية والقرآن الكريم. من باب المثال روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال: «شريعة محمد لا تسخ إلى يوم القيامة»^(٣).

أشرح كيف يمكن الجمع بين القول بختام الوحي واستحالة بسطه، وبين ما أثبت سابقاً^(٤) من القول بحكم الضرورة العقلية على استمرار الوحي ودوامه؟

ختم الوحي ليس انقطاعاً للارتباط بين الإنسان وخالقه

إنّ انتهاء الوحي لا يعني قطع جميع أنواع الارتباط المعنوي بين الإنسان وخالقه، فالأدلة والشواهد تثبت أنّه على الرغم من انتهاء الوحي بقي هناك من الناس من يرتبط باللّه ارتباطاً معنوياً وروحياً، ويصل بذلك إلى فهم الحقائق. وفيّ الدرس الآتي سنبحث في اختلاف هذا النوع من الارتباط عن الوحي إن شاء اللّه تعالى.

(١) انظر: العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٢٠٣. وكذلك انظر في هذا

الشأن: عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٥٠١.

(٢) انظر: محمد تقي مصباح اليزدي، راهنما شناسي، الدرس العاشر.

(٣) الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٥٥٥، ح: ١٧.

(٤) انظر: الدرس الثالث.

يذهب الشيعة إلى الاعتقاد بأن الأرض لا تخلو من الحجّة^(١). فبعد ختم النبوات وانتهاء الوحي قامت حكمة الله على أن يكون هناك بين الناس على الدوام شخص معصوم من الخطأ، وعلى علم بالمعارف الإلهية، ليتكفل بهداية الناس ويضطلع بتفسير الوحي بشكلٍ صحيح؛ إذ لولا وجود هؤلاء الأشخاص، لن يتحقق الهدف من النبوة ونزول الوحي، وهذا يتنافى مع الحكمة الإلهية؛ ولهذا السبب لم يعلن الله سبحانه وتعالى إكمال الإسلام وإتمام النعمة بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢). إلا بعد تنصيب الإمام أمير المؤمنين علي^(عليه السلام) إماماً للمسلمين على يد رسول الله^(صلى الله عليه وآله)^(٣).

فإن هذا الاعتقاد بالإضافة إلى الدليل العقلي، يحضى بدعامة من الآيات والروايات أيضاً. فالقرآن الكريم يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤).

فهذه الآية تبحث في الاتباع المطلق لغير الله ورسوله^(صلى الله عليه وآله)، وتقول إن هذا الاتباع إنما يجوز إذا كان الشخص المتبع معصوماً^(٥)؛ من هنا فإن القرآن

(١) انظر: محمد بن يعقوب الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب (إن الأرض لا تخلو من حجّة)، وباب (إنه لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجّة).

(٢) المائدة: ٣.

(٣) انظر: محمد بن يعقوب الكليني، الأصول من الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب (نصّ الله عزّ وجلّ ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً). وعبد الحسين أحمد الأميني، الفدير، ج ١، ص ٤٤٨، وج ٢، ص ١٦٤ - ١٦٥. والعلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٨٣ - ١٩٤.

(٤) النساء: ٥٩.

(٥) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٤١٢ - ٤٢٧.

الكريم قد تحدّث في موضع آخر عن عصمة بعض الأفراد، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).

هناك الكثير من الآيات المروية عن رسول الله (ﷺ) في تفسير هاتين الآيتين، تدلّ بأجمعها على أن مصداق كلٍّ من عبارة (أولي الأمر)، و(أهل البيت) هم الأئمة الإثني عشر (عليهم السلام) من أئمة الشيعة^(٢).

كما أشار النبي الأكرم (ﷺ) في الكثير من المواطن إلى الأئمة من بعده، من ذلك ما قاله في حديث الثقلين المعروف: «إني تركت فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي، وأحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي. ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٣).

وعليه فإنّ الأئمة المعصومين (عليهم السلام) على الرغم من عدم كونهم من الأنبياء، إلا أنّهم حجج الله على الناس، وإنّ كلامهم حجّة على الناس. من هنا لا يصحّ أن نقول: (حالياً لا يمثل كلام أيّ شخص حجّة تعبدية دينية بالنسبة لنا، باستثناء كلام النبي)^(٤).

فإنّ الأئمة (عليهم السلام) إنّما يمكنهم أن يخلفوا رسول الله (ﷺ) حقيقة إذا كانوا يتمتعون بعلم إلهي. وقد عبّرت الروايات عن هذا النوع من الارتباط

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) انظر: عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٤٩٧ - ٥٠٧، وج ٤، ص ٤٩٧ - ٥٠٨.

(٣) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١٠٦، الباب: ٧.

(٤) عبد الكريم سروش، بسط تجربته نبوي، ص ٢٧، وص ١١٥.

بالإلهام والحديث، وتشير إلى الأئمة المعصومين (عليهم السلام) بوصفهم ملهمين ومحدثين. من ذلك ما رواه زرارة عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: «الإثني عشر الأئمة من آل محمد كلهم محدث»^(١).

خلاصة الدرس

- ١- إن الوحي الذي بدأ بنزول النبي آدم (عليه السلام) إلى الأرض، قد اختتم بنزول آخر آية من القرآن الكريم على رسول الله (ﷺ).
- ٢- بالاتفاقيات إلى الآيات والروايات، فإن المسلمين لا يعتقدون بمجيء كتاب آخر بعد القرآن الكريم أبداً.
- ٣- إن القول بإمكان بسط الوحي وإثراء التجربة الإسلامية بعد اكتمال نزول القرآن، قول باطل؛ إذ علاوة على مخالفته للآيات والروايات، فإنه يقوم على أساس من التحليل التجريبي للوحي وهو باطل أيضاً. ولو سلمنا صحته جديلاً، تبقى تجربة النبي حجة علينا لكونه معصوماً من الخطأ، خلافاً لتجربة غيره.
- ٤- لا يكفي مجرد ادعاء أتباع كتاب سماوي على أنه آخر الوحي، بل لابد من تصريح النبي والكتاب السماوي نفسه بذلك.
- ٥- لم يدع الأنبياء السابقون انتهاء نزول الوحي، بل إن كلاً من النبي موسى والنبي عيسى (عليهما السلام) قد بشرنا بالنبي الذي سيأتي بعدهما. هذا بالإضافة إلى أن اجتراح المعاجز الكثيرة من قبل النبي الأكرم (ﷺ)، وكون وحيه (القرآن) هو في حد ذاته معجزة، يثبت على المستوى العملي أن الوحي لم يختتم بالكتب السماوية السابقة.

(١) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٦، ص٧٢، ح: ١٦.

٦- إن الآيات والروايات الناظرة إلى كمال وجامعية الإسلام والقرآن وشموليتها تدل على أن انتهاء الوحي كان من خلال النزول في حدّه الأقصى دون حدّه الأدنى، وإنّ القرآن الكريم قد اشتمل على القدر المتيقن ممّا يحتاج إليه النبيّ في هداية الناس.

٧- إنّ سرّاً انتهاء الوحي يكمن من جهة في قدرة الناس على استيعاب البرنامج العام للحياة وتبليغه، والتمكّن من الاجتهاد، وحضور المعصوم (عليه السلام) بين الناس، كما يكمن من جهة أخرى في سلامة القرآن الكريم من التحريف^(١)، وجامعيته وخلوده.

٨- إنّ انتهاء الوحي لا يساوق سدّ الأبواب أمام حصول أيّ نوع من الارتباط بين الإنسان وخالقه، بل هناك على الدوام إمام بين الناس يلهمه الله ويحدّثه الملك دون أن يراه.

أسئلة نموذجية

- ١- استدل على انتهاء الوحي.
- ٢- أجب عن الاعتقاد القائل بإمكان بسط الوحي.
- ٣- أثبت أنّ انتهاء الوحي كان بنزول حدّه الأقصى دون حدّه الأدنى.
- ٤- أين يكمن السرّ في انتهاء الوحي؟
- ٥- استدل على عدم انقطاع الارتباط المعنوي بين الإنسان وخالقه على الرغم من انتهاء الوحي.

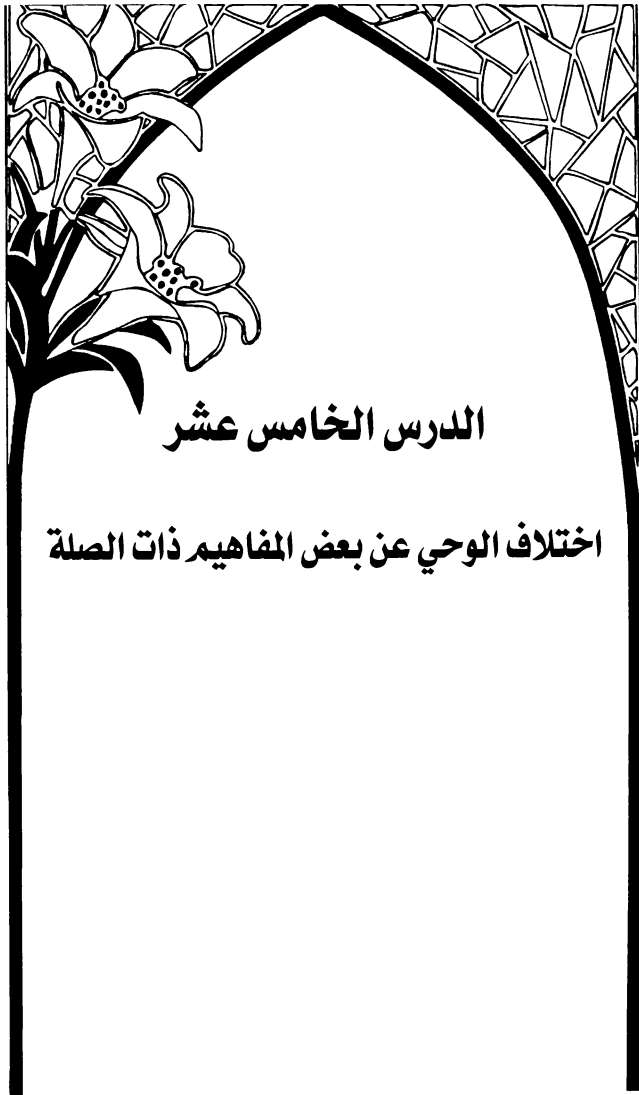
(١) فيما يتعلق بعدم تحريف القرآن الكريم، انظر: محمد هادي معرفت، صيانة القرآن عن التحريف، وفتح الله محمّدي (نجار زادكان)، سلامة القرآن من التحريف وتقنين الافتراءات على الشيعة الإمامية.

واحة المصادر

- ١- مرتضى المطهري، الأعمال الكاملة، ج٢، وحي ونبوت، ص١٨٤ - ١٩٤.
- ٢- محمد تقي مصباح اليزدي، راهنما شناسي، ص٢٨١ - ٢٨٩.
- ٣- محمد إقبال اللاهوري، احياء فكر ديني در اسلام، ترجمة: أحمد آرام، ص١٤٤ - ١٤٦.
- ٤- عبد الكريم سروش، فربه تراز ايديولوجي، ص٧١ - ٧٨.
- ٥- محمد تقي سبحاني، (فروغ دين در فراق عقل)، مجلة: نقد ونظر، العدد: ٦، ص١٤٥ - ١٨٦.
- ٦- علي رباني الكلبايكاني، نقد نظريه بسط تجريه نبوي، قم، انتشارات مركز مديريت حوزه علمية، شتاء ١٣٨٢هـ ش، ص٣٩ - ٤٢.

تحقيق

لقد ذهب إقبال اللاهوري إلى القول بأن سرّ انتهاء الوحي يكمن في بلوغ الإنسان وتجاوز مرحلة الطفولة! حقق في صحّة هذا القول أو بطلانه.



الدرس الخامس عشر

اختلاف الوحي عن بعض المفاهيم ذات الصلة

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

- ١- أن يتعرف على الحديث القدسي، ويميزه من الوحي.
- ٢- أن يميز الوحي من التجربة النبوية.
- ٣- أن يتمكن من التفريق بين الوحي والتحديث.
- ٤- أن يدرك مفهوم الإلهام والعرفان واختلافهما عن الوحي.
- ٥- أن يتمكن من شرح العرفان واختلافه عن الوحي.
- ٦- أن يتمكن من التعرف على كيفية تمييز الوحي من الإلقاءات والوساوس الشيطانية.

قال ابن عباس: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: أعطاني الله خمساً، وأعطى علياً خمساً .. أعطاني الوحي، وأعطاه الإلهام)^(١).

تقدم أن ذكرنا أنّ موضوع هذه المجموعة من الدروس هو الوحي الاصطلاحي النبوي، وهو مختلف عن الاستعمالات القرآنية الأخرى لهذه المفردة وما يحصل عليه سائر الأفراد من غير الأنبياء. وفي هذا الدرس سنبحث في اختلاف الوحي الاصطلاحي عن بعض المفاهيم القريبة منه، من قبيل: الحديث القدسي، والتجربة النبوية، والإلهام، والتحديث، والحديث النبوي، والوساوس والإلقاءات الشيطانية، والمفاهيم التي استعمل القرآن الكريم مفردة الوحي بشأنها^(٢).

(١) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، الباب: ٣، ص٣٧، ح: ٧٧.

(٢) انظر: الدرس الأول.

١- الفرق بين الوحي والحديث القدسي

علاوةً على الوحي الذي تجلى في القرآن الكريم، فقد نقل كلام الله سبحانه إلينا بواسطة النبي الأكرم (ﷺ) تحت تسمية الحديث القدسي، فلا بدّ من التمييز بينه وبين الوحي.

مفهوم الحديث القدسي

إنّ (الحديث القدسي) كما هو واضح عبارة مركبة من مفهومين هما: الحديث، والقدسي. أمّا (الحديث) فهو مشتق من (الحدث) بمعنى: الجديد^(١)، وبمعنى: الكلام^(٢). وقد أطلق الحديث في القرآن الكريم على (الكلام) أيضاً^(٣)، من قبيل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^(٤).

وأما (القدسي) فهو منسوب إلى القدس، ويدل على الرفعة والسمو. وقد عرّف الحديث القدسي بتعريفات متعدّدة^(٥). والمشهور منها أنه: الكلام الذي يرويه الأنبياء أو الأوصياء (عليهم السلام) مباشرة عن الله، دون تحدُّ

(١) انظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة. وأحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المصباح

المنير في غريب الشرح الكبير.

(٢) انظر: أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. ومحمد

الراغب الإصفهاني، معجم المفردات لألفاظ القرآن، مادة: (حدث).

(٣) محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ٢٤٩. والعلامة محمد

حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ٢٧٠، وج ١٨، ص ١٧٠.

(٤) النساء: ١٤٠.

(٥) انظر: محمد رضا جديدي نجاد، معجم مصطلحات الرجال والدراية، ص ٤٤ - ٥٤. وعبد

الله دراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، ص ١٦ - ١٧.

أو إثبات إعجاز^(١).

وقد جمع الشيخ الحرّ العاملي الأحاديث القدسية من مصادر شيعية في غالبها وضمّمها في كتاب تحت عنوان (الجواهر السنوية في الأحاديث القدسية). كما استخرج المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر أربعمئة حديث قدسي من الصحاح الستة، وجمعت في كتاب تحت عنوان (الأحاديث القدسية).

الفروق

إنّ بعض فوارق الوحي عن الحديث القدسي كالآتي^(٢):

- ١- إنّ القرآن الكريم معجزة تحدّى بها الله الناس، فلا يستطيع بشر أن يأتي بمثله. أمّا الحديث القدسي فلا يشتمل على مثل هذا التحدي^(٣).
- ٢- إنّ القرآن قد وصل إلينا على نحو التواتر، في حين أنّ الأحاديث القدسية لم تصل إلينا بأجمعها على نحو التواتر.
- ٣- لقد تعبّدنا الله بتلاوة القرآن، حيث قال: ﴿فَأَقْرءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(٤) دون الأحاديث القدسية، فلا تجوز الصلاة بقراءتها.
- ٤- لقد أوحى القرآن من قبل الله إلى النبيّ بألفاظ مخصوصة، وبالتالي

(١) عبد الله المامقاني، مقياس الهداية، ج ١٠، ص ٧٠. ومحمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ١، ص ٥٠ - ٥١.

(٢) انظر في هذا الشأن: مصطفى بن عدوي، الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، ص ٤ - ٥. كاظم مدير شانه جي، دراية الحديث، ص ١٣ - ١٤.

(٣) مناع قطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٢.

(٤) المزمل: ٢٠.

فإنَّ التبعّد بذات الألفاظ التي قرأها علينا رسول الله (ﷺ) واجب في تلاوتنا القرآن، ولا يجوز مسّها دون طهارة. أمّا الحديث القدسي فقد يكون لفظه من النبيّ فتجوز روايته بالمعنى، ويجوز مسّه من غير طهارة.

٥- إنَّ القرآن الكريم لا ينسب لغير الله سبحانه، فيقال: قال الله تعالى. أمّا الحديث القدسي فينسب حيناً إلى النبيّ الأكرم (ﷺ) وينسب إلى الله حيناً آخر^(١).

٢- اختلاف الوحي عن التجربة النبويّة

مفهوم التجربة النبويّة

إنّ من بين المفاهيم التي يجب بيان اختلافها عن الوحي، مفهوم التجربة النبويّة، فإنّ المراد من التجربة النبويّة نوع اتصال وشعور بحضور الله سبحانه وتعالى يحصل للنبي، فما هو الفرق بين الوحي وهذه التجربة؟

الفروق

تقدم في البحوث السابقة أن تحدّثنا بالتفصيل حول نقد تصوّر الوحي تجربة، وأثبتنا أنّ الوحي يختلف عن التجربة النبويّة. وفيما يلي نستعرض بعض الفروق الأخرى بين الوحي والتجربة النبويّة على النحو الآتي:

١- إنّ الوحي عبارة عن تكلمٍ حضوري لله مع بعض المصطفين من الناس ينزل على شكل حقائق وموضوعات أو جُمَل من قبل الله مباشرة أو بشكلٍ غير مباشر على قلوب الأنبياء، أمّا التجربة النبويّة فهي عبارة عن مواجهة الأنبياء لله سبحانه وتعالى أثناء تلقي الوحي. فالوحي إذ يتضمن ويستلزم حصول هذه التجربة، التي هي ذات التجربة النبويّة، يذهب التوهم ببعض إلى اعتبارها والوحي شيئاً واحداً، في حين أننا لو أمعنا النظر فيهما فسوف

(١) مناع قطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٣.

يمكننا الفصل بينهما ، وسندرك أنّ الوحي هو خصوص كلام الله. وكما تقدم^(١) فإنّ القرآن الكريم يُعبّر عن جميع أقسام الوحي بالتكلم، وهو غير المواجهة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾^(٢).

٢- إنّ التجربة النبويّة - خلافاً للوحي - لا يمكن أن تكون لغويّة؛ لأنّها عبارة عن مجرد مواجهة.

٣- ليس هناك معنى للاستدلال على التجربة النبويّة؛ إذ هي - كما سبق أن ذكرنا - مجرد تجربة شخصية وداخلية محضة، ومستقلة عن المفاهيم والاستدلالات العقلية؛ من هنا فإنّ من جملة أسباب حصر الوحي بالتجربة النبويّة، هي ألاّ نتوقع من النصوص الدينيّة الاستدلال على الوحي، وجعله منسجماً مع العقل. هذا في حين أنه بالإمكان أن نستدل على الوحي^(٣)، وقد كان الأنبياء (عليهم السلام) من أعقل العقلاء في مجتمعاتهم. روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «ولا بعث الله نبياً، ولا رسولاً حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته»^(٤).

(١) انظر: الدرس السابع.

(٢) الشورى: ٥١.

(٣) انظر في هذا الشأن: محمد باقر سميدى روشن، (وحي واستدلال بذييري)، مجلة: معرفت، العدد: ٢٦، ص ٢٤ - ٢٧. وفيما يتعلق بالارتباط بين العقل والوحي راجع: اتيل جيلسون، عقل ووحي در قرون وسطى، ترجمة: شهرام بازوكي وآ. ج. آربري. عقل ووحي در اسلام، ترجمة: حسن جوادي وعبد الله جوادي الأملي، بيرامون وحي ورهبري، ص ٢٣٧.

(٤) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، باب العقل والجهل، ح: ١١، ص ١٤.

لقد بعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء (ﷺ) بالوحي إلى الناس بغية إرجاعهم إلى فطرتهم التي فطرهم عليها، ولكي يزيح عن أذهانهم وعقولهم غبار الجهل. وقد روي عن الإمام علي (ﷺ) أنه قال في هذا الشأن: «فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْذُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيَذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ»^(١).

وقد حدثنا القرآن الكريم أنّ الناس - على الرغم من معرفتهم بالأنبياء (ﷺ) - كانوا يطالبونهم بالأدلة والبراهين لإثبات أقوالهم، من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَنْتُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

وكان الأنبياء (ﷺ) يتقبلون ذلك بكلّ رحابة صدر، بل كانوا هم أنفسهم يطالبون خصومهم بالبيّنات والبراهين. قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

كما كانوا يطلبون من الناس ألا يتبعوا سنن آبائهم الخاطئة دون التدبّر فيها، وأن يقيموا معتقداتهم على أسس يقينية راسخة^(٤)، وألا يعتنقوا شيئاً إلا بعد التأكد من صحته، وألا ينكروا شيئاً إلا بعد اليقين ببطلانه^(٥).

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١. إن عبارة (ميثاق فطرتهم) تشير إلى ما يدركه الإنسان بفطرتهم من قبيل وجود الله، وعبارة (دفائن العقول) تشير إلى ما يكتشفه الناس بعقولهم.

(٢) إبراهيم: ١٠.

(٣) النمل: ٦٤.

(٤) انظر: الزخرف: ٢٣ - ٢٤.

(٥) انظر: يونس: ٣٩، والأعراف: ٦٩ ومحمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١،

ومن جهة أخرى فقد كان الأنبياء في صلب الوحي يأتون بأدلة واضحة لإثبات صدق دعوتهم، فقد دعا القرآن الكريم جميع الناس إن كانوا يشكون في صحة القرآن ومصدره السماوي فليأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة واحدة فقط، ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيراً، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١).

بل إن القرآن الكريم يسوق حتى الأدلة على كونه من وحي السماء، وذلك إذ يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢).

فإن هاتين الآيتين تثبت أن كلام الأنبياء يقوم على الأسس العقلية، كي يؤمن بها الناس من خلال الموازين العقلية، وإن العقل البشري يتقبل الأدلة التي ساقها القرآن الكريم^(٣).

٢- اختلاف الوحي عن التحديث

تقدّم أن ذكرنا في الدرس السابق أنّ عقيدة الشيعة التي تستند إلى الروايات^(٤)، تقوم على القول بأنّ الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) محدثون. من

كتاب فضل العلم، ص ٥٢.

(١) البقرة: ٢٣.

(٢) النساء: ٨٢.

(٣) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٢٨٢. وعبد الله جوادى الآملي، بيرامون وحي ورهبري، ص ٢٨١.

(٤) انظر في هذا الشأن: محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب: (إنّ الأئمة عليهم السلام) المحدّثون والمفهومون، وباب: (الفرق بين الرسول والنبي والمحدّث).

باب المثال قال الإمام الصادق في سبب تسمية السيِّدة فاطمة الزهراء (عَلَيْهَا السَّلَامُ):
 «إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةَ مَحْدَثَةً؛ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَهْبِطُ مِنَ السَّمَاءِ فَتَنَادِيهَا كَمَا
 تَنَادِي مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، فَتَقُولُ: يَا فَاطِمَةَ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْنَفَاكِ
 عَلَيَّ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ﴾»^(١).

مفهوم التحديث

التحديث لغةً يعني: التكليم. أمّا اصطلاحاً فهو تكليم الله غير النبي من
 خلال الملك^(٢). ويمكن القول إنّ التحديث نوع إلهام بواسطة الملك. وقد ورد في
 الروايات أنّ المحدث يسمع صوت الملك دون أن يراه. فمثلاً روي عن الإمام الباقر
 (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أنّه قال: «أَمَّا الْمَحْدُوثُ فَهُوَ الَّذِي يَحْدُثُ فَيَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يَرَى فِي مَنَامِهِ»^(٣).
 وجاء في الروايات أنّ الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) رغم عدم رؤيته الملك، إلّا أنّه يعلم يقيناً
 أنّ الملك يُحدِّثه، من باب المثال نذكر الروايات الآتية:

١- قال محمد بن مسلم

«ذَكَرْتُ الْمَحْدُوثَ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، قَالَ: فَقَالَ: إِنَّهُ يَسْمَعُ الصَّوْتِ
 وَلَا يَرَى. فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، كَيْفَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَلَامُ الْمَلِكِ؟ قَالَ: إِنَّهُ يُعْطَى
 السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ مَلِكٌ»^(٤).

(١) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق، علل الشرائع، الباب: ١٤٦، (العلّة التي من
 أجلها سُمِّيَتْ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) مَحْدَثَةً)، ح: ١، ص ١٤٥، منشورات الفجر، ط ١، بيروت،
 ٢٠٠٧م. والعلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢٠٦، الباب: ١٦، ح: ٢٣.

(٢) العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٣) محمد بن يعقوب الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ١٧٦.

(٤) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٦، أبواب علومهم (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، الباب الثاني

٢- قال زرارة بن أعين

«قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): كيف يعلم أنه كان الملك ولا يخاف أن يكون من الشيطان إذا كان لا يرى الشخص؟ قال (عليه السلام): إنه يلقي عليه السكينة؛ فيعلم أنه من الملك، ولو كان من الشيطان اعتراه فزع، وإن كان الشيطان - يا زرارة - لا يتعرّض لصاحب هذا الأمر»^(١).

وطبقاً لنص القرآن الكريم كانت السيدة مريم العذراء (عليها السلام) محدثة أيضاً؛ إذ كانت الملائكة تكلمها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

وإذا ورد في بعض الآيات أن السيدة مريم العذراء (عليها السلام) قد رأت الملك عياناً، فإنما كان ذلك عند تحوّل الملك إلى غير صورته، وتمثله في صورة البشر، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(٣).

وعليه كما أشار العلامة الطباطبائي (رحمته الله) فإن المراد من عدم رؤية الملك بالعين هو عدم ظهوره، وهذا لا يتناقض مع التمثيل على صورة بشرية^(٤).

الفروق

إنّ تحديث الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) وإن كان قد لا يختلف في ماهيته

(إنهم محدثون مفهومان)، ص ٦٨، ح: ٧.

(١) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٦، كتاب الإمامة، جهات علومهم (عليهم السلام) وما عندهم من الكتب، ص ٦٠، ح: ١٣٤.

(٢) آل عمران: ٤٢.

(٣) مريم: ١٧.

(٤) انظر: العلامة محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٤٣٥.

عن الوحي الاصطلاحي، إلا أنه لا تطلق عليه تسمية الوحي الاصطلاحي^(١). ومن الممكن أن يتمكن الإمام المعصوم (عليه السلام) من حضور الوحي النبوي دون أن يكون نبياً؛ فلا يؤمر بإبلاغ الوحي إلى الناس، وهذا ما كان عليه الإمام عليّ (عليه السلام)، وقد روي عنه أنه قال: «أرى نور الوحي والرسالة وأشتم ريح النبوة.. فقال لرسول الله: .. إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك وزير»^(٢).

وروي الحارث بن المغيرة عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: «إن علياً (عليه السلام) كان محدثاً.. قلت: تقول إنه نبي؟ قال: أو كصاحب سليمان، أو كصاحب موسى، أو كذي القرنين»^(٣).

وروي الشيخ الكليني بسند صحيح عن الإمام الباقر، والإمام الصادق (عليه السلام) أنهما قالاً بشأن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٤): «الرسول الذي يظهر له الملك ويكلمه، والنبى هو الذي يرى في منامه.. والمحدث الذي يسمع الصوت ولا يرى الصورة»^(٥).

(١) انظر: محمد بن محمد المفيد، تصحيح الاعتقاد، ص ١٢٠ - ١٢١. وعليه فإذا ورد في رواية التعبير بالوحي فيما يتعلق بالإمام، فليس المراد منه الوحي الاصطلاحي؛ بل المراد معناه اللغوي المستعمل في القرآن. من قبيل ما رواه الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما علم عالمكم؟ جملة يُقذف في قلبه، أو ينكت في أذنه؟ قال: فقال: «وحي كوحي أم موسى (عليه السلام)». العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٥٨.

(٢) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٤٧٦، ح: ٣٧.

(٣) محمد بن يعقوب الكليني، الأصول من الكافي، كتاب الحجّة، الباب: ٥٤ (إن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهية القول فيهم بالنبوة)، ح: ١.

(٤) مريم: ٥١.

(٥) الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، الأصول من الكافي، باب: (الفرق بين الرسول والنبى

وربما أمكن القول بأنّ الوحي إلى الأنبياء تشريعي، وأنّ تحديث الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) تفسيري وتوضيحي، أي أنّ الذي يتمّ تحديث الإمام بشأنه هو بيان وتفسير ما نزل على النبيّ وحياً^(١).

٤- اختلاف الوحي عن الإلهام

مفهوم الإلهام

الإلهام لغةً: إلقاء الشيء في النفس^(٢). وقد ذهب بعض المحققين والباحثين في الشأن القرآني إلى اعتبار الإلهام ظاهرة شبيهة بإحساس الجوع أو العطش أو الحزن والفرح، ممّا يشعر به المرء ويتيقن منه، ويسوقه إلى جهةٍ دون أن يعلم مصدره^(٣). كما عرّف الإلهام في المصطلح العرفاني بأنه نوع من الإخبار الإلهي، والإفاضة على قلب الإنسان، تدعوه إلى القيام بعملٍ ما^(٤). وقد عرّفت الروايات ما ينزل على قلب الإمام (عليه السلام) إلهاماً، فقد روي في الصحيح^(٥) عن الإمام الرضا (عليه السلام) بشأن العلم الذي يُلقى على قلب الإمام، قال: «أمّا النكت في القلوب، فالإلهام»^(٦).

والمحدث)، ح: ٤، التسلسل: ٤٢٨.

(١) انظر: جعفر السبحاني، (تبيين وحي)، مجلة: كلام اسلامي (التخصّصية)، العدد: ٢٦، ص٧.

(٢) ابن منظور الأفرقي، لسان العرب، ج١٢، ص٥٥٥.

(٣) محمّد رشيد رضا، الوحي المحمّدي، ص٨.

(٤) الجرجاني، التعريفات، ص٤٤.

(٥) انظر: العلامة محمّد باقر المجلسي، مرآة العقول، ج٢، ص١٢٦.

(٦) الشيخ محمّد بن يعقوب الكليني، الأصول من الكافي، ج١، كتاب الحجّة، باب: جهات علم الأئمة (عليهم السلام)، ح: ٢.

يتضح من هذه الرواية أنّ الأئمة المعصومين (عليهم السلام) كانوا ملهمين.

والإلهام على قسمين: الإلهام المباشر، والإلهام بواسطة. والإلهام بواسطة يكون من خلال إلقاء الملك دون أن يراه الملهّم^(١)، أو من خلال سماع صوت صادر عن شخص، ويفهم منه المراد، كما هو الحال بشأن رؤيا الأنبياء في مستهل نبواتهم. أمّا الإلهام المباشر فهو الذي يحدث من خلال الاتصال المباشر بين العبد وخالقه^(٢). وإنّ للإلهام معنيين: معنى عام، ومعنى خاص. والإلهام بالمعنى الخاص من مختصات الأولياء والأوصياء. وأمّا الإلهام بالمعنى العام، فعلى نوعين: الإلهام الحقيقي والسببي، وهو الذي يحصل بفعل تهذيب النفس ومجاهدتها. والثاني الذي يحصل من دون سبب، كالذي يحدث لأفراد من قبيل المرتاضين^(٣).

وعليه فإنّ الإلهام من خواص الولاية، وبالالتفات إلى أنّ الأنبياء (عليهم السلام) بالإضافة إلى مقام النبوة، يتمتعون بمقام الولاية أيضاً؛ وعليه فإنهم يتمتعون بهذا النوع من الكشف أيضاً. وبذلك يكون الإلهام ظاهرة يشترك فيها الأنبياء والأولياء. وربما كانت الموارد التي ينزل فيها جبرئيل (عليه السلام) على النبي (صلى الله عليه وآله) ويلقي عليه أمراً دون أن يراه من موارد الإلهام. وقد عبّر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن هذا النوع من الوحي قائلاً: «أحياناً ياتيني الملك في مثل صلصلة الجرس»^(٤).

(١) من هنا يمكن القول: إنّ التحديث لإلهام بواسطة الملك، أي أنه قسم من أقسام الإلهام.

(٢) انظر: الملا محسن الفيض الكاشاني، علم اليقين في أصول الدين، ص ٣٦٠. ومحيي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٢٣٩.

(٣) السيد حيدر الأملي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص ٤٥٥.

(٤) جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٧، ص ٣٦٤.

الفروق

إنَّ الاختلاف الماهوي بين الوحي وبين إلهام الأولياء ليس واضحاً لنا تمام الوضوح؛ إذ إننا لا نستطيع إدراك حقيقة الوحي ولا حقيقة الإلهام، حتى يكون بإمكاننا أن نقارن بينهما لنعلم ما إذا كانا حقيقة واحدة أم حقيقتين^(١). ومع ذلك يمكن لنا التمييز بين الوحي والإلهام من خلال الأمور الآتية:

١- إنَّ الوحي من خواص النبوة، أمَّا الإلهام الخاص فهو من خواصَّ الولاية^(٢)؛ وبالتالي فإنَّ نزول الوحي ينتهي بختم النبوة، ولكن حيث إنَّ الولاية مستمرة، يبقى الإلهام مستمراً^(٣). روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أعطاني الله خمساً، وأعطى علياً خمساً.. أعطاني الوحي، وأعطاه الإلهام»^(٤)).

٢- إنَّ مصدر الوحي معروف للنبي، فهو يعلم علم اليقين أنَّ الوحي إنَّما ينزل عليه من الله، أمَّا الإلهام فهو غير معلوم المصدر دائماً؛ من هنا إذا لم يكن الملهم معصوماً، فإنه لا يعلم مصدر الإلهام وكيفية^(٥).

(١) محمد تقي مصباح اليزدي، راهنما شناسي، ص ٢٤ - ٢٥.

(٢) داود قيصري، شرح فصوص الحكم، ص ١١١.

(٣) صدر الدين محمد الشيرازي، مفاتيح الغيب، ص ١٤٥ وجلال الدين الأشتياني، شرح مقدّمة قيصري، ص ٥٨٦.

(٤) العلامة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٨، الباب: ٣، ح: ٧٧، ص ٢٧.

(٥) ومحبي الدين بن عربي، الفتوحات المكية، ج ٣، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ وكذلك انظر: صدر الدين محمد الشيرازي، المبدأ والمعاد، ص ٦٠٨.

٣- إنَّ الوحي يشتمل على الأحكام والمعارف الضرورية لكمال الإنسان، من هنا يجب على النبي أن يوصله إلى الناس، أمّا الإلهام فهو أمرٌ شخصي، وإنَّ الملهم غير مأمور بإيصال مضمونه ومحتواه إلى غيره^(١).

٤- إنَّ محتوى الوحي حجةٌ حتى على غير النبي، فيجب على الآخرين أن يذعنوا له بتسليم مطلق. أمّا الإلهام فلا يستتبع يقيناً لغير الملهم؛ وعليه بالإضافة إلى ذلك أن يزنه بالموازن والضوابط الشرعية^(٢). وبطبيعة الحال فإنه بالنسبة إلى الإمام (عليه السلام) حيث إنه معصوم، فإنَّ مضمون الإلهام الذي يحصل عليه يكون حجةً على غيره أيضاً.

٥- اختلاف الوحي (القرآني) عن الحديث النبوي

مفهوم الحديث

إنَّ كلمة الحديث مشتقة من الحداثة، بمعنى (الجديد)^(٣)، وتدلّ على الكلام أيضاً^(٤). ومعنى الحديث اصطلاحاً الكلام والفعل والتقرير الصادر عن المعصوم (عليه السلام)^(٥)، وهناك من يذهب إلى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الذي أطلق على كلامه تسمية الحديث كي يميّزه من كلام الآخرين^(٦). وهناك من يذهب إلى القول بأنَّ كلام النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام) إنما يطلق عليه

(١) انظر: صدر الدين محمد الشيرازي، مفاتيح الغيب، ص ١٤٦.

(٢) عبد الله نصري، مباني رسالت أنبياء در قرآن، ص ١١٨.

(٣) انظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة. وأحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المصباح المنير.

(٤) انظر: أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المصباح المنير.

(٥) كاظم مدير شانه جي، دراية الحديث، ص ١١.

(٦) صبحي صالح، علوم الحديث ومصطلحه، ١١٥.

تسمية الحديث؛ لأنه جديد في بيان الأحكام والقوانين الإلهية، ولا يطاله البلى أبداً^(١). وهذا القول يتناسب ومعنى الحديث لغةً.

فإن حديث النبي الأكرم (ﷺ) من حيث المحتوى ينقسم إلى قسمين:

الأول: الحديث التوقيفي، وهو الذي يكون مضمونه وحياً إلهياً.

والآخر: الحديث التوفيقي، وهو الحديث الذي يأخذ النبي الأكرم (ﷺ) مضمونه من كلام الله أو حقائق الوجود^(٢).

وهناك من يعتقد بأن جميع الأحاديث التوقيفية قد حصل عليها النبي الأكرم (ﷺ) مباشرة من الله دون توسط الملك^(٣).

الفروق

هناك بعض الفروق والاختلافات بين الحديث والوحي القرآني، وهي عبارة عن:

١- علاوة على المحتوى فإن البنية اللفظية للقرآن الكريم إلهية وسماوية أيضاً^(٤). في حين أن ألفاظ الحديث النبوي هي من صياغة النبي الأكرم (ﷺ)، حتى وإن كان محتواه ومضمونه من الله، أو بتأييد منه^(٥)، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٦).

٢- يجوز نقل الحديث بمعناه دون لفظه، بينما لا يجوز نقل القرآن بمعناه

(١) كاظم مدير شانه جي، علوم الحديث، ص ٩.

(٢) عبد الله دراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، ص ١٥ - ١٦.

(٣) انظر: نصر حامد أبو زيد، معاني متن: بجوهشي در علوم قرآن، ترجمة: مرتضى كريمي نيا، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٤) انظر: الدرس العاشر.

(٥) انظر في هذا الشأن: إبراهيم عوض، القرآن والحديث مقارنة أسلوبية.

(٦) النجم: ٣ - ٤.

فقط، بل لا بدّ مع ذلك من الالتزام والتعبّد والتقيد بألفاظه أيضاً^(١).

بالالتفات إلى ما تقدم من الفروق بين الوحي والحديث القدسي من جهة، والفروق بين الوحي والحديث النبوي من جهة أخرى، هل يمكنك بيان الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي؟

٦- اختلاف الوحي عن المكاشفة العرفانية

مفهوم العرفان

العرفان مصدر (عَرَفَ)، من عرفت الشيء معرفة وعرفانا^(٢). والمراد من العرفان اصطلاحاً العلم ببعض الحقائق من خلال الكشف والشهود الحاصل بفعل السير والسلوك^(٣)، فإنّ المأخذ العرفاني يختلف عن الوحي اختلافاً كاملاً^(٤)، وإنّ الاختلاف بينهما اختلاف ذاتي^(٥)، وطبعاً هناك شيء من الشبه بين التجربة العرفانية وبين التجربة النبويّة، والتفاوت والاختلاف بينهما يكون على نحوٍ مشكك، وكما قيل: إنّ السماء تجربة عرفانية، وإنّ الأرض تجربة نبويّة. وما روي عن العارف الشهير (بايزيد البسطامي) من أنّه بعد بلوغه آخر مراحل العرفان، رأى رأسه

(١) انظر: جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص١٥٩.

(٢) انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب كتاب العين، مادة (عَرَفَ)، ج٢، ص١١٧٩.

(٣) جلال الدين الآشثباني، شرح مقدّمة قيصري بر فصوص الحكم، ص٥٤٣.

(٤) ذهب العلّامة إقبال اللاهوري حيث يرى الوحي تجربة باطنية للنبيّ إلى وجود نوع من الوحدة بين الوحي والعرفان. انظر: محمّد إقبال اللاهوري، احياء فكر ديني در اسلام، ترجمة: أحمد آرام، ص١٤٧، ١٤٨، و١٦٨.

(٥) في قبالة الاختلاف والتغاير المشكك الذي يكون الاختلاف فيه من حيث الشدّة والضعف، كالاختلاف بين التجربة العرفانية والتجربة النبويّة.

تحت قدمي النبي الأكرم (ﷺ)، فأدرك أنّ المرحلة الأخيرة من العرفان هي بداية المرحلة الأولى من النبوة، قد يشير إلى هذا المعنى^(١).

الفروق

هناك بعض الفروق والاختلافات بين الوحي والمدركات العرفانية، نذكرها على النحو الآتي^(٢):

١- إنّ الوحي معصوم من الخطأ، خلافاً للمدركات والمشهودات العرفانية، فإنّها قد تكون عرضة للخطأ أحياناً، والشاهد على ذلك كثرة الاختلافات بين العرفاء أنفسهم، أمّا الأنبياء فإنّهم أولاً: ليس هناك أيّ خلافٍ فيما بينهم، بل كان كلّ واحدٍ منهم يصدّق السابق ويبيّشّر باللاحق، فالقرآن الكريم يصدّق التوراة والإنجيل، إذ يقول تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٣).

وقد صدّق المسيح عيسى بن مريم (ﷺ) بالتوراة والنبي موسى (ﷺ)، وبشّر بالنبي الأكرم محمد بن عبد الله (ﷺ)، قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٤).

(١) فريد الدين محمد عطار النيشابوري، تذكرة الأولياء، ص ٢٠٦.

(٢) محمد باقر سعیدی روشن، تحلیل وحي از دیدگاه اسلام ومسیحیت، ص ٥٦ - ٧٢.

(٣) آل عمران: ٣.

(٤) الصف: ٦.

وثانياً: إذا كان هناك اختلاف بين الأنبياء في بعض الموارد فهو اختلاف متوقع ومقصود، وإنما كان يقتصر على الفروع، وهو اختلاف تقتضيه الأوضاع الزمنية والخصائص التي يتصف بها أتباع الأنبياء.

٢- إنَّ الوحي معيار، أمَّا المدارك العرفانية فحيث يحتمل فيها الخطأ لا تصلح أن تكون ميزاناً ومعياراً لتصحيح المشاهدات العرفانية وتمييزها من الإلقاءات الشيطانية.

٣- إنَّ الوصول إلى مرتبة العرفان أمرٌ اكتسابي، يتمكن الفرد من بلوغه بممارسة الرياضات الروحية، وأمَّا مقام النبوة وتلقي الوحي، فيكون بتفضل من الله سبحانه وتعالى.

٤- إنَّ الوحي يحمل برنامجاً لهداية الناس بخلاف العرفان، فالنبي مأمور بإبلاغ مضمون الوحي، أمَّا العارف فلم يؤمر ببيان مشاهداته إلى الناس^(١).

٧- اختلاف الوحي عن الإلقاءات الشيطانية

إنَّ من بين المفاهيم التي يجب بيان اختلافها عن الوحي النبوي، الإلقاءات والوساوس الشيطانية؛ إذ عبّر عنها القرآن الكريم بالوحي بمعناه العام واللغوي^(٢)، من ذلك قوله تعالى:

﴿وَأِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾^(٣).

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ

بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^(٤).

(١) انظر: عبد الله جوادي آملی، دين شناسي، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٢) انظر: الدرس الأول.

(٣) الأنعام: ١٢١.

(٤) الأنعام: ١١٢.

تكمن أهمية بيان الفرق بين الوحي النبوي والإلقاءات الشيطانية من خلال توضيح كيفية معرفة الأنبياء بأن ما يتلقونه إنما هو وحي الله وليس من وساوس الشياطين، خاصةً وإنَّ هناك من كان يذهب به التوهم إلى أنَّ القرآن الكريم إنما هو من كلام الشيطان، وقد ردَّ عليه الله بالقول: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾^(١).

وكذلك فقد صرَّح القرآن الكريم بعدم إتيان الشياطين للوحي السماوي؛ لعدم قدرتهم على ذلك أصلاً، قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمَا تَنْزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظْهِرُونَ﴾^(٢).

مفهوم الوسواس الشيطانية

الشيطان لغةً: كلُّ عاتٍ متمرِّدٍ من إنسٍ أو جنٍّ أو دابةٍ، وكلُّ ما بعد عن الحق أو عن رحمة الله تعالى^(٣)، وإنَّ رأس الشياطين هو إبليس. وإنَّ الإلقاءات والوساوس الشيطانية هي: ما يبثه الشيطان في صدور الناس خفية، يدعوهم بها إلى فعل الموبقات والسقوط في أودية الظلام.

الفروق

هناك بعض الفروق والاختلافات بين الوحي والوساوس الشيطانية، نذكرها على الترتيب الآتي:

(١) التكوير: ٢٥.

(٢) الشعراء: ٢٠٩ - ٢١٠.

(٣) انظر: الإمام أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، ص ٢٤٥، مادة (شَطْنَن)، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٩م. ومجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، معجم القاموس المحيط، ص ٦٨٧، مادة (شَطْنَن)، دار المعرفة، ط ١، بيروت، ٢٠٠٥م.

١- إنَّ الوحي يقترن على الدوام بانسراح الصدر، ودعوة الإنسان إلى المغفرة وفضل الله، وهو ما ينسجم مع الفطرة الإنسانية السليمة، في حين أنَّ الوسواس الشيطانية تستوجب ضيق الصدر وانقباض النفس، وتدعو الإنسان إلى اتباع الهوى، والتحذير من الفقر، وتأمّر بالفحشاء، ولا شيء من ذلك يتناغم والفطرة الإنسانية السليمة^(١). قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(٢).

٢- إنَّ الوحي مصدر هداية، خلافاً لمضمون الوسواس الشيطانية التي يؤدي بالإنسان إلى الضياع والضللال^(٣). قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٤).

من الضروري أن نعلم أنَّ الأنبياء (عليهم السلام) كما يحدثنا القرآن الكريم عن آدم وإبراهيم ولوط (عليهم السلام)، كانوا يرون الملك، ويميّزون الوحي السماوي من الوسواس الشيطانية. علاوةً على عجز الشيطان عن التعرّض لأفكارهم ومعتقداتهم.

خلاصة الدرس

١- إنَّ الحديث القدسي هو كلام الله، ولكنه بخلاف الوحي القرآني ليس معجزة، ولذلك فإننا لم نتعبّد بتلاوة الأحاديث القدسية.

(١) انظر، صدر الدين محمد الشيرازي، مفاتيح الغيب، ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) المائدة: ٩١.

(٣) جلال الدين الأشتياني، شرح مقدمه قيصري بر فصوص الحكم، ص ٥٨٦.

(٤) النساء: ٦٠.

٢- إنَّ الوحي عبارة عن إلقاء الحقائق والموضوعات، أو الكلمات على قلب النبي، من خلال حوار حضوري مع الله. أمَّا التجربة النبويَّة فهي مواجهة الأنبياء لله تعالى أثناء تلقي الوحي، فهي تجربة شخصية وباطنية.

٣- إنَّ التحديث عبارة عن تكليم الله بعض الأشخاص بواسطة الملك دون رؤيته، ودون أن يرقى المحدث إلى مرتبة النبوة، من قبيل: الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام).

٤- إنَّ الإلهام نوع من الإفاضة السماوية على قلب الإنسان دون أن يعرف مصدره، وإنَّ الإلهام خلافاً للوحي من خواص الولاية، فهو باقٍ ومستمر ولا ينقطع بانقطاع الوحي، كما أنَّه شخصي لا يكون حجّة على غير الملهم، ويجب اعتباره من خلال الموازين والضوابط الشرعية، إلا إذا كان الملهم معصوماً.

٥- إنَّ الحديث النبوي كلام يحكي عن قول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أو فعله أو تقريره، وهو خلافاً للوحي القرآني لا يشتمل على ألفاظ وبنية سماوية، ولذلك يمكن روايته بمضمونه ومعناه، وعدم التقيد بألفاظه.

٦- إنَّ العرفان عبارة عن معرفة الحقائق من خلال الكشف والشهود القائم على السير والسلوك، وهناك بينه وبين الوحي تفاوتاً ذاتياً، فإنَّ العرفان بخلاف الوحي لا يسلم من الخطأ، ولذلك فهو بحاجة إلى معيار يحدّد العرفان الصحيح من الخاطئ، ولا يكون حجّة لغير صاحبه.

٧- إنَّ الوسواس الشيطانية - التي تلقى في صدور الناس خلسة - بخلاف الوحي النبوي، تدعو إلى ارتكاب المعاصي والسقوط في الظلمات، وتكون مصحوبة بانقباض الصدر وضيق النفس.

أسئلة نموذجية

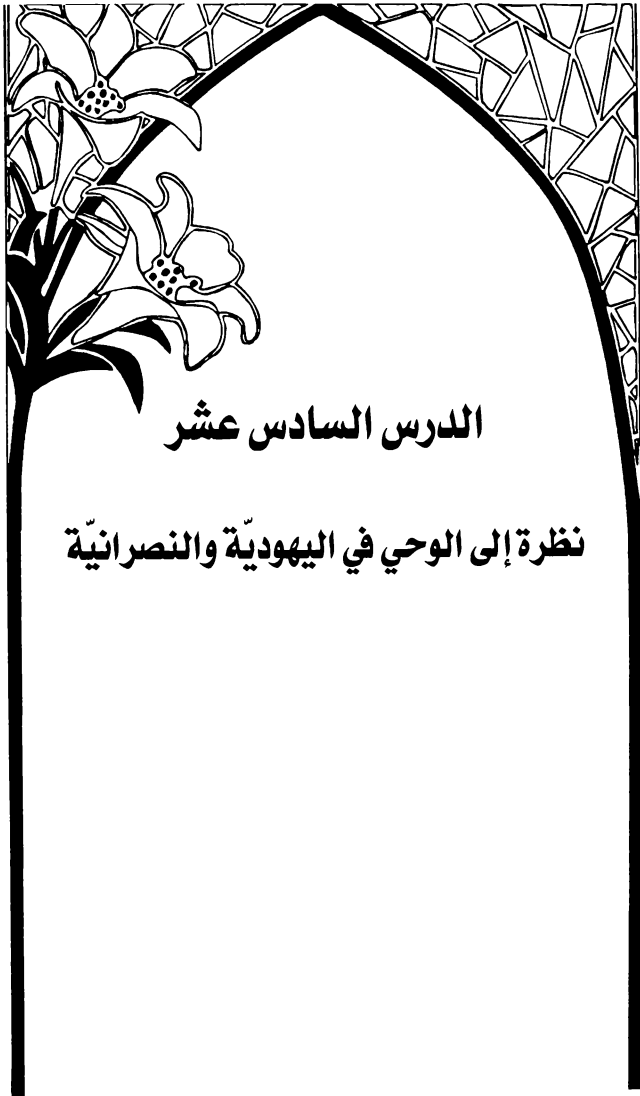
- ١- عرّف الحديث القدسي، وبين الفرق بينه وبين الوحي السماوي.
- ٢- ما هي الفروق بين الوحي والتجربة الدينية؟
- ٣- عرّف التحديث، وشرح الفرق بينه وبين الوحي.
- ٤- ما هو الفرق بين الوحي والإلهام؟
- ٥- اشرح العرفان واختلافه عن الوحي.
- ٦- كيف يتم التمييز بين الوحي والوساوس الشيطانية؟

واحة المصادر

- ١- عبد الله الأنصاري، منازل السائرين، ص ٣٥٥ - ٣٦٠.
- ٢- عبد الله دراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، ص ١٦ - ١٧.
- ٣- كاظم مدير شانه جي، دراية الحديث، ٩ - ١٤.
- ٤- مرتضى المطهري، الأعمال الكاملة، ج ٤، ص ٣٥٦ - ٣٥٧.
- ٥- مصطفى بن العدوي، الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، ص ٤ - ٥.

تحقيق

حَقَّقْ فِي الْأَلْفَاظِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الْوَسَاوِسِ وَالْإِلْقَاءَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ بِمَا فِيهَا كَلِمَةُ الْوَحْيِ، مِنْ خِلَالِ الرَّجُوعِ إِلَى آيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ مِنْ قَبِيلِ آيَةِ الثَّامِنَةِ وَالسَّتِينَ بَعْدَ الْمُتِّينِ مِنْ سُورَةِ الْبَقْرَةِ، وَالآيَةِ التَّاسِعَةِ عَشْرَةَ بَعْدَ الْمُتِّ مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ، وَالآيَةِ الْعِشْرِينَ وَالْآيَةِ الْمُتِّينِ، وَالآيَةِ الْحَادِيَةَ بَعْدَ الْمُتِّينِ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ، وَالآيَةِ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ سُورَةِ الْحَشْرِ، وَالآيَةِ السَّابِعَةَ وَالتَّسْعِينَ مِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ. مَعَ شَرْحٍ وَبَيَانٍ مَفْهُومَهَا.



الدرس السادس عشر

نظرة إلى الوحي في اليهودية والنصرانية

الأهداف

نتوقع من الطالب بعد إتمام هذا الدرس:

- ١- إن يتعرف إلى مسائل الوحي المهمة في الديانة اليهودية.
- ٢- أن يتمكن من المقارنة بين الوحي في اليهودية والإسلام.
- ٣- أن يتعرف إلى مفهوم الوحي وتفسيره في النصرانية.

٤- أن يتمكن من تعداد بعض الفوارق المهمة في الوحي بين الإسلام واليهودية.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْنَاهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١).

تقدم أن ذكرنا^(٢) أن جميع الأنبياء يتميزون من غيرهم بالاتصال بوحي السماء، ويجب على أتباع كل نبي أن يؤمنوا بجميع ما نزل من الوحي على

(١) النساء: ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) انظر: الدرس الأول.

الأنبياء (ﷺ). قال تعالى مخاطباً نبيه الأكرم (ﷺ): ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

ولم يبقَ من الوحي الذي نزل على الأنبياء (ﷺ) بين أيدينا سوى القرآن الكريم، ومع ذلك يذهب اليهود إلى الاعتقاد بأن جميع أسفار العهد القديم هي جزء من الكتاب المقدس، ويذهب النصارى إلى القول بأن جميع الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد هو كتاب الله وإلهامه^(٢)؛ من هنا كان اليهود والنصارى يتمحورون - مثل المسلمين - حول النص الديني الذي يتمتع فيه الوحي بأهمية عالية^(٣).

بالالتفات إلى هذه الخصوصية في الديانة اليهودية والنصرانية، فإننا سننظر في الدرس الأخير إلى بعض مسائل الوحي في هاتين الديانتين، كي نتمكن من التعرف على أوجه الشبه والاختلاف بين الوحي في الديانتين اليهودية والمسيحية، وما سبق أن ذكرناه من مسائل الوحي في التعاليم والنصوص الإسلامية إلى حد ما. جدير ذكره أننا سنكتفي في هذا الدرس بمجرد التقرير^(٤)، وفي الختام سنقوم ببعض المقارنات:

(١) آل عمران: ٨٤.

(٢) انظر: توماس ميشيل، كلام مسيحي، ص ٢٦.

(٣) وقد تمت الإشارة إلى هذه المسألة في كتاب: (معجم اللاهوت الكتابي) لمؤلفه: نيافة المطران أنطونيوس نجيب، ص ٨٤٠.

(٤) من أجل مناقشة ودراسة الوحي انظر: محمد باقر سعدي روشن، تحليل وحي از ديدگاه اسلام ومسيحيت، ص ١٠١ - ٢١٧.

١- الوحي في اليهودية

يُعدّ الكتاب المقدّس المصدر الرئيس للمعارف في الأديان المتمحورة حول النصّ الديني؛ إذ تذهب اليهودية من بين تلك الديانات إلى اعتبار العهد القديم مصدرها الرئيس، فلا بدّ من النظر قبل كلّ شيء إلى تطبيقات الوحي فيه.

١-١- النصوص المقدّسة عند اليهود

يطلق اليهود على كتبهم المقدّسة تسمية العهد، أو (تَنخ)^(١)، وقد كتب أغلبها باللغة العبرية، والنزر القليل منها باللغة الكلدانية. وتشتمل هذه الكتب التي يطلق عليها النصارى تسمية (العهد القديم) على تسعة وثلاثين سفرًا، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام، وهي: (التوراة)، و(الأنبياء)^(٢)، و(الكتب)^(٣).^(٤) وتشتمل التوراة على: سفر الوجود، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية. ويذهب اليهود

(١) وهي مفردة مكونة من ثلاثة حروف، وهي: التاء = أول حرف من كلمة التوراة، وفي اللغة العبرية (تورا). والنون = ثاني حرف من كلمة أنبياء، وفي اللغة العبرية (نوئييم). والخاء = معدول الكاف من الكتب (وفي اللغة العبرية (كتوييم) بتبدل الكاف خاءً طبقاً لقواعد اللغة العبرية). انظر: حسين توفيقى، آشنائي با اديان بزرگ، ص ٩٧.

(٢) يشتمل على كتاب الأنبياء السابقين، من قبيل: يوشع، والقضاة، والكتاب الأول والثاني من صموئيل، والكتاب الأول والثاني من الملوك، وكتب: إشعيا، وإرميا، وحزقيال، وهوشع، ويوثيل، وعاموس، وعوبديا، ويونس، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجاي، وزكريا، وملاخي.

(٣) يشتمل على الكتاب الأول والثاني من أخبار الأيام، وأسفار: عزرا، ونحميا، وأستير، والمزمير، والأمثال، وأيوب، ومراثي إرميا، والجامعة (سليمان)، والأناشيد (أناشيد سليمان ودانيال).

(٤) انظر: توماس ميشيل، كلام مسيحي، ترجمة: حسين توفيقى، ص ٢٢ و ٣١ - ٤٢.

والنصارى إلى القول بأن التوراة من تأليف النبي موسى (ﷺ)، وأما سائر الكتب والأسفار الأخرى في العهد القديم، فهي منسوبة إلى غيره من الأنبياء (ﷺ)^(١). إلا أن بعض المحققين المجددين يعتقدون أن اليهود كانوا يتناقلون روايات النبي موسى (ﷺ) وسيرة بني إسرائيل مشافهة، واستمر الوضع على هذه الحالة لسنوات طويلة، ولم تكتب هذه الرويات في كتاب واحد إلا في القرن الخامس قبل الميلاد، ولم تتضمن إلا النزر اليسير من وحي الله المباشر^(٢).

وطبعاً إن أصحاب كلا الرأيين يذهبون إلى القول بأن العهد القديم كلام الله وكتابه، وإن على المتدينين أن يلتمسوا منه سماع كلام الله؛ لأن كلام الله على نوعين؛ النوع الأول: كلام الأنبياء بالنبابة عن الله. والثاني: التكلم بواسطة التملك، بمعنى: إن الله سبحانه وتعالى يتملك كلام الأنبياء والمؤلفين من خلال تأييدهم^(٣).

وهناك مواضع في العهد القديم تحدثت عن الوحي وارتباط الله بالأنبياء صراحة، من ذلك:

(وَحْيُ كَلِمَةِ الرَّبِّ لِإِسْرَائِيلَ)^(٤).. (وَحْيُ كَلَامِ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ. يَقُولُ

(١) انظر: هنري تيسن، الهيات مسيحي، ترجمة: طه ميكائيليان، ص ٥١ - ٥٢.

(٢) انظر: توماس ميشيل، كلام مسيحي، ترجمة: حسين توفيق، ص ٢٨ وحسين توفيق، آشنائي با اديان بزرگ، ص ١٦٤، و ٢٢٩، و ٢٤٥.

(٣) انظر: علي رضا قائمي نيا، وحي وافعال كفتاري، ص ٨٠ - ٨٦، نقلًا عن:

Nicholas Wolter Storrff, The Importance of hermeneutics for chrition Worldview, P. ٢٩ - ٣١

(٤) العهد القديم، سفر ملاخي، الإصحاح الأول، الفقرة الأولى. وكذلك انظر: سفر الملوك،

الرَّبُّ بَاسِطُ السَّمَاوَاتِ وَمُؤَسِّسُ الْأَرْضِ وَجَابِلُ رُوحِ الْإِنْسَانِ فِي دَاخِلِهِ).^(١)

وهناك من العبارات ما تحدّث عن نزول الوحي، من قبيل: (وَحْيُ كَلِمَةِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ حَدْرَاخَ وَدِمَشْقَ مَحَلَّةً).^(٢)

وقد استعمل الوحي في العهد القديم في الأعمّ من معناه الاصطلاحي والخاصّ بالأنبياء؛ إذ إنّه يذكر نزول الوحي وروح القدس على بلعام بن بعور (بلعم بن باعوراء) أيضاً^(٣). في حين أنّه لم يكن من الأنبياء. وقال صاحب قاموس الكتاب المقدّس بعد بيان بعض موارد استعمال الوحي في العهد القديم: (إنّ المراد من الوحي بشكلٍ عام هو الإلهام)^(٤).

١-٢- تفسير الوحي

من خلال استعمالات كلمة الوحي الناظرة إلى وحي الله إلى الأنبياء في

الإصحاح التاسع، الفقرة السادسة والعشرين.

(١) العهد القديم، سفر زكريا، الإصحاح الثاني عشر، الإصحاحين الأول والثاني. وكذلك التعبير بالوحي بشأن دمشق (سفر إشعياء، الإصحاح السابع عشر، الفقرة الأولى)، وبشأن مصر (سفر إشعياء، الإصحاح التاسع عشر، الفقرة الأولى)، وبشأن مواب (سفر إشعياء، الإصحاح الخامس عشر، الفقرة الأولى)، وبشأن صور (سفر إشعياء، الإصحاح الثالث والعشرين، الفقرة الأولى).

(٢) العهد القديم، سفر زكريا، الإصحاح التاسع، الفقرة الأولى. وكذلك انظر: سفر إرميا، الإصحاح الحادي عشر، الفقرة الأولى، وسفر زكريا، الإصحاح الأول، الفقرة الأولى والثانية.

(٣) العهد القديم، سفر العدد، الإصحاح الرابع والعشرين، الفقرة الثالثة إلى الخامسة، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا القضية في الآية الخامسة والأربعين بعد المئتين من سورة البقرة.

(٤) جيمز هاكس، قاموس كتاب مقدس، ص ٩٠٥.

العهد القديم، ندرك أنّ الوحي كان على شكل حوار بين الله والأنبياء، أي: الوحي اللغوي اصطلاحاً، خاصةً وإنه استعمل في الكثير من الموارد عبارات من قبيل: (قال الله)، و(تكلم الله)، و(نزل كلام الله)^(١)، ومن ذلك ما يأتي: (فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اجْمَعْ إِلَيَّ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ شِيُوخِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ شِيُوخُ الشَّعْبِ وَعَرَفَاؤُهُ، وَأَقْبِلْ بِهِمْ إِلَى خَيْمَةِ الْجَمْعِ فَيَقِفُوا هُنَاكَ مَعَكَ»)^(٢).

(وَالرَّبُّ كَشَفَ أُذُنَ صَمُوئِيلَ^(٣) قَبْلَ مَجِيءِ شَاوُلَ بِيَوْمٍ قَائِلًا: غَدًا فِي مِثْلِ الْآنِ أُرْسِلُ إِلَيْكَ رَجُلًا مِنْ أَرْضِ بَنِيَامِينَ، فَاْمْسَحْهُ رَئِيسًا لِشُعْبِي إِسْرَائِيلَ، فَيُخَلِّصَ شُعْبِي مِنَ يَدِ الْفِيلِسْطِينِيِّينَ)^(٤).

وكان تكليم الله الأنبياء يحدث أحياناً على شكل كتابات، جاء في التوراة: (فَكَلَّمَكُمْ الرَّبُّ مِنْ وَسَطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلَامٍ، وَلَكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةً بَلْ صَوْتًا. وَأَخْبَرَكُمْ بَعْدَهُ الَّذِي أَمَرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِ، الْكَلِمَاتُ الْعَشْرُ، وَكَتَبَهُ عَلَى لَوْحِي حَجَرٍ)^(٥).

(١) العهد القديم، سفر الخروج، ٣، ٤، و ٥.

(٢) العهد القديم، سفر العدد، الإصحاح الحادي عشر، الفقرة: ١٧؛ وكذلك انظر: سفر إشعياء، الإصحاح الأربعين، الفقرة: ١ - ٥.

(٣) صموئيل هو المعبّر عنه في القرآن بـ (طالوت)، حيث أشار القرآن الكريم إلى قصته في الآيات من ٢٤٦ إلى ٢٥١ من سورة البقرة.

(٤) العهد القديم، سفر صموئيل الأول، الإصحاح التاسع، الفقرة: ١٥ - ١٦؛ وسفر المزامير، الإصحاح الخمسين، الفقرة: ٢١.

(٥) العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح الرابع، الفقرة: ١٣ - ١٤. كما أشار القرآن الكريم إلى الألواح التي أنزلها الله إلى النبي موسى (ﷺ) وفيها الوحي مكتوباً، وذلك حيث قال تعالى في الآية الخامسة والأربعين بعد المئة من سورة الأعراف: ﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي

١-٣- أقسام الوحي

أشار العهد القديم إلى عدة أقسام من الوحي، وهي عبارة عن:

أ - الوحي المباشر

تحدث الكتاب المقدس مراراً عن نبي سمع كلام الله مباشرة، وكان ذلك يحدث في الغالب أثناء النوم، من قبيل ما حدث للنبي صموئيل (على نبينا وآله وعليه السلام)^(١). وقد كان للنبي موسى (عليه السلام) هذا النوع من الوحي. جاء في التوراة أن الله تعالى قال بشأن تكليمه إياه: (أَمَا عَبْرِي مُوسَى فَلَيْسَ هَكَذَا، بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِي كُلِّ بَيْتِي. فَمَا إِلَيَّ فَمَ وَعَيَانًا أَتَكَلَّمُ مَعَهُ، لَا بِالْأَلْفَانِ)^(٢).

بل هناك نصّ يتحدث عن رؤية إشعياء لله أثناء تكليمه (ويحتمل أن يكون المراد هي الرؤية القلبية دون البصرية)^(٣):

قال إشعياء: (ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّيْرِ قَائِلاً: «مَنْ أُرْسِلُ؟ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟»)^(٤).

ب - الوحي من وراء حجاب

إنّ من بين أقسام الوحي الأخرى المذكورة في العهد القديم هو الوحي

الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء».

(١) العهد القديم، سفر صموئيل الأول، الإصحاح الثالث.

(٢) العهد القديم، سفر العدد، الإصحاح الثاني عشر، الفقرة: ٨.

(٣) هذا تأويل في غير محله، وإلا فإنّ التوراة مفعمة بالتصريح بالتجسيد والتجسيم، وما مصارعة النبي يعقوب لله في النصوص التوراتية وصرعه إياه منك ببعيد. (المعرب).

(٤) العهد القديم، سفر إشعياء، الإصحاح السادس، الفقرة: ٨.

وتكليم الله الأنبياء من وراء حجاب، وهو أكثر ما حصل للنبي موسى (عليه السلام)، من ذلك: (فَكَلَّمَكُمُ الرَّبُّ مِنْ وَسْطِ النَّارِ وَأَنْتُمْ سَامِعُونَ صَوْتَ كَلَامٍ، وَلَكِنْ لَمْ تَرَوْا صُورَةَ بَلَّ صَوْتًا)^(١).

ج - الوحي بواسطة الملك

أما القسم الآخر من الوحي فهو الوحي بواسطة الملك، من قبيل: (فقال زكريا للملاك: كيف أعلم هذا؟ لأني أنا شيخ وامراتي متقدمة في أيامها .. فأجاب الملاك وقال له: أنا جبرئيل الواقف قدام الله، وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا)^(٢).

وأحياناً يظهر ملك الوحي على صورة رجل، فيراه النبي، من قبيل: (وأنا مُتَكَلِّمٌ بَعْدُ بِالصَّلَاةِ، إِذَا بِالرَّجُلِ جِبْرَائِيلَ الَّذِي رَأَيْتُهُ فِي الرُّؤْيَا فِي الْإِبْتِدَاءِ مُطَارًا وَآغْفًا لَمَسْتَنِي عِنْدَ وَقْتِ تَقْدِمَةِ الْمَسَاءِ. وَفَهَّمَنِي وَتَكَلَّمَ مَعِي وَقَالَ: يَا دَانِيَالُ، إِنِّي خَرَجْتُ الْآنَ لِأَعْلَمَكَ الْفُهْمَ)^(٣).

وقد عبر العهد القديم عن ملك الوحي بـ (روح الله)، من قبيل: (وإنَّ يَحْزَرِّيئِيلَ بَنَ زَكْرِيَّا بَنَ بَنَيَا بَنَ يَعْئِيلَ بَنَ مَتِّيَّا اللَّوِيِّ مِنْ بَنِي آسَافَ، كَانَ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ فِي وَسْطِ الْجَمَاعَةِ)^(٤).

(١) العهد القديم، سفر التثنية، الإصحاح الرابع، الفقرة: ١٣.

(٢) العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح الأول، الفقرة: ١٩.

(٣) العهد القديم، سفر دانيال، الإصحاح التاسع، الفقرة: ٢١ - ٢٢ وكذلك انظر، الإصحاح الرابع، الفقرة: ١٥ - ١٦.

(٤) العهد القديم، تاريخ الأيام الثاني، الإصحاح العشرين، الفقرة: ١٤.

مسألة

وبناءً على ما هو وارد في العهد القديم فإنّ وحي الله إلى الأنبياء وتكلمه معهم بالإضافة إلى حالة اليقظة، كان يحدث أحياناً في الرؤيا والمنام، كالذي حصل للنبي حزقيال (عليه السلام)^(١)، قال الله على ما جاء في التوراة: (فَقَالَ: اسْمَعًا كَلَامِي. إِنْ كَانَ مِنْكُمْ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ، فَبِالرُّؤْيَا اسْتَعْلِنُ لَهُ. فِي النُّحْلِ أَكَلُمُهُ)^(٢).

وجاء في التوراة أيضاً: (وَلَمَّا صَارَتِ الشَّمْسُ إِلَى الْمَغِيبِ، وَقَعَ عَلَى أَبْرَامَ سُبَاتٌ، وَإِذَا رُعبَةٌ مُظْلِمَةٌ عَظِيمَةٌ وَأَقِعمَةٌ عَلَيْهِ. فَقَالَ لِأَبْرَامَ: اعْلَمْ يَقِينًا أَنْ نَسْأَلُكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ)^(٣).

١-٤- شرائط حصول الوحي

طبقاً لما جاء في التلمود الذي يؤيده فلاسفة اليهود تعتبر النبوة هبة من الله، وإنّ من يحصل عليها يحتاج إلى أن تتوفر فيه بعض الشروط. فالذي يستحق نزول الوحي عليه هو الذي تمكن من قطع مراحل روحية جعلته مؤهلاً ليحصل على روح القدس، فالذكاء والنشاط يمنح الإنسان خلوصاً، والخلوص يستوجب الطهر، والطهر يستوجب التقوى، والتقوى تجعل من الإنسان قديساً، والقداسة يصحبها الخضوع والتواضع، والخضوع والتواضع يخلقان عند الإنسان شعوراً بالخوف من الوقوع في الخطأ، والخوف يحصن الإنسان بالدين، والتدين يُزوّده بروح القدس. وبالإضافة إلى الشروط الأخلاقية لحصول الشخص على الوحي، يجب فيه

(١) العهد القديم، سفر حزقيال، الإصحاح الرابع، الفقرة الرابعة.

(٢) العهد القديم، سفر العدد، الإصحاح الثاني عشر، الفقرة السادسة.

(٣) العهد القديم، سفر الوجود، الإصحاح الخامس عشر، الفقرة: ١٣ - ١٤.

أن يكون عاقلاً وعالمياً وثرياً وطويلاً القامة أيضاً، فإن الإنحراف الأخلاقي يؤدي إلى زوال النعمة مؤقتاً أو إلى الأبد: (إذا تكبر النبي زالت عنه النبوة، وإذا غضب ستركه النبوة)^(١).

١-٥- انتهاء الوحي رغم استمرار النبوة

يذهب اليهود إلى الاعتقاد بانقطاع الوحي قبل حوالي أربعة قرون قبل ميلاد المسيح (ﷺ)، ولن يعود الوحي إلى النزول إلا بعد ظهور المنجي الموعود^(٢). وعلى الرغم من وجود ثمانية وأربعين نبي، وسبع نبيات^(٣) في بني إسرائيل بعد النبي موسى، إلا أنهم لم يضيفوا شيئاً إلى التوراة، لأن النبي موسى (ﷺ) قد ذكر الأمور المتعلقة به وبسائر أنبياء بني إسرائيل^(٤).

ما هي أوجه الشبه والاختلاف بين المسائل النازرة إلى الوحي

في الإسلام واليهودية؟

٢- الوحي في المسيحية

٢-١- استعمال الوحي في الكتاب المقدس عند النصارى

يؤمن النصارى بجميع ما جاء في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، فالعهد القديم عندهم عبارة عن العهد الذي أخذه الله تعالى على

(١) انظر: أ. كهن، كنجينه اي از تلمود، ترجمة: امير فريدون كركاني، ص ١٣٩.

(٢) من جملة أصول العقائد اليهودية الإيمان بظهور المسيح الموعود الذي لم يتحقق حتى الآن. (حسين توفيقى، آشنائي با اديان بزرگ، ص ١٠٨ - ١١٠).

(٣) تحدت العهد القديم عن وجود نبيات (انظر: سفر إشعياء، الإصحاح الثامن، الفقرة الثالثة)، وفيما يتعلق بالنبيات في اليهودية، انظر: محمود راميار، نبوت اسرائيل ومسيحي، ص ١٠٢ - ١٠٦.

(٤) انظر: أ. كهن، كنجينه اي از تلمود، ترجمة: امير فريدون كركاني، ص ١٤١.

بني إسرائيل بواسطة الأنبياء الذين سبقوا النبي عيسى (ﷺ)، وأمّا العهد الجديد فهو عهد الله متمثلاً بعيسى المسيح على جميع الناس. وقد كتب العهد الجديد باللغة اليونانية، وهو يشتمل على سبعة وعشرين كتاباً. ومن ناحية الموضوع ينقسم إلى الأقسام الأربعة الآتية^(١):

١- الأناجيل^(٢) الأربعة، وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.

٢- أعمال الرسل، ويشتمل على كتاب واحد في بيان سيرة الرسل.

٣- كتب الرسل، ويشتمل على ثلاث عشرة كتاباً.

٤- المكاشفة، وتشتمل على كتاب واحد عنوانه: رؤيا يوحنا.

فإنّ النصارى لا يعتقدون أنّ عيسى (ﷺ) قد جاء بكتاب هو الإنجيل^(٣). بل إنّ الأناجيل ما هي إلاّ سيرة وكلمات عيسى (ﷺ) كتبها بعض حواريه وأتباعه، وليس منها ما هو وحي مباشر من الله سبحانه وتعالى، ولكنها حيث كتب بالإلهام الإلهي إلى مؤلفيها، فهي جديرة بنفس احترام وتقديس الكتب السماوية والإلهام الإلهي^(٤). جاء في العهد الجديد: (كلّ الكتاب هو موحى به [إلهاماً من الله])^(٥).

(١) انظر: توماس ميشيل، كلام مسيحي، ترجمة: حسين توفيق، ص ٤٢ - ٦٤ وحسين توفيق، أشنائي با اديان بزرک، ص ٢٢٩.

(٢) يعني الإنجيل في اللغة اليونانية: البشارة.

(٣) حسين توفيق، أشنائي با اديان بزرک، ص ٢٢٩.

(٤) انظر: كلام مسيحي، ص ٢٦ - ٤٩؛ وكذلك: العهد القديم، أعمال الرسل، الإصحاح الأول، الفقرة: ١٦.

(٥) الرسالة الثانية إلى تيموثاوس، الإصحاح الثالث، الفقرة السادسة عشرة.

وجاء في بيان الاجتماع الأول للفاثيكان حول معتقد الكاثوليك الجدد بشأن الكتاب المقدّس: (حيث تمّ تأليف هذا الكتاب بإلهام من روح القدس، يمكن القول بأنه صادر عن الله)^(١).

تقدم أن ذكرنا أنّ مفردة (الوحي) تكررت في العهد القديم كثيراً، وأمّا في العهد الجديد فقد استعملت مفردة الإلهام. من هنا فقد استشهد علماء النصارى في دراسة مفهوم الوحي بالعهد القديم أيضاً.

٢-٢- مفهوم الوحي

إنّ المفهوم التقليدي للوحي في المسيحية شبيه بمفهوم الوحي في الإسلام؛ إذ إنّه يدلّ عندهم على نوع من التجلي^(٢) والإلقاء الإلهي الخارق للنواميس الطبيعية. جاء في دائرة المعارف الكاثوليكية: (يمكن تعريف الوحي على أنّه انتقال بعض الحقائق من قبل الله إلى المخلوقات العاقلة، من طريق وسائل من خارج القنوات الطبيعية المتعارفة)^(٣).

وقد فسّر (قاموس الكتاب المقدّس) الوحي - ضمن دراسته للكثير من موارد استعمال الوحي في العهد القديم - بمعنى الإلهام، ومن هنا فقد اعتبر جميع الكتاب المقدّس إلهاماً، وإنّ الوحي يعني حلول الروح الأقدس الإلهي في الذين ألفوا الكتاب المقدّس^(٤).

(١) جان هيك، فلسفه دين، ترجمة: بهرام راد، ص ١٢٠.

(٢) انظر: بل تيلخ، الهيات سيستماتيك، ترجمة: حسين نوروزي، ص ١٦٢.

(٣) The Catholic University of America, New Catholic Encyclopedia, (٣)

.٤٤٠, P. ١٢٧.

(٤) نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدّس، ص ٧٩٣ - ١٠٢٠.

أما دائرة المعارف الأميركية فاعتبرت مفهوم الوحي أعمّ من المفهوم الإلهي، ونسبته إلى الطبيعة أيضاً، وقالت في تعريف الوحي: (الحقيقة التي نزلت إلى الناس من ناحية الله عزّ وجلّ، خاصّةً من طريق الكتب المقدّسة. كما يتجلى الوحي بإرادة الله وتدييره في عقل الإنسان وضميره ووجدانه. وإنّ الطبيعة في كلّ مكانٍ تجعل من القدرة والطهر والحكمة الإلهية وحيّاً. وكذلك فإنّ تاريخ الإنسان على الأرض دليلٌ على التدبير الإلهي. إلا أنّ أكثر أنواع الوحي صراحة هو إرادة الله المتعلقة باهتمامه بالإنسان من خلال كلامه المكتوب ورسالته الإلهية الخاصة^(١)).

٢-٢- تفسير الوحي واعتبار الكتاب المقدّس

هناك في المسيحية ثلاثة تفسيرات عامّة ومختلفة فيما يتعلق بالوحي، ولكلّ واحدٍ منها تفسيره الخاص بشأن سماوية الكتاب المقدّس^(٢). وفيما يلي نذكر تلك التفسيرات على النحو الآتي:

أ- النظرية اللغوية

كان التفسير اللغوي للوحي - الذي هو أشبه باعتقاد الريانيين القدامى من اليهود^(٣) - هو التفسير الغالب في القرون الوسطى. وحالياً يتمثل هذا التفسير في الأشكال الأكثر نمطية في المذهب الكاثوليكي الروحي. وقد آمن به المحافظون في المذهب البروتستانتي أيضاً. يذهب هذا التفسير إلى اعتبار الوحي مجموعة من الحقائق الأصلية والأحكام الإلهية التي أنزلها الله بواسطة السيد

(١) Martin Rist, *Orevelation The Encyclopedia Americana*, V. (١) ٤٤٠.

(٢) انظر: حسين توفيق، أشنائي با اديان بزرک، ص ١٦٧.

(٣) توماس ميشيل، كلام مسيحي، ترجمة: حسين توفيق، ص ٢٦ - ٢٧.

المسيح (ﷺ) وغيره من الأنبياء (ﷺ)^(١)، وتم تدوينها في الكتب المقدسة، وسنن الأولياء^(٢). يقوم أساس هذا التفسير على اعتبار المسيح عيسى (ﷺ) عبد الله ورسوله^(٣)، وهو ما أشار إليه الكتاب المقدس مراراً وتكراراً، من ذلك: (إنَّ إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إله آبائنا، مجدّ فثاه يسوع)^(٤).

وقد نسب المسيح عيسى (ﷺ) نداهه وكلمته إلى الله مراراً، من ذلك جوابه عن تعجب اليهود من معرفته بالكتب دون أن يكون قد درسها، إذ قال: (ما تعليمي من عندي، بل من عند الذي أرسلني)^(٥).

The Catholic University of America, New Catholic Encyclopedia, (١) ٤٤٠, P. ٢٢٧.

(٢) انظر: جان هيك، فلسفه دين، ترجمة: بهرام راد، ص ١١٩ وإيان باربر، علم ودين، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، ص ٢٣.

(٣) في هذا الشأن قال تعالى في الآية الثلاثين من سورة مريم: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

(٤) العهد الجديد، أعمال الرسل، الإصحاح الثالث، الفقرة: ١٣ وكذلك انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح الثالث، الفقرة: ١٧. وكما ترى ليس في هذا النص تصريح بعبودية عيسى لله بل التصريح في بنوته له وكونه فثاه. (المعرب).

(٥) العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح السابع، الفقرة: ١٥ - ١٦، وكذلك انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح الثامن، الفقرة: ١٦، والإصحاح الحادي عشر، الفقرة: ٤٣، والإصحاح الثاني عشر، الفقرة: ٤٤ - ٥٠. وإنجيل مرقس، الإصحاح التاسع، الفقرة: ٢٧، وقد وصف الله تعالى عيسى بن مريم (ﷺ) في الآية الحادية والسبعين من سورة النساء: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْنَاهُ آثَامًا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحَ مِنْهُ فَأَمِينُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِنَّهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾.

يذهب هذا التفسير - الذي أضحي أساساً للكثير من البحوث الفلسفية الحديثة^(١) - إلى القول بأنّ الله سبحانه قد أنزل رسالته وأملاها على النبيّ أو الكاتب من بني البشر، فقام النبيّ أو الكاتب بدوره بتدوينها وكتابتها كلمة كلمة، وعليه تكون الكتب المقدّسة بألفاظها ومعانيها إلهاماً إلهياً. بل هناك من المتدينين من النصارى من يعتقد أنّ الله هو الذي أبلغ الحقائق الأخلاقية وحيّاً مكتوباً^(٢).

إلّا أنّ أغلب المفكرين الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت المعاصرين يرفضون هذه النظرية، فهم لا يعتقدون بكون الكتاب المقدّس وحيّاً لفظياً، ويذهبون إلى القول بأنّ المسألة أعقد من ذلك بكثير.

ب - النظرية التاريخية غير اللغوية

بناءً على النظرية التاريخية غير اللغوية القائمة على تفسير بولس للوحي - والتي تسود المسيحية البروتستانتية في القرن الراهن - يُعتبر الوحي تجلياً ذاتياً لله في المسيح بواسطة التأثير في التاريخ^(٣)؛ وعليه فإنّ أكمل أنواع الوحي لم تتعكس في الكتاب، بل في الإنسان نفسه. جاء في الكتاب المقدّس^(٤): (لقد أظهر الله نفسه في الطبيعة والتاريخ والوجدان البشري، كما تجلّت ذاته في ابنه وفي كلامه)^(٥).

(١) انظر: جان هيك، فلسفه دين، ترجمة: بهرام راد، ص ١٢٢.

(٢) مايكل بيترسون وآخرون، عقل واعتقاد ديني، ترجمة: أحمد النراقي، ص ٤٣٥ وجان هيك، فلسفه دين، ترجمة: بهرام راد، ص ٣٥.

(٣) Alston, Wiliam. "Religion", The Encyclopedia of Philosophy. E d. (٣) Paul Edwards, V. ٨.

(٤) انظر أيضاً: العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول، الفقرة: ١ - ١٤.

(٥) هنري تيسن، الهيات مسيحي، طه ميكائيليان، ص ٦١. واضح أنّ هذا الكلام ليس من

تقوم هذه الرؤية على النظرية الخاصة في معرفة المسيح، والتي تقول بأنَّ الله قد تجلّى في المسيح، وأنَّ المسيح قد يُظهر الله في حياته وشخصه، ويترجم إرادته بشأن البشر^(١). وقد شرح كارل بارت - مؤسس الأرثوذكسية الحديثة - هذه الرؤية على النحو الآتي: (إنَّ الله لا يكشف عن سلسلة من العلوم الغيبية، بل هو يكشف عن ذاته، فالوحي الأصلي هو شخص المسيح، وكلمة الله مجسّدة على شكل إنسان)^(٢).

تعتبر هذه الرؤية الكتاب المقدس كتاباً بشرياً مؤيداً بروح القدس^(٣)، ويقوم اعتباره على شهادته الصادقة على مسألة الوحي وانعكاس الوضع الخاص للسيد المسيح عيسى (ﷺ) وغيره من المؤمنين^(٤).

ج - الوحي غير اللغوي الباطني والتجريبي

تقدّم في الدرس الخامس أنّ بعض علماء النصارى، من قبيل: (شلابير ماخر) يفسّرون الوحي على أساس من التحليل التجريبي، فهؤلاء خلافاً لأنصار النظريتين السابقتين لا يرون الوحي كلمات أو أنه تجسّد في الإنسان، بل يرونه تجربة دينية واستشعاراً لحضور الله في وجدان المؤمنين؛ ومن هنا تكون التجربة الإنسانية والإنكشاف السماوي الإلهي وجهين لعملة واحدة^(٥).

وعلى هذا التفسير فإنَّ الكتاب المقدس ليس وحياً مباشراً من الله، بل

الكتاب المقدس كما جاء في نصّ المؤلّف. (المعرب).

(١) انظر: توماس ميشيل، كلام مسيحي، ترجمة: حسين توفيق، ص ٢٨.

(٢) هودرن، راهنماي الهيات بروتستان، ص ١٨٠.

(٣) انظر: ايان باربر، علم ودين، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، ص ٣٥.

(٤) المصدر المتقدّم، ص ١٦٠.

(٥) انظر: المصدر المتقدّم، ص ١٣١ - ١٣٢.

هو شهادة إنسانية على انعكاس الوحي في مرآة الأحوال والتجارب البشرية، وتتجلى قيمته في هذه الشهادة. قال شلاير ماخر: (إن قيمة الكتاب المقدس تكمن في سرد الأحوال السابقة، والتجارب الدينية لبني إسرائيل والسيد المسيح، وسيرة المؤمنين الأوائل)^(١).

٢-٤- سلامة الوحي

إن لأصحاب هذه التفسيرات المختلفة بشأن الوحي آراء مختلفة بشأن سلامته، وهي كالآتي:

١- إن النتيجة المترتبة على التفسير اللغوي للوحي هي سلامة ألفاظ الكتاب المقدس من التحريف والاشتباه والخطأ؛ إذ إن الله - بناءً على هذا التفسير - قد أملى كلامه على كاتبه كلمة كلمة، وقد قام الكاتب بدوره بكتابة ما أملاه عليه الله بكل أمانة دون زيادة أو نقصان^(٢). يذهب (الأصوليون) من النصارى - الذين يصرّون على العودة إلى أسس الإيمان المسيحي - إلى القول بأن الاعتقاد بعصمة الكتاب المقدس من الناحية اللفظية يشكل أحد الأصول الرئيسية في الإيمان المسيحي.

٢- بناءً على النظرية الثانية القائلة بظهور الله وتجليه في المسيح عيسى (عليه السلام) دون الكلام والألفاظ، لا يكون للبحث في سلامة الوحي من الخطأ أيُّ محلٍ من الإعراب، ولكن يمكن الحديث عن سلامة النص المقدس من الخطأ، وهناك بعض أصحاب هذه الرؤية ممن يذهب إلى عدم سلامة النصوص المقدسة من الخطأ. قال ايان باربر في هذا الشأن: (يتجلى فعل الله

(١) المصدر المتقدم، ص ١٣٢.

(٢) توماس ميشيل، كلام مسيحي، ترجمة: حسين توفيق، ص ٢٧.

في وجود المسيح وبواسطته، وليس في إملاء الكتاب المعصوم؛ لذا يمكن الاستماع إلى كل ما يقوله الانتقاد التاريخي والتفسير المدعوم بالوثائق حول القيود البشرية المفروضة على مؤلفي الكتاب المقدس، والمؤثرات الثقافية على أفكارهم وعواطفهم^(١).

٣- هناك أيضاً في النظرة التجريبية إلى الوحي كلام حول سلامة تقرير وبيان وتفسير هذه التجربة التي انعكست على الكتاب المقدس، فعلى الرغم من أنه كانت للأنبياء مواجهة حقيقية مع الله، وأنهم قد استوعبوا بدقة، وكان لمؤلفي العهد الجديد تجربة حقيقية عن عيسى (ﷺ) وعن التجربة الدينية، إلا أنهم لم يكونوا - كسائر البشر - بمنأى عن المحدوديات والقيود اللغوية أو العلمية، ولذلك من الممكن أن يقعوا في الأخطاء أثناء تعبيرهم عن تلك التجربة، بيد أن هذا يعود إلى شكل وظرف الرسالة، دون أن يكون له أدنى تأثير في أصل تلك الرسالة^(٢). قال ايان باربر: (لم يكن اهتمام الله منصباً على إملاء كتاب معصوم أو إلقاء تعاليم لا تقبل الخطأ .. إن الوحي الإلهي وردود الفعل الإنسانية متشابكة على الدوام، هناك في البين مواجهة حصلت بمشيئة الله ومبادرته، وقد تمت تجربتها والتعبير عنها ووصفها من قبل الإنسان الذي يجوز عليه الخطأ)^(٣).

٢-٥- الوحي النهائي واختتام الوحي

يذهب النصارى - طبقاً لما قاله بل تيليخ - إلى الاعتقاد بأن الوحي قد انتهى بالسيّد المسيح عيسى (ﷺ). والمراد من الوحي النهائي هو الوحي

(١) ايان باربر، علم ودين، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، ص ١٦٠.

(٢) توماس ميشيل، كلام مسيحي، ترجمة: حسين توفيق، ص ٢٦ - ٢٧.

(٣) ايان باربر، علم ودين، ترجمة: بهاء الدين خرمشاهي، ص ٢٦٨.

المصيري الذي يتوقف عليه تكامل الإنسانية والذي يكون معياراً لجميع أقسام الوحي الأخرى، فإن مسألة نهاية الوحي تعود إلى حامل الوحي. فإن حامل الوحي النهائي يجب أن يتغلب على قيوده ومحدوديته، أي أن يتمكن تبعاً لتضحيته بنفسه أن يضحّي أيضاً بقيوده المتناهية، ويتفوق عليها ويتجاوزها. وهذا إنما يكون إذا كان واجداً لنفسه بشكل كامل، ولا يمكن لشخص أن يكون واجداً لنفسه إلا إذا كان متحداً مع مبدأ الوجود، وهذا ما كان عليه السيد المسيح عيسى (ﷺ)^(١). كما أن الوحي النهائي عالمي وخالد أيضاً^(٢)؛ لأنّ الوحي إنما يكون نهائياً إذا كان أولاً: قد حضى بالقبول. وثانياً: أن يتمكن من أن يكون في متناول الجميع وأن يكون في كل مكان^(٣).

وطبعاً على الرغم من انتهاء الوحي إلى عيسى (ﷺ) من وجهة نظر العهد الجديد، إلا أن الوحي قد استمرّ بالنزول حتى بعد المسيح، بحيث تمكن إثنا عشر شخصاً من الرسل من بعد عيسى (ﷺ) من كتابة كلامه، بل حتى بولس الذي لم يكن من الحواريين تمكن من الوحي، وحصل على كلمات^(٤) واستوفى تعاليمه من السيد المسيح (ﷺ)^(٥).

(١) بل تليخ، الهيات سيستماتيك، ترجمة: حسين نوروزي، ص ١٩٠ - ١٩١.

(٢) أثبتنا في الدرس السابق أنّ القرآن وحده هو الوحي الخاتم والنهائي.

(٣) بل تليخ، الهيات سيستماتيك، ترجمة: حسين نوروزي، ص ١٩٥.

(٤) انظر: نخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٢٠.

(٥) انظر: مير جا إلياده، دائرة المعارف دين، ج ١٢، ص ٣٦٩.

٢-٦- روح القدس في المسيحية

إن مفهوم روح القدس في المسيحية غير مفهومه في الإسلام؛ ففي الرؤية المسيحية التقليدية والكتب المقدسة لا يُعتبر روح القدس ملاكاً أو مخلوقاً من مخلوقات الله المنفصلة عنه، بل إنهم يعتبرونه هو الله، وإنه يمثل وجوده الفعال في العالم، والذي يحيا في الكون وفي قلوب الناس، ويعمل على إرشاد وهداية المجتمع المسيحي، ويفتح الرموز والأسرار، ويلهم مؤلفي الكتاب المقدس، وهو الذي أقرّ عيسى في رحم أمّه مريم. فقد رسمت الأناجيل صورة روح القدس على شكل يمامة نزلت على عيسى بن مريم (عليه السلام) بعد تعميده في نهر الأردن وحلت فيه^(١).

خلاصة الدرس

- ١- إن اليهودية والمسيحية من الأديان التي تدور حول محورية النص، شأنها في ذلك شأن الإسلام، من هنا كان الوحي عندهما يحظى بأهمية خاصة.
- ٢- يعتبر اليهود العهد القديم من الكتاب المقدس مصدراً سماوياً وكلاماً إلهياً.
- ٣- تحدث العهد القديم في كثير من مواطنه عن الوحي إلى الأنبياء وغيرهم، وإن المراد من الوحي فيه هو الأعم من المعنى اللغوي والاصطلاحي.
- ٤- إن الوحي في العهد القديم وحي لغوي، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الوحي المباشر، والوحي من وراء حجاب، والوحي بواسطة الملك.
- ٥- يرى اليهود أن الوحي يتوقف على شروط، منها: الفطنة والذكاء،

(١) العهد الجديد، إنجيل لوقا، الإصحاح الثالث، الفقرة: ٢٢ - ٢٣؛ وإنجيل مرقس، الإصحاح الأول، الفقرة: ٩ - ١١.

والطهر، والتقوى، والقداسة، والتواضع، والخشية من الله، وهي أمور تؤهل الفرد للحصول على روح القدس.

٦- يذهب اليهود إلى الاعتقاد بأن النبي موسى (ﷺ) قد ذكر أمور جميع الأنبياء بالإضافة إلى ما يخص نبوته. وأن الوحي قد انقطع قبل ما يقرب من أربعة قرون قبل الميلاد، وأنه لن يُستأنف إلا بعد ظهور المنجي الموعود.

٧- إن الكتاب المقدس عند النصارى هو جميع ما يتضمنه من العهد القديم والعهد الجديد، وإن العهد الجديد يشتمل على أربعة أقسام، وهي: الأناجيل الأربعة، وأعمال الرسل، وكتب الرسل، والمكاشفة المشتملة على سبعة وعشرين كتاباً.

٨- يذهب النصارى إلى القول بعدم اعتبار الأناجيل المتوفرة حالياً وحياً إلهياً، ولكنها تقرير لسيرة وكلمات المسيح عيسى (ﷺ) كتبه بعض الحواريين وأتباع السيد المسيح، من طريق الإلهام ولذلك فهي جديرة بالتقديس والاحترام الذي يليق بالكتب السماوية.

٩- إن المفهوم التقليدي للوحي في المسيحية مشابه إلى مفهومه في الإسلام، فهو نوع من التجلي وإلقاء إلهي غير اعتيادي، ولكن هناك ثلاثة تفسيرات مختلفة عن الوحي.

١٠- طبقاً للتحليل اللغوي يُعتبر الوحي سلسلة من الحقائق والأحكام النازلة من قبل الله سبحانه وتعالى، أما التحليل التاريخي غير اللغوي، فيرى الوحي تجلياً للذات الإلهية في المسيح. وطبقاً للتفسير والتحليل التجريبي يُعتبر الوحي تجربة دينية وحضوراً لله في وجدان المؤمنين وضمائيرهم.

١١- يعتبر النصارى وحي النبي عيسى (ﷺ) وحياً نهائياً ومصيرياً، فهو حاسم ويدعو إلى التكامل، ومعياري لجميع أنواع الوحي. ومع ذلك فقد استمر

الوحي بعد المسيح، فكان ينزل على الحواريين وغيرهم.

أسئلة نموذجية

- ١- اذكر التفسيرين المختلفين بشأن اعتبار العهد القديم عند اليهود كلاماً إلهياً.
- ٢- ما هي أقسام الوحي من وجهة نظر العهد القديم؟
- ٣- اشرح وجهة نظر اليهود في انقطاع الوحي وانتهائه.
- ٤- ما هو حكم الأناجيل من وجهة نظر النصارى؟
- ٥- أذكر ثلاثة تفسيرات مختلفة عن الوحي من وجهة نظر النصارى.
- ٦- اشرح مسألة انقطاع الوحي من وجهة نظر النصارى.

واحة المصادر

- ١- توماس ميشيل، كلام مسيحي، ترجمة: حسين توفيق، ص ٢٢ - ٦٢.
- ٢- محمد باقر سعدي روشن، تحليل وحي از دیدگاه اسلام ومسيحيت، ص ١٠١ - ٢١٧.
- ٣- ابراهيم الأميني، وحي در اديان آسماني، ص ١٥٧ - ١٨٧.
- ٤- جعفر السبحاني، (وحي در كتاب مقدس مسيحي)، مجلة: كلام تخصصي، العدد: ٢٨، ص ٥ - ١٩.
- ٥- أعظم برجم، (وحي ونبوت از دیدگاه قرآن وعهدین)، اصفهان، انتشارات کنکاش، صيف عام ١٣٨٧هـ.ش.

تحقيق

حَقَّق في مسألة إيمان النصارى بالوهية السيد المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام)، من خلال البحث في الآيات القرآنية الناضرة إلى هذه المسألة.

فهرس المصادر العربية والفارسية

- القرآن الكريم.

١- نهج البلاغة.

٢- الآخوند الخراساني، محمد كاظم، كفاية الأصول، قم، مؤسسة آل

البيت لإحياء التراث، ١٤٠٩ق.

٣- آريزي، آ.ج، عقل ووحى از نظر متفكران اسلامي، ترجمة: حسن

جوادي، ط٢، طهران، مؤسسة انتشارات أمير كبير، ١٣٧٢ش.

٤- آشتياني، السيد جلال الدين، شرح مقدمة قيصرى بر فصوص

الحكم، ط٣، طهران، مؤسسة انتشارات أمير كبير، ١٣٧٠ش.

٥- الآلوسى، محمد، روح المعاني، بيروت، دار الفكر، ١٤١٧ق.

٦- الآملى، السيد حيدر بن علي، جامع الأسرار ومنبع الأنوار، طهران،

انتشارات علمى فرهنگى وانجمن ايران شناسى فرانسه، ١٣٦٨ش.

٧- ابن العدوي، مصطفى، الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، دار

الصحابه للتراث، ١٤١٠ق.

٨- ابن خلدون، محمد، المقدمة، الترجمة الفارسية: محمد بروين

جنابادي، طهران، شركة انتشارات علمى فرهنگى، ١٣٦٩ش.

٩- ابن رشد، محمد بن أحمد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة،

بيروت، مركز الدراسات للوحدة العربية، ١٩٩٨م.

- ١٠- ابن سينا، الحسين بن عبد الله، الإشارات والتببيها، شرح الخواجة نصير الدين الطوسي، ط٢، دفتر نشر كتاب، ١٤٠٣ق.
- ١١- ابن سينا، الحسين بن عبد الله، الشفاء: الطبيعيات، راجعه وقدم له: إبراهيم مدكور، القاهرة، شؤون المطابع الأميرية، ١٣٨٠ق.
- ١٢- ابن سينا، الحسين بن عبد الله، الشفاء: الإلهيات، راجعه وقدم له: إبراهيم مدكور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٥ق.
- ١٣- ابن سينا، الحسين بن عبد الله، النجاة، مصر، مطبعة السعادة، ١٣٥٧ق.
- ١٤- ابن سينا، الحسين بن عبد الله، تسع رسائل في الحكمة والطبيعة، ط٢، دار البستان العربي، ١٩٨٩م.
- ١٥- ابن عربي، محيي الدين، الفتوحات المكية، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤ق.
- ١٦- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار الجبل، ١٤١١ق.
- ١٧- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٣٠٠ق.
- ١٨- أبو زيد، نصر حامد، معنای متن لمفهوم النصّ، ترجمه إلى الفارسية: مرتضى كريمي نيا، طهران، انتشارات طرح نو، ١٣٨٠ش.
- ١٩- أبو زيد، نصر حامد، (تاريخمندی، مفهوم بوشیده ومبهم)، ترجمه إلى الفارسية وحقّقه: محمد تقي كرمي، مجلة: نقد ونظر، العدد: ١٢.
- ٢٠- أبو زيد، نصر حامد، النصّ والسلطة والحقيقة، بيروت،

المركز الثقافي، ١٩٩٥م.

٢١- أبو طالب، ديوان أبي طالب، جمعه وعلق عليه: عبد العاني، المملكة المتحدة، كوفان للنشر، ١٤١١ق.

٢٢- أبو محمد بن علي بن أحمد، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط٢، بيروت، دار الكتب الإسلامية، ١٤٢٠ق.

٢٣- أتين، إبراهيم، (رابطة لفظ ودلالات)، ترجمه إلى الفارسية: الدكتور السيد حسين سيدي، مجلة: كيهان فرهنگي، العام الثامن، العدد: ٩، التسلسل: ٨١.

٢٤- احساني فر، (بجوهشي در روايات فطرس ملك)، مجلة: علوم حديث، العدد: ٣٤، السنة التاسعة، العدد: ٤، شتاء عام ١٣٨٤ش.

٢٥- أحمددي، حسن، وشكوه السادات بني جمالي، علم النفس از ديدگاه دانشمندان اسلامي وتطبيق آن با روان شناسي، طهران، دانشگاه علامه طباطبائي، ١٣٦٦ش.

٢٦- اختيار، منصور، معنى شناسي، طهران، جامعة طهران، ١٣٤٨ش.

٢٧- الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢ق.

٢٨- الأعرجي، ستار جبر حمود، الوحي ودلالته في القرآن الكريم، بيروت، انتشارات دار الكتب العلمية.

٢٩- إقبال اللاهوري، محمد، احياء فكر ديني در اسلام، ترجمه إلى الفارسية: أحمد آرام، طهران، رسالت قلم.

٣٠- الأميني، عبد الحسين أحمد، الغدير، قم، مركز الغدير للدراسات

الإسلامية، ١٤١٦ق.

٢١- الأميني، إبراهيم، وحي در اديان آسماني، قم، دفتر تبليغات اسلامي حوزه علميه قم، مركز انتشارات، ١٣٧٧ش.

٢٢- الأنصاري القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٦ق.

٢٣- الأنصاري، عبد الله، منازل السائرين، شرح عبد الرزاق القاساني، قم، انتشارات بيدار، ١٤١٣ق.

٢٤- ايازي، السيد محمد علي، قرآن وفرهنگ زمانه، رشت، انتشارات كتاب مبین، ١٣٧٨ش.

٢٥- الإيجي، عبد الرحمان، شرح المواقيف، مصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٥ق.

٢٦- بازرگان، مهدي، شناخت وحي، طهران، رسالت قلم.

٢٧- باطني، محمد رضا، در باره زبان (سلسلة مقالات)، طهران، آكاه، ١٣٧٠ش.

٢٨- باقري أصل، حيدر، نقد وبررسي نظريه هاي وحي، تبريز، انتشارات ياس نبي، ١٣٨٤ش.

٢٩- بطرس، عبد الملك ونخبة من الأساتذة، قاموس الكتاب المقدس، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٩٥م.

٤٠- البلاغي، محمد جواد، الهدى إلى دين المصطفى، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٤١- بوكاي، موريس، تورات، إنجيل، قرآن وعلم، ترجمه إلى الفارسية:

- ذبيح الله دبیر، طهران، دفتر نشر فرهنگ اسلامي، ١٣٦٨ش.
- ٤٢- البيروني، أبو ريحان محمد بن أحمد، فهرست كتابهاي رازي، ترجمة وتصحيح وتحقيق: مهدي محقق، طهران، مؤسسة انتشارات دانشگاه طهران، ١٣٧٦ش.
- ٤٣- بيومي مدكور، إبراهيم، در باره فلسفة اسلامي، روش و تطبيق آن، ترجمه إلى الفارسية: عبد المحمّد آيتي، انتشارات امير كبير، ١٣٦١ش.
- ٤٤- بالمر، فرانك، ر، نكاهي تازہ به معنى شناسي، ترجمه إلى الفارسية: كوروش صفوي، طهران، نشر مركز، ١٣٦٦ش.
- ٤٥- بيترسون، مايكل، عقل واعتقاد ديني، ترجمه إلى الفارسية: أحمد نراقي، طهران، طرح نو، ١٣٧٦ش.
- ٤٦- بوبر، كارل ريموند، حدسها وابطالها: رشد شناخت علمي، ترجمه إلى الفارسية: أحمد آرام، طهران، ١٣٦٣ش.
- ٤٧- التفتازاني، سعد الدين، جامع المقاصد، منشورات الرضي، ٤٠٩ق.
- ٤٨- تني، مريل سي، معرفي عهد جديد، ترجمه إلى الفارسية: طه ميكائيليان، طهران، انتشارات حياة ابدی، ١٣٦٢ش.
- ٤٩- توفيقی، حسين، آشنائي با اديان بزرگ، طهران، سمت، ١٣٨٤ش.
- ٥٠- توفيقی، حسين، سير تاريخي إنجيل برنابا، قم، مؤسسة در راه حق، ١٣٦١ش.
- ٥١- تيسن، هنري، الهيات مسيحي، طه ميكائيليان، طهران، انتشارات حياة ابدی، ١٣٦٢ش.

- ٥٢- تيليخ، بل، إلهيات سيستماتيك، ترجمه إلى الفارسية: حسين نوروزي، طهران، حكمت، ١٣٨١ش.
- ٥٣- جديدي نجاد، محمد رضا، معجم مصطلحات الرجال والدراية، قم، دار الحديث، ١٤٢٢ق.
- ٥٤- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الرشيد، مصر.
- ٥٥- جليلي، هداية الله، (قرآن در همزباني با بشر)، مجلة: كيان، العدد: ٢٣.
- ٥٦- جوادي آملّي، عبد الله، تفسير موضوعي قرآن كريم، ج ٣، (وحي ونبوت در قرآن)، قم، مركز نشر إسرائ، ١٣٨١ش.
- ٥٧- جوادي آملّي، عبد الله، تفسير موضوعي قرآن كريم، ج ١، (قرآن در قرآن)، قم، مركز نشر إسرائ، ١٣٧٨ش.
- ٥٨- جوادي آملّي، عبد الله، ده مقاله بيرامون مبدأ ومعاد، طهران، انتشارات الزهراء، ١٣٧٢ش.
- ٥٩- جوادي آملّي، عبد الله، دين شناسي، قم، مؤسسة إسرائ، ١٣٨١ش.
- ٦٠- جوادي آملّي، عبد الله، شريعت در آينه معرفت، طهران، مركز نشر فرهنگي رجاء، ١٣٧٢ش.
- ٦١- الجوزي، الحافظ أبي عبد الله بن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، دار الفكر.
- ٦٢- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد بن حمّاد، الصحاح، ط ٣، دار العلم للملايين، ١٤٠٤ق.
- ٦٣- جيمز، وليم، دين وروان، ترجمه إلى الفارسية: مهدي قائني،

- طهران، انتشارات وآموزش انقلاب اسلامي، ١٣٧٣ش.
- ٦٤- الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، بيروت، دار الجبل، ١٤١٣ق.
- ٦٥- الحرّ العاملي، محمد بن حسن، إثبات الهداة، علق عليه: أبو طالب التجليلي التبريزي.
- ٦٦- الحرّ العاملي، محمد بن حسن، تفصيل وسائل الشيعة، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٤ق.
- ٦٧- حسن زاده آملّي، حسن، نصوص الحكم بر فصوص الحكم، ط٢، طهران، مؤسسة نشر فرهنگي رجاء، ١٣٧٥ش.
- ٦٨- حسين زاده، محمد، نكاهي معرفت شناختي به وحي، إلهام، تجريه ديني و عرفاني و فطرت، قم، انتشارات مؤسسة آموزشي و جوهشي امام خميني (عليه السلام)، ١٣٧٩ش.
- ٦٩- الحسيني البحراني، السيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، طهران، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٧ق.
- ٧٠- الحسيني، موسى، (وحياني بودن ألفاظ قرآن)، مجلة: بجوهشهاي قرآني، السنة السادسة، العدد: ٢١ و ٢٢، ربيع و شتاء عام ١٣٧٩ش.
- ٧١- الحلي، الفاضل المقداد بن عبد الله السيوري، إرشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٥ق.
- ٧٢- الحلي، الحسن بن يوسف، مناهج اليقين في أصول الدين، تحقيق: محمد رضا انصاري، انتشارات ياران.
- ٧٣- الحلي، الحسن بن يوسف، نهج الحق، قم، دار الهجرة، ١٤٠٧ق.

- ٧٤- خرمشاهي، بهاء الدين، (بازتاب فرهنگ زمانه در قرآن كريم)، مجلة: بينات، العدد: ١، التسلسل: ٥.
- ٧٥- الخميني، روح الله، آداب الصلاة، طهران، مؤسسة تنظيم ونشر آثار امام خميني (رضي الله عنه)، ١٣٧٢ ش.
- ٧٦- الخوئي، السيد أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، قم، دار الثقلين، ١٤١٨ ق.
- ٧٧- الخوئي، السيد أبو القاسم، محاضرات في أصول الفقه، تقرير: محمد إسحاق الفياض، دار الهدى للمطبوعات، ١٤١٠ ق.
- ٧٨- داود، عبد الأحد، محمد در تورات وإنجيل، ترجمه إلى الفارسية: فضل الله نيك آيين، طهران، نشر نو، ١٣٦١ ش.
- ٧٩- داودي، علي مراد، عقل در حكمت مشاء، طهران، كتاب فروشي دهخدا، ١٣٤٩ ش.
- ٨٠- داوري اردكاني، رضا، فارابي، ط٢، انجمن فلسفه ايران، ١٣٩٦ ش.
- ٨١- دراز، عبد الله، المدخل إلى القرآن، نظرات جديدة في القرآن، الكويت، دار القلم، ١٣٩٤ ق.
- ٨٢- دروشر، فيتوس، حواس اسرار آميز حيوانات، ترجمه إلى الفارسية: إسحاق لاله زاري، ط٣، طهران، انتشارات اشرفي، ١٣٦٦ ش.
- ٨٣- الدهلوي الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمان، إظهار الحق، مكتبة الثقافة الدينية.
- ٨٤- ديون يورت، جان، عذر تقصير به بيشكاه محمد وقرآن، ترجمه إلى

- الفارسية: السيد غلام رضا سعدي، ط٢، طهران، شركت نسبي محمد حسين إقبال وشركاء، ١٣٣٥ش.
- ٨٥- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، البراهين في علم الكلام، طهران، انتشارات دانشگاه طهران، ١٣٤١ش.
- ٨٦- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، بيروت، دار الكتب الإسلامية، ط١، ١٤١١ق.
- ٨٧- الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفان عدنان داوودي، بيروت، الدار الشامية، ١٤١٦ق.
- ٨٨- راميار، محمود، نبوي اسرائيل ومسيحي، ١٣٥١ش.
- ٨٩- الراوندي، ظهير الدين، عجالة المعرفة في أصول الدين، تحقيق: السيد محمد رضا الحسيني الجلاي، قم، مؤسسة آل البيت، ١٤١٧ق.
- ٩٠- رجالي طهراني، علي رضا، فرشتگان، قم، مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي، ١٣٧٨ش.
- ٩١- رشيد رضا، سيد محمد، الوحي المحمدي، طبعة الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٠٨ق.
- ٩٢- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨ق.
- ٩٣- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ق.
- ٩٤- زرياب، عباس، (آيا دلالت ألفاظ بر معنا ذاتي است؟)، مهدي نامه، إعداد: حسن عرب وعلي أصغر محمد خاني، طهران، انتشارات هرمس،

١٣٧٨ش.

- ٩٥- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧ق.
- ٩٦- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، قم، نشر البلاغ، ١٤١٥ق.
- ٩٧- جيلسون، اتين، عقل ووحى در قرون وسطا، ترجمه إلى الفارسية، شهرام بازوكي، ط٢، طهران، انتشارات كروس، ١٣٧٨ش.
- ٩٨- السبحاني، جعفر، (امكان ارتباط با جهان غيب)، مجلة: كلام اسلامي، العدد: ٢٥، العام ١٣٧٧هـ ش.
- ٩٩- السبحاني، جعفر، (تبيين وحي)، مجلة تخصصي كلام جديد، العدد: ٢٩.
- ١٠٠- السبحاني، جعفر، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، ط٢، قم، المركز العالمي للدراسات الإسلامي، ١٤١٢ق.
- ١٠١- السبحاني، جعفر، عقايد ومذاهب اسلامي، ط٢، قم، مؤسسة الإمام الصادق، ١٣٧٨ش.
- ١٠٢- سروش، عبد الكريم، (ايمان واميد)، كيان، العدد: ٥٢، خرداد وتير عام ١٣٧٩ش.
- ١٠٣- سروش، عبد الكريم، (دين اقلي واكثري)، كيان، فروردين وارديبهشت، ١٣٧٧ش، العدد: ٤١.
- ١٠٤- سروش، عبد الكريم، بسط تجريره نبوي، طهران، مؤسسة فرهنگي صراط، ١٣٧٩ش.

- ١٠٥- سروش، عبد الكريم، مدرارا ومديريت، طهران، مؤسسه فرهنگي صراط، ١٣٧٦ش.
- ١٠٦- سعاده، خليل، مقدمه بر انجيل برنابا ودراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد، تحقيق: سيف الله أحمد فاضل، ط٢، الكويت، دار القلم، ١٤٠٣ق.
- ١٠٧- سعدي روشن، محمد باقر، تحليل وحي از ديدگاه اسلام ومسيحيّت، مؤسسه فرهنگي انديشه، ١٣٧٥ش.
- ١٠٨- السهروردي، شهاب الدين يحيى، سه رساله از شيخ اشراق شهاب الدين يحيى سهروردي، تصحيح وتقديم: نجف قلي حبيبي، طهران، انجمن فلسفه ايران، ١٣٩٧ق.
- ١٠٩- السهروردي، شهاب الدين يحيى، مجموعه مصنفاات شيخ اشراق، تصحيح وتقديم: هنري كوربان، طهران، انجمن فلسفه ايران، ١٣٩٦ق.
- ١١٠- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، الإتيقان في علوم القرآن، منشورات الشريف الرضي.
- ١١١- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣ق.
- ١١٢- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، لباب النقول في أسباب النزول، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ١١٣- شبّر، السيد عبد الله، مصابيح الأنوار، ط٢، بيروت، مؤسسة النور للمطبوعات، ١٤٠٧ق.
- ١١٤- شريف، ميان محمد، تاريخ فلسفه در اسلام، ترجم إلى

الفارسية بإشراف: نصر الله بور جوادي، طهران، مركز نشر
دانشگاهي، ١٣٦٥ش.

١١٥- الشعراني، الميرزا أبو الحسن، راه سعادت، طهران، كتابخانه
صدوق، ١٣٦٣ش.

١١٦- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، بيروت،
مؤسسة الناصر الثقافية، ١٩٨١م.

١١٧- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، نهاية الإقدام في علم
الكلام، مكتبة الثقافة الدينية.

١١٨- الشيرازي، صدر الدين محمد بن ابراهيم، أسرار الآيات،
تقديم: محمد الخواجوي، طهران، انجمن اسلامي حكمت وفلسفه
ايران، ١٣٦٠ش.

١١٩- الشيرازي، صدر الدين محمد بن ابراهيم، الحكمة المتعالية
في الأسفار العقلية الأربعة، ط٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي،
١٤١٠ق.

١٢٠- الشيرازي، صدر الدين محمد بن ابراهيم، الشواهد الربوبية، تعليق
وتصحيح وتقديم: السيد جلال الدين الأشتياني، مشهد، انتشارات دانشگاه
مشهد، ١٣٤٦ق.

١٢١- الشيرازي، صدر الدين محمد بن ابراهيم، المبدأ والمعاد، تصحيح
وتقديم: السيد جلال الدين الأشتياني، انجمن فلسفه ايران، ١٣٥٤ش.

١٢٢- الشيرازي، صدر الدين محمد بن ابراهيم، تفسير القرآن الكريم،
قم، انتشارات بيدار، ١٣٦٦ش.

- ١٢٢- الشيرازي، صدر الدين محمد بن إبراهيم، مفاتيح الغيب، طهران، انتشارات مؤسسه مطالعات و تحقيقات فرهنگي، ١٣٤٣ش.
- ١٢٤- الشيرواني، علي، مباني نظري تجريره ديني، قم، بوستان كتاب، ١٣٨١ق.
- ١٢٥- صالح، صبحي، علوم الحديث ومصطلحه، قم، منشورات الرضي، ١٣٦٣ش.
- ١٢٦- الصدر، السيد محمد باقر، المجموعة الكاملة لمؤلفات السيد محمد باقر الصدر، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٦ق.
- ١٢٧- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، من لا يحضره الفقيه، طهران، مكتبة الصدوق، ١٣٩٤ق.
- ١٢٨- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.
- ١٢٩- الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.
- ١٣٠- الطباطبائي، السيد محمد حسين، الرسائل التوحيدية، قم، نشر كتاب، ١٣٦٥ش.
- ١٣١- الطباطبائي، السيد محمد حسين، شيعه در اسلام، طهران، جابخانه زيبا، ١٣٢٨ش.
- ١٣٢- الطباطبائي، السيد محمد حسين، قرآن در اسلام، ط٧، قم، دفتر انتشارات اسلامي، ١٣٧٤ش.
- ١٣٣- الطباطبائي، السيد محمد حسين، نهاية الحكمة، قم، مؤسسة

النشر الإسلامي.

١٣٤- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٨ق.

١٣٥- الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، مشهد، نشر مرتضى، ١٣٠٤ق.

١٣٦- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ط٢، بيروت، دار الفكر العلمية، ١٤٢٠ق.

١٣٧- الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي،

١٣٨- الطوسي، نصير الدين محمد، تلخيص المحصل، ط٢، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٥ق.

١٣٩- عبده، محمد، رسالة التوحيد، بيروت، دار الشروق، ١٤١٤ق.

١٤٠- العسكري، السيد مرتضى، أحاديث أم المؤمنين عائشة، المجمع العلمي الإسلامي، ١٤١٨ق.

١٤١- عوض، إبراهيم، القرآن والحديث مقارنة أسلوبيّة، القاهرة، زهراء الشرق.

١٤٢- العياشي، أبو النصر محمد بن مسعود، تفسير العياشي، تصحيح وتعليق: هاشم الرسولي المحلاتي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤١١ق.

١٤٣- الفروي النائيني، محمد حسين، فوائد الأصول، تقرير: الشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٩ق.

١٤٤- الغزالي، محمد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ق.

- ١٤٥- الغزالي، محمد، المنقذ من الضلال، تحقيق: أحمد شوكان، بيروت، مكتبة التراث.
- ١٤٦- الغزالي، محمد، تهافت الفلاسفة، بيروت، دار الفكر اللبناني، ١٣٩٣م.
- ١٤٧- فتح علي، محمود ومساعدوه، مبانى انديشه اسلامي ٣؛ انسان راه وراهنما شناسي، قم، انتشارات مؤسسه آموزشي وبعوهشي امام خميني، ١٣٨٤ش.
- ١٤٨- فخر الإسلام، محمد صادق، أنيس البيان في نصره الإسلام، تحقيق وتنظيم: السيد عبد الرسول الخلخالي، طهران، انتشارات بياض، ١٣٥٤ش.
- ١٤٩- فراستخواه، مقصود، (قرآن، آراء وانتظارات كوناكون)، مجلة دانشگاه انقلاب، العدد: ١١٠.
- ١٥٠- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ترتيب كتاب العين، طهران، انتشارات أسوة، ١٤٠٥ق.
- ١٥١- فريد وجدي، محمد، دائرة معارف القرن الرابع عشر والعشرين، دائرة معارف القرن العشرين، ١٣٤٣ق.
- ١٥٢- فضل الله، محمد حسين، من وحي القرآن، ط٢، بيروت، دار الزهراء، ١٤٠٥ق.
- ١٥٣- فعالی، محمد تقی، تجريره ديني ومكاشفه عرفاني، طهران، مركز نشر بجهشگاه فرهنگ و انديشه اسلامي، ١٣٧٩ش.
- ١٥٤- الفيض الكاشاني، محسن، الصافي في تفسير كلام الله، مشهد، دار المرتضى للنشر.

- ١٥٥- الفيض الكاشاني، محمد، علم اليقين في أصول الدين، انتشارات بيدار، ١٤٠٠ق.
- ١٥٦- قائمي نيا، علي رضا، (معرفت شناسي متن)، مجلة: قياسات، العدد: ١٢.
- ١٥٧- قطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، القاهرة، منشورات مصر الحديث، ١٣٩١ق.
- ١٥٨- قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط٩، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٠ق.
- ١٥٩- القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، ط٢، قم، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر.
- ١٦٠- القوشجي، علاء الدين علي بن محمد، شرح تجريد الاعتقاد.
- ١٦١- القيصري الرومي، محمد داود، شرح فصوص الحكم، إعداد: السيد جلال الدين الآشتياني، طهران، علمي وفرهنكي، ١٣٧٥ق.
- ١٦٢- كريمي، مصطفى، قرآن وقلمرو شناسي دين، قم، انتشارات مؤسسة آموزشي و بجهوشي إمام خميني، ١٣٨٢ش.
- ١٦٣- كرينستون، جوليوس، انتظار مسيحا در آيين يهود، ترجمه إلى الفارسية: حسين توفيقى، قم، مركز مطالعات وتحقيقات اديان ومذاهب، ١٣٧٧ش.
- ١٦٤- كلانترى، إبراهيم، (وحياني بودن الفاظ قرآن)، بينات، السنة التاسعة، العدد: ٣، خريف عام ١٣٨١هـ ش، العدد: ٣٥.
- ١٦٥- كوهين، أ.، كنجينه اي از تلمود، ترجمه إلى الفارسية: امير فريدون جرجاني.
- ١٦٦- اللاهيجي، عبد الرزاق، شوارق الإلهام.

- ١٦٧- مؤدب، سيد رضا، علم الحديث، قم، أحسن الحديث، ١٣٧٨ش.
- ١٦٨- المامقاني، عبد الله، مقباس الهداية، تحقيق: محمد رضا المامقاني، قم، مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، ١٤١١ق.
- ١٦٩- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الأحاديث القدسية، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.
- ١٧٠- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، بيروت، دار الوفاء، ١٤٠٣ق.
- ١٧١- المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ط٢، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣ش.
- ١٧٢- المفيد، محمد بن محمد، الاعتقادات، تصحيح الاعتقاد والمزار، مكتب الإعلام الإسلامي.
- ١٧٣- محقق، مهدي، فيلسوف ري محمد بن زكرياي رازي، ط٢، طهران، نشرني، ١٣٦٨ش.
- ١٧٤- مدير شانه جي، كاظم، علوم الحديث، قم، دفتر انتشارات اسلامي، ١٣٧٦ش.
- ١٧٥- مرتضى، السيد جعفر، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، بيروت، دار الهادي، ١٤١٥ق.
- ١٧٦- مسلم بن الحجاج، أبو الحسن، صحيح مسلم، بيروت، مؤسسة عز الدين، ١٤٠٧ق.
- ١٧٧- مصباح يزدي، محمد تقى، تعليقة على نهاية الحكمة، قم، مؤسسة في طريق الحق (در راه حق)، ١٤٠٥ق.
- ١٧٨- مصباح يزدي، محمد تقى، راهنما شناسي، قم، مركز مديريت

حوزه علميه، ٤٠٨ق.ا.

١٧٩- مصباح يزدي، محمد تقی، قرآن شناسی، ج ١، تحقیق وتالیف: محمود رجبی، قم، انتشارات مؤسسه آموزشی و پژوهشی امام خمینی، ١٣٧٦ش.

١٨٠- المصطفوي، حسن، التحقیق فی كلمات القرآن الکریم، طهران، انتشارات وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی، ١٣٦٨ش.

١٨١- نجیب، انطونیوس، معجم اللاهوت الكتابي، دار الشرق.

١٨٢- مطهری، مرتضی، مجموعه آثار، ج ٢ (وحي ونبوت)، طهران، انتشارات صدرا، ١٣٧٨ش.

١٨٣- مطهری، مرتضی، مجموعه آثار، ج ٢ (توحيد)، طهران، انتشارات صدرا، ١٣٧٤ش.

١٨٤- المظفر، محمد رضا، أصول الفقه، قم، مؤسسة اسماعيليان، ١٣٧٤ش.

١٨٥- معرفت، محمد هادي، (اقتراح بيرامون وحي)، مجلة: معرفت، العدد: ٦٠.

١٨٦- معرفت، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ج ٢، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٦ق.

١٨٧- معرفت، محمد هادي، صيانة القرآن من التحريف، ط ١، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٣ق.

١٨٨- معرفت، محمد هادي، علوم قرآني، قم، مؤسسة التمهيد، ١٣٧٨ش.

١٨٩- معين، محمد، فرهنگ معين، ط ٩، طهران، انتشارات امير كبير،

١٣٧٥ش.

- ١٩٠- مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١م.
- ١٩١- المفيد، محمد بن محمد، المسائل العكبيرة، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٥ق.
- ١٩٢- المفيد، محمد بن محمد، أوائل المقالات، قم، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣ق.
- ١٩٣- المفيد، محمد بن محمد، تصحيح الاعتقاد الإمامية، طهران، انتشارات دانشگاه طهران، ١٣٧٢ش.
- ١٩٤- المقرّي، الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، ١٣٤٧ش.
- ١٩٥- مكارم الشيرازي، ناصر وآخرون، تفسير نمونه (تفسير الأمثل)، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٦ش.
- ١٩٦- ملايري، موسى، تبين فلسفي وحي از فارابي تا ملا صدرا، قم، انتشارات كتاب طه، ١٣٨٤ش.
- ١٩٧- المهندس، محمد صالح، معجزات الرسول الكريم سيدنا محمد، حلب، دار الأضواء.
- ١٩٨- المولوي، جلال الدين محمد، مشوي معنوي، إعداد: رينولد نيكلسون، طهران، انتشارات امير كبير، ١٣٧١ش.
- ١٩٩- مونتغمري واط، وليم، محمد بيامير وسياستمدار، ترجمه إلى الفارسية: إسماعيل ولي زاده، طهران، انتشارات كتاب فروشي اسلامي، ١٣٤٤ش.

- ٢٠٠- ميشيل، توماس، كلام مسيحي، ترجمه إلى الفارسية: حسين توفيقى، قم، مركز مطالعات وتحقيقات اديان ومذاهب، ١٣٧٧ش.
- ٢٠١- النسفي، عز الدين، كتاب الإنسان الكامل، طهران، انتشارات طهموري، ١٣٦٢ش.
- ٢٠٢- نصري، عبد الله، مباني رسالت أنبيا در قرآن، طهران، انتشارات سروش، ١٣٧٦ش.
- ٢٠٣- نعمان فرحات، ماني، نصير الدين وآراؤه الفلسفية والكلامية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦ق.
- ٢٠٤- الهمداني، القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ٢٠٥- الهمداني، القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، حققه وقدم له: الدكتور عبد الكريم عثمان، بيروت، مكتبة وهبة، ١٤٠٨ق.
- ٢٠٦- الهندي، السيد أحمد خان، تفسير القرآن وهو الهدى والفرقان، ترجمه إلى الفارسية: السيد محمد تقي فخر داعي الجيلاني، طهران، كتابخانه وجابخانه علمي.
- ٢٠٧- هيك، جون، فلسفه دين، ترجمه إلى الفارسية: بهرام راد، طهران، انتشارات الهدى، ١٣٧٣ش.
- ٢٠٨- الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب النزول، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤ق.

فهرس المصادر الإنجلیزیه

209- Martin Rist, Revelation The Encyclopedia Americana, 1959.

210- The Catholic University of America, New Catholic Encyclopedia, D. C. Printed in the United States of America, 1967.

211- Watt, Montgomery, Bell's Introduction to The Quran, Edinburg University Press Papeibak edition, 1977. A0.

فهرس الموضوعات

٧	مقدمة الناشر.....
٩	المقدمة.....
١٥	الدرس الأول: مفهوم الوحي.....
١٧	الأهداف.....
١٨	المقدمة.....
١٩	١- مفهوم الوحي لغةً.....
٢٠	٢- أنواع استعمال الوحي في القرآن الكريم.....
٢٠	أ - التقدير الإلهي في النظام الكوني.....
٢١	ب- الهداية الغريزية.....
٢٢	ج - الإيحاء الشيطاني.....
٢٣	د - الإشارة.....
٢٤	هـ - الإلهام.....
٢٥	و - الخطاب الإلهي إلى الملائكة.....
٢٥	ز - إرسال الروح إلى النبي.....
٢٩	ح - تأييد الأئمة على المستوى العملي.....
٣١	ط - الارتباط النبوي.....
٣٢	٣- الوحي اصطلاحاً.....
٣٣	خلاصة الدرس.....

- ٣٤..... أسئلة نموذجية.....
- ٣٥..... واحة المصادر.....
- ٣٦..... تحقيق.....
- ٣٧..... الدرس الثاني: إمكان الوحي.....
- ٣٩..... الأهداف.....
- ٤١..... توهم عجز الإنسان عن الارتباط السماوي.....
- ٤٢..... أدلة منكري إمكان الوحي.....
- ٤٢..... الدليل الأول: عدم مسانحة الإنسان لمصدر الوحي.....
- ٤٥..... نقد الدليل الأول.....
- ٤٧..... الدليل الثاني: عجز الجميع عن القيام بهذا الارتباط السماوي.....
- ٤٩..... نقد الدليل الثاني.....
- ٥٠..... علل إنكار الوحي.....
- ٥٠..... أ - الأسباب المعرفية.....
- ٥١..... الأول: عدم المعرفة الكافية بصفات الله.....
- ٥١..... الثاني: الرؤية السطحية.....
- ٥٣..... ب - الدوافع النفسية.....
- ٥٣..... ١- الاستكبار.....
- ٥٥..... ٢- الغرور العلمي.....
- ٥٥..... ج - الأسباب السلوكية.....
- ٥٥..... ١- الجور.....
- ٥٦..... ٢- الإجرام.....
- ٥٧..... الشواهد والأدلة على إمكان الوحي.....
- ٥٧..... الدليل الأول: وقوع الوحي.....

- ٥٩..... القرآن الكريم شاهد على إمكان الوحي
- ٦٠..... الدليل الثاني: مؤشرات على معارف غير عادية
- ٦٣..... خلاصة الدرس
- ٦٤..... أسئلة نموذجية
- ٦٤..... واحة المصادر
- ٦٥..... تحقيق
- ٦٧..... الدرس الثالث: ضرورة الوحي
- ٦٩..... الأهداف
- ٧١..... توهم عدم الحاجة إلى الوحي
- ٧٤..... نقد ومناقشة
- ٧٨..... الحاجة إلى الوحي
- ٧٩..... ١- القانون وتطبيقه الصحيح والحاجة إلى الوحي
- ٨٢..... نقد ومناقشة
- ٨٤..... ٢- السير إلى الله والحاجة إلى الوحي
- ٨٦..... نقد ومناقشة
- ٨٦..... ٣- التكليف الإلهي والحاجة إلى الوحي
- ٨٧..... نقد ومناقشة
- ٨٨..... ٤- كمال الإنسان والحاجة إلى الوحي
- ٨٩..... المقدمة الأولى: الهدفية من خلق الإنسان
- ٨٩..... المقدمة الثانية: اختيارية الكمال الإنساني
- ٨٩..... المقدمة الثالثة: حاجة الإنسان إلى معرفة مسار الكمال
- ٩٠..... المقدمة الرابعة: عجز الأدوات المعرفية العامة عن تحديد طرق الكمال

٩١	النتيجة
٩١	مسألان
٩٢	خلاصة الدرس
٩٤	أسئلة نموذجية
٩٤	واحة المصادر
٩٥	تحقيق
٩٧	الدرس الرابع: المنشأ الإلهي للوحي
٩٩	الأهداف
١٠١	١- الوحي من آثار الصرع والجنون!
١٠١	نقد ومناقشة
١٠٣	٢- الوحي نتاج النبوغ الإنساني!
١٠٥	نقد ومناقشة
١١٠	٣- الوحي: تجليات نفس الإنسان!
١١٢	أ - أدلة هذا الرأي
١١٣	نقد ومناقشة
١١٤	ب - شواهد هذا الرأي بشأن الوحي القرآني
١١٥	نقد ومناقشة
١١٧	القرآن شاهد حيّ على بطلان التفسير النفسي للوحي
١٢١	خلاصة الدرس
١٢٣	أسئلة نموذجية
١٢٣	واحة المصادر
١٢٣	تحقيق
١٢٥	الدرس الخامس: النظرة التجريبية للوحي

- الأهداف.....١٢٧
- التجربة الدينية.....١٢٩
- مفهوم وخصائص التجربة الدينية.....١٢٩
- أسباب ظهور التجربة الدينية في العالم الغربي.....١٣١
- ١- فشل الإلهيات العقلية في الغرب وانحصار الدين بالمستوى الأخلاقي.....١٣١
- ٢- تعارض العلم التجريبي مع بعض تعاليم المسيحية.....١٣٢
- ٣- توجيه النقد للكتاب المقدس عند المسيحيين.....١٣٣
- النزعة التجريبية إلى الوحي.....١٣٤
- عناصر ظهور الرؤية التجريبية إلى الوحي.....١٣٤
- ١- تقدّم العلوم التجريبية.....١٣٥
- ٢- تغيير الحاجة البشرية رغم ثبات المضمون الديني.....١٣٦
- بطلان النزعة التجريبية فيما يتعلق بالدين والوحي.....١٣٧
- ١- صيانة الوحي الإلهي عن الخطأ.....١٣٨
- ٢- انسجام معطيات الوحي مع اكتشافات العلوم البشرية القطعية.....١٣٨
- ٣- عدم معيارية التجربة فيما يتعلق بالمعرفة.....١٤٠
- ٤- إمكانية الدفاع العقلي عن المعارف الدينية.....١٤٠
- ٥- ثبات بعض الاحتياجات البشرية، واشتغال الدين على أسس عامة لمواكبة المتغيرات...١٤١
- إشكالات تفسير الوحي بالتجربة الدينية.....١٤٣
- أ - عدم انسجام هذا الاتجاه مع كلام الله ورسوله.....١٤٣
- ب - الآثار السيئة المترتبة على النزعة التجريبية في الوحي.....١٤٧
- ١- عدم عصمة الوحي من الخطأ.....١٤٧
- ٢- أنسنة الوحي.....١٤٩

- ٣- قصور يد الإنسان عن بلوغ حقائق الوحي ١٥٠
- ٤- عدم سماوية الألفاظ القرآنية ١٥١
- خلاصة الدرس ١٥٢
- أسئلة نموذجية ١٥٣
- واحة المصادر ١٥٣
- تحقيق ١٥٤
- الدرس السادس: التفسير العقلي للوحي ١٥٥
- الأهداف ١٥٧
- مقدمة ١٥٨
- أ - بعض أسس التفسير العقلي للوحي ١٥٨
- ب - تفسير بعض الفلاسفة للوحي ١٥٩
- ١- الفارابي وتفسير الوحي ١٦٠
- ٢- ابن سينا وتفسير الوحي ١٦٢
- ٣- شيخ الإشراق السهروردي وتفسير الوحي ١٦٤
- ٤- صدر المتألهين وتفسير الوحي ١٦٦
- ج - نقد ومناقشة التفسير العقلي للوحي ١٦٨
- ١- مخالفة التفسير العقلي للوحي ١٦٩
- ٢- موافقة التفسير العقلي للوحي ١٧١
- د - نقد ورأي ١٧٢
- النتيجة ١٧٨
- خلاصة الدرس ١٧٨
- أسئلة نموذجية ١٧٩
- واحة المصادر ١٨٠

١٨٠	تحقيق
١٨١	الدرس السابع: الوحي كلام الله المباشر مع النبي
١٨٣	الأهداف
١٨٥	الوحي كلام الله
١٨٨	الكلام والتكلم
١٩٠	الكلام والتكلم الإلهي
١٩٠	أ - الكلام لفظ مادي
١٩٢	نقد ومناقشة
١٩٣	ب - ألفاظ قائمة بالذات
١٩٣	نقد ومناقشة
١٩٤	ج - الكلام النفسي
١٩٤	نقد ومناقشة
١٩٧	د - الارتباط الحضوري مع الأنبياء (عليهم السلام)
١٩٨	الشواهد على حضورية الكلام الإلهي
٢٠٠	الكلام الحضوري برغم وجود الوساطة
٢٠٣	نزول الوحي بالتجلي دون التجافي
٢٠٣	خلاصة الدرس
٢٠٥	أسئلة نموذجية
٢٠٥	واحة المصادر
٢٠٥	تحقيق
٢٠٧	الدرس الثامن: أقسام نزول الوحي ونتائجه
٢٠٩	الأهداف

- ٢١١..... القسم الأول: الوحي المباشر
- ٢١١..... كيفية هذا النوع من الوحي
- ٢١٢..... أنواع الوحي المباشر
- ٢١٢..... أ - الوحي المباشر في اليقظة
- ٢١٢..... الأنبياء الذين خصَّهم الله بهذا النوع من الوحي
- ٢١٦..... ب - الوحي المباشر أثناء النوم
- ٢١٧..... الأنبياء الذين تعهّدوا هذا النوع من الوحي
- ٢٢٠..... القسم الثاني: الوحي من وراء حجاب
- ٢٢٠..... كيفية الوحي من وراء حجاب
- ٢٢٢..... الأنبياء الذين مارسوا هذا النوع من الوحي
- ٢٢٥..... القسم الثالث: الوحي بواسطة الملك
- ٢٢٦..... كيفية الوحي بواسطة الملّك
- ٢٢٨..... الأنبياء الذين مارسوا هذا القسم من الوحي
- ٢٢٩..... أقسام الوحي المحمّدي
- ٢٣١..... خلاصة الدرس
- ٢٣٢..... أسئلة نموذجيّة
- ٢٣٢..... واحة المصادر
- ٢٣٣..... تحقيق
- ٢٣٥..... الدرس التاسع: الوحي بيان لغوي أم إظهار لواقع؟
- ٢٣٧..... الأهداف
- ٢٣٩..... الآراء
- ٢٣٩..... ١- الوحي بوصفه إبرازاً لواقع دون بيان لغوي
- ٢٤٠..... ٢- الوحي بيان لغوي

- ٢٤٢.....٣- الوحي إظهار الواقع مقروناً بالبيان اللغوي
- ٢٤٢.....٤- الوحي أنواع متنوّعة من إراءة المعرفة
- ٢٤٣.....أنواع الوحي إلى الأنبياء (عليهم السلام)
- ٢٤٤.....١- إظهار الواقع
- ٢٤٥.....٢- الوحي اللغوي
- ٢٤٥.....أ - الوحي اللغوي الكتابي
- ٢٤٨.....ب - الوحي اللغوي الحواري
- ٢٥٠.....دفع إشكال
- ٢٥٣.....٣- إظهار الواقع مقروناً بالبيان اللغوي
- ٢٥٣.....النبى الأكرم (ﷺ) ورؤية الحقائق القرآنية
- ٢٥٧.....خلاصة الدرس
- ٢٥٨.....أسئلة نموذجية
- ٢٥٨.....واحة المصادر
- ٢٥٨.....تحقيق
- ٢٥٩.....الدرس العاشر: القرآن الوحي اللغوي
- ٢٦١.....الأهداف
- ٢٦٥.....الشواهد والأدلة
- ٢٦٥.....١- الشواهد والأدلة من خارج النص
- ٢٦٥.....٢- الشواهد من داخل النص
- ٢٦٥.....أ - الشواهد القرآنية
- ٢٦٦.....الطائفة الأولى: آيات الإعجاز والتحدّي
- ٢٦٧.....الطائفة الثانية: الآيات المشتملة على عناوين وأوصاف القرآن

٢٧٣.....	الطائفة الثالثة: الآيات المشتملة على عبارات تدلّ على نزول اللفظ
٢٧٩.....	ب - الشواهد الروائية.....
٢٧٩.....	النتائج والآثار.....
٢٨١.....	خلاصة الدرس.....
٢٨٢.....	أسئلة نموذجية.....
٢٨٢.....	واحة المصادر.....
٢٨٣.....	تحقيق.....
٢٨٥.....	الدرس الحادي عشر: صيانة الوحي من التحريف.....
٢٨٧.....	الأهداف.....
٢٨٨.....	مقدمة.....
٢٨٩.....	الدليل العقلي على سلامة الوحي من التحريف.....
٢٨٩.....	١- ضرورة الوحي وسلامته من التحريف.....
٢٩٠.....	٢- الإعجاز وسلامة الوحي من التحريف.....
٢٩١.....	الأدلة والشواهد النقلية على سلامة الوحي من التحريف.....
٢٩٢.....	أ - الأدلة النقلية على سلامة الوحي من ناحية الملائكة.....
٢٩٣.....	١- الآيات.....
٢٩٦.....	٢- الروايات.....
٢٩٨.....	ب - الأدلة النقلية على سلامة الوحي من ناحية الأنبياء.....
٢٩٨.....	١- القرآن الكريم.....
٣٠٣.....	٢- الروايات.....
٣٠٤.....	مكمن السرّ في سلامة الوحي.....
٣٠٤.....	مكمن السرّ في سلامة الوحي من ناحية ملك الوحي.....
٣٠٥.....	مكمن السرّ في سلامة الوحي من ناحية الأنبياء.....

- ٣٠٨..... شبهات وأجوبة
- ٣٠٨..... ١- تردّد الأنبياء في تلقي الوحي
- ٣٠٩..... الجواب
- ٣١١..... ٢- تدخل الشيطان في إبلاغ الوحي
- ٣١٢..... الجواب
- ٣١٦..... خلاصة الدرس
- ٣١٨..... أسئلة نموذجية
- ٣١٩..... واحة المصادر
- ٣١٩..... تحقيق
- ٣٢١..... الدرس الثاني عشر: دور النبيّ والملّك في الوحي
- ٣٢٣..... الأهداف
- ٣٢٤..... الملائكة
- ٣٢٧..... أقسام ملائكة الوحي
- ٣٢٨..... جبرئيل (جبرائيل) سيّد ملائكة الوحي
- ٣٢٩..... دور الملّك في مسألة الوحي
- ٣٢٩..... كيفية استلام الوحي من قبل الملّك
- ٣٣١..... روايات الطائفة الأولى
- ٣٣٢..... روايات الطائفة الثانية
- ٣٣٤..... الجمع بين هاتين الطائفتين من الروايات
- ٣٣٦..... النبيّ والوحي
- ٣٣٧..... الاستعداد الفطري لتلقي الوحي
- ٣٣٨..... دور الأنبياء في مسألة الوحي

- ٣٤٢..... عدم استقلال النبيّ في أمر الوحي
- ٣٤٣..... اختلاف دور النبيّ في مختلف أقسام الوحي وأنواعه
- ٣٤٣..... أحوال الملّك والنبيّ عند نزول الوحي
- ٣٤٤..... حالات الملّك عند نزول الوحي
- ٣٤٨..... حالات النبيّ أثناء نزول الوحي
- ٣٤٩..... خلاصة الدرس
- ٣٥٠..... أسئلة نموذجية
- ٣٥١..... واحة المصادر
- ٣٥١..... تحقيق
- ٣٥٣..... الدرس الثالث عشر: أزلية الوحي واستقلاله
- ٣٥٥..... الأهداف
- ٣٥٦..... مقدّمة
- ٣٥٨..... الآراء
- ٣٥٨..... النظرية الأولى: الوحي انعكاس للغة وثقافة ومعتقدات الناس في عصر النزول
- ٣٥٨..... أ - اللغة انعكاس للتصورات الذهنية لدى الناس
- ٣٥٩..... الجواب
- ٣٦١..... ب - اللغة مرآة الثقافة
- ٣٦٢..... الجواب
- ٣٦٥..... الآية الثانية
- ٣٦٥..... الجواب
- ٣٦٦..... النظرية الثانية: تأثر الوحي بالثقافة والعقائد السائدة بين الناس في عصر النزول
- ٣٦٦..... أ - مراعاة المصلحة في معالجة الواقع
- ٣٦٦..... الجواب

- ٣٦٩..... الجواب
- ٣٧٠..... ب - تصوّر الوحي تجربة نبوية.....
- ٣٧١..... الجواب
- ٣٧٣..... النظرية الثالثة: اهتمام الوحي واستثمار العناصر البشرية.....
- ٣٧٣..... ١- اهتمام الوحي بأجواء النزول.....
- ٣٧٤..... ٢- الوحي بلغة القوم.....
- ٣٧٦..... ٣- مراعاة حال المخاطبين وخصائصهم.....
- ٣٧٧..... خلاصة الدرس.....
- ٣٧٨..... أسئلة نموذجية.....
- ٣٧٩..... واحة المصادر.....
- ٣٧٩..... تحقيق.....
- ٣٨١..... الدرس الرابع عشر: خاتمة الوحي واستحالة بسطه.....
- ٣٨٣..... الأهداف.....
- ٣٨٥..... أدلة ختام الوحي.....
- ٣٨٦..... إشكال وجواب.....
- ٣٨٩..... بطلان دعوى إمكان بسط الوحي.....
- ٣٩٣..... نهاية الوحي بنزول الحدّ الأقصى.....
- ٣٩٨..... السرّ في ختام الوحي.....
- ٣٩٩..... خلود الوحي الخاتم.....
- ٤٠٠..... إشكال وجواب.....
- ٤٠٢..... ختم الوحي ليس انقطاعاً للارتباط بين الإنسان وخالقه.....
- ٤٠٥..... خلاصة الدرس.....

- ٤٠٦..... أسئلة نموذجية.....
- ٤٠٧..... واحة المصادر.....
- ٤٠٧..... تحقيق.....
- ٤٠٩..... الدرس الخامس عشر: اختلاف الوحي عن بعض المفاهيم ذات الصلة.....
- ٤١١..... الأهداف.....
- ٤١٢..... ١- الفرق بين الوحي والحديث القدسي.....
- ٤١٢..... مفهوم الحديث القدسي.....
- ٤١٣..... الفروق.....
- ٤١٤..... ٢- اختلاف الوحي عن التجربة النبوية.....
- ٤١٤..... مفهوم التجربة النبوية.....
- ٤١٤..... الفروق.....
- ٤١٧..... ٣- اختلاف الوحي عن التحديث.....
- ٤١٨..... مفهوم التحديث.....
- ٤١٨..... ١- قال محمد بن مسلم.....
- ٤١٩..... ٢- قال زرارة بن أعين.....
- ٤١٩..... الفروق.....
- ٤٢١..... ٤- اختلاف الوحي عن الإلهام.....
- ٤٢١..... مفهوم الإلهام.....
- ٤٢٣..... الفروق.....
- ٤٢٤..... ٥- اختلاف الوحي (القرآني) عن الحديث النبوي.....
- ٤٢٤..... مفهوم الحديث.....
- ٤٢٥..... الفروق.....
- ٤٢٦..... ٦- اختلاف الوحي عن المكاشفة العرفانية.....

- ٤٢٦..... مفهوم العرفان
- ٤٢٧..... الفروق
- ٤٢٨..... ٧- اختلاف الوحي عن الإلقاءات الشيطانية
- ٤٢٩..... مفهوم الوسوس الشيطانية
- ٤٢٩..... الفروق
- ٤٣٠..... خلاصة الدرس
- ٤٣٢..... أسئلة نموذجية
- ٤٣٢..... واحة المصادر
- ٤٣٢..... تحقيق
- ٤٣٣..... الدرس السادس عشر: نظرة إلى الوحي في اليهودية والنصرانية
- ٤٣٥..... الأهداف
- ٤٣٧..... ١- الوحي في اليهودية
- ٤٣٧..... ١-١- النصوص المقدسة عند اليهود
- ٤٣٩..... ١-٢- تفسير الوحي
- ٤٤١..... ١-٣- أقسام الوحي
- ٤٤١..... أ - الوحي المباشر
- ٤٤١..... ب - الوحي من وراء حجاب
- ٤٤٢..... ج - الوحي بواسطة الملك
- ٤٤٣..... مسألة
- ٤٤٣..... ١-٤- شرائط حصول الوحي
- ٤٤٤..... ١-٥- انتهاء الوحي رغم استمرار النبوة
- ٤٤٤..... ٢- الوحي في المسيحية

- ٢-١- استعمال الوحي في الكتاب المقدس عند النصارى ٤٤٤
- ٢-٢- مفهوم الوحي ٤٤٦
- ٢-٣- تفسير الوحي واعتبار الكتاب المقدس ٤٤٧
- أ - النظرية اللغوية ٤٤٧
- ب - النظرية التاريخية غير اللغوية ٤٤٩
- ج - الوحي غير اللغوي الباطني والتجريبي ٤٥٠
- ٢-٤- سلامة الوحي ٤٥١
- ٢-٥- الوحي النهائي واختتام الوحي ٤٥٢
- ٢-٦- روح القدس في المسيحية ٤٥٤
- خلاصة الدرس ٤٥٤
- أسئلة نموذجية ٤٥٦
- واحة المصادر ٤٥٦
- تحقيق ٤٥٦
- فهرس المصادر العربية والفارسية ٤٥٧
- فهرس المصادر الإنجليزية ٤٧٧
- فهرس الموضوعات ٤٧٩

معرفة الوحي

دروس معرفية

الوحي القرآني هو الأساس والمرتكز الذي يقوم عليه البناء الفكري والعقائدي والأخلاقي والفقهية للعمارة الإسلامية فالرؤية الشمولية للكون والحياة والإنسان بكل أبعادها وما يرتبط بها من التوحيد ومعرفة الأسماء والصفات الإلهية وما يرتبط بالمعاد والجنة والنار ويوم القيامة بكل تفاصيلها وما يحدد مكانة الإنسان الهدف من خلقته وما هو مبدأه ومنتهاه والطريق بينهما وما يجب على الإنسان الإلتزام والتمسك به من الأخلاق والفضائل ومن التجنب لجميع الرذائل وكذلك الأمور المرتبطة بحركة الفرد والمجتمع والأسرة وما يتعلق بالأحكام الشرعية - كل ذلك قائم على نظرة الوحي القرآني ورؤيته لهذه الأمور - فالخلل أو التشكيك أو الإشكال على مقولة الوحي الإلهي - القرآن الكريم - مما طرح سابقاً أو مما يطرح في عالمنا المعاصر من الإشكالات التي طرحت في الغرب على أيدي المستشرقين وتلاقضها بعض المفكرين الإسلاميين من المغرب العربي إلى الشرق الفارسي كل ذلك يستدعي الإجابة الواضحة والقائمة على الدليل والبرهان والتي تتسم بالشمولية للإجابة على تلك الإشكالات والشبهات لكي يبقى البناء لتلك العمارة قوياً ومتماسكاً.

فكان كتاب معرفة الوحي دروس معرفية لمؤلفه حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مصطفى كريمي حفظه الله تعالى يحمل تلك الإجابات الشافية.

توزيع



الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: 03/287179 - 01/541211

تلفاكس: 01/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com



دار الرحمن لعلوم القرآن